



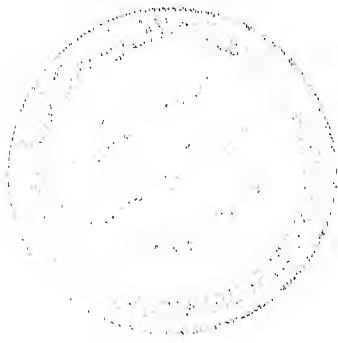
المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مركز الدراسات الإسلامية



٨٠  
٧٠  
٢٠

## الدروس المستفادة من

١٦٨٢ /

# العقوبات الإلهية في القرآن الكريم

## قبل الرسالة المحمدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في الدراسات الإسلامية

إعداد الطالب

عبد الهادي سعد هادي الشمراني

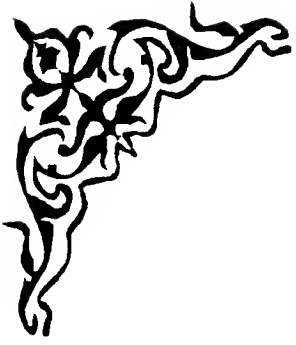
إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الباسط إبراهيم بلبول

## الجزء الثاني

العام الدراسي

١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م



## **الفصل الثالث**

### **العقوبات الإلهية في عهد موسى عليه السلام**

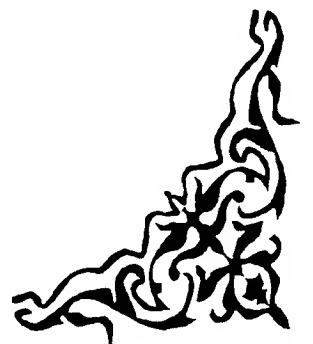
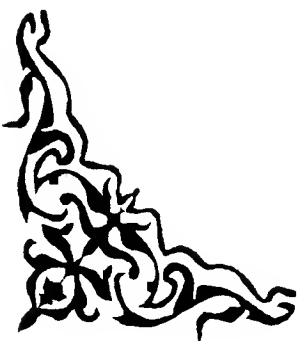
وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عقوبة فرعون وقومه .

المبحث الثاني : عقوبات بني إسرائيل في عهد

موسى عليه السلام .

المبحث الثالث : عقوبة قارون .



## الفصل الثالث

### العقوبات الإلهية في عهد موسى

#### تمهيد :

أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - بعد رجوعه من مدين متجهاً إلى مصر (بلده الذي ولد فيه) ، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩] أي : لما قضى موسى الأجل المتفق عليه ، وهو ثماني سنين أو عشر ، وأنه اختار الأكل منهما ، سار بأهله خارجاً من مدين متجهاً إلى مصر ، فأبصر ناراً فقال لأهله : امكثوا هنا ، فإنني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق من ضوئها ، أو ممن عندها ، أو جذوة من النار ، (أي : قطعة منها) لعلكم تصطلون (أي : تستدفئون بها) <sup>(١)</sup> .

وعند ذلك ناداه الله - تعالى - وعرفه به وأمره أولاً : بالاعتقاد بالوحدانية ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> [طه: ١٤] وأمره ثانياً : بإخلاص العبادة له فقال : ﴿ فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤] وأمره ثالثاً : بالإيمان باليوم الآخر فقال : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ [طه: ١٥] وهذه هي أسس رسالة الله الواحدة <sup>(٣)</sup> ، ثم أيده بمعجزتي العصا واليد وهو واقف مكانه قبل أن يأمره بتبليغ الرسالة ؛ ليعلم أنه لقي ربه حقاً هذا أولاً ، وليطمئن قلبه وهو ذاهب إلى فرعون ، ثانياً .

ثم أمره أن يذهب إلى فرعون ولا يخاف أحداً فإن كل شيء بيده ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤] .

فاعتذر موسى بقتله لواحد منهم ، ويخاف إن ذهب أن يقتلوه ، ثم إن في لسانه

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٩) .

(٢) وفي سورة النمل ﴿ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آية: ٩] وفي سورة القصص ﴿ أَن يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [آية: ٣٠] .

(٣) فاللوهية الواحدة قوام العقيدة وعليها ترتب العبادة ، وأما الساعة فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل العادل - انظر : (في ظلال القرآن) سيد قطب (٤/ ٢٣٣١) .

عيّاً أن لا يفهموا كلامه ويجب أن يرسل معه أخاه هارون ؛ لأنه أفصح كلاماً منه وليشتد به أزره . وهذا منه على سبيل الطلب لا الاعتراض <sup>(١)</sup> .

فاستجاب الله له كل ما طلب قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۖ وَاجْعَل لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَرُونَ أَخِي ۖ أَشَدُّ بِهِ أَزْرًا ۖ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ۖ كَىٰ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۖ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَىٰ ۚ ﴾ <sup>(٢)</sup> [ طه : ٢٥-٣٦ ] .

فزال الخوف عن موسى وحقق الله له ما طلب من نبوة أخيه هارون ؛ لأن خبر الاثنين أنجع في النفوس من خبر الواحد <sup>(٣)</sup> .

واستجاب موسى للأمر الإلهي ، وتوجه هو وأخوه هارون إلى الطاغية فرعون ، فأبلغاه أمر الله وبيّنا له ما أيد الله به موسى من معجزات فطلبها ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ [ النازعات : ٢٠ ] من معجزة العصا واليد <sup>(٤)</sup> ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ [ النازعات : ٢١ ] وطغى وتجر وتولى وتكبر ، وزعم أن هذا سحرٌ يؤثر .

وبعدها أوحى الله لموسى أن يخرج بقومه هارباً بهم من بطش فرعون وقومه ، بعد أن بلغ ما أمر به ، فخرج فرعون وجنوده في أثره ، فنجى الله موسى وقومه من بطشه ، وأغرق الله فرعون وجنوده ، جزاء عتوه وعناده وظلمه .

(١) يقول سيد قطب : (إنه كان يشكو إلى ربه ما به من ضعف وقصور ، لا ليتنصل أو يعتذر عن التكليف ، ولكن ليطلب العون والمساعدة في هذا التكليف العسير) انظر : (في ظلال القرآن) (٢٥٨٩/٥) .

(٢) سورة طه آية (٢٥ : ٣٦) وفي سورة الشعراء يقول تعالى عن موسى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون ۖ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَرُونَ ۖ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ۖ ﴾ [ الآيات : ١٢-١٤ ] ، وفي سورة القصص قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ۖ وَأَخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون ۖ ﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ۖ ﴾ [ الآيات : ٣٣-٣٥ ] .

(٣) (تفسير ابن كثير) (٤٠٠/٣) ؛ وانظر : (تفسير الكشاف) (٦٢/٣) .

(٤) أشرت إلى ذكر معجزة العصا واليد وكيفية التوفيق بينهما عند الحديث عن لطائف الآيات في سورة النازعات من هذا المبحث .



## المبحث الأول

### عقوبة فرعون وقومه

#### المطلب الأول : الآيات التي تحدثت عن عقوبات فرعون وقومه

أشارت بعض سور القرآن لعقوبة فرعون وقومه ، بينما فصلت سور أخرى عقوبتهم تفصيلا كاملا .

#### القسم الأول : السور التي أشارت إلى عقوبتهم .

أولا : سورة البقرة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠] .

أشارت الآية إلى نجاة بني إسرائيل وغرق فرعون ومن معه ؛ تذكيرا لهم بنعمة الله عليهم ؛ ليستعيدوا صورتها وكأنهم كانوا ينظرون إلى فرق البحر ، ونجاة بني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام<sup>(١)</sup> .

ثانيا : سورة آل عمران ، قال تعالى : ﴿ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [آل عمران: ١١] .

في هذه الآية تذكير لبني إسرائيل لمصير آل فرعون حيث أهلكهم بسبب ذنوبهم ونجى بني إسرائيل . ولكن هذا لا يمنحهم حقا خاصا إذا هم ضلوا وكفروا . فليس يبعد على الله أن ينالوا ما نال آل فرعون<sup>(٢)</sup> .

ثالثا : سورة الأنفال ، قال تعالى : ﴿ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٥٢-٥٤] .

في الآيات تذكير في صورة تحذير للمخاطبين من كفار قريش وغيرهم أن يشابهوا الظالمين من الأمم المكذبة كفرعون وقومه ، فينزل الله بهم من عقابه ما أنزل بأولئك الفاسقين<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : (في ظلال القرآن) (١/٧١) .

(٢) نفس المصدر السابق (١/٣٧١) .

(٣) انظر : (تيسير الكريم الرحمن) (٢/٢١٠) .

رابعاً : سورة هود ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (١٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾ [هود: ٩٦-٩٩] .

في الآيات ذم لفرعون وقومه الذين أطاعوه ، مع وضوح ضلاله وفساده لحفة عقولهم كما قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤] ، ولهذا نفى الله عن فرعون ما أثبت له لقومه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (١٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ [هود: ٩٧-٩٨] ، وهذا كالتعليل لنفي الرشاد عن أمر فرعون ؛ لأنه لو كان فيه رشد لما كان القائد لقومه وأتباعه إلى جهنم <sup>(١)</sup> .

وأتبعوا في هذه (أي : الدنيا) بدليل قوله تعالى عن قوم هود : ﴿ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ [هود: ٦٠] ، أي : جعلت تابعة لهم كما يتبع الظل صاحبه ، وهذا من الخزي الذي يلزمهم . وزيادة عليه يلعنهم اللاعنون من عباده ، كما بينها الله بقوله جل وعلا في الكفار عموماً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [البقرة: ١٦١] .

خامساً : سورة إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٦] .

أ - في الآيات أيضاً التذكير بنعم الله عليهم في إنجائه إياهم من فرعون في اليوم الذي يعرفونه .

ب - في سورة البقرة قال : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٩] وقال في الأعراف : ( يقتلون ) بغير واو ، وقال في سورة إبراهيم هنا : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٦] بالواو . فكيف ذلك ؟ والقصة واحدة .

والجواب : أنه لما حذف الواو جعل التذريح والتقتيل تفسيراً للعذاب وبياناً له ،

(١) انظر : (معارج الصعود إلى تفسير سورة هود) - محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

وحيث أثبتنا جعل التذريح كأنه جنس آخر غير العذاب ؛ لأنه أوفى على بقية أنواعه وزاد عليها زيادة ظاهرة ، فعلى هذا يكون زيادة الواو أبلغ<sup>(١)</sup> .

سادسا : سورة الإسراء أشارت إلى عقوبة فرعون وقومه في قوله تعالى : ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٣]<sup>(٢)</sup> .

أ - فأراد أن يستفزهم : أي : يستخف موسى ومن معه ويخرجهم ؛ ليتمكن من استعباد الباقيين مثلهم ، مثل قريش حين أرادوا أن يستفزوك من الأرض ليخرجوك منها للتمكن مما هم عليه من الكفر والعناد .

ب - في الآية تحذير لقريش<sup>(٣)</sup> ، فمن أغرق فرعون وقومه جميعا قادر على إهلاكهم جميعا ، وهذه سنة الله فيمن عاند بعد أن رأى الخوارق وكفر النعمة وأفرط في الغي بعد ظهور الحق<sup>(٤)</sup> .

سابعا : سورة الحج ، والفرقان ، العنكبوت ، ص ، ق ، القمر ، الحاقة ، المزمل ، البروج ، الفجر .

جاءت الإشارة إليهم في معرض ذكر الأقوام المكذبين من قبلهم دون ذكر اسمهم . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿ [الحج: ٤٢-٤٤] .

أما سورة الفرقان فقال فيها : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿ [الفرقان: ٣٥-٣٦] .

أما سورة العنكبوت : فأشارت العنكبوت إلى عقوبة قوم فرعون ضمن تعداد قدرة الله في عقاب الأمم قبلهم في قوله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ

(١) تفسير الرازي المسمى (بأنموذج جليل) ص "٢٣٩" .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (١٠٣) .

(٣) لكون الآية جاءت بعد الآيات المتحدثة عن إنكارهم للبعث قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفُلًا ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٩٨] .

(٤) نظم الدرر (١١/٥٢٨ ، ٥٢٩) .

الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠] وهم قوم نوح ، وفرعون وقومه ، فقوم نوح أغرقوا بنزول المطر من السماء ، وتفجر عيون الأرض ، وفرعون ووزيره هامان وجنودهما أغرقوا في البحر في صبيحة واحدة ؛ فلم ينج منهم أحد<sup>(١)</sup> .

أما سورة ( ص ) فأشارت إلى فرعون صاحب الأهرام التي تقوم في الأرض كالأوتاد تذكر أيضاً في قوله تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ [ص: ١٢] وهي أول آية تذكر الأوتاد : إما لكثرة جنوده ، أو لأنه كان يعذب بها الناس .

أما سورة ( ق ) فأشارت إلى فرعون ضمن الأقوام الذين جادلوا في قضية البعث كما فعل المشركون القرشيون .

قال تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [ق: ١٢-١٣] فأراد بفرعون هنا : قومه ؛ لأن المعطوف عليه قوم نوح .

أما سورة الذاريات فأشارت لمصرع فرعون وقومه إشارة سريعة دون عرض كيفية غرقه فقال سبحانه : ﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٨-٤٠] .

ولا يطيل السياق هنا في عرض تفصيلات القصة ، فيمضي إلى نهايتها بقوله : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٤٠] أي آت بما يلام عليه مما كان منه من طغيان ومن تكذيب<sup>(٢)</sup> .

فإن قلت : كيف وصف نبي الله يونس - صلوات الله عليه - بما وصف به فرعون في قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات: ١٤٢] .

فالجواب : أن موجبات اللوم تختلف ، وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم ، فمرتكب الكبيرة ملوم على مقدارها ، وكذلك مقترف الصغيرة . ألا ترى إلى قوله

(١) انظر : (تفسير ابن جرير الطبري) (٣٧/٢٠) ، تفسير ابن كثير (٢٤/٣) .

(٢) في ظلال القرآن (٣٣٨٤/٦) .

تعالى : ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ [هود: ٥٩] ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾ [طه: ١٢١] لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة<sup>(١)</sup> .

أما سورة القمر : فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿١٢﴾ [القمر: ٤١-٤٢] .

كانت الإشارة فيهما زائدة على ما تقدم ؛ حيث بينت أن آل فرعون جاءتهم النذر ، وأعطوا الآيات الكثيرة فكذبوا بها ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

والإشارة إلى العزة والاقتدار تلقي ظلال الشدة في الأخذ ، وفيها تعريض بعزة فرعون واقتداره على البغي والظلم ، فقد ضاعت العزة الباطلة ، وسقط الاقتدار الموهوم ، وأخذهم الله هو وآله أخذ عزيز حقا مقتدر صدقا . أخذهم أخذا شديدا يناسب ما كانوا عليه من ظلم وغشم وبطش وجبروت<sup>(٢)</sup> .

أما سورة الحاقة : فأشارت إلى عقوبتهم مع مجموعة المكذبين من قومه وقوم لوط في قوله سبحانه : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ ﴾ ﴿١﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿٢﴾ [الحاقة: ٩-١٠] .

وهذا السياق كما تراه يحمل فعال الذين جاءوا بالخطئة (أي : الفعل الخطئة) وهنا إشارة بديعة حيث ذكر الله أنهم ﴿ عَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ [الحاقة: ١٠] وهم عصوا رسلا متعددين ، ولكن حقيقتهم واحدة ، ورسالتهم في صميمها واحدة . فهم إذن رسول واحد يمثل حقيقة واحدة<sup>(٣)</sup> .

فكانت النتيجة أن أخذهم الله أخذة شديدة زائدة في الشدة ؛ كما زادت قبائحهم في القبح<sup>(٤)</sup> .

سورة المزمل : أشارت إلى عقوبة قوم فرعون في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ ﴿١﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿٢﴾ [المزمل: ١٥-١٦] .

(١) تفسير الكشاف (٤/٤٠٣) .

(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٤٣٥) .

(٣) في ظلال القرآن (٦/٣٦٧) .

(٤) تفسير الكشاف (٤/٦٠٠) .

(٥) وبيل يعني : الثقيل الغليظ ، ومنه قولهم : صار هذا وبالا عليه ، ويقال : كلاً وبيل وخم لا يستمرأ لثقله فأدت عاقبته إلى مكروهه ، والوبيل العصا الضخمة ، ومنه الوابل للمطر العظيم - انظر : (تفسير الكشاف) (٤/٦٤١) ؛ تفسير الرازي (٣٠/١٨٢ ، ١٨٣) - وانظر : (لسان العرب) (٢٠١/٢٠٢ ، ٢٠٢) مادة (وبل) .

### في الآيات :

- أ - الخطاب لأهل مكة ، والمقصود تهديدهم بالأخذ الويل المهلك .  
 ب - لسائل أن يسأل . لم نكر الرسول ثم عرف ؟  
 والجواب : إن التقدير أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصاه ، فأخذناه أخذاً ويلاً ، فأرسلنا إليكم أيضاً رسولاً فعصيتم ذلك الرسول ؛ فلا بد وأن نأخذكم أخذاً ويلاً<sup>(١)</sup> .  
 ج - لم ذكر في هذا الموضع قصة موسى وفرعون على التعيين دون سائر الرسل والأمم ؟

والجواب : لأن أهل مكة ازدروا محمداً - عليه الصلاة والسلام - واستخفوا به لأنه ولد فيهم ، كما أن فرعون ازدري موسى لأنه رباه وولد فيما بينهم ، وهو قوله : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾<sup>(٢)</sup> [ الشعراء: ١٨ ] .

أما سورة البروج فأشارت إلى عقوبتهم في قول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ [ البروج: ١٧-١٩ ] .

### في الآيات :

- ١ - أشارت إلى قوة القوم واستعدادهم ، فسماهم بالجنود .  
 ٢ - أشارت إلى فرعون من المتأخرين وثمود من المتقدمين دون تفصيل ، فأمرهم معلوم<sup>(٣)</sup> .

وأخيراً أشارت سورة الفجر إلى عقوبة فرعون وقومه في قول الله تعالى : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ ﴿ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ﴾ ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ [ الفجر: ١٠-١٤ ] .

### في الآيات :

- ١ - في قول الله تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [ الفجر: ١٣ ] إشارة إلى ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعده لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به<sup>(٤)</sup> .

(١) التفسير الكبير (١٨٢/٣٠) .

(٢) نفس المصدر (١٨٣/٣٠) .

(٣) انظر : (في ظلال القرآن) (٣٨٧٦/٦) .

(٤) تفسير الكشاف (٧٤٨/٤) ؛ تفسير الرازي (١٦٨/٣١) . فائدة : كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال : إن عند الله أسواطاً كثيرة ، فأخذهم بسوط منها - انظر : (الكشاف) (٧٤٨/٤) ؛ الرازي (١٦٨/٣١) .

٢- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] أي : بالعقاب لفرعون ولمن سار على شاكلتهم من الظلمة والطغاة المفسدين . لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به<sup>(١)</sup> .

وعند ابن كثير في معناها : « يرصد خلقه فيما يعملون ، ويجازي كلاً بسعيه في الدنيا والأخرى ، وسيُعرضُ الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلاً بما يستحقه ، وهو المنزه عن الظلم والجور »<sup>(٢)</sup> .

ثامناً : سورة المؤمنون ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥-٤٩] .

#### في الآيات : -

١- بعث الله رسوله موسى - عليه السلام - وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات .

٢- استكبار فرعون وقومه عن إتباعهما والانقياد لأمرهما لكونهما بشرين .

٣- أهلك الله فرعون وقومه ؛ حيث أغرقهم في صبيحة يوم واحد أجمعين .

٤- أنزل الله على موسى الكتاب وهو التوراة بعد ما قصم الله فرعون وقومه القبط ، ولم يهلك الله أمة بعامه بعد نزول التوراة<sup>(٣)</sup> .

تاسعاً : سورة الصافات : أشارت سورة الصافات إلى عقوبة فرعون وقومه في لحظة سريعة في تعرض امتنان الله على موسى وهارون عليهما السلام .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ

(١) انظر : (تفسير الكشاف) (٧٣٣/٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٥٤٣/٤) .

(٣) ذكرنا ذلك سابقاً عند الكلام في اختلاف العلماء في مكان أصحاب القرية لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ﴾ [القصص: ٤٣] الآية ، وانظر : (تفسير ابن كثير) (٤٠٢/٣) .

الْمُسْتَبِينَ ﴿١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ [الصفات: ١١٤-١٢٢] .

في الآيات : -

١ - إبراز منة الله عليهما باختيارهما واصطفائهما ونجاتهما وقومهما من الكرب العظيم .

٢ - نصرة الله لهما على فرعون وملأه وإعطائهما الكتاب الواضح المستبين وهدايتهما الصراط المستقيم .

٣ - إبقاء ذكرهما في الأجيال والقرون الآتية بعدهما .

٤ - التعقيب المتكرر في السورة لتقرير نوع الجزاء الذي يلقاه المحسنون <sup>(١)</sup> .

## القسم الثاني : السور التي فصلت عقوبة فرعون وقومه

### أولاً : سورة الأعراف :

تحدثت سورة الأعراف حديثاً تفصيلياً عن فرعون وقومه وموسى مع قومه وسنكتفي بذكر عقوبة فرعون وقومه هنا ، وسنرجى الحديث عن عقوبة بني إسرائيل إلى حينه .

فبعد قصة قوم نوح وصالح ولوط وشعيب - عليهم السلام - أرسل الله موسى عليه السلام مؤيداً بالآيات البينات إلى فرعون وملئه ، ولكن إفسادهم في الأرض حال بينهم وبين الإيمان .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٥﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٢٠﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٢١﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٢٢﴾

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٩٩٧) .



﴿١٣٦﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ  
 الْمُلقِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ  
 عَظِيمٍ ﴿١٣٧﴾ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٣٧﴾ فَوَقَعَ  
 الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٨﴾ فغلبوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٣٨﴾ وَألقى السَّحْرَةَ  
 سَاجِدِينَ ﴿١٣٩﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٩﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ  
 بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا  
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٤٠﴾ لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ  
 ﴿١٤١﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٤١﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا  
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ  
 وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ  
 وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ  
 يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٤﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا  
 وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ  
 كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ  
 يَذْكُرُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا  
 بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤٧﴾ وَقَالُوا  
 مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٨﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ  
 الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا  
 قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ  
 عِنْدَكَ لِنَكْشِفَ عَنْآ الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٥٠﴾ فَلَمَّا  
 كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٥١﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ  
 فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٥٢﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ  
 الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ  
 كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانِ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ  
 وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴿ [الأعراف: ١٠٣-١٣٧] .

لطائف الآيات :

أولا : أرسل الله موسى - عليه السلام - إلى فرعون ليلغيه أمر الله مباشرة .

ثانيا : بيان سوء عاقبة المفسدين في الدنيا والآخرة .

ثالثا : اعتزاز موسى بتبليغ دعوة الحق ، وهو حريص على ألا يقول غيره ؛ لأنه

مهتم بمصلحة قومه .

رابعا : ذكر الله - تعالى - في هذه القصة من الشرح والتفصيل ما لم يذكر في سائر القصص ؛ لأجل أن معجزات موسى كانت أقوى من معجزات سائر الأنبياء ، وجهل قومه كان أعظم وأفحش من جهل سائر الأقوام<sup>(١)</sup> .

خامسا : القصة تكشف لنا مواجهة موسى لفرعون وملئه ، وهذا يبين لنا كيف ينظر الطاغوت إلى هذا الدين ، وكأنه الخطر الوحيد على وجوده ، كما تبين كيف يدرك المؤمنون حقيقة المعركة بينهم وبين الطاغوت<sup>(٢)</sup> .

سادسا : بطانة فرعون يلصقون بموسى تهمة ما يسمى اليوم ( بقلب نظام الحكم ) ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٠] .

سابعا : إلهية فرعون المزعومة تستشير الملأ في شأن موسى<sup>(٣)</sup> .

ثامنا : السحرة كانوا جماعة من المأجورين الذين يبحثون عن المنافع المادية والسلطة الدنيوية ؛ في حين كان موسى داعية حق لا يريد من ورائها جزاء ولا شكورا ، بل كان كل همه عودة فرعون وقومه إلى جادة الصواب ، ثم فك العذاب عن قومه بني إسرائيل<sup>(٤)</sup> .

تاسعا : في قوله تعالى : ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٩] لم تنسب الغلبة لموسى - عليه السلام - لأن ذلك ليس من كسبه ولا من صنعه<sup>(٥)</sup> .

عاشرا : للسحر حقيقة وتأثير ، فالسحرة بسحرم أثروا على أعين الناس حتى رأت الحبال والعصي ثعابين وحيات على خلاف ما هي عليه حقيقة .

الحادي عشر : إيمان السحرة لعلمهم أن ما جاء به موسى ليس سحرا من جنس سحرم لأنهم أهله ، وإنما هو آية من الله خارقة تدل على صدق موسى ﷺ .

الثاني عشر : ثبات السحرة أمام التهديدات والاتهامات الفرعونية بأن هذا الأمر

(١) التفسير الكبير (الرازي) (١٨٩/١٤) .

(٢) انظر : (في ظلال القرآن) (١٣٣٠/٣) .

(٣) وهذه فضيحة كبرى لفرعون إذ نسي دعواه بالربوبية (أيسر التفاسير) (٦٢/٢) .

(٤) انظر : (في ظلال القرآن) (٢٥٩٥/٥) .

(٥) انظر : (تفسير المنار) (٦٩/٩) .

مخطط له من قبل ؛ كما قال فرعون هذه الأمة<sup>(١)</sup> : هذا أمر قضي بليل .

**الثالث عشر :** بطانة فرعون يعودون إلى إثارة فرعون ودفعه للبطش بموسى وقومه بقولهم : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢١] .

**الرابع عشر :** إحياء موسى الأمل في نفوس بني إسرائيل المنكسرة ، وذلك بتذكيرهم بقوة الله التي لا تقهر ، وأنه مع صبرهم وتقواهم سوف يهلك عدوهم - وهذه بشارة عظيمة تضاف لما قد رأوا بأعينهم من معجزات وآيات ظاهرات - .

**الخامس عشر :** ابتلى الله فرعون وقومه بمجموعة من العقوبات الإلهية لعلهم يذكرون فيتعظون وهي - السنين<sup>(٢)</sup> ، ونقص الثمرات<sup>(٣)</sup> ، والطوفان<sup>(٤)</sup> ، الجراد<sup>(٥)</sup> ، القمل<sup>(٦)</sup> ، الضفادع<sup>(٧)</sup> ، الدم<sup>(٨)</sup> ، تتبع الواحدة منها الأخرى ، وتصدق اللاحقة منها السابقة .

**السادس عشر :** من طبيعة الإنسان الضعف ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] فتراه حين نزول البلاء يفزع إلى الله بالدعاء والتضرع ، فإذا انكشف ما به نسي وعوده إلا من آمن وعمل صالحا .

**السابع عشر :** من سنن الله الثابتة إنزال العذاب بالمكذبين بعد إبلاغهم الحجة ، حيث قصم الله فرعون وقومه بإغراقهم جميعا في البحر فلم ينج منهم أحد .

(١) هو أبوجهل ، حينما قامت مجموعة من قريش يريدون تمزيق صحيفة المقاطعة المعلقة في الكعبة انظر : (سيرة ابن هشام) لأبي محمد : عبد الملك بن هشام ، (١/٣٩٩) ط دار التراث .

(٢) السنين / الجذب والقحط .

(٣) نقص الثمرات / الجوائح التي تصيبها فلا تصلح بعدها .

(٤) الطوفان / الفيضانات المفرقة .

(٥) الجراد / حشرة تأكل الزروع والثمار .

(٦) القمل / القمل المعروف أو السوس في الحبوب .

(٧) الضفادع / حيوان برمائي يوجد كثيرا في المياه والمستنقعات وأماكن الخصب .

(٨) الدم / دم الرعاف أو النزيف أو تحول الماء المشروب إلى دم عبيط في أوانيهم وأفواههم آية لموسى عليه السلام ، انظر لكل ذلك : (تفسير الرازي) (١٤/٢١٤ ، ٢١٨) ؛ معاني القرآن للزجاج (٢/٣٦٨ ، ٣٦٩) ؛ تفسير ابن كثير (٢/٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢) ؛ تفسير الوسيط (٢/٣٩٨-٤٠٢) .

## ثانيا : سورة يونس :

ثم تأتي سورة يونس لتذكر : تفصيلا معينا من عقوبة فرعون وقومه ، فتركز على أمرين عظيمين لم تذكرهما أي سورة أخرى وهما :

أولا : استجابة الله لدعاء موسى على فرعون وقومه .

ثانيا : اللحظات الأخيرة والحاسمة في حياة فرعون الطاغية .

الآيات قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِئُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ \* وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالْكَافِرِينَ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴿ [ يونس : ٧٥-٩٢ ] .

## لطائف الآيات غير ما سبق

أولاً : كيف قال لهم موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ [يونس: ٧٧] على طريق الاستفهام ، وهم إنما قالوا ذلك على طريق الإخبار والتحقيق المؤكد بـ (إن) ، و(اللام) لا على طريق الاستفهام ، وقال في الآية التي قبلها : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [يونس: ٧٦] .

والجواب : فيه إضمار تقديره : أتقولون للحق لما جاءكم إن هذا لسحر مبين . ثم قال ( أسحر هذا ) أنكر ما قالوه ، فالاستفهام من قول موسى - عليه الصلاة والسلام - لا مفعول لقولهم<sup>(١)</sup> .

ثانياً : السحر لا يؤثر على المسحور إلا بتقدير الله ؛ لأنه هو الصانع لكل شيء والمدير لكل أمر ، ولا يمكن أن يجلب نفع أو يدفع ضرر إلا بمشيئته ، وهذا الذي جعل موسى يقول للسحرة ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١] وهذه هي ثقة المؤمن بربه المطمئن إلى أن ربه لا يرضى أن ينجح السحر وهو عمل غير صالح .

ثالثاً : تفيد الآيات أن الذين أظهروا إيمانهم وانضمامهم لموسى من بني إسرائيل كانوا هم قلة من أتباع فرعون وكان يخشى من فتنهم ، وردهم عن اتباع موسى خوفاً من فرعون ، وتأثير كبار قومهم المقربين وذوي المصالح عند أصحاب السلطان ، فكان لابد من إرشادهم إلى التوكل على الله - تعالى - ذي القوة المتين ، وما سواها من القوى فباطل ، فكان الجواب ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٥] ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [يونس: ٨٥-٨٦] .

رابعاً : تذكر الآيات أن الله - تعالى - أمر موسى وقومه بالانحياز في مكان واحد استعداداً للخروج ، وأن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير الرازي المسمى (أتمودج جليل) ص "١٩٩" .

(٢) في ظلال القرآن (٣/١٨١٨) .

(٣) تفسير الطبري (١٥/١٨٥) .

خامسا : فإن قيل : كيف نوع الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧] فتنى أولا ثم جمع ثم أفرد .

والجواب : خوطب أولا موسى وهارون أن يتبوعا لقومهما بيوتا ويختاراه للعبادة ، ثم سبق الخطاب علما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ، ثم خص موسى - عليه الصلاة والسلام - بالبشارة تعظيما له عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup> .

سادسا : الظلم ظلمات ، ونحن نرى موسى يدعو على فرعون وقومه بعد استنفاد جميع أنواع وسائل الدعوة ، فما كان من فرعون بعد كل هذه إلا أن بغى وزاد في الظلم والتجبر والطغيان ؛ فاستجاب الله دعوة موسى وأخيه هارون ، وأمرهما بالاستقامة وعدم التعجل في معاقبة الله للظالمين<sup>(٢)</sup> .

سابعا : في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَجِيبْتَ دَعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس: ٨٩] أضافها إليهما ، والدعوة إنما صدرت من موسى - عليه الصلاة والسلام - فكيف ذلك ؟

والجواب : أن موسى - عليه السلام - كان يدعو ، وهارون يؤمن على دعائه ، والتأمين دعاء في المعنى ، فلهذا أضاف الدعاء إليهما .

فإن قيل : لو كان كذلك لقال تعالى ( دعوتاكما )

والجواب : لما كانت الدعوة مصدرا اكتفى بذكرها في موضع الإفراد والتثنية والجمع بصيغة واحدة كسائر المصادر ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾<sup>(٣)</sup> [البقرة: ٧] .

(١) انظر : (تفسير الرازي) المسمى (أتمودج جليل) ص "١٩٩" .

(٢) قال القرطبي رحمه الله (٣٧٥/٨) : وقد استشكل بعض الناس هذه الآية : كيف دعا عليهم وحكم الرسل استدعاء إيمان قومهم ؟ والجواب : إنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذن من الله وإعلام أنه ليس فيهم من يؤمن ولا يخرج من أصلابهم من يؤمن ؛ دليله قوله تعالى لنوح عليه السلام ﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود: ٣٦] وعند ذلك قال ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] . والله أعلم .

(٣) تفسير الرازي المسمى (أتمودج جليل) ص "٢٠٠" .

ثامنا : وأخيرا تأتي اللحظات الحاسمة في حياة فرعون الطاغية ، حينما خرج موسى هاربا من ظلمه ، فيتبعهم بجنوده بغيا وعدوا ، فيشق الله البحر لموسى وقومه ويمن عليهم بالنجاة ويدخل فرعون وجنوده وراءهم ؛ فيطبق الله البحر عليهم ، فيدرك فرعون الغرق فيعلن إسلامه ، ولكن هيهات لقد حيل بينه وبين قول لا إله إلا الله ﴿ ءَاَلَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١] لأن هذا إيمان وقت مشاهدة العذاب<sup>(١)</sup> لا يقبله الله ؛ لما جرى من سنته سبحانه في ذلك قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥] .

### ثالثا : سورة طه :

قال تعالى : ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي ﴾ ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ﴿ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ﴾ ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَىٰ ﴾ ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ﴿ كَىٰ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾ ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾ ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ﴾ ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ ﴾ ﴿ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٦) .

١٤ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٤﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا  
 يَمُوسَىٰ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿١٥﴾ قَالَ فَمَا  
 بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿١٦﴾ قَالَ عَلِمُوا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى  
 ٥ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ  
 مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿١٧﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ  
 تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا  
 لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٢١﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَىٰ ﴿٢٢﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ  
 ١٠ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ ﴿٢٣﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٢٤﴾  
 قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ  
 مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٢٥﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٢٦﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ  
 لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ  
 ١٥ الْمُثَلَّىٰ ﴿٢٧﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اسْتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ  
 ﴿٢٨﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنِ أُلْقَىٰ ﴿٢٩﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا  
 فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٣٠﴾ فَأَوْجَسَ فِي  
 نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ ﴿٣١﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٣٢﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ  
 تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٣٣﴾  
 فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٣٤﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ  
 ٢٠ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ  
 وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا أَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا  
 وَأَبْقَىٰ ﴿٣٥﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ  
 مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٦﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا  
 ٢٥ خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٣٧﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ  
 مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ  
 الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٣٩﴾ جَنَّاتٌ عِدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ  
 أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ



﴿ ٧٧ ﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ آلِئِمٍّ مَا عَشِيَهُمْ ﴿ ٧٨ ﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿ ٧٩ ﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىٰ ﴿ ٨٠ ﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿ ٨١ ﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿ ٨٢ ﴾ [ طه: ٢٤-٨٢ ] .

### لطائف الآيات غير ما سبق :

أولاً : للسائل أن يسأل عن اختلاف المحكي من قول موسى - عليه السلام - حين بعث إلى فرعون مع اتحاد القضية في سورة طه ، الشعراء ، القصص ، وقد وقع في كل سورة منها ما ليس في الأخرى فكيف ذلك ؟

فمثلاً : قوله تعالى في سورة طه : ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴾ [ طه: ٣٦ ] ومن قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿ ١١ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ ١٢ ﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿ ١٣ ﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ ١٤ ﴾ [ الشعراء: ١٠-١٤ ] .

وفي سورة القصص ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [ القصص: ٣٢-٣٥ ] .

والجواب : إنه لا يتوقف في أن قصة موسى - عليه السلام - كانت بالمعنى لاختلاف اللسانين ( العربي والعبراني ) والتزادف فيما بين اللغتين في كل لفظتين يراد بهما معنى واحد غير مطرد ، إذا فلا إشكال <sup>(١)</sup> .

(١) يقول صاحب ملاك التأويل : ( ٨١٧/٢ ) وانظر : ( ٥٤٤/١ ) - نفس المصدر (إن المعنى قد يتوقف على الكمال على تعبيرين أو أكثر ، لاسيما مع ما في اللسان العربي من الاشتراك ، والعموم ، والخصوص ، والإطلاق ، والتقييد ، والحقيقة ، والجاز ، وغير ذلك من عوارض الألفاظ ؛ فكيف ينكر اختلاف التعبيرين عن المعنى الواحد بألفاظ ، وعبارات مختلفة ، بل نقول : إنه لو كان المحكي قولاً عربياً وحكي بالمعنى لما استنكر اختلاف العبارة فكيف مع اختلاف اللسانين . والحاصل من

ثانيا : موسى - عليه السلام - يطلب من الله في أول لقاء عددا من الأمور ليتقوى بها في منازل فرعون هي :

أن يشرح صدره ، وييسر أمره ، ويحل عقدة من لسانه ، ويرسل معه أخاه هارون ليشد به أزره ، ويشركه في أمره ، فاستجاب الله دعاءه وأعطاه سؤله .

ثالثا : يمتن الله على موسى - عليه السلام - أن نجاه من قتل فرعون له وهو صغير ، ويمتن عليه ثانية بمحبته سبحانه له وجعله محبوبا لكل من يراه من أهل القلوب السليمة<sup>(١)</sup> ، وامتن عليه الثالثة أن نجاه من القتل بعد قتله للرجل القبطي ، وابتلاه بأنواع كثيرة من الابتلاءات ولبث سنين في أهل مدين ثم جاء على قدر<sup>(٢)</sup> ليصطفيه الله بالرسالة كما قال الله ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١] .

رابعا : جاءت كلمة ( لنا ) في قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤] لأول مرة ، ولم تذكر في السورتين السابقتين ؛ بل إنها لم تذكر كأمر من الله - تعالى - لني من الأنبياء قبل موسى عليه السلام ، لأن فرعون كان في غاية العتو والاستكبار ، فلا بد من دعوتهما له بكلام رقيق لين سهل ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنفع<sup>(٣)</sup> .

خامسا : مناقشة هادئة تبدأ بعد أن قال موسى وهارون لفرعون ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْدِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ [طه: ٤٧] .

=

قول موسى في هذه السور الثلاث من سؤاله ربه شرح صدره ، وتيسير أمره ، وإطلاق لسانه ، وتشكيه منه ، والتعاون بأخيه هارون عليهما السلام ، وخوفه ان يكذب ، وذكره ما تقدم منه من قتل القبطي ، على هذه القضايا السبع ؛ دار المحكي من كلامه عليه السلام ، وقد يرد في سورة منها بعض ذلك مما ليس في الأخرى ، ولم يتعارض شيء من ذلك - وانظر : تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "١٥٤" .

(١) عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩] أن امرأة فرعون قالت له ﴿ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ ﴾ ، فقال فرعون : يكون لك ، فأما لي فلا حاجة لي فيه . انظر : (تفسير ابن كثير) (١٥٦/٣ ، ٣٩٣) .

(٢) قال مجاهد أي : على موعد ، وقال قتادة : على قدر الرسالة والنبوة .

(٣) انظر : (تفسير ابن كثير) (١٦١/٣) .

إنه البدء بإيضاح قاعدة رسالتهم ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] ليشعر من أول الأمر بأن هناك إلها هو ربه ، ثم إيضاح لرسالتهم ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: ٤٧] ثم استشهاد على صدقهما في الرسالة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] ثم ترغيب واستمالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٧] ثم تهديد وتحذير غير مباشرين كي لا يثير كبرياءه وطغيانه ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾<sup>(١)</sup> [طه: ٤٨] .

وهذا الأسلوب الذي أرشدهم الله إليه أخذ بلب فرعون ومجامع فكره مما جعله يستمر في المناقشة ويثير الأسئلة ويرد عليه موسى وهكذا .

بينما السورتان السابقتان لا تثيران شيئا من ذلك .

**سادسا :** سرعة الرد وإلجام الخصم الحجة الدامغة مما يجعله يخرج عن طور المناقشة إلى أمور أخرى - جانبية - مما يوحى لنا أن الرسل - عليهم السلام - لا يريدون من وراء ذلك إلا هداية أقوامهم ، لا إعلام الخصم بقوة الفصاحة والبلاغة .

**سابعا :** اختيار الموعد والوقت الذي ضربه موسى لهم يدل على حسن تصرف ورجاحة عقل .

فالموعد يوم الزينة ، والوقت ضحى النهار .

يوم الزينة لأنه أكثر تجمعا للناس ، والوقت ضحى لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت . ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر ، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو وضوح الرؤية<sup>(٢)</sup> .

**ثامنا :** في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥] والسحر حرام ، فكيف أمرهم به مع عصمته ؟

**والجواب :** أنه لما كان إلقاؤهم سببا لظهور معجزته ، وصدق دعوى نبوته صار حسنا بهذا الاعتبار<sup>(٣)</sup> ، بمعنى أن هذا الأمر قد جاء في ساعة لا بد فيها من معرفة ما عند الخصم من أدلة والرد عليه لما يناسبه<sup>(٤)</sup> .

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٣٧) .

(٢) نفس المصدر (٤/ ٢٣٤٠) .

(٣) كشف المعاني لابن جماعة ص "٢٥٢" .

(٤) انظر : (تفسير الرازي) (٢٢/ ٨٢) .

تاسعا : في سورة يونس عرف كلمة السحر ، وفي سورة طه ذكر الساحر معرفا  
فما الفرق بينهما ؟

والجواب : في سورة ( يونس ) استفدنا معنى الاستغراق لجنس السحر كله وأنه  
باطل ، وفي سورة ( طه ) استفدنا معنى الاستغراق لجنس الساحر كله كذلك ،  
فالسحر سيطل والساحر لا يفلح<sup>(١)</sup> .

ثم وحد كلمة ساحر ولم يجمع ؟ والجواب : أن القصد من هذا الكلام إلى معنى  
الجنسية لا إلى معنى العدد ، فلو جمع لقليل : إن المقصود هو العدد<sup>(٢)</sup> .

عاشرا : في قوله تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ  
وَمُوسَى ﴾ [طه: ٧٠] يرد سؤال كيف قدم هارون على موسى ؟

والجواب : قدمه لتناسب الفواصل<sup>(٣)</sup> ( أي رؤوس الآيات ) ومثلها قوله تعالى  
﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٦] في الأعراف وسورة الشعراء لتكون  
الفاصلة فيها مساوية للفواصل قبلها .

وبإزاء ساجدين قوله ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾ [طه: ٧٠] في سورة طه . فهذا  
ونحوه مما يراعى في الفواصل ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ وَأَطَعْنَا آلَ رَسُولَا ﴾  
[الأحزاب: ٦٦] ، ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧] فزيدت الألف لا للبدل من  
التنوين ، إذ لا تنوين مع الألف واللام ، وإنما للتوافق بينهما وبين الفواصل التي قبلها  
وبعدهما نحو (تقتيلا) و(تبديلا) و(قريبا) و(سعيرا) و(نصيرا) وبعدهما (كبيرا)  
و(وجيها) و(سديدا) و(عظيما) من سورة الأحزاب<sup>(٤)</sup> .

الحادي عشر : قال تعالى ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [طه: ٧٠] رَبِّ مُوسَى  
وَهَارُونَ ﴿ [الأعراف: ١٢١-١٢٢] من سورة الأعراف ، ومثلها في سورة الشعراء<sup>(٥)</sup> ،  
وهنا في سورة طه قال ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه: ٧٠] فلم كررت  
« رب » في السورتين ولم تكرر في سورة طه ؟

(١) ثم تراه بعدها نكر كلمة «سحر» أولا ثم عرف بعدها كأنه قال أن الذي أتوا به قسم واحد من

أقسام السحر وجميع أقسام السحر لا فائدة فيه - انظر : (تفسير الرازي) (٨٥/٢٢-٨٦) .

(٢) تفسير الرازي (٨٥/٢٢) .

(٣) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل) ص "٣٢٨" وانظر : أيضا في (درة التنزيل) ص "١٥١" .

(٤) درة التنزيل ص "١٥١" ، البرهان في متشابه القرآن - للكرماني ص "١٩٨" .

(٥) سورة الشعراء آية (٤٧ ، ٤٨) .

والجواب : أنه إذا قيل : رب العالمين فقد دخل فيهم موسى وهارون وهما دعوا إلى رب العالمين - وذكر في السورتين ( الأعراف ، الشعراء ) ليدل بتخصيصهما بعد العموم على تصديقهما بما جاء به - عليهما الصلاة والسلام - عن الله تعالى . فكأنه قيل : آمنا برب العالمين وهو الذي يدعو إليه موسى وهارون .

وأما في سورة طه : فلم يذكر رب العالمين ؛ لأنه ما كان الكلام يتم به آية كما تم في السورتين ، فيكون مقطع الآية فاصلة مخالفة للفواصل التي بنيت عليها فواصل سورة طه فقوله تعالى ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه: ٧٠] ، وربهما هو رب العالمين ، وكان القصد حكاية المعنى لا أداء اللفظ على جهته<sup>(١)</sup> .

الثاني عشر : في قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٢٣] من سورة الأعراف ، وقال هنا في سورة طه وأيضاً في سورة الشعراء ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: ٧١] و [الشعراء: ٤٩] .

أظهر اسم فرعون في سورة الأعراف ، وأضمره في سورتي طه والشعراء فلماذا ؟ وسؤال آخر أيضاً قال ﴿ ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾ [الأعراف: ١٢٣] ، وفي السورتين قال ﴿ ءَامَنْتُمْ لَهُ ﴾ [طه: ٧١] فما وجه الاختلاف في ذلك ؟

الجواب : أما عن إظهار الاسم في سورة الأعراف وإضماره في سورتي طه والشعراء أن الذكر العائد إلى فرعون بعد في سورة الأعراف ولم يبعد في سورتي طه والشعراء ؛ لأن فرعون مذكور في سورة طه في جملة قومه من قوله تعالى ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [طه: ٥٧] الآية إلى قوله تعالى ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا ﴾ [طه: ٥٢] الآية ومثله في سورة الشعراء فلما بعد في سورة الأعراف أعيد ذكره الظاهر<sup>(٢)</sup> .

وأما عن وجه الاختلاف في قوله ( آمنتم به ) ومرة ( آمنتم له ) أن الهاء في ( آمنتم به ) غير الهاء في ( آمنتم له ) وكل واحدة تعود إلى غير ما تعود إليه الأخرى . فالتي في آمنتم به تعود لرب العلمين ؛ لأنه تعالى حكى عنهم ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢١] وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام .

(١) درة التنزيل ص" ١٥٢، ١٥١" ، انظر : (البرهان في متشابه القرآن) ص" ١٩٩ ط دار الوفاء .

(٢) درة التنزيل ص" ١٥٣، ١٥٢" . بتصرف .

وأما الهاء في آمنتكم له فتعود لموسى - عليه السلام - والدليل : أنه جاء بعدها ،  
ففي السورتين ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ [طه: ٧١] فالهاء في ( إنه )  
هي التي في ( آمنتكم له ) ولا خلاف أن هذه لموسى عليه السلام .

وأما ما جاء بعد قوله ( آمنتكم به ) قوله : إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة ، أي :  
إظهاركم ما أظهرتم من الإيمان برب العلمين وقع على تواطؤ منكم أخفيتموه لتستولوا  
على العباد والبلاد<sup>(١)</sup> .

الثالث عشر : إيمان السحرة في ذلك الموقف يدل على شجاعة نادرة قل أن تحدث  
أمام أي طاغية ، والعجب أن أحدا لم يجرؤ على الإيمان مثلهم في ذلك الموقف فكانوا  
رواد الطريق بحق .

الرابع عشر : في قوله تعالى ﴿ وَلَا أَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] وقبلها  
في سورة الشعراء أما في سورة الأعراف فقال ﴿ ثُمَّ لَا أَصْلَبَنَّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٢٤] فما  
سبب اختصاص الأعراف بثم وسورتي طه والشعراء بالواو ؟ .

والجواب : أن سورتي طه والشعراء هما أكثر اقتصاصا وبسطا من سورة  
الأعراف ، والواو .. يناسب ذلك ؛ لأنه يجوز أن يكون ما بعدها ملاصقا لما قبلها  
كالتعقيب الذي يفيد الفاء .

ويجوز أيضا أن يكون متراخيا عنه كالمهلة التي تفيد ( ثم ) لا بل يجوز أن يكون  
ما بعدها مقدما على ما قبلها ، ومجامعا لها ؛ إذ هي : موضوعة للجمع ولا ترتيب  
فيها ؛ فكانت الواو أشبه بهذين المكانين ، وثم تختص بأحد المواضع التي يصلح الواو  
لجميعها ، فلما كان مقتصرا على بعض ما وضعت له الواو استعملت حيث اختصرت  
الحال فاقتزن بكل من المكانين ما كان أليق بالمقصود فيه<sup>(٢)</sup> .

الخامس عشر : السحرة يتحدثون فرعون بعد إيمانهم حين هددهم بقولهم  
﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ [طه: ٧٢] فما  
معنى الواو هنا ؟

والجواب : أنها معطوفة على البيئات ، فيكون المعنى : لن نختارك يا فرعون على  
ما جاءنا من البيئات وما حصل لنا من الهدى . كما أننا لن نختارك على فطرنا وخالقنا  
المستحق للعبادة والخضوع لا أنت .

(١) درة التنزيل ص "١٥٣" بتصرف .

(٢) نفس المصدر ص "١٥٥، ١٥٦" .

أو أن الواو هنا للقسم فيكون معناها : أي : والذي فطرنا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات<sup>(١)</sup> .

السادس عشر : في قوله تعالى ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه: ٧٩] مسألة ما فائدة قوله ﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ وهو معلوم من قوله ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ ﴾ ؟

والجواب : التصريح بكذبه في قوله ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] والتهكم به .

السابع عشر : وأخيرا تصوير القرآن لتحدي سحرة فرعون له ، ووقوفهم في وجهه بقول كلمة الحق علانية دون خوف أو رهبة فسيحان مقلب القلوب !!! كانوا قبل قليل من إلقاء سحرهم يستجدون فرعون ، ويخضعون له ، ويطلبون الدنيا من يديه ، وفجأة تحولوا إلى مؤمنين يدافعون عن إيمانهم الذي خالطت بشاشته قلوبهم بقولهم : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ [طه: ٧٢] .

يقول صاحب الظلال : « إنها لمسة الإيمان في القلوب التي كانت منذ لحظة تحنو لفرعون وتعد القربى منه مغنما يتسابق إليه المتسابقون ، فإذا هي بعد لحظة تواجهه في قوة ، وترخص ملكه وزخرفته وجاهه وسلطانه »<sup>(٢)</sup> .

#### رابعا : سورة الشعراء :

جاءت سورة الشعراء تحدثنا عن خبر موسى - عليه السلام - مع فرعون ، وقد لاحظنا من قبل أن سورة الأعراف ذكرت قصة موسى بعد ذكر قصص كثير من الأنبياء عليهم السلام .

فكان مشهد المواجهة بين موسى وفرعون مختصرا ، ومر بمشهد السحرة ونهايته سريعا ، بينما وسع في عرض مؤامرات فرعون وملئه بعد ذلك وعرض آيات موسى مدة إقامته في مصر بعد المباراة قبل مشهد الغرق والنجاة ، ثم استطرد بعد ذلك مع بني إسرائيل إلى ما بعد مجاوزتهم للبحر في حلقات كثيرة واختصر هذا هنا فلم يشر إليه . بينما وسع في مشهد الجدل بين موسى وفرعون حول وحدانية الله تعالى .

(١) تفسير ابن كثير (١٦٧/٣) ؛ تفسير الرازي (٨٩/٢٢) .

(٢) في ظلال القرآن (٢٣٤٣/٤) .

وفي سورة يونس اختصر مشهد المواجهة ولم يعرض فيه آيتي العصا واليد ، وجاء مشهد المباراة مختصرا ، بينما توسع هنا في كليهما .

وفي سورة طه توسع في عرض مشهد المناجاة الأول بين موسى وربّه ، ثم استطرد مع بني إسرائيل فصاحب بني إسرائيل في رحلتهم طويلا ، بينما لم يجاوز هنا غرق فرعون ونجاة موسى - عليه السلام - مع قومه .

ومع كل ذلك لا نجد تكرارا في عرض أي منها على كثرة ما عرضت في سور القرآن ، لأن هذا التنوع في اختيار المشاهد التي تعرض في الجانب المختار من كل مشهد وطريقة عرضه ، كل أولئك يجعلها جديدة في كل موضع <sup>(١)</sup> .

#### الآيات التي تحدثت عن عقوبتهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ  
 أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي  
 فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا  
 بِمَايَتَنَآ أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٥﴾ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ  
 مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿٨﴾  
 وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٠﴾  
 وَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾  
 وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾  
 قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا  
 تَسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ  
 إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾  
 قَالَ لَنْ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ أُولَوْ جِئْتُكَ  
 بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ  
 ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا  
 لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا  
 أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٢٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٢٧﴾ فَجُمِعَ  
 السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٢٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ

(١) انظر : في ظلال القرآن (٥/٢٥٨٨، ٢٥٨٩) .



السَّحَرَةُ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿١٧﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿١٨﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجَدِينَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ إِيَّاكَ إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٣﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٣٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٣٧﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ [ الشعراء: ١٠-٦٨ ] .

لطائف الآيات غير ما سبق :

أولاً : في الآيات يأمر الله موسى بإتيان القوم الظالمين (قوم فرعون) بينما كان الأمر لموسى في سورتى الأعراف ويونس إلى فرعون وملائته .

ثم كان الإرسال في سورة طه إلى فرعون وحده ، وهذا التنوع الفريد لا نجده إلا في القرآن العزيز وبدون تكرار للقصة كما ذكرنا ذلك من قبل (١) .

ثانياً : الآيات تصف الحالة النفسية لموسى - عليه السلام - قبل الذهاب إلى فرعون ، فالخوف من التكذيب أولها - وما سيعتره من ضيق الصدر ثانيها - وألا ينطلق لسانه ثالثها - وهذه الأمور الثلاثة طلب من ربه أن يرسل إلى هارون ليكون معه يهون عليه ويشد أزره (٢) .

(١) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ [ الشعراء: ١٠-١١ ] عطف قوم فرعون ﴿ عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ عطف بيان كأن القوم الظالمين وقوم فرعون لفظان يدلان على معنى واحد - تفسير الرازي (٢٤/١٢١) .  
(٢) انظر : (في ظلال القرآن) (٥/٢٥٨٩) .

قال الرازي : « اعلم أن الله - تعالى - لما أمر موسى - عليه السلام - بالذهاب إلى قوم فرعون طلب موسى - عليه السلام - أن يبعث معه هارون إليهم ، ثم ذكر الأمور الداعية له إلى ذلك السؤال ، وحاصلها أنه لو لم يكن هارون لاختلت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى - عليه السلام - وذلك من وجهين<sup>(١)</sup> :

٥ **الأول** : أن فرعون ربما كذبه ، والتكذيب سبب لضيق القلب ، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة ، ومن المعلوم أن التأذي من التكذيب سبب لضيق القلب ، وضيق القلب سبب للحبسة ، فهذا السبب بدأ بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ، ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان . وأما هارون فهو أفصح مني لسانا ، وليس في حقه هذا المعنى ، فكان إرساله لائقا .

١٠ **الثاني** : أن لهم عندي ذنبا فأخاف أن يبادروا إلى قتلي ، وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة ، وأما هارون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة .

**ثالثا** : في قوله تعالى ﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ الشعراء: ١٦ ] فأفرد كلمة رسول وثنى في سورة طه بقوله سبحانه ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [ طه: ٤٧ ] فكيف ؟  
والجواب : أن الرسول يكون بمعنى المرسل ، فتجوز تثنيته ، ويكون بمعنى الرسالة التي هي المصدر فيوصف به الواحد ، والاثنان ، والجماعة كما يوصف بسائر المصادر .

١٥ والدليل على أنه يكون بمعنى الرسالة قول الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول<sup>(٢)</sup>

**رابعا** : في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [ الشعراء: ٢٠ ] قالها معذرا عن قتل القبطي ، والنبي لا يكون ضالا . فكيف ؟

٢٠ والجواب من وجهين :

**الأول** : من المخطئين لأنه ما تعمد قتله ، كما يقال : ضل عن الطريق إذا عدل عن الصواب إلى الخطأ .

(١) انظر : (التفسير الكبير) (١٢٢/٢٤) ؛ وانظر : (في ظلال القرآن) (٥/٢٥٨٩) .

(٢) برسول : أي : برسالة انظر : تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٣٦٨" ، والبيت : لكثير عزة - انظر : (ديوانه) ص "٥٤" من قصيدة مطلعها :

« ألا حيا ليلي أجد رحيلي \* وأذن أصحابي غدا بقفول »

قافية اللام . ط دار صادر وانظر : (خزانة الأدب) (١٠/٢٨٧) .

الثاني : من الناسين كقوله تعالى ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٢٨٢] .

خامسا : في قوله تعالى حينما سأل فرعون موسى ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] لماذا لم يقل : ومن رب العلمين ؟

والجواب : أنه كان أعجمي القلب عن معرفة الله تعالى ؛ منكرا لوجوده ؛ فكيف ينكر عليه العدول عن ( من ) إلى ( ما ) ؟

وجواب آخر : أن (ما) تطلق على المميز أيضا ولا تختص بغير المميز قال الله تعالى: ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾<sup>(٢)</sup> [الكافرون: ٣] .

سادسا : في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤] علق موسى كونه تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما على شرط كون فرعون وقومه موقنين ، وهذا الشرط منتف والربوبية ثابتة ، فكيف صح التعليق ؟

والجواب : أن معناه إن كنتم موقنين أن السماوات والأرض موجودة ، وهذا الشرط موجود .

سابعا : في آية ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ . وفي آية ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨] . فكيف مرة قال ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ وقال آخرا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ؟

والجواب : أنه لطفهم ولاينهم أولا ، فلما رأى عنادهم وإصرارهم خاشنهم ورد على قول فرعون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧] بقوله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ثامنا : في قوله تعالى ﴿ لَا جَعَلْنَاكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] أليست (لأسجنك) أخصر ، فكيف عدل عنها ؟

(١) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٣٦٨" .

(٢) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٣٦٨" .

(٣) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٣٧٠" .

والجواب : كان مراده العهد ، فكأنه قال : لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجن . وكان فرعون عليه اللعنة إذا سجن إنسانا طرحه في هوة عميقة جدا مظلمة وحده لا يبصر فيها ولا يسمع ، فكان ذلك أوجع من القتل وأشد نكاية<sup>(١)</sup> .

تاسعا : في قوله تعالى ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء: ٣٤] وقال في سورة الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠] الآية .

فأخبر في الثانية أن قائل ذلك الملأ من قومه ، وفي الأولى أن فرعون هو القائل ذلك للملأه - فكيف يتوافق الخبران ؟

الجواب : أن يقال : إن قول الملأ فيما حكاه الله في سورة الأعراف قول فرعون ، ورؤساء قومه أدوا عنه ما كان من قوله إلى عامة أصحابه ، والدليل على ذلك قول العامة في جوابه ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ ، فكان هذا خطابا لفرعون ولم يكن للملأ إذ لو كان لهم لقليل أرجوه وأخاه ، وإذا كان كذلك لم يخالف ما قاله في سورة الشعراء من أنه قال للملأ حوله ليؤدوا إلى من بعد عنه .

فإن قيل : فكيف اختصت سورة الشعراء بما قال فرعون وسورة الأعراف بحكاية ما قال الملأ ؟

فالجواب : أن أول من رد قول موسى - عليه السلام - فرعون ثم ملأه عليه ملأه ، وهو ما حكاه الله - تعالى - في سورة الشعراء ، فاقتضى حاله حيث أخبر عنه بما قاله ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا... ﴾ الآيات [الشعراء: ١٨] إلى ذكر السحرة فقال فرعون للملأ حوله ما أدوه عنه إلى غيرهم .

وسورة الشعراء مكية كسورة الأعراف ، وترتيب الاقتصاص يقتضي أن يكون قبلها ، وفي سورة الأعراف أخبر عما أداه ملأه إلى الناس ، فكان قول فرعون للملأ حوله سابقا قول الملأ الذين أدوا إلى غيرهم<sup>(٢)</sup> .

عاشرا : في قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا

(١) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص (٣٧٠) ؛ وانظر : (تفسير البغوي) (١١١/٦) وعزاه للكلبي ؛ والكشاف (٣/٣٠٨، ٣٠٩) ؛ تفسير القرطبي (٩٩/١٣) ؛ البحر المحيط (١٤/٧) .

(٢) درة التنزيل ص "١٤٥ ، ١٤٦" .

تَأْمُرُونَ ﴿ [ الشعراء: ٣٥ ] . وقال في سورة الأعراف ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ<sup>ط</sup> فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ [ الأعراف: ١١٠ ] .

فزاد كلمة ( بسحره ) في الأولى مع أن القول واحد فلماذا اختلف ؟  
والجواب : أنه لما أسند الفعل إلى فرعون في الآية الأولى وأنه قال للملأ من قومه  
﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [ الشعراء: ٣٤ ] وكان أشدهم تجبرا وتمردا على الحق كان في  
قوله ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [ الشعراء: ٣٥ ] ذكر السبب الذي يصل به إلى  
الإخراج وهو بسحره ، فأشبع المقال بعد قوله ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ بأن ذكر أنه  
يريد إخراجكم بسحره .

وأما الموضع الذي لم يذكر فيه بسحره فهو ما حكى من قول الملأ في سورة  
الشعراء حيث قال ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ  
مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ الشعراء: ٣٤-٣٥ ] والملأ لم يبلغوا مبلغ  
فرعون في إبطال ما أورده موسى - عليه السلام - ولم يجفوا في الخطاب جفاه ،  
فتناولت الحكاية ما قاله فرعون على جهته بتكرير لفظ السحر من لفظه بعدما أخرجه  
في صفته حيث قال ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

الحادي عشر : في قوله تعالى ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ  
حَاشِرِينَ ﴾ [ الشعراء: ٣٦ ] وفي سورة الأعراف قال ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي  
الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [ الأعراف: ١١١ ] فمرة قال ( وابعث ) ومرة قال ( وأرسل ) فلاي  
معنى اختلف اللفظان في الآيتين ؟

والجواب : أن ( بعث ) بمعنى : أرسل ، فاستعمل إحداهما مكان الأخرى<sup>(٢)</sup> .  
وعند ابن جماعة أن ( أرسل ) أكثر تفخيما من ( ابعث ) وأعلى رتبة لإشعاره بالفوقية .  
ففي سورة الأعراف حكى قول الملأ لفرعون ، فناسب خطابهم له بما هو أعظم  
رتبة تفخيما له .

وفي سورة الشعراء : كان هو القائل لهم ، فناسب تنازله معهم ، ومشاورته لهم  
فقالوا له ( وابعث )<sup>(٣)</sup> .

(١) درة التنزيل ص " ١٤٦ ، ١٤٧ " .

(٢) أي : مترادفان كما في التحرير والتنوير ( ١٢٤ / ٩ ) .

(٣) كشف المعاني ص " ١٨٦ " . وانظر : ( درة التنزيل ) ص " ١٤٨ " .

الثاني عشر : في قوله تعالى ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧] .  
وفي سورة الأعراف ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢] .  
فمرة قال ( سحر ) ومرة قال ( ساحر ) فلماذا اختلف اللفظان ؟  
الجواب : أنه تقدم في سورة الشعراء قوله تعالى ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥] .

فلتقدم قولهم ( بسحره ) ناسب صيغة المبالغة أن يقال ( سحر )<sup>(١)</sup> .  
وقال صاحب التحرير والتنوير : « إن كلمة ( سحر ) مرادف للساحر في الاستعمال ؛ لأن صيغة فعال هنا للنسب دلالة على الصناعة مثل النجار والقصار ولذلك أتبع هنا وهنالك<sup>(٢)</sup> بوصف ( عليم ) أي : قوي العلم بالسحر »<sup>(٣)</sup> .

الثالث عشر : في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١] ، وفي سورة الأعراف قال ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣] .  
للسائل أن يقول : كيف جاز ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا...﴾ وحق الكلام أن يكون في ( قالوا ) ( واو ) أو ( فاء ) نحو جاء السحرة فرعون فقالوا أئن لنا لأجرا أو ( وقالوا ) ؟

والجواب : أن يقال : لما تقدم في سورة الشعراء ما شرحه أكثر ، وما في سورة الأعراف أوجز وأخصر ، فكان قوله في الأعراف ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ بمعنى ما كان بإزائه في سورة الشعراء ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ فلم يحتج في جواب ( لما ) إلى ( فاء ) ولا ( واو ) ، وكذلك في سورة الأعراف لما قصد هذا المعنى دل بحذف العاطف على هذا القصد فكأنه قال فلما جاء السحرة فرعون قالوا : إئن لنا لأجرا<sup>(٤)</sup> .

الرابع عشر : في قوله تعالى ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢] وقال في سورة الأعراف ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤] .

(١) كشف المعاني آية (٣٥) .

(٢) أي : سورة الأعراف .

(٣) التحرير والتنوير (١٢٥/٩) .

(٤) درة التنزيل ص " ١٤٩ ، ١٥٠ " .

للسائل أن يسأل عن زيادة ( إذا ) في سورة الشعراء وخلو سورة الأعراف منها ؟  
والجواب : أن معنى قوله ( إذا ) جواب وجزاء حيث قال فرعون للسحرة : إن  
غلبتم فجزاي أن أجازيكم بإعلاء رتبكم وتقريبكم ، فلأجل ذلك أفعل هذا بكم .  
فاختصت سورة الشعراء بهذا دون غيرها<sup>(١)</sup> .

٥ **الخامس عشر :** في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ [الشعراء: ٤٩] وقال في سورة الأعراف ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣] .

وقال في سورة طه ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ [طه: ٧١] .

١٠ للسائل أن يقول : قال في سورة الأعراف ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ولم يقل ذلك في ( طه ) ، ولم أدخل الفاء في قوله ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ ﴾ ؟

وأما في سورة الشعراء فإنه أتى (سوف تعلمون) مع اللام فقال ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فما وجه اختلاف هذه واختصاص بعض بمكان دون غيره ؟  
والجواب : أن قوله تعالى فسوف تعلمون من الوعيد المبهم المعرض به .

١٥ ومعناه ( أنك فعلت بجهل ما تعرف من بعد نتيجته ، وطرحت بذر شر عند حصده تعلم نهايته ) . وهذا النوع من الوعيد أبلغ من الإفصاح بعذره على أنه قد قرن إليه بيانه وهو ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ [الشعراء: ٤٠] فنطق القرآن بحكاية التعريض بالوعيد والإفصاح بالتهديد معا .

وأما في سورة الشعراء فجمعت بين لفظ الوعيد المبهم مع اللفظ المقرب له وقوعه إلى اللفظ المفصح بمعناه - فاللام في ( فسوف ) فلتقريب ما خوفهم به من إطلاعه عليهم وقربه منهم حتى كأنه في الحال موجود .

٢٠ فاللام إذا للحال .

وأما الجمع بينها وبين سوف التي للاستقبال إنما هو لتحقيق الفعل وإدناؤه من الوقوع .

٢٥ وأما ما في سورة طه فإنه قد اقتصر على التصريح بما أوعدهم به ، وترك فسوف تعلمون وقال ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ [طه: ٧١] إلا أنه جاء بدل هذه الكلمة

(١) درة التنزيل ص " ١٥٠ " .

ما يعادها ويقارب ما جاء في سورة الشعراء التي هي مثلها في اقتصاص أحواله من ابتدائها إلى نهايتها بقوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١] فاللام والنون في لتعلمن للقسم وهما لتحقيق الفعل وتوكيده كما في اللام في قوله ﴿فَلَسَوْفَ﴾ [الشعراء: ٤٩] لإدناء الفعل وتقريبه ، فقد تجاوزها في السورتين المقصود فيهما إلى اقتصاص الحالين من إعلاء الحق وإزهاق الباطل<sup>(١)</sup> .

**السادس عشر :** في قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠] .

وفي سورة الأعراف قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥] للسائل أن يسأل عن زيادة ( لا ضير ) في سورة الشعراء ؟

الجواب : أنهم قابلوا وعيده بما يهونه ويزيل ألمه من أنهم سينتقلون إلى ثواب الله المعد للطائعين الثابتين على الحق . فجاء ذلك في سورة الشعراء التي قلنا من قبل : إنه قصد بها الاقتصاص الأكبر ، ( لا ضير ) أي : لا ضرر علينا فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فننعم أبدا ، وتعذب أنت أبدا ؛ فما سيلحق بنا من ضرر ما هو إلا زمن يسير لا يعتد به أمام دوام النعيم ؛ فكأنه لم يلحقنا ضرر .

وفي سورة الأعراف اقتصر على قوله ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥] وفيه كفاية وإبانة عن هذا المعنى الذي شرحه وبينه في غيرها<sup>(٢)</sup> .

**السابع عشر :** في قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٥٣] . تراه في هذه السورة هو الذي يرسل وبدون مشورة كما كان يستشير من قبل . لأن القضية عنده قضية حياة أو موت .

فأرسل هو وقاد هو وأضل قومه وما هدى .

### خامسا : سورة النمل .

تذكر سورة النمل طرفا من قصة موسى - عليه السلام - بعد مقدمة السورة وفيها :

١ - رؤيته للنار وذهابه إليها .

٢ - ندائه من الملاء الأعلى .

(١) درة التنزيل ص " ١٥٤ ، ١٥٥ " .

(٢) انظر : (درة التنزيل) ص " ١٥٦ " .



٣ - تكليفه بالرسالة إلى فرعون وملاه .

٤ - تكذيبهم بآيات الله وهم على يقين من صدقها وعاقبة التكذيب مع اليقين في عجلة سريعة .

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ  
ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ٥ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ  
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٦ ﴿ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٧  
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّىٰ لَا تَخَفْ  
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ ٨ ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ  
رَّحِيمٌ ﴾ ٩ ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى  
فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ١٠ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا  
سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ١١ ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ١٢ ﴿ [ النمل: ٧-١٤ ] .

ما اختصت به آيات سورة النمل

أولاً : في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا  
وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ النمل: ٨ ] .

يرد سؤال هو : كيف قال تعالى ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ مع أنه لم يكن في  
النار أحد ، بل لم يكن المرئي نارا ، وإنما كان نورا ، في قول الجمهور ؟  
والجواب : أن معنى ذلك أن الله أسمع النداء من النار .

٢٠ وجواب آخر : أن ( من ) زائدة ، والتقدير : بورك في النار وفيمن حولها وهو  
موسى - عليه السلام - أو الملائكة .

وثالث : أن معناه : بورك من في طلب النار وهو موسى - عليه السلام - ،  
فلو قيل : إنما يقال : بارك في كذا ، ولا يقال : بارك الله كذا ؟

والجواب : أن العرب تقول : باركه الله ، وبارك له ، وبارك فيه ، وبارك عليه ؛  
بمعنى واحد ؛ ومنه قوله تعالى ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾ [ الصافات: ١١٣ ]  
وفي لفظ التحيات (وبارك على محمد وعلى آل محمد) (١) .

ثانيا : في قوله تعالى ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ [النمل: ١٠-١١] .

كيف توجه صحة الاستثناء في قوله ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ ؟

والجواب من وجوه : أحدها : أنه استثناء منقطع بمعنى ( لكن ) من ظلم من غير المرسلين ثم بدل سيئة بحسنة ومحى خطيئته بتوبة فالله غفور رحيم .

الوجه الثاني : أنه استثناء متصل معناه : إلا من ظلم منهم بارتكاب الصغيرة ، فإنه يخاف مما فعله ، مع علمه ﴿ أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤] .

فيكون التقدير : إلا من ظلم منهم فإنه يخاف ممن ظلم ، ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم .

الوجه الثالث : أن ( إلا ) بمعنى ( ولا ) كما في قوله تعالى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي : ولا الذين ظلموا منهم .

والوجه الرابع : أن تقديره : إني لا يخاف لدي المرسلون ولا غير المرسلين إلا من ظلم .

وفي نفس الآية أيضا ﴿ وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠] .

وفي سورة القصص ﴿ وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴾ [القصص: ٣١] .

يرد سؤالان :

أولهما : قد ذكر الله - تعالى - عصا موسى - عليه السلام - بلفظ الحية العظيمة والثعبان والجان ، وبين الثعبان والجان تناف .

فالجان : الحية الصغيرة ، والثعبان : الحية العظيمة ، فكيف يوفق بين ذلك ؟

والجواب : أنه أراد بها صورة الثعبان العظيم وخفة الحية الصغيرة وحركتها: ولهذا

قال ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [القصص: ٣١] .

وجواب آخر : أنها كانت في أول انقلابها تنقلب حية صغيرة ثم تتورم ويتزايد

حجمها حتى تصير ثعبانا . فأراد بالجان أول حالها ، وبالثعبان مآلها<sup>(١)</sup> .

(١) تفسير الرازي (١٣١/٢٤) ، انظر : (كشف المعاني) ص "٢٨٢" .

ثانيهما : مرة قال ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [النمل: ١٠] ومرة قال ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [القصص: ٣١] ومرة قال ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: ٢٠] ومرة قال ﴿ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ٣٢] ومرة قال ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [النمل: ١٠] وغيرها كثير في توجيه اختلاف المقال ، وكلها كانت في مقام واحد ؟

قال الخطيب الإسكافي مجيبا على ذلك : ( إن الله - تعالى - لم يخبر أنه خاطب موسى عليه السلام باللغة العربية بألفاظ إذا عدل إلى غيرها مما يخالف معناها كان اختلافا في القرآن قادحا فيه ؛ بل معلوم أن الخطاب كان بغير هذه اللغة ، وأنه تعالى أخبر في بعض السور ببعض ما جرى وفي أخرى بأكثر مما أخبر به في التي قبلها ، وليس يدفع بعضها بعضا )<sup>(١)</sup> .

وقال في موطن آخر : ( إنه لا يشترط في الحكايات إذا أدت معانيها دون ألفاظها استيعاب جميعها في مكان واحد ؛ بل يجوز أن تفرق في أماكن كثيرة )<sup>(٢)</sup> .

غير أنه لا مانع من الاجتهاد في إيضاح الفرق في كل منها .

فهنا في سورة النمل ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [النمل: ١٠] وفي سورة القصص ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [القصص: ٣١] لأن في سورة النمل ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النمل: ٨-١٠] فحيل بينها بهذه الجملة فاستغنى عن إعادة (أن) .

وفي سورة القصص ﴿ أَنْ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠] . فلم يكن بينهما جملة أخرى عطف بها الأول ، فحسن إدخال ( أن )<sup>(٣)</sup> ، وفي قوله تعالى في هذه السورة ﴿ يَمْوَسَّىٰ لَا تَخَفْ ﴾ [النمل: ١٠] وفي القصص ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٣١] فما الفرق ؟

والجواب : خصت هذه السورة ( النمل ) بقوله ( لا تخف ) لأنه بنى على ذكر الخوف كلام يليق به وهو قوله ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠] .

(١) درة التنزيل ص "٢٣٣" . وقال الرازي : « فائدة التكرار تأكيد التحدي وإظهار الإعجاز ، وأيضا إكرام الله تعالى لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم بإعادة الوحي لهم في صورة أخرى تشريفا لهم وتفضيلا . انظره ص "٣٧٠" من تفسير المسمى "بأنموذج الجليل" .

(٢) نفس المصدر ص "٢٧٠" ، وانظر : (ملاك التأويل) (١٧/٢) .

(٣) (البرهان في متشابه القرآن) ص "٢٨٦" .

أما ما في سورة القصص فاقصر على قوله ( لا تخف ) ولم ين عليه كلام ، فزيد قبله : ( أقبل ) ليكون في مقابلة ( مدبرا ) .

أي : أقبل آمنا غير مدبر ولا تخف ، فخصت سورة القصص به .

أيضا : قوله تعالى في هذه السورة ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ بَيْضَاءَ ﴾ [النمل: ١٢] الآية .

وفي سورة القصص قال ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ ﴾ [القصص: ٣٢] فما الفرق ؟

والجواب : خصت هذه السورة بـ ( أدخل ) لأنه أبلغ من قولك ( اسلك ) ؛ لأن

( اسلك ) يأتي لازما ومتعديا ، و( أدخل ) متعد لا غير ، وقال في هذه السورة ﴿ فِي تِسْعِ

ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ [النمل: ١٢] أي : مع تسع آيات مرسلات إلى فرعون ، وخصت

القصص بقوله ( اسلك ) موافقة لقوله ( واضمم ) ، ثم قال ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ

رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ [القصص: ٣٢] . فكان دون الأول فخص بالأليق من اللفظين<sup>(١)</sup> .

في قوله تعالى ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢] .

وجاء في سورة القصص ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

[القصص: ٣٢] .

فمرة قال ﴿ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ ومرة قال ﴿ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ فما الفرق ؟

والجواب : أن الأهم أشرف القوم . وكانوا في هذه السورة موصوفين بما وصفهم

الله به من قوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ الآية [النمل: ١٣-١٤] .

فلم يسمهم ملاً بل سماهم قوما . فخصت السورة به .

أما في سورة القصص فلم يكونوا موصوفين بتلك الصفات فسماهم ملاً فخصت

السورة بذلك . ولما قال بعده ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرِي ﴾<sup>(٢)</sup> [القصص: ٣٨] .

ثالثا : في قوله تعالى ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ [النمل: ١٢] هذا العدد يذكر

هنا لأول مرة مجملا ، وفي سورة الأعراف ذكرت مفصلا .

(١) (البرهان في متشابه القرآن) ص "٢٨٧" .

(٢) سورة القصص آية (٣٨) - المرجع (البرهان في متشابه القرآن) ص "٢٨٧" .

رابعاً : في قوله تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] تبين السورة أن فرعون وقومه جحدوا بالآيات ، وما جحدوا بها لأنها غير وافية ولا كافية ! فقد استيقنتها أنفسهم وعلموا أنها الحق - فلماذا جحدوا بها ؟ القرآن يجيب ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] جحودا ومكابرة ؛ لأنهم لا يريدون الإيمان ولا يطلبون البرهان استعلاء على الحق وظلما له ولأنفسهم<sup>(١)</sup> .

وما أشبه هذه الآية بآية سورة الأنعام التي وصفت حال قريش في تكذيبهم للنبي ﷺ .

قال الله تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] .

#### سادساً : سورة القصص :

تبدأ سورة القصص بذكر واقع الحال وما هو مقدر في المال . لتقف القوتان وجها لوجه :

الأولى : قوة فرعون في دفع القدر المحتوم والقضاء الناقد ، وهذه القوة المنفتحة المنتفخة التي تبدو للناس قادرة على فعل الكثير .

والثانية : قوة الله الحقيقية التي تتهاوى دونها القوى الظاهرية الهزيلة التي ترهب الناس<sup>(٢)</sup> .

يقول الله تعالى : ﴿ طَسَمَ ۖ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۚ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۚ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۚ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ وَنَمُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُفِضْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۚ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۚ وَقَالَتْ أُمُّ رَبِّ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۚ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ

(١) (في ظلال القرآن) (٥/٢٦٣٠) .

(٢) انظر : (في ظلال القرآن) (٥/٢٦٧٤) .

لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ  
فُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ \* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ  
فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ  
إِلَى أُمِّهِ كَى تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ  
هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَى ۚ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ  
فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ  
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا  
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَأَدَا  
الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ  
أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا  
بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾  
وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ ابْنَ الْاِمْلَاءِ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ  
فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ  
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ  
السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ  
دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا  
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ  
فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ ابْنَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ  
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَتُ اسْتَعْجِرُهُ إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ  
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ  
أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ  
﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ  
وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ \* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ  
لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ  
تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ  
الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ  
كَأَنَّهَُا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾

أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَنِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٧﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٨﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا أَلْمَاءٌ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا ۖ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿ [ القصص: ١-٤٣ ] ١٥

### لطائف الآيات غير ما سبق :

أولاً : تعرض الآيات ولأول مرة<sup>(١)</sup> بالتفصيل مولد موسى وما أحاط بهذا المولد من ظروف قاسية في ظاهرها ، وما صاحبه من رعاية الله وعنايته .

ثانياً : ثم عرضت فتون موسى وما آتاه الله من الحكم والعلم وما وقع فيها من قتل القبطي ، وتآمر فرعون وملاه عليه ، وهربه من مصر إلى أرض مدين ، وزواجه فيها ، وقضاء سنوات الخدمة بها ، وهي السورة الوحيدة التي ذكرت المكان الذي هرب إليه عليه السلام .

ثالثاً : ثم عرضت نداء الله له وتكليفه بالرسالة ، ثم مواجهة فرعون وملئه وتكذيبهم لموسى وهارون ، ثم ذكر غرقه في إيجاز سريع<sup>(٢)</sup> .

رابعاً : في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ... ﴾ [ القصص: ٧ ] الآية .

(١) أشارت سورة طه باختصار لمولد موسى - عليه السلام - وكانت الآيات تتحدث في معرض امتنان الله على موسى - عليه السلام - بنعمه .

(٢) في ظلال القرآن (٥/٢٦٧٦) .

يرد سؤال مهم هو : ما فائدة وحي الله - سبحانه وتعالى - إلى أم موسى بإرضاعه وهي ترضعه طبعاً سواء أمرت بذلك أم لا ؟

والجواب : أنه أمرها بالرضاعة ليألف لبنها فلا يقبل ثدياً غير ثدي أمه إذا وقع في يد فرعون ، فلو لم يأمرها بإرضاعه ربما تسترضع له مرضعة فيفوت ذلك المقصود<sup>(١)</sup> .

خامساً : في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي ﴾ [ القصص: ٧ ] .

والشرط الواحد إذا تعلق به جزاءان صدق قولنا إذا وجد هذا الشرط وجد هذا الجزاء فيلزم صدق قوله تعالى ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي ﴾ وأنه يشبه المتناقض<sup>(٢)</sup> .

والجواب : فإذا خفت عليه من القتل فألقيه في البحر ، ولا تخافي عليه من الغرق . ولا تناقض بينهما إذا<sup>(٣)</sup> .

سادساً : في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ [ القصص: ٧ ] عطف أحدهما على الآخر فما الفرق بينهما ؟

والجواب : أن الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لأمر قد وقع ومضى<sup>(٤)</sup> .

سابعاً : في قوله تعالى ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [ القصص: ١٥-١٦ ] .

فكيف جعل موسى قتله للكافر من عمل الشيطان ، وسماه ظلماً لنفسه ، واستغفر منه ؟

والجواب : لأنه قتله قبل أن يؤذن له في قتله ، فكان ذلك ذنباً يستغفر منه مثله .

(١) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل ..) ص "٣٨٦" .

(٢) بمعنى أن الشرط إذا تعلق به جزاءان فيلزم صدق قولنا إذا وجد هذا الشرط وجد هذا الجزاء ، فلو اخترت واحدا للزم من ذلك التناقض .

(٣) انظر : المصدر السابق ص "٣٨٦" .

(٤) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل ..) ص "٣٧٦" .



قال ابن جريج<sup>(١)</sup> : ليس لني أن يقتل ما لم يؤمر<sup>(٢)</sup> .

سابعا : في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] .

يرد سؤالان : أ - موسى - عليه السلام - ما سقى لابنتي شعيب طلبا للأجر فكيف أجاب دعوتها ؟

والجواب : أنه يجوز أن يكون قد أجاب دعوتها ودعوة أبيها لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف ابتداء لا على سبيل الأجر<sup>(٣)</sup> .

ب - كيف ساغ لموسى - عليه السلام - أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية عنه ، فإن ذلك يورث التهمة العظيمة ؟

والجواب : أن المرأة ما كانت إلا مخبرة عن أبيها ، ولا مانع من الأخذ بذلك في الشرع ، وأما المشي معها فلا بأس به مع الاحتياط والتورع<sup>(٤)</sup> .

ج - كيف ساغ للرجل الصالح ( الشيخ الكبير ) أن يرضى لابنته سقي الماشية ؟  
الجواب : إن الحالة حالة ضرورة ؛ لأنه لا يوجد عنده غيرهما - والأمر في نفسه ليس بمحذور ، والدين لا يأباه خاصة مع الوقار والحشمة .

ثامنا : في قوله تعالى ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧] يرد سؤال هو : كيف قال له الرجل الصالح ( الشيخ الكبير ) ذلك بدون تعيين ، ومثل هذا النكاح لا يصح لجهالة المنكوحة ، والنبي لا ينكح نكاحا فاسدا ؟ .  
والجواب : أنه كان وعدا بنكاح معينة عند الواعد ، وإن كانت مجهولة عند الموعود ، ومثله جائز ، ويكون التعيين عند إنجاز الوعد كما وقع منه<sup>(٥)</sup> .

تاسعا : في قوله تعالى ﴿لَعَلِّيْ ءَاتِيْكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ [القصص: ٢٩] وفي سورة طه قوله تعالى ﴿لَعَلِّيْ ءَاتِيْكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ﴾

(١) ابن جريج : هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ، الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم المكي ، صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة مولى أمية بن خالد ، حدث عن عطاء فأكثر وجود ، وعن ابن أبي مليكة ونافع مولى ابن عمر ، وطاووس وغيرهم ، تفرد بالإمامة بعد عطاء وبجاهد فدون العلم وحمل عنه الناس ، قيل : كان يصوم الدهر إلا ثلاثة أيام من الشهر ، مات سنة ١٥٠ هـ وقيل ١٥١ هـ - انظر : (سير أعلام النبلاء) (٦/٣٢٥ - ٣٣٥) .

(٢) تفسير الرازي (أتمودج جليل) ص "٣٨٦" .

(٣) المصدر السابق ص "٣٨٧" .

(٤) تفسير الكشاف (٤٠١/٣) ؛ وانظر : (تفسير الرازي) (٢٤١/٢٤) .

(٥) تفسير الرازي (أتمودج جليل) ص "٣٨٧" .

هُدًى ﴿ [ طه: ١٠ ] وفي سورة (النمل) قوله تعالى ﴿ سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ سَأَتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [ النمل: ٧ ] فمرة يقول ﴿ سَأَتِيكُمْ ﴾ ومرة يقول ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ ﴾ [ القصص: ٢٩ ] فأحدهما ترجي والآخر تيقن ، فلماذا اختلفت الألفاظ في موقف واحد ؟

والجواب : قد يقول الراجي إذا قوي رجاءه : سأفعل كذا ، وسيكون كذا ؛ مع تجويزه الخيبة .

فإن قيل : كيف جاء بالتسويف ؟ فالجواب : أنه وعد أهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ ، أو كانت المسافة بعيدة .

فإن قيل : فلم جاء ( بأو ) دون ( الواو ) ؟ فالجواب : أنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق ، وإما اقتباس النار ، ثقة بالله في أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده . وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر بحاجتيه ، وقد حصل له ذلك بأن جمع الله له عز الدنيا وعز الآخرة<sup>(١)</sup> ، إذا فالخير الذي سيأتي موسى به هو أن يجد على النار ما يهديه ، ويخبره أن الطريق هو ما عليه أو غيره ووجود الهدى وأن يخبر بخبر اهتدائه في طريقه أو غيره شيء واحد لا اختلاف فيه<sup>(٢)</sup> .

وخلاصة ذلك : أن موسى - عليه السلام - كان في وضع نفسي متعدد مع أهله ، فتارة يعبر بحرف الترجي ( لعل ) ، وتارة يود أن يطمئن أهله بأنه آتيهم لا محالة بما هو خير لهم ، فكان لابد إذن من إدخال الراحة والطمأنينة على قلوبهم ، فكان حرف ( السين ) أليق في الاستعمال في كل ذلك ، فلا هو يقطع بالأمر ولا هو يريد أن يؤكد لهم النتيجة ، فرما يرجع بدون شيء .

إذا فتارة يذكر الترجي ، وتارة يجزم بتأكيد القضية - فيكون بهذا قد أعد أهله لجميع الاحتمالات<sup>(٣)</sup> .

عاشرا : في قوله تعالى ﴿ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ [ القصص: ٣٢ ] فجعل الجناح هنا مضموما ، وقال في سورة طه ﴿ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحَكَ ﴾ [ طه: ٢٢ ] فجعل الجناح مضموما إليه والقصة واحدة . فكيف ؟

والجواب : أن المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى ، والمراد بالجناح المضموم إليه

(١) انظر : (تفسير الزمخشري) (٣/٣٤٩) ؛ تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٣٧٧" .

(٢) درة التنزيل ص "٢٣٣" ، ص "٢٧٠" .

(٣) القصص القرآني إيجازه ونفحاته د/فضل حسن عباس .

في سورة طه ما بين العضد إلى الإبط اليسرى ، فلا تناقض بينهما<sup>(١)</sup> .

الحادي عشر : في قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ ﴾ [القصص: ٣٤] يرد

سؤال: ما فائدة تصديق هارون لموسى - عليه السلام - حتى قال ذلك ؟

والجواب : أنه ليس المراد بقوله ( يصدقني ) أن يقول له : صدقت في دعوة الرسالة ؛ فإن ذلك لا يفيد عند فرعون وقومه الذين كانوا لا يصدقونه مع وجود تلك الآيات الباهرة ، والمعجزات الظاهرة ، بل مراده أن يلخص حججه بلسانه ، ويبسط القول فيها ببيانه ، ويجادل عنه بالحق فيكون ذلك سببا لتصديقه<sup>(٢)</sup> .

الثاني عشر : في قوله تعالى ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ ﴾

[القصص: ٣٥] فإن قيل : بين تعالى أن السلطان هو بالآيات ، فكيف لا يصلون إليهما

لأجل الآيات؟ أو ليس فرعون قد وصل إلى صلب السحرة وإن كانت الآيات ظاهرة ؟

فالجواب : إن الآية التي هي قلب العصا حية كما أنها معجزة فهي أيضا تمنع من وصول ضرر فرعون إلى موسى وهارون عليهما السلام ، لأنهم إذا علموا أنه متى ألقاها صارت حية عظيمة ، وإن أراد إرسالها عليهم أهلكتهم ، زجرهم ذلك عن الإقدام عليهما فصارت مانعة من الوصول إليهما بالقتل وغيره ، وصارت آية ومعجزة فجمعت بين الأمرين .

أما صلب السحرة ففيه خلاف ، فمنهم من قال : ما صلبوا ، وليس في القرآن ما يدل على ذلك . وإن سلمنا فالله - تعالى - قال ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ ﴾ [القصص: ٣٥] فالمنصوص أنهم لا يقدرّون على إيصال الضرر إليهما ، وإيصاله إلى غيرهما لا يقدر فيه<sup>(٣)</sup> .

الثالث عشر : في قوله ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ

غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ ۚ ﴾ [القصص: ٣٨]<sup>(٤)</sup> .

دلت الآية ولأول مرة في طريقنا لتتبع الآيات في قصة موسى على خبث فرعون

(١) تفسير الرازي (أنموذج جليل ..) ص "٣٨٧" .

(٢) تفسير الرازي (أنموذج جليل ..) ص "٣٨٨" .

(٣) تفسير الرازي (٢٤/٢٥٠) .

(٤) سورة القصص آية (٣٨) .

حين قال ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] وهذا في الحقيقة يشتمل على أمرين : -

الأول : نفي إله غيره .

الثاني : إثبات إلهية نفسه<sup>(١)</sup> ، فكانت كلمته هذه أشد من قوله من قبل ﴿ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] .

وهو مع كفره وعناده يظن أن لا إله في السماء فقال لوزيريه ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى آلِطِينَ ﴾ [القصص: ٣٨] وهذه كلمة لم ترد من قبل ﴿ لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى ﴾ [القصص: ٣٨] كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي إليه<sup>(٢)</sup> . مع أنه كان عارفا بالله تعالى ، وأنه كان يقول ذلك ترويجا على الأغمار من الناس<sup>(٣)</sup> .

الرابع عشر : في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [القصص: ٤١] أي : صيرناهم في عهده ﴿ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ أي : إلى ما يؤدي إليها من الكفر والمعاصي ، فكانوا قدوة يقتدي بهم أهل الضلال<sup>(٤)</sup> ، فانظر الفرق بين هذه وبين آية سورة ( الأنبياء ) ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وآية سورة السجدة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

### سابعا : سورة غافر .

سورة غافر وتسمى سورة (المؤمن) وحديثنا فيها عنه وعن نصائحه ومجادلته لفرعون وقومه في صورة تتناسب مع سياق السورة وجو السورة المتمثل في الأخذ والرد والشدة واللين وكأنه جو معركة . وسنعرض أولا لآياتها ثم نذكر ما اشتملت عليه باختصار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۖ إِلَىٰ قِرْعَوْنَ وَهَمَزَانَ وَقُرُورَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ

(١) تفسير الرازي (٢٥٢/٢٤) .

(٢) تفسير أبي السعود (١٤/٧) .

(٣) تفسير الرازي (٢٥٢/٢٤) .

(٤) تفسير أبي السعود (١٤/٧) .

١٠ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١١﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿١٢﴾ يَنْقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿١٤﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ وَيَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ مَقَاتِلٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿١٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ آبُنِي لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٠﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٢﴾ يَنْقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٣﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٤﴾ وَيَنْقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوَكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٢٥﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوَكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٢٦﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٢٧﴾ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٨﴾ فَقَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٢٩﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَلَيْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ

حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿١٩﴾ [غافر: ٢٣-٤٩] .

لطائف الآيات غير ما سبق .

أولاً : تذكر الآيات مكذبا آخر لم تذكره السور السابقة مع فرعون وهامان وكان في عصر موسى - عليه السلام - هو قارون<sup>(١)</sup> .

ثانياً : تعرض الآيات ولأول مرة قصة مؤمن آل فرعون الذي كان يكتنم لإيمانه وهو يدفع ما هموا بقتله ، ويصدع بكلمة الحق والإيمان في تطف وحذر في أول الأمر ، ثم في صراحة ووضوح في النهاية .

ثالثاً : جادل الرجل المؤمن فرعون ثم عرض له أثناء ذلك حجج الحق وبراهينه القوية الناصعة ، ثم حذرهم يوم القيامة ومثل لهم بعض مشاهدته في أسلوب مؤثر يحتاجه الدعاة في كل زمان ، ثم ذكرهم موقفهم وموقف الأجيال قبلهم من يوسف - عليه السلام - ورسالته .

رابعاً : اشتملت الآيات على تهديد لم تذكره السور السابقة أطلقه فرعون يوهم فيه العامة من قومه أنهم أيضا يشاركونه في الحكم ، سجله القرآن في قوله تعالى على لسانه ﴿ وَقَالَ قِرْعُونُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ [غافر: ٢٦] أي : خلوا بيني وبينه ، وكأنهم هم الذين يمنعونهم من ذلك مع أنه يوقن وهم يوقنون أن ليس بأيديهم شيء ، وهذا هو منتهى المكر والخداع الذي يطلقه الجبابة في كل زمان .

خامساً : في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨] ، يرد سؤال هو : كيف قال الرجل المؤمن في حق موسى - عليه السلام - ذلك مع أنه يعلم أنه صادق ، ويلزم من ذلك أن يصيبهم جميع ما وعدهم به ؟

والجواب :

أنها على أصلها . أي : أنه وعدهم النجاة إن آمنوا والهلاك إن كفروا ، فهم على إحدى الحالين لا محالة .

أو أنه وعدهم الهلاك في الدنيا على كفرهم ببعض الذي يعدهم<sup>(٢)</sup> .

(١) سنفرد له بحثا مستقلا بعنوان "عقوبة قارون" .

(٢) تفسير الرازي (أعمود جليل) ص "٤٤٨-٤٤٩" .

سادسا : في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٣] يرد سؤال هو أن التولي والإدبار واحد فما فائدة ذلك ؟

والجواب : للتأكيد كقوله تعالى ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] ونظائره كثيرة .

و جواب آخر : استشارة لحميتهم واستجلاب لأنفسهم لما في لفظ (مدبرين) من التعريض بذكر الدبر ، فيصير نظير قوله تعالى ﴿وَيُؤْلَوْنَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] .

سابعا : قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٣٤] هذه هي المرة الوحيدة في القرآن التي يشار فيها إلى رسالة يوسف - عليه السلام - بالنسبة لما يتعلق بالقبط وبني إسرائيل<sup>(١)</sup> .

ثامنا : في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] وقال بعده ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤] فما الفرق ؟

والجواب : أنه لما قال تعالى ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ [غافر: ٢٦] ناسب ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] ، ولما قال في الثانية ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ [غافر: ٣٤] ناسب ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾<sup>(٢)</sup> [غافر: ٣٤] .

تاسعا : في قوله تعالى ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] يرد سؤال : ما فائدة التكرار في الآية ؟ وهلا قال : لعلني أبلغ أسباب السماوات .

والجواب : أنه إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لذاتها ، وتعظيما لمكانها ، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أبهمها ثم أوضحها .

أما بالنسبة للفرق بينها وبين آية سورة القصص ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾

(١) في ظلال القرآن (٣٠٨١/٥) .

(٢) كشف المعاني ص "٣١٩ ، ٣٢٠" .

[القصص: ٣٨] وهنا قال ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] .

فإن قوله ﴿أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [القصص: ٣٨] خير (لعل) ، وفي سورة غافر عطف على خير (لعل) وجعل قوله : ﴿أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦] خبرها . وزاد هنا عن آية القصص ليقع في مقابلة قوله : ﴿أَوْ أَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] لأنه زعم الخبيث أنه إله الأرض فقال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] أي في الأرض ألا ترى أنه قال : ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٧] فجاء في كل سورة ما اقتضاه ما قبله<sup>(١)</sup> .

ثم إنه قال هنا : ﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٧] وفي سورة القصص ﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] فما الفرق ؟

والجواب : لأن التقدير في سورة القصص : وإني لأظنه كاذبا من الكاذبين . فزيد من الكاذبين لرؤوس الآيات ثم أضمر ( كاذبا ) أي من الكاذبين عليه ، فخصت به السورة هناك . أما هنا فجاء على الأصل ولم يكن فيه ما يجب تغييره<sup>(٢)</sup> .

عاشرا : قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠] يرد سؤال هو : أن مثل السيئة سيئة فما معنى قوله ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾ ؟

والجواب : أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لثلا يزيد على المقدار المستحق ، وأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب<sup>(٣)</sup> .

فإن قيل : إن قول الله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ينافي ذلك فكيف ؟

فالجواب : لمنع النقصان لا لمنع الزيادة كما قال سبحانه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> [يونس: ٢٦] .

الحادي عشر : تختتم الآيات بتصريح جريء للمؤمن آل فرعون يجهر فيه دون تردد ولا تلثم بعدما كان يكتم إيمانه حيث قال ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [فوقله الله سيئات ما مكروا وحاق بآل

(١) البرهان في متشابه القرآن ص "٢٩١" .

(٢) المصدر السابق ص "٢٩١" .

(٣) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٤٥٠" .

(٤) وانظر : تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٤٥٠" .



فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٦﴾ [غافر: ٤٤-٤٦] .

الثاني عشر: لم كرر نداء قومه ؟ ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني ؟ في قوله : ﴿ يَنْقُومُ ... يَنْقُومُ ﴾ الخ .

والجواب : أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة ، وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم فكان واجبا نصحهم لعلمه لخلاصهم فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم لئلا يتهموه .

وأما العطف فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له ، فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو .

وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة ، يقال : دعاه إلى كذا ودعاه له ، كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له<sup>(١)</sup> .

### ثامنا : سورة الزخرف .

تأتي سورة الزخرف تبرز اعتزاز فرعون بقوته وقيمه الزائفة وادعائه هوان موسى - عليه السلام - وسوف نعرض لآياتها المتحدثة عن فرعون وملائته ونهايته الأليمة .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ قِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٢﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْكَذَّابُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥﴾ وَنَادَىٰ قِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ الْيَسَّىٰ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْلُي وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٧﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٨﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٩﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿١١﴾ [الزخرف: ٤٦-٥٦] .

لطائف الآيات غير ما سبق .

أولا : تشير الآيات إشارة سريعة إلى المعجزات التي جاء بها موسى - عليه السلام - وينهيها بطريقة استقبال القوم لها ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٧]

(١) (تفسير الكشاف) (٤/ ١٦٨ ، ١٦٩) .

شأنهم شأن الجاهل المتعالي<sup>(١)</sup> .

ثانيا : أشارت الآيات أيضا إلى ما أخذ الله به فرعون وملائه من الابتلاءات المفصلة في سورة الأعراف وغيرها .

ثالثا : تشير الآيات إلى استهتارهم بموسى - عليه السلام - وبما أتى به من معجزات وخوارق ، وهذا مما يصدق قول الله - تعالى - في مواضع كثيرة من القرآن أن المعجزات والخوارق لا تهدي قلبا لم يكن الله أراد له الهداية ، وأن الرسول لا يسمع الصم ولا يهدي العمي<sup>(٢)</sup> .

رابعا : تشير الآيات إلى استعراض فرعون في ملكه ، وأنه هو الملك الحقيقي الذي يطاع ، والأمر الناهي الذي لا يعصى ، لا موسى الذي هو في نظره مهين لا ملك له ، ولا مال ، ولا شعب يساند ، فإن كان كما يدعي فلماذا لا يتوج بالذهب ويحف بالملائكة إن كان صادقا ؟ .

خامسا : استخف فرعون عقول قومه فأصبحوا كالأنعام التي لا تسمع إلا دعاء ونداء ، لا رأى لهم بل ولا وزن لهم عنده .

فصدق فيهم حكم الله في قوله ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤] فلما أغضبوا الله - تبارك وتعالى - انتقم منهم وجعلهم عبرة لمن بعدهم من أهل الضلال وغيرهم .

### تاسعا : سورة الدخان .

جاء الحديث فيها عن فرعون وقومه في سياق الحديث عن قريش وما أصابهم حينما دعا عليهم النبي ﷺ بسنين كسني يوسف فأصابهم القحط والجوع<sup>(٣)</sup> .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ آلِي عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٤﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٥﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٦﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ ﴿٧﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٨﴾ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٩﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ ﴿١٠﴾

(١) (في ظلال القرآن) (٣١٩٢/٥) .

(٢) انظر نفس المصدر (٣١٩٣/٥) .

(٣) انظر : صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧] (٤٧٠/٢) برقم [٣٣٨٦] ، [٤٥٩٨] ، [٦٢٠٠] ، [٦٣٩٣] ، صحيح مسلم - كتاب المساجد - باب استحباب القنوت في جميع الصلاة .. - (٤٦٧، ٤٦٦/١) ، برقم [٦٧٥] .

كَرِيمٍ ﴿٢٨﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٣١﴾ [الدخان: ١٧-٢٩] .

### لطائف الآيات غير ما سبق

أولاً : سياق الآيات هنا في سورة الدخان يختصر حلقات كثيرة ذكرتها السور السابقة ليصل إلى قرب النهاية .

حين أحس موسى - عليه السلام - أن القوم لن يؤمنوا له ولن يستجيبوا لدعوته ولن يسأله أو يعتزلوه . وبدا له إجرامهم أصيلاً عميقاً لا أمل في تخليهم عنه ، عند ذلك لجأ إلى ربه وملاذه الأخير ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ [الدخان: ٢٢] وهذه الآية الوحيدة التي تبين رغبة موسى - عليه السلام - في الانتقام من هؤلاء المجرمين . وكان من قبل قد دعا عليهم في سورة يونس أنهم لن يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، فأمهلهم الله ثم انتقم منهم . أما هنا في هذه السورة نلاحظ أنه قال ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ [الدخان: ٢٣] دون أن يكون هناك أدنى مهلة ، فقد عاثوا في الأرض فساداً وأصبحوا مجرمين حقاً .

وقال ( ليلا ) لئلا ينازع بنو إسرائيل متذرعين بالخوف أو الجهل بالمسالك ، أو كما يقول سيد قطب : إن النص عليه يعيد تصوير المشهد مشهد السرى بعباد الله وللإيحاء بجو الخفية<sup>(١)</sup> .

ثانياً : يصور السياق ما تركه فرعون وقومه بعد غرقه في آيات بدیعة تشبه آيات سورة الشعراء ، وتزيد عليها - بذكر قوله تعالى ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٩] .

ذهبوا غير مأسوف عليهم ، فلم تبكهم سماء ، ولا أرض ، فهم منبذون لسوء طباعهم ، مقتهم كل شيء في هذا الكون ؛ لأن الله قد مقتهم من قبل . والآيات تصور لنا فخامة تلك التركة المشتعلة على بساتين وعيون وقصور ، وتنعم ، ومع كثرتها لم تمنعهم من الأخذ بذنوبهم ، والانتقام منهم ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩] .

ثالثاً : في قوله تعالى ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إلى أن قال ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] وقال في الشعراء ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩] فما الفرق ؟

(١) في ظلال القرآن (٥/٣٢١٣) .

والجواب : أن كلمة ( كنوزا ) أبلغ في التعبير فيما فات على فرعون فناسب بسط ذكره أولا في سورة الشعراء .

وهنا في سورة الدخان قصتهم جاءت مختصرة فناسب ذكر الزروع .

وأما ذكر ( بني إسرائيل ) هناك أي : في سورة الشعراء ﴿ قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٨] في سورة الدخان فلأنه : لما تقدم ذكر بني إسرائيل ونعمة الله عليهم بغرق عدوهم ونجاتهم منه : ناسب ذكر نعمته عليهم بعودتهم إلى مصر بعد ذلك<sup>(١)</sup> .

عاشرا : سورة النازعات .

أما سورة النازعات فقد جاء الحديث عن عقوبة فرعون مختصرا بعض الشيء ومجملا لكل ما تقدم من حديث عن موسى - عليه السلام - ودعوته مع ذكر بعض الإشارات إلى تكذيب فرعون ثم غرقه بعد ذلك .

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۖ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۖ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۖ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ۖ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۖ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنِ يَخْشَىٰ ۖ ﴾ [النازعات: ١٥-٢٦] .

ما اشتملت عليه الآيات غير ما سبق .

أولا : في هذه الآيات يبادر السياق بحكاية أمر التكليف الإلهي لموسى - عليه السلام - عقب ذكر النداء بالواد المقدس طوى ، أما في السور السابقة فكان لذكر الآيات المعجزات نصيب من القول ثم الأمر بالذهاب إلى فرعون .

ثانيا : لا يزال سياق دعوة فرعون بلطف يتكرر في آيات القرآن العظيم من قصة إلى قصة ومن موضوع إلى موضوع ولكن بأسلوب آخر يتضمن نفس المعنى قال تعالى ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۖ ﴾ [النازعات: ١٨-١٩] عرض وترغيب كما قال ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤] أي : أن في قوله ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ ﴾ [النازعات: ١٨] حثا له على أن يستعد لتخليص نفسه من العقيدة الضالة فيقبل إرشاد من يرشده إلى الخير ، ثم عطف عليه ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۖ ﴾ [النازعات: ١٩] أي : إن كان في نفسك استعداد للتزكية يكن إرشادي إياك ﴿ فَتَخْشَىٰ ۖ ﴾ .

وتفريع ( فتخشى ) على ( أهديك ) إشارة إلى أن خشية الله لا تكون إلا بالمعرفة

(١) انظر : (كشف المعاني) ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>(١)</sup> [فاطر: ٢٨] أي : العلماء به .  
وفي ذكر الخشية إيجاز بليغ ؛ لأن الخشية ملاك كل خير - وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل »<sup>(٢)</sup> .

ثالثا : في قوله تعالى ﴿ فَأَرْنَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ [النازعات: ٢٠] يرد سؤال هو :  
أن الله تعالى قال في سورة طه ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ [طه: ٥٦]  
وكل آية منها كانت كبرى فكيف التوفيق بينهما ؟  
والجواب : أن الإخبار في هذه الآية ﴿ فَأَرْنَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ [النازعات: ٢٠] عن  
أول مجادلاته مع موسى - عليه السلام - (العصا واليد) فأطلق عليهما الآية الكبرى  
لاتحاد معنهما .

وجواب آخر : أراد بالآية الكبرى (العصا) لأنها كانت المقدمة والأصل ،  
والأخرى كانت كالتبع لها<sup>(٣)</sup> .

وأخيرا فإعجاز القرآن لا يتوقف عند سورة أو مقطع محدد ؛ بل في سور القرآن  
كلها ، وما رأينا من فروق بين الآيات ما هو إلا غيض من فيض لمواضيع  
القرآن كلها<sup>(٤)</sup> .

(١) وانظر : (تفسير الكشاف) (٤/ ٦٩٥) .

(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ٧٧) ، والحديث رواه الترمذي : كتاب صفة القيامة باب (١٨)  
(٤/ ٦٣٣) برقم (٢٤٨٠) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وصحح إسناده الحاكم (٤/ ٣٤٣)  
وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقال الألباني : صحيح . انظر : (صحيح الترمذي)  
(٢/ ٢٩٧) برقم (١٩٣٩) .

(٣) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٥٤٥" .

(٤) انظر : (في ظلال القرآن) (٤/ ٢٣٢٩ ، ٢٣٣١) ، (٥/ ٢٥٨٨) .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة

أولاً : استكبار فرعون وإفساده في الأرض .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ <sup>(١)</sup> وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [ القصص: ٤ ] .

أي : إن فرعون تكبر وتجاوز الحد في الظلم والطغيان واستعبد أهلها ؛ حيث جعلهم فرقا وأصنافا في خدمته وطاعته ، فاستذلهم بتذبيح أبنائهم واستحياء نسائهم ليقبل بذلك الرجال ، فلا يفكرون يوما في الانتقام منه ، إنه كان من المفسدين المتمكنين في الإفساد في الأرض بالمعاصي والتجبر وقهر العباد <sup>(٢)</sup> .

إذا الجو الذي ولد فيه موسى - عليه السلام - كان جو تقتيل للأبناء واضطهاد وتجير وحرب على شعب بني إسرائيل ، فأراد الله أن يجري سننه في خلقه حين يتجير الطغاة ويفسدون في الأرض ، والشر حين يتمخض ويزيد فإنه يحمل سبب هلاكه ، والبغي حين يتمرّد ؛ فإن يد القدرة تأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم فتنتقمهم وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين .

لقد أراد الله غير ما أراد فرعون ، وقدر غير ما يقدر الطاغية ، فالطغاة تخدعهم قوتهم فينسبون إرادة الله وتقديره ، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون ، ويختارون لأعدائهم ما يشاؤون ، ويظنون أنهم على ذا وذاك قادرون <sup>(٣)</sup> .

فالذي جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم قادر على أن يجعل قلب فرعون بردا وسلاما على موسى ، فينشأ ويتزعرع في كنف فرعون ويغذى بطعامه وشرابه .

فالقدر يقول له : يا أيها الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع ولا تخالف أقداره أن هذا المولود

(١) يذبح أبنائهم : ذكر المفسرون أن سبب تقتيله للأبناء دون النساء أن كاهنا قال له : إن مولودا يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه . انظر : (تفسير الكشاف) (٣/٣٩٢) ، تفسير القرطبي (١٣/٢٤٨) .

(٢) انظر : تفسير الكشاف (٣/٣٩١ ، ٣٩٢) ؛ تفسير القرطبي (١٣/٢٤٨ ، ٢٤٩) ، تفسير الوسيط (٣/٣٩٠) ؛ تفسير القاسمي (١٣/٩٥) .

(٣) في ظلال القرآن (٥/٢٦٧٦) بتصرف .

الذي تحتز منه وقد قتلت بسببه من النفوس مالا يحصى ولا يعد ، لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك ، ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك ، وأنت الذي تتبناه ، وتربيه ثم يكون هلاكك على يديه ، لمخالفتك ما سيأت به من عند الله ، ولتعلم أنت وغيرك أن رب السماوات والأرض هو الفعال لما يريد وأنه القوي الشديد ذو البأس العظيم والحوّل والقوة والمشیئة التي لا مرد لها<sup>(١)</sup> .

وإليك نماذج من ظلم فرعون وطغيانه

#### أ - ادعائه الألوهية والربوبية

أكبر أنموذج للظلم والطغيان ادعاء فرعون الألوهية والربوبية لنفسه لينازع الله في ملكه ، وهو ذلك العبد الضعيف المهين ، قال تعالى على لسان فرعون ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [ القصص: ٣٨ ] وانظر لهذه الكلمة الفاجرة الكافرة ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ كيف تلقفها الملاء بالإقرار والتسليم مع علمهم بكذب فرعون ، ولكنها لا تجرؤ أن تعارض ذلك القرار الحاسم الذي لا يقبل الاستئناف لأنها تعلم مصيرها لو فعلت ذلك !! .

قال ابن كثير في تفسيره : وإنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى الألوهية لنفسه ، وهدده بالسجن إن لم يصدق به بذلك ويطعه ويسلم له بألوهيته قال تعالى ﴿ قَالَ لِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [ الشعراء: ٢٩ ] .

إذ أراد بكلامه هذا تغفل القوم ومداراتهم حتى لا يخامر أنفسهم شيء للحط من منزلة ربوبيته المزعومة .

وبعد بيان موسى له وعرض معجزاته أمامه أخذ يسعى ويجتهد في جمع مكايده من سحرة وغيرهم من ذوي العقول الساذجة قال تعالى ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ [ طه: ٦٠ ] وقال ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾ ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾ [ النازعات: ٢٢-٢٣ ] أي : فجمع السحرة فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو قام في قومه فنادى قائلاً ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [ النازعات: ٢٤ ] .

(١) البداية والنهاية (٢٣٨/١) .

(٢) انظر : (تفسير ابن كثير) (٤٠١/٣) .

قال ابن عباس ومجاهد : وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [ القصص: ٣٨ ] بأربعين سنة<sup>(١)</sup> .

#### ب - قتله للأبناء الذكور دون النساء

إن قتل الأبرياء عند الظلمة الطغاة لا يعني شيئا في سبيل إرضاء ضمائرهم الخبيثة . إن القتل لدى هؤلاء يقتل ضمائرهم اللوامة ، فيصبح الواحد منهم متعطشا للقتل يروي به نفسه الأمانة كلما سنحت له الفرصة بذلك .

لقد ابتكر فرعون اللعين طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تعتقد ولا تعبد بألوهيته ، فسخرهم للشاق من العمل ، وسامهم بشتى أنواع العذاب ، وبعد ذلك لجأ إلى تذيبح الذكور من الأطفال ، واستبقى الإناث كي لا يتكاثر عدد الرجال<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا يقول الله - تعالى - عنهم ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [ القصص: ٤ ] .

#### ج - ظلم وفساد أعوان فرعون

قال تعالى عنهم ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿٢﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿٣﴾ ﴾ [ الفجر: ١٠-١٢ ] .

وقال أيضا ﴿ وَأَسْتَكْبَرُوا وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [ القصص: ٣٩ ] .

الأوتاد : الجنود كما قال ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، فالجنود هم أدوات ظلمه وتعسفه ، فلا يظلم إلا بهم ولا يتجبر إلا بهم ، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه .

فاكتسبوا الظلم والتكبر منه لأنه سيدهم وحاكمهم ، يظلمون بلسانه ويعتدون بيده ويقتلون بسطوته دون عقاب لمن يخطئ منهم أو محاسبة ؛ لأنهم سنده وعضده فلولاهم لما بقي في حكمه .

(١) تفسير الكشاف (٤/٦٩٦) ، وتفسير ابن كثير (٤/٤٩٩) .

(٢) انظر في ظلال القرآن (٥/٢٦٧٧) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٥٤٣) وانظر تفسير الألوسي (٣٠/١٢٤) .



قال تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [ القصص: ٨ ]  
وقس على ذلك كل طاغية تبلى به أمة من الأمم .

ثانيا : عناد فرعون وتجبره وتكذيبه .

يقول الزمخشري - رحمه الله - : « إنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزء في اليوم الآخر ، وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عزيمة ولا سيئة إلا ارتكبها » (١) .

وإليك نماذج من ذلك :

أ - محاورة ساخنة : سنعيد كتابة بعض الآيات مرة أخرى لترى كيف بدأت المحاورة في جميع الآيات وكيف انتهت ثم تفسيرها باختصار قال تعالى :

١ - ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٢١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ الأعراف: ١٠٤-١١٢ ] .

٢ - ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْفِتِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [ يونس: ٧٥-٧٩ ]

٣ - ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٢﴾ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَن يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿١٤﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرِي ﴿١٥﴾ فَأَتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَن تَبَعَ الْهُدَىٰ ﴿١٦﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٤٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٤٣﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٤٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٤٨﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِّنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى ﴿٥٠﴾ [ طه: ٤٣-٥٨ ]

٤ - ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِءَايَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿٥٤﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٥٦﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٧﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٨﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٢﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٦٣﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ لَنْ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٦٦﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٧﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٧٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٧٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ [ الشعراء: ١٥-٣٧ ] .

٥ - ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ﴿٧٤﴾ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿٧٥﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿٧٦﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٧٨﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٧٩﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٨٠﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٨١﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٨٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٨٣﴾ [ النازعات: ١٧-٢٦ ] .

كما رأينا في الآيات كانت دعوة موسى لفرعون مفاجأة . لأنه كان يتصور أنه لا أحد يجرؤ فيكلم الإله المزعوم. بمثل هذا ، ومعنى كلام موسى هذا في تصويره إنزاله عن عرش الربوبية أو ما يسمى اليوم محاولة قلب نظام الحكم .

عند ذلك بدأت المحاوره بقول فرعون لموسى ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٤٩-٥٠] وفي سورة أخرى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] وفي سورة ثالثة ﴿ وَقَالَ مُوسَى يُفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٤] .

فوجئ فرعون بدعوة موسى له وبجراته عليه وهو في مجلس ملكه ، يحيط به وزراؤه وقواده وأعوانه ، وقد صدرت منه ( أي موسى ) بصيغة التأكيد والقطع مما يدل على شدة ثقة موسى بنفسه وبكلامه الصادق الذي لا يقبل المفاصلة أو التنازل قدر أنملة .

سأل في المرة الأولى ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٤٩] وقال في سورة الشعراء ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] .

فالسؤال بمن عن الكيفية ، والسؤال بما هو عن الماهية ( الحقيقة ) فأقام موسى له الدلالة على الوجود ؛ فعرف أنه لا يمكنه المقاومة في هذا المقام لظهوره وجلائه ، عندها عدل إلى المقام الثاني وهو طلب الماهية . وهذا أيضا مما ينبه عليه من أنه كان عالما بالله ؛ لأنه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشرع في المقام الصعب لأن العلم بماهية الله - تعالى - غير حاصل للبشر<sup>(١)</sup> .

ونلاحظ في إجابة موسى - عليه السلام - له أنه عرف أبعاد سؤال فرعون وما يحمل في طياته من إنكار لربوبية الله - تعالى - فقال بصيغة الجمع ( ربنا ) إشارة

(١) تفسير الرازي (٦٤/٢٢) وانظر : (روح المعاني) للألوسي (٧١/١٩) ، وقال ابن كثير في هذا (٣/٣٤٥) : ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط ؛ فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر .

وفي نظري أنه يرد عليه اعتراض يؤكد أن فرعون كان يعلم بوجود الخالق عز وجل ولم يكن جاحدا له بالكلية ، ودليل ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقوله سبحانه على لسان فرعون نفسه : ﴿ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] .

إلى ربوبية الله للجميع ولفرعون وملائه - ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] أعطى كل شيء من الأنفس البشرية وغيرها صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فسواه بها وعدله ، أو أعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطي ، وكيف يتوصل به إلى بقائه وكمال اختياري أو طبعاً<sup>(١)</sup>.

وعند ابن عطية : في معناها أن الله - تعالى - أعطى كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته وهيئاته الخاصة به والمناسبة له ، وأكمل الله - تعالى - ذلك له وأتقنه ثم هدى ، أي : يسر كل شيء لما يتوصل به إلى منافعه ومرافقه<sup>(٢)</sup>.

إذ كانت الإجابة إجابة عميقة تحوي في طياتها معان كثيرة واضحة الدلالة لم يسمع فرعون مثلها من قبل ولا يملك أن يقول مثلها ؛ فعمد إلى مراوغة موسى فانسحب من المحاورة إلى مجال آخر يسمى :

الاستدراج إلى معارك جانبية ، أو الخروج من صلب الموضوع إلى موضوع آخر ؛ حفظاً لماء الوجه فقال فرعون ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] أي : فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره ؟

إذ أراد من هذا السؤال أن يصرفه - عليه السلام - إلى ما لا يعنيه من الأمور لشغله عما هو بصدده عسى أن يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك إلى أن يدعي أمام قومه نوع معرفة يفحم بها موسى عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

فاختار موسى جواباً لا يستطيع الخصم أن يستمر في المجادلة فقال ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

وهب أنه قال : القرون الأولى كانت على التوحيد لرد عليه بأنها عبادت بعد ذلك الأصنام ، ولو قال : كانوا على ضلال ، لقالوا : سب آباءنا وأجدادنا وربما ثاروا عليه.

﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [طه: ٥٢] أي : في علم الغيب الذي لا ينبغي لي أن أخوض فيه بغير علم ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢] أي : لا يخطئ ابتداء ولا يذهب علمه بقاءً<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر : تفسير الكشاف (٦٧/٣) ؛ تفسير القرطبي (٢٠٤/١١) ؛ تفسير البيضاوي (٤٩/٢) .

(٢) تفسير ابن عطية (٢٠٢/١٠) .

(٣) تفسير أبي السعود (٢٠/٦) .

(٤) تفسير أبي السعود (٢١/٦) ، وانظر : تفسير القرطبي (٢٠٨/١١) .

وهكذا نجح موسى - عليه السلام - من الفخ الذي نصبه له فرعون ؛ لأن الخوض في القرون الأولى خوض لا ينتهي أمره ولا يستقصى بحثه ، فأغلقه موسى بحكمة وذكاء لئلا يستمر الخصم في الإتيان بأمثلة جديدة .

ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الأشياء ، وجعله الأرض مهادا ، والسماء سقفا محفوظا ، وتسخيروا السحاب ، لإنزال الغيث رزقا للعباد ودوابهم وأنعامهم .

قال تعالى على لسان موسى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿٥٤﴾ ﴾ [طه: ٥٣-٥٤] إن في ذلك لدلالات لذوي العقول السليمة المستقيمة والفطر القويمة على أن لا إله إلا الله ولا رب سواه<sup>(١)</sup> .

وإذا كانت هذه نعم الله عليكم فلم تستكبرون عن شكره ؟ وتستعينون بها على عصيانه ؟ أنسيتم أنكم مخلوقون من الأرض وأنكم ستعودون إليها ؟ فلم التجبر والتكبر إذن ؟ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥] .

بعد هذه الذكري لفرعون ولنفسه العاتية انتقل إلى أمر آخر ليجد له مخرجا من هذا المأزق ، فأخذ يذكر موسى بماضيه وأنه تربى في بيته ولبث فيهم سنين من عمره وأنه قتل رجلا من قومه ، وكان ينبغي له أن يكون حافظا للمودة ، حريصا على عدم إيذاء آل فرعون سواء في قومهم أو في معتقدهم ، فما دمت قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعل فأنت من الكافرين أي : الجاحدين لنعمتنا عليك<sup>(٢)</sup> .

فأجابه موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٥٦﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٧﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠-٢٢] .

(أي : قتلت إذا وأنا من الظالين يقول : وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحي تحريم قتله علي)<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير ابن كثير (١٦٤/٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٤٤/٣) ؛ انظر : (تفسير القرطبي) (٩٥/١٣) ؛ انظر : تفسير القاسمي (٧/١٣) .

(٣) تفسير الطبري (٣٤٠/١٥) ، ثم قال : والعرب تضع من الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال ، فتقول : قد جهل فلان الطريق بمعنى واحد ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

وأما ما كان من إحسانك إلي ؛ فبمقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل حيث جعلتهم عبيدا وخدماء تصرفهم في أعمالك ، فهل يفني إحسانك إلي وأنا رجل واحد بما أسأت إليهم جميعا .. فما فعله بهم لا يساوي شيئا بالنسبة إلى ما فعلته بي<sup>(١)</sup> .

هذا ومن طبيعة المعاند أنه يؤمل الانتصار ولو مرة واحدة حتى ولو خسر كل شيء . وفرعون من هذا الصنف لخبث نفسه ولطبيعته العاتية مازال يؤمل في الانتصار على موسى أو على الأقل الخروج مما وقع فيه .

عندها أخذ يسأل عن ماهية الخالق - عز وجل - لأنه لا يستطيع بحجارة موسى عليه السلام في باب الاستدلال على الخالق ، فانتقل إلى ما هو أصعب من ذلك في نظره وهو السؤال عن الحقيقة قال تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] فأجاب موسى وببساطة لأنه المؤيد من رب العالمين - عز وجل - الذي قال له من أول الأمر ﴿ قَالَ لَا تَخَافْ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦] قال موسى : إن رب العالمين هو ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤] وهنا بين له موسى الصفات الدالة على مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق - والتي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها<sup>(٢)</sup> .

وعند هذه الإجابة البليغة من موسى ﷺ أحس فرعون بالهزيمة المطلقة فأشرك الخاصة من قومه لئلا يتأثروا بقول موسى وحتى لا يقع هو وحده فقال لقومه ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٥] لما رأى من ثقة موسى بنفسه ، فالتفت موسى إليهم وقال : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦] فكانت الإجابة أشد مساسا بشخص فرعون فما هو إلا واحد من عبيد الله والله - تعالى - هو ربه ورب آبائهم الأولين قبل أن يوجد فرعون<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير ابن عطية (٩٩/١١) ؛ تفسير ابن كثير (٣/٣٤٥) ، تفسير القاسمي (٩/١٣) ؛ وانظر : تفسير القرطبي (٩٥/١٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٩٨/١٣) ؛ وانظر : (فتح القدير) (٩٧/٤) .

(٣) في ظلال القرآن (٢٥٩٢/٥) .

عندها بدأ الغيظ يظهر على فرعون ، وبدأ هدوءه المصطنع يذبل ، فالتفت إلى من حوله كأنه يؤلبهم ويحرضهم على موسى فقال ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧] فسماه رسولا بطريق الاستهزاء ، وأضافه إليهم ترفعا من أن يكون رسولا إليه ، وفيه إثارة لغضبهم واستدعاء لإنكارهم رسالته بعد سماع الخبر ترفعا بأنفسهم عن أن يكونوا أهلا لأن يرسل إليهم مجنون<sup>(١)</sup> .

ويلاحظ من كلمته ( مجنون ) مدى تحبط فرعون في كلامه ، ويدل على حبه في إنهاء المحاورة ؛ أما موسى - عليه السلام - فكان يتكلم من منطق قوة ويعرف أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من الانتصار الساحق ؛ فأخذ يفتح أمامهم آفاق التفكير في تصورهم مرة أخرى لهذا الكون الفسيح المملوء بالكواكب الزاهرة في أفلاكها الدائرة النهار بضياءه والليل بظلامه من ربها ؟ من خالقها ؟ من مبدعها ؟ من مسيرها ؟ إنه ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨] فأرشدهم إلى أقرب الأشياء إليهم وقال لهم : إن كنتم من أهل العقل . وفيه تلويح إلى أنهم بمعزل من دائرة العقل ، وأنهم الأحقاء بما رموه به - عليه الصلاة والسلام - من الجنون<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا تحريض من موسى - عليه السلام - للملأ حوله باستعمال عقولهم وبصائرهم ، فمن تدبر ذلك بعيدا عن العواطف وحب الشهوات فإن مؤداه بإذن الله إلى الإيمان .

وهنا توقف فرعون عن المحاورة وذل أمام موسى - عليه السلام - لما رأى من شدة حزمه وقوة عزمه وأنه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة قال مهديدا ﴿ لَئِنْ آتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> [الشعراء: ٢٩] .

ولو كان يريد استمرار المحاورة لقال : ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك ؟ لأن فيه الاعتراف بأن ثم إلها غيره ، ثم إن في توعده بالسجن ضعفا<sup>(٤)</sup> .

(١) تفسير أبي السعود (٢٣٩/٦) ، تفسير روح المعاني (٧٢/١٩) .

(٢) تفسير روح المعاني (٧٣/١٩) .

(٣) جاء بأل العهدية (كما ذكرناه في لطائف ، سورة الشعراء) وانظر : فتح القدير للشوكاني (٩٨/٤) ؛ وانظر : تفسير القرطبي (٩٩/١٣) ؛ روح المعاني (٧٣/١٩) وقال القاسمي : « لما سمع فرعون تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة ، وشاهد شدة حزم موسى - عليه السلام - وقوة عزمه على دعوته ، عدل عن خطة الإنصاف إلى الاعتساف » انظر تفسيره (١٤/١٣) .

(٤) تفسير القرطبي (٩٨/١٣) .

عند ذلك قال له موسى - عليه السلام - على جهة التلطف والطمع في إيمانه ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠٠] يتضح لك معه صدقي أفكنت تسجنني؟ فلما سمع منه ذلك طمع في مواصلة الكلام لعله يجد موضع معارضة فقال ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [٣١-٣٣] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ﴾ [٣٣-٣٤] [الشعراء: ٣٣-٣٤].

فلما رأى فرعون ذلك هاله وأفرعه ؛ رأى العصا تتقلب حية واليد تتألأ كأنها قطعة من الشمس ؛ حقا لقد أفرعه ، ولم يكن عنده ما يدفعه به غير رميته بالسحر ، وقد طمع بما قد برع فيه قومه من السحر لعله يكون سببا في معارضة موسى - عليه السلام - وإيهاما لقومه وأتباعه بأن موسى - عليه السلام - ساحر .

ب - اتهام موسى بالسحر ومحاولة قلب نظام الحكم .

قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٥] ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السّٰحِرُونَ﴾ [٣٦] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٣٧] [يونس: ٧٦-٧٨] .

ومن متشابه الآيات ما جاء في :

سورة الأعراف ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٨] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [٣٩] [الأعراف: ١٠٩-١١٠] وفي سورة طه ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [٤٠] [طه: ٥٧] وفي سورة الشعراء ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥] .

بدون دليل ولا قاطع برهان اتهم موسى بالسحر وحب الملك والسلطان .

قال الزمخشري في تفسير قول الله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [يونس: ٧٦] أي : فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهارون قالوا لحبهم الشهوات والرياسة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ <sup>(١)</sup> [يونس: ٧٦] .

(١) تفسير الزمخشري (٣٦٢/٢) ، وعند صاحب الظلال : وهكذا يبدوا تضعضه وتهاويه ، وتواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إلها ، فيطلب أمرهم ومشورتهم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥] ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون ؟ إنه شنشنة الطغاة حينما يحسون أن



كان الاتهام بالسحر أحسن ما يقال في نظر فرعون ليجعل منه حاجزا بينه وبين من أراد التفكير فيما جاء به موسى ﷺ ؛ لأنه ساحر من جملة السحرة المنتشرين في البلاد ، فيكون فرعون بتهمة هذه لموسى قد أبعد قومه عن أية محاولة للربط بين معجزة موسى ونبوته ، فيكون لو فعلوا لغير نبي .

ولدهائه وخبثه رأى أن يدعم اتهام موسى بالسحر باتهام آخر ، فلعلهم لم يقتنعوا بالتهمة الأولى وهي الرغبة في الملك أو ما يسمى بقلب نظام الحكم .

ومعنى هذا عند سامعي كلام فرعون ؛ هو التحرك السريع ضد موسى ، وإيقافه عند حده .

أما معناها عند فرعون فهو ذهاب ألوهيته بعد أن كان يعبد ، وأن يسمع ويطيع لموسى بعد أن كان الأمر الناهي .

﴿ قَالَ أَلَمْأَلَا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِبْرَاهِيمَ هَذَا لَسَحَرٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ١١] يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ [الأعراف: ١٠٩-١١٠] وهنا يلاحظ على فرعون في قوله ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: ٣٥] أنه يستشير قومه والإله لا يستشير أحدا فكان موقفه هذا من أهم التنازلات التي تعد بحق انتصارا لموسى - عليه السلام - وموقف فرعون هذا يدل على تحبطه بعد أن أصابه الخوف والفرع ، فكان لا بد من تغيير موقفه لينقلب العبيد آمريين ، وربهم فرعون بزعمه مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهشة والحيرة<sup>(١)</sup> .

وتشاور الملأ في أمر موسى ورددوا نفس مقالة فرعون ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٠] ولما رأى مؤازرتهم له قال لموسى ﴿ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ﴾ [طه: ٥٧] .

ويلاحظ من رسالة فرعون للملأ أولا : أنه قال لهم بضمير المخاطب ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ ﴾ قال لموسى بعد أن اطمأن لهم بصيغة المتكلم الجمع ﴿ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ ﴾ . ويلاحظ ثانيا : أنه لم يشرك شعبه فيما اتخذه من قرارات مع ملائه ؛ لأنه يعلم أنهم

=

الأرض تنزل تحت أقدامهم . عندئذ يلينون في القول بعد التجبر ويلجأون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام . ويتظاهرون بالشورى في الأمر وهم كانوا يستبدون بالهوى . ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر ، ثم إذا هم هم جبابير مستبدون ظالمون . انظره : (٢٥٩٤/٥) .  
(١) نفس المصدر (٣/٣١٠) .

تبع وأن أحدا لا يستطيع أن يثبت ببيت شفة ؛ إذا اتخذ فرعون قراره ، إنهم يتجاهلون الشعوب في الرخاء ، ويرون أنهم كالأنعام يقادون إلى المرعى ، ثم ترجع دون أن يكون لها أدنى حرية ؛ فإذا جاءت الشدائد والملمات زجوا بهم في معاركهم ؛ ليتحملوا كامل المسؤولية متناسين ما قدموه من خدمات في يوم من الأيام .

هذا هو حال الباطل في الدنيا ، أما في الآخرة فسوف يحاسب كل واحد منهم على ما قدم ولن ينفعه أكان سوقيًا أو فقيرًا أو أطاع الأوامر الخرقاء دون أخذ رأيه .

قال تعالى عنهم ﴿ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ [٤٧] قال الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ [ غافر: ٤٧-٤٨ ] .

### ج - جمعه للسحرة استعدادا ليوم المفاصلة

بعد تدارس الأمر أشار الملأ على فرعون بما أخبرنا الله بقولهم ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [١١٢] يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ [ الأعراف: ١١١-١١٢ ] .

وقوله ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴾ [ يونس: ٧٩ ] .

وقوله ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسَحَرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ [١١٤] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿١١٥﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿١١٦﴾ [ طه: ٥٨-٦٠ ] .

وقوله ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [١١٧] يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٨﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١٩﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿١٢٠﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢١﴾ [ الشعراء: ٣٦-٤٠ ] .

نلاحظ من مجموع الآيات أنهم (أي : الملأ) لم يشيروا بقتله ؛ وإنما أشاروا بجمع السحرة لأن حجته كانت ظاهرة فخشوا الفتنة ، وطمعوا أن تكون الغلبة للسحرة فتسقط حجة موسى - وهذا من تدبير الله - عز وجل - وتسخيره ليجتمع الناس في صعيد واحد يشهدوا هذه المغالبة بين موسى وسحرة فرعون ، فتظهر آيات الله

(١) أرجه أي : أخر أمرهما حتى ترى رأيك فيهما - والأمر بالتأخير يدل على أنه تقدم منه أمر آخر هو الهم بقتله فقالوا : أخره ليتبين حاله للناس . وأصل (أرجه) : أرجئه ، انظر : (محاسن التأويل) (٢٢٨/٧) .

وحججه وبراهينه واضحة جلية للناس<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أيضا أن طلبهم لموعد محدد معلوم الزمان والمكان ؛ كان فيه نوع ثقة من فرعون بالظهور والانتصار ، ثم طلبه أن يكون هذا الأمر أمام الجميع فيه فطنة وذكاء ؛ لئلا يؤمن بموسى أحد . فوقع ذلك من موسى الموقع الذي يريده ؛ لعلمه أن حجة الله هي الغالبة ، وفي ظهورها بمجمع من الناس زيادة في الاستظهار للمحقين والانقهار للمبطلين<sup>(٢)</sup>.

فقال موسى عليه السلام ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ [طه: ٥٩] ومعنى هذا أن موسى - عليه السلام - قبل تحدي فرعون له ، واختيار الموعد يوم عيدهم ، وأن يجمع الناس ضحى ليكون المكان مكشوفاً والوقت ضاحياً ؛ فقابل التحدي بمثله وزاد عليه اختيار الوقت<sup>(٣)</sup>.

وهنا نلاحظ أن موسى - عليه السلام - هو المستفيد من حيث لا يشعر فرعون وملاؤه ؛ حيث يسر الله له جمعهم مرة واحدة ، وفي مكان يراهم ، ويرونه ، ويسمعهم ، ويسمعونه ، وقد كان من قبل مستحيلاً ، فسبحان مقلب القلوب ومصرف الأمور على مر الدهور الذي إليه المرجع وإليه النشور !!! .

﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ [طه: ٦٠] مما يظهر أن جمع السحرة تم على مراحل وإن كانت سريعة ؛ ذلك لخوف فرعون على ملكه وسلطانه .  
المرحلة الأولى : ظهرت من إرسال فرعون شرطه لحشر السحرة ؛ وذلك للتشاور في أمر موسى - عليه السلام - .

المرحلة الثانية : حشرهم ليوم الزينة المتفق عليه مع موسى ، وذلك لتحدي موسى وإظهار فائق سحرهم للتفوق والانتصار على موسى عليه السلام .

وأما فترة الإعداد للسحر فمن المؤكد أنها كانت بين المرحلتين السابقتين ، يدل عليه ( ثم ) الدال على التراخي في قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ [طه: ٦٠] وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه بل أتاه بعد بطء وتلعثم<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن عطية (١٠٥/١١) ؛ تفسير بن كثير (٣٤٦/٣) .

(٢) تفسير فتح القدير (٩٩/٤) ، وانظر روح المعاني (٢١٧/١٦) .

(٣) في ظلال القرآن (٢٣٤٠/٤) .

(٤) تفسير روح المعاني (٢٢٠/١٦) ؛ تفسير أبي السعود (٢٤/٦) .

وأما جمع الناس فقد جاء بطريقة أدهى مما كان يتوقع ، وذلك لئلا يثير ضغينتهم على فرعون ، يدل عليه قوله تعالى عنهم ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ [ الشعراء: ٣٩ ] حض لهم في غاية اللطف ثقة منهم باستجابتهم التي تعودوها منهم ؛ لأنهم مروضون على الطاعة والتبعية منذ زمن بعيد .

وتظهر من التعبير حركة الإهاجة والتحسيس للجماهير ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ [ الشعراء: ٣٩-٤٠ ] لعلنا نتبع السحرة فقط وأتباعهم في حالة واحدة فقط ، وهي حالة انتصارهم . أما غيرها فليس هناك ذكر للبديل مما يدل على التحيز الشديد ضد الحق وأهله .

بمعنى اتباعهم في طريقته ، ودينهم الذي هو دين الآباء والأجداد ؛ لا اتباع موسى ، فساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة<sup>(١)</sup> . وهكذا اجتمع السحرة على ما رأينا ، واجتمع الناس ليروا المباراة عن قرب ، وما كان من قبل ييسر فرعون لهم سبل الاختيار إلا هذه المرة فلم ذلك ؟ لم يسأل واحد نفسه لماذا جاء ، وهل يمكن أن أغير منهجي إلى غير ما دعيت له ؟ لم هذا الاهتمام بموسى وأخيه وهما شخصان اثنان ؟ ومن هو موسى هذا بالنسبة لجيروت فرعون لم لا يقتله ؟ لم لا يعذبه ؟ ولم يسأل واحد نفسه لم لا نؤمن بما جاء به إن كان هو المنتصر ؟

إنها التبعية الممقوتة والفكر الأرعن ، والجن عن قول كلمة الحق . ثم انظر حالهم بعد أن دخل الإيمان قلوبهم كيف صدعوا بكلمة الحق ! ؟ ونلاحظ أيضا من جهة أخرى كيف قضت حكمة الله أن يجتمع هذا الجمع الحاشد ليرقب المعركة الحاسمة بين الحق والباطل ، وذلك ليتسنى لموسى - عليه السلام - إيصال الحق لهم عن طريق المشاهدة ، هذا من جهة ، وليكون حجة عليهم من جهة أخرى ، وليكون بشارة من بشائر النصر الذي وعد الله به موسى - عليه السلام - من جهة ثالثة .

### ثالثا : اتهام السحرة بالخيانة العظمى .

اطمأن السحرة لجائزة فرعون ، وأغراهم بريق ذهبه ، وأن فقراء الأُمس سيصبحون أغنياء اليوم ، وما مر عليهم من نصب الدنيا فلن يمر بعد ذلك ؛ كيف لا وقد وعدهم المنزلة الرفيعة عنده .

(١) تفسير أبي السعود (٢٤٢/٦) ؛ وانظر قريبا منه في تفسير ابن عطية (١٠٦/١١) ؛ وتفسير ابن كثير (٣٤٠/٣) .

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [١١٣-١١٤] .

فزادهم فرعون على ما طلبوا ليحثهم على بذل أقصى الجهد لإظهار سحرهم على ما عند موسى <sup>(١)</sup> .

وجاء الناس ضحى يوم الزينة ، وجاء فرعون في زينته وأبهته ، واصطف له الأكابر والناس يمنة ويسرة ، وأقبل موسى بعصاه ومعه أخوه هارون وقيل : معه بنو إسرائيل ، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا وهو يحرضهم ويحثهم لإجادة عملهم ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم فكان أول ما قاله موسى لهم ﴿ وَيَلْكُمُ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [طه:٦١] لتخليوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقيقة لها فتكونوا قد كذبتهم على الله ، ثم حذرهم أن لا يعتبروا ما يرونه من الآيات سحرا ، وأن يتبعوا الحق إذا ظهر لهم ، فإن لم يفعلوا أهلكهم الله بعذاب من عنده وقد خسر من افترى على الله الكذب .

﴿ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ [طه:٦٢] أي : تشاجروا فيما بينهم ، فقائل يقول : ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبي ، وقائل يقول : بل هو ساحر ، وقائل يقول .... ألخ ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ [طه:٦٢] مخافة أن يتبين لفرعون أن فيهم ضعفا ، ثم قالوا ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ [طه:٦٣] أي : إن موسى وهارون ساحران يريدان أن يخرجكما من أرضكم بسحرهما ويغلبكما وقومكم ، ويستوليا على الناس ، وتتبعهما العامة ، ويقابلا فرعون وجنوده فينتصران عليه ، ويخرجكما من أرضكم ويذهبا بسيرتكما الفاضلة الحسنة وحالتكم الطيبة التي أنتم عليها ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا ﴾ [طه:٦٤] واحدا ، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة لتبهروا الأبصار وتغلبوا موسى وأخاه ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ [طه:٦٤] أي : ظفر

(١) تفسير القرطبي (٢٥٨/٧) ؛ انظر : (تفسير المنار) (٦٣/٩) وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية ، تبذل مهاراتها في مقابل الأجر الذي تنتظره ، ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية ، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة ، وهؤلاء هم أتباع الطغاة يخدمونهم على طغيانهم وفجورهم طمعا بما عندهم من متاع الدنيا ليبقوا في خدمتهم وتبعيتهم ، انظر : في ظلال القرآن (٢٥٩٥/٥) .

ببغيته اليوم من طلب العلو في أمره ، فنال عطاء الملك كما وعد أو فاز موسى  
فنال الرياسة العظيمة<sup>(١)</sup> .

وبعد ذلك التذكير الذي كان موسى لا يترك فرصة للدعوة إلى الله سواء أمام  
فرعون أو غيره إلا استغل ذلك فوعظ وذكر ، وبعد عصيان السحرة لموعظة موسى  
وإصرارهم على فعل ما أتوا من أجله بدأت المباراة :

﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [الأعراف: ١١٥] وفي  
سورة طه ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ [طه: ٦٥] .

وتدل كلماتهم هذه على رغبتهم في أن يقدموا عروض سحرهم قبل موسى -  
عليه السلام - ليصرفوا أعين الناس إليهم ؛ فأفسح المجال لهم وقال : ( بل ألقوا ) ليتبين  
لناس المجتمعين كل ما عند السحرة من كيد وباطل ، وحتى لا يبقى لديهم شيء من  
أسلحتهم فتكون الكلمة الأخيرة والفاصلة لموسى - عليه السلام - ، فلو ألقى قبلهم لما  
كان هناك معنى للتحدي ؛ لأن المشاهدين لا يعرفون شيئاً عن سحر السحرة ولا عن  
معجزة موسى عليه السلام ، وإنما سمعوا عنها فقط ، ولا يغني السماع . فكان من  
الحسن أن يلقي السحرة أولاً ، ثم يلقي بعدهم موسى - عليه السلام - فيظهر التحدي  
ونتيجته بعد ذلك أمام الناس ، وكل ذلك تم أولاً وأخيراً بتدبير الله عز وجل .

فألقي السحرة حبالهم وعصيتهم فكان كما قال الله ﴿ فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ  
يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: ٦٦] واستعانوا للوصول إلى مآربهم  
ببعض الحركات والأصوات المزعجة والمخيفة لإدخال الذعر والخوف في نفوس الناس  
قال الله ﴿ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦] .

فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة وأن يضع الحق بين ركام هذا  
الباطل ، فأمره الله تعالى أن يلقي عصاه ، وما إن ألقاها حتى انقلبت بقدره الله حية  
عظيمة ابتلعت كل ما جاء به السحرة من وسائل الكذب ، والناس ينظرون إلى ذلك  
عيانا جهرة نهارا . فقامت المعجزة واتضح البرهان ، ووقع الحق وبطل السحر ، ولهذا

(١) وتفسير ابن كثير (١٦٥/٣) .

(٢) قال الزمخشري (١٤٠/٢) : تخييرهم إياه أدب حسن . وقال القرطبي (٢٢٣/١١) تأدبوا مع

موسى ، فكان ذلك سبب إيمانهم .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾<sup>(١)</sup> [طه: ٦٩] وقال أيضا : ﴿ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٩] فكانت النتيجة المبكرة لذلك التحدي الغلبة والصغار .

أما النتيجة الثانية فكانت أعظم من الأولى وهو : ما كان يخشاه فرعون نفسه وهو سجود السحرة ، وإيمانهم بالله - تعالى - وأن ما جاء به موسى هو الحق .

وذلك حين رأوا ما حصل لسحرة أدركوا وهم أصحاب المستوى العالي في هذا الفن أن ما جاء به موسى لا يستطيعه إنسان ولا هو من صنعه<sup>(٢)</sup> ، وإلا فأين أدوات سحرة ، والسحر إذا بطل بقيت أدواته .

قال تعالى ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿<sup>(٥)</sup> [الشعراء: ٤٦-٤٨] وقوله في سورة طه ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه: ٧٠] فكان إيمانهم أمرا عظيما جدا وبرهانا قاطعا للعدر ، وحجة دامغة على أن موسى - عليه السلام - رسول من رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق والمعجزة الباهرة ، فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله ، فعدل إلى المكابرة والعناد و دعوى الباطل فشرع يتهددهم ويتوعدهم ويقول ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ [طه: ٧١] و [الشعراء: ٤٩] وقال ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ [الأعراف: ١٢٣] واعتبر إيمانهم خيانة له ولدولته ، وهو في الحقيقة النهاية له ولملكه الذي طالما استبد به وظلم وطغى وتجبر . وكان لا بد له من مخرج أمام الحاضرين فقال ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ [الشعراء: ٤٩] وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها ، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم صناعة السحر ؟ ثم توعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب<sup>(٦)</sup> .

وانظر إلى اتهام فرعون اللعين كيف قلب الحقيقة إلى مغالطة تحفظ له ماء وجهه أمام الجمهور ، فهو بمغالطته كأنه يقول : لا تظنوا أن سجود السحرة هذا كان عن

(١) تفسير ابن كثير (١٦٦/٣) والآية من سورة طه آية (٦٩) .

(٢) تفسير سورة الأعراف للبهي الخولي ص "١٠٩" .

(٣) وفي سورة الأعراف ( وألقى ) من آية (١٢٠-١٢٢) .

(٤) تفسير ابن كثير (٣٤٧/٣) .

رؤية حقيقة رأوها من موسى ، إنما سر ذلك هو أنهم جميعاً أعدوا مؤامرة في الخفاء هدفها الإطاحة بنظام الحكم ، وهذا يعني إخراجكم من أرضكم أيضاً .

فلا تسمعوا له ولا تطيعوه ولا تغتروا بإيمان السحرة ، فهو إيمان لا يعتد به لأنهم آمنوا بموسى قبل أن آذن لهم ، وسيرون عاقبته العادلة على يدي من تقطيع للأيدي والأرجل وتصليب على جذوع النخل .

قال تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣-١٢٤] .

فأجاب السحرة على تهديد فرعون بما لم يكن متوقعا لدي فرعون وملئه ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [٧٦] إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [٧٧] إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [٧٨] وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [٧٩] جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [٨٠] [طه: ٧٢-٧٦] .

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ [٨١] إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِئَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١] .

وقال أيضاً ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] .

كان رد السحرة هو الرد الحاسم الذي يصفع كبريائه ويرد على طغيانه ؛ لأن الله قد أظهر لهم الحق فخالطت بشاشته قلوبهم ، فكان لسان حالهم جميعاً يقول ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ [طه: ٧٢] فلن نتنازل عن إيماننا ولن نكفر بالله بعد أن عرفنا الحق وهدانا ربنا إليه ، فلن نفضل السلامة منك على ما رأينا من حجة الله وآياته المبينات ، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت <sup>(١)</sup> .

وما تهددنا به من القتل والصلب فإنما هو عذاب في سبيل الله أولاً ، وثانياً فغاية

(١) تفسير ابن كثير (١٦٧/٣) .



ما تملكه منا هي هذه الأجساد تعذبها كيف تشاء ، وأقصى ما تستطيعه هو إزهاق هذه الأرواح فتعجل لقاءها ربها وهو ما تتوق إليه وتتمناه .

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥١] أي : ونحن نطمع بموقفنا هذا السباق إلى الإيمان والثبات عليه أن يغفر لنا خطايانا وما قارفنا من الذنوب والخطايا ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٦٥] أي : خير لنا منك وأدوم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا<sup>(١)</sup> .

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى... ﴾ [طه: ٧٤] قال ابن كثير : « الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة فرعون يحذرونه من نقمة الله وعذابه السرمدي ، ويرغبونه في ثوابه الأبدي<sup>(٢)</sup> .

وبعد هذا كله يتوجه السحرة إلى الله - تعالى - داعين ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] هكذا أفرغه إفراغا بتثيتك إيانا على الإيمان كما يفرغ الماء من القرب حتى لا يبقى في قلوبنا شيء من خوف غيرك ، ولا من الرجاء فيما سوى فضلك ، وتوفنا إليك حال كوننا مسلمين لك ، مدعنين لأمرك ونهيك ، مستسلمين لقضائك ، غير مفتونين بتهديد فرعون ، وغير مطيعين له في قول ولا فعل<sup>(٣)</sup> . فما كان من فرعون وقد سمع جوابهم إلا أن ينفذ فيهم ما هددهم به ؛ فقتلهم وصلبهم على النيل . قال ابن عباس رضي الله عنه : « أصبحوا سحرة ، وأمسوا شهداء »<sup>(٤)</sup> .

رابعا : فرعون يريد قتل موسى ويصد عن قبول النصيحة .

قامت بطانة السوء تحرض فرعون على موسى وقومه وتقول له ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنْقَتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] .

أي : أترك موسى وقومه آمنين أحرارا لتكون عاقبتهم أن يفسدوا قومك عليك في أرض مصر : إما بإدخالهم في دينهم أو جعلهم تحت سلطانهم ، ويتركك مع آلهتك فيظهر عجزك لرعيتك وعجز آلهتك ، وقد رأيت ما كان من أمر إيمان السحرة - إذ الظاهر من السياق أن هذا القول كان بعد قصة السحرة ، وجمهور المفسرين على أن

(١) تفسير ابن كثير (١٦٧/٣) .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) تفسير المنار (٧٧/٩) .

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٣٦/١٣) حيث روى هذا الأثر من ثلاث طرق يقوي بعضها بعضا .

وانظر : تفسير ابن كثير (١٦٧/٣) ، الدر المنثور (٢٠٠/٣) .

المراد بتركه وآلهته عدم عبادته وعبادتها قال فرعون ﴿ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي : كما كنا نفعل من قبل ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي : مستعلون بالغلبة والسلطان قاهرون لهم كما كنا من قبل ، فلا يستطيعون إفسادا في أرضنا ولا خروجا من حظيرة تعبيدنا إياهم<sup>(١)</sup> .

والقصد من هذا التحريض كما هو معلوم أن الملائم المتفعون المباشرون من النظام المنغمسون في تلك النعم والخيرات ، فلو آمن الناس ضاعت مكاسبهم وجفت معاشهم وانهار البناء فوق رؤوسهم ( بالطبع في زعمهم ) .

وتحت هذا الضغط أراد فرعون قتل موسى كما ذكر الله عنه قوله ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] ذكر المفسرون أن فرعون كان إذا هم بقتل موسى كفوه عنه ومنعوه منه ، وقالوا له : ليس هذا بالذي تخافه فإنه أقل من ذلك وأضعف ، وما هو إلا بعض السحرة ؛ فلو قتلته أدخلت الشبهة على الناس ، واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة .

والظاهر من دهاء اللعين أنه كان قد استيقن أنه نبي ، وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ، ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك .

فكان قوله ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ [غافر: ٢٦] تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الكافون له عن قتله ، ولولا هم لقتله ، والحقيقة أنه ما كان يكفه إلا ما في نفسه من الفرع الهائل بدليل أن قوله ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ ليس من ألفاظ الجبابة الواثقين من أنفسهم المتمكنين من إنفاذ أوامرهم وأيضا دفاع الرجل المؤمن عنه دون أن يمسه بأذى .

﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ [غافر: ٢٦] أي : لا أبالي بدعائه ، ثم رجع إلى قومه ينصحهم مظهرا الإشفاق عليهم ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ [غافر: ٢٦] فيغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] ويقصد بذلك

(١) تفسير المنار (٧٩/٩) ؛ تفسير القاسمي (٢٣٤/٧ ، ٢٣٥) ؛ وفي تفسير الثعالبي (٤٥/٢) معناها (أي : في المنزلة والتمكن من الدنيا) وهذا منه تجلد ، وإلا فقد قال فيما أخبر الله عنه ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٤-٥٦] .

انعدام الأمن الذي تتعطل بسببه المزارع والمكاسب والمعاش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال : إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه ، أو أن يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه<sup>(١)</sup> .

فلما سمع موسى ذلك استعاذ بالله الذي هو ربه ورب قومه فقال ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] وفي ذلك بعث لقومه على أن يقتدوا به فيعودوا بالله عياده ، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه من كل متكبر من الجبابرة سواء كان فرعون أو غيره<sup>(٢)</sup> .

فقام رجل<sup>(٣)</sup> من قومه يكتم إيمانه وقال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] .

فعندما قال فرعون ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ [غافر: ٢٦] أخذت الرجل غصبة لله - عز وجل - ، وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨] أي : كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله ، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق .

ثم إنه تنزل معهم في المخاطبة قطعا للججاج الجدال فقال : ﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] وهذا من باب إبعاد التهمة عنه حين قدم الكاذب على

(١) تفسير الكشاف (٤/١٦٠، ١٦١) ؛ وانظر : (تفسير أبي السعود) (٧/٢٧٣، ٢٧٤) ؛ وتفسير فتح القدير (٤/٤٨٨) .

(٢) تفسير الكشاف (٤/١٦١) .

(٣) قال ابن كثير (٤/٨٤) : المشهود أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون ، قال السدي : كان ابن عم فرعون ، واختار هذا القول ابن جرير (٢١/٣٧٦) ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا ؛ لأن فرعون استمع لكلامه وكف عن قتل موسى ، ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لأنه منهم . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَنَزَّلُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص: ١٤] . انظر : تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٢٦٦) ؛ تفسير ابن كثير (٤/٨٤) وعزاه لابن جرير ولم أجده .

الصادق ، ويعني بقوله : إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به ؛ فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه ، فإن يك كاذبا فإن الله - سبحانه وتعالى - سيجازيه على كذبه ، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصيبكم بعض الذي يعدكم من عذاب الدنيا والآخرة - ، فهذا الكلام من الرجل المؤمن كلام منصف في مقاله ؛ غير مشتط فيه ؛ لأنه سلك معهم طريق الإنصاف في القول ومناصحة لهم وجاءهم بما هو أقرب إلى تسليمهم لقوله ، وأقرب في تصديقهم له وقبولهم منه<sup>(١)</sup> ، وعلى كل فينبغي عليهم أن يتركوا موسى وشأنه ولا يتعرضوا له بسوء يدعوا قومه ويرشدهم ما شاء كيف شاء .

وقد جاءت نصيحة هذا الرجل المؤمن موافقة لما قاله نبي الله موسى من قبل لفرعون وقومه في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ قِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ أَنْ أَذُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿ [الدخان: ١٧-٢٠] .

الشاهد : أن الرجل المؤمن كرر قولة موسى ، وإن لم تؤمنوا لي فلا تعرضوا لي ، واطركوني ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا<sup>(٢)</sup> ، والقرآن يفسر بعضه بعضا .

ثم أخذ يحذر قومه في صورة من صور النصح فيقول لهم ﴿ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ [غافر: ٢٩] .  
أي : قال لهم : يا قوم قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والسلطان ، ونفاد الكلمة ،

(١) قال الزمخشري : في عبارة الرجل المؤمن ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨] وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه ، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ، ولكنه أردفه ﴿ يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام ، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالخصا من ورائه ، وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل ، وكذلك ما سيأتي في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] تفسير الكشاف (١٦٣/٤) ؛ وانظر : (تفسير ابن كثير) (٨٤/٤) ، تفسير الرازي (٥٨، ٥٧/٢٧) ؛ تفسير أبي السعود (٢٧٤/٧) ؛ وتفسير القاسمي (٢٣٢/١٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٥٢/٤) .

والجاء العريض ؛ فراعوا هذه النعمة بشكر الله عليها ، واحذروا نعمة الله إن كذبتكم رسوله ؛ و كأن قلب هذا الرجل المؤمن بدأ يشعر من أن بأس الله أقرب لأصحاب الملك والسلطان في الأرض ، فهم أحق الناس بأن يحذروه ويتقوه وأن يبيتوا منه على وجل ، فهو يتربص بهم في كل لحظة من لحظات الليل والنهار .

فإن بقيتم على ما أنتم ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ [غافر: ٢٩] جاعلا نفسه معهم - لأنه منهم في القرابة ، فكأنه يقول لهم : إن جنودكم وعساكركم لا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أراد إنزال العذاب بنا بسبب كفركم وعنادكم<sup>(١)</sup> .

فكان رد الطاغية ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] أي : ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي من الثبات والاستمرار على تكذيب موسى والإيمان بي ، وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الصواب والصلاح ، وقد كذب في كل هذا فإنه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَابِرٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] فقلوه ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ ﴾ [غافر: ٢٩] كذب فيه وافتري وخان الله - تبارك وتعالى - ورسوله ﷺ ورعيته فغشهم وما نصحهم ، وكذا قوله ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] وكذب أيضا وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه قال تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٧] وقال جلت عظمتة ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه: ٧٩] وفي الحديث « ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يحرق رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام »<sup>(٢)</sup> .

ومع كل ما سبق من نصائح فلا زال ثمة أمل لرجوع قومه إلى صوابهم ؛ فاستمر في التحذير والنصيحة والوعظ قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ

(١) تفسير الكشاف (٤/١٦٤) ؛ تفسير الرازي (٢٧/٥٩) ؛ تفسير ابن كثير (٤/٨٥) ، في ظلال القرآن (٥/٣٠٧٩ ، ٣٠٨٠) .

(٢) انظر : (تفسير ابن كثير) (٤/٨٥) ، والحديث رواه البخاري - كتاب الأحكام باب من استرعى رعية فلم ينصح (٤/٣٣١) برقم [٧١٥٠، ٧١٥١] ، مسلم كتاب الإيمان - باب استحقاق الوالي ، الغاش لرعيته النار (١/١٢٥) برقم [١٤٢] .

عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ [غافر: ٣٠-٣١] وهنا يتجلى وضوح إيمان الرجل المؤمن أكثر من ذي قبل ، فأنت تراه في هذه الآيات يحذر قومه مصير من سبقهم من الأمم وكيف حل بهم بأس الله ، وما رده عنهم راد ، ولا صده عنهم صاد ؛ بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسله ، وأن سننه في المكذبين واحدة ، وأنه يخاف أن يصيهم مثل ما أصابهم .

ثم قال لهم ﴿ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ [غافر: ٣٢-٣٣] ثم حذرهم يوم القيامة ، وما ستكون فيه من أهوال يفر منها الناس هارين من الفرع ينادى بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup> .

ثم وبخهم على تكذيبهم برسالة يوسف الذي أتاهم بالمعجزات فشكوا فيها لم يزلوا شاكين كافرين حتى توفي يوسف - عليه السلام - ؛ فقالوا من عند أنفسهم ﴿ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ [غافر: ٣٤] تكذيباً مسبقاً بأي رسول سيأتي من بعده ، وليس معنى ذلك التصديق برسالته وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته<sup>(٢)</sup> .

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٦﴾ [غافر: ٣٤-٣٥] .

ثم تراه في الآية الثانية يشتد في مواجهتهم بمقت الله ومقت المؤمنين لمن يجادل في آيات الله بغير حجة ولا برهان . وهم يفعلون هذا في أبشع صورة ، ويندد بالتكبر والتعبر ، وينذر بطمس الله لقلوب المتكبرين<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٨٥/٤) .

(٢) تفسير الكشاف (١٦٦/٤) .

(٣) في ظلال القرآن (٣٠٨١/٥) .

ثم أمام مراوغات فرعون ، واستهتاره ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة بعدما دعا القوم إلى إتباعه في الطريق إلى الله ، وهو طريق الرشاد وكشف لهم عن قيمة هذه الحياة الزائلة ، وشوقهم إلى نعيم الحياة الباقية وحذرهم عذاب الآخرة ، وبين لهم ما في عقيدة الشرك من زيف وبطلان .

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٧٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٧٩﴾ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَبَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٨٠﴾ \* وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٨١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٨٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَن مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٨٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٨٤﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ غافر: ٣٨-٤٥ ] .

الآيات تتحدث عن استمرار الرجل المؤمن في وعظه ؛ حيث دعاهم إلى الاقتداء به في الدين والبعد عن ما يسخط الله ويجلب الشقاء في الآخرة ، ثم ذكرهم بأمر لا يعرفه إلا من خالط الإيمان شغاف قلبه ، وهو أن جزاء فعل السيئة له حساب وتقدير لكلا يزيد على استحقاقها ؛ فقال : ﴿ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [ غافر: ٤٠ ] وأما جزاء العمل الصالح فغير تقدير ؛ بل بما شاء الله تعالى من الزيادة على ما يستحقه هنا العمل الصالح من الجزاء ؛ لأن هذه الزيادة فضل والله ذو الفضل العظيم <sup>(١)</sup> .

وأخيرا ترى الرجل المؤمن يكرر نداء قومه لما في ذلك من تنبيه لهم وإيقاظ من غفلتهم لأنهم قومه وعشيرته ، وما هو إلا واحد منهم ويريد لهم الخير ، ويجزئه أن لا يستجيب له أحد ، فسرورهم سروره ، وغمهم غمه ، وهذا يستدعي أن لا يهتموه ، فكرر النصيحة لهم كما كرر إبراهيم - عليه السلام - نصيحة أبيه بقوله ( يا أبت ) .

وفي نصيحته يدعو قومه إلى النجاة من النار ؛ لأن ما دعوه إليه من الكفر والشرك

(١) (تفسير الكشاف) (٤/١٦٨) ؛ (تفسير الرازي) (٢٧/٧٠) .

وسيلة وسبب لدخول النار ، ثم بين لهم الفرق بين الدعوة للنجاة من النار والدعوة للدخول إليها .

فما دعاهم إليه من عبادة الله وحده وسيلة لدخول الجنة ونجاة من النار ، وأما دعوتهم له فهي دعوة إلى الكفر والشرك وهي وسيلة للدخول إلى النار ، فلا شك أن الذي تدعوني إليه لا يجب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وليس له قدر لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ومرجعنا جميعا إلى الله فيجازي كلا بعمله ، فأى عاقل يجوز له عقله الاشتغال بعبادة غير عبادة الله الذي لا بد أن يكون مرجعه إليه ، وأن جزاء المشركين في الآخرة هو دخول النار<sup>(١)</sup> .

وماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسية في العقيدة ؟ وقد جهر بها الرجل في مواجهة فرعون وملاه بلا تردد ولا تلثم ، بعد ما كان يكتنم إيمانه فلا يبقى إلا أن يفوض أمره إلى الله . وقد قال كلمته وأراح ضميره ، مهددا إياهم بأنهم سيذكرون كلامه هذا في موقف لا تنفع فيه الذكرى ﴿ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [ غافر: ٤٤ ] .

فكما خوفهم خوفوه . فقال : ﴿ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [ غافر: ٤٤ ] فيهدي من يستحق الإضلال وله الحكمة البالغة والحجة التامة ﴿ فَوَقَّلهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا ﴾ [ غافر: ٤٥ ] فنجاه الله تعالى مع موسى - عليه السلام - ، وأما في الآخرة فبالجنة ، وأما آل فرعون فباللعنة والغرق في الدنيا ثم أشد العذاب في نار جهنم ، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة ؛ فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار<sup>(٢)</sup> .

خامسا : ما حصل له ولقومه قبل العقوبة الفاصلة

وفيها :

أ - ابتلاء آل فرعون بالشدائد .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ [ الأعراف: ١٣٠ ] .

(١) (تفسير ابن عطية) (٤٨/١٣) ؛ (تفسير ابن كثير) (٨٧/٤) ؛ (التفسير الكبير) (للرازي) (٧١/٢٧) .

(٢) انظر : (تفسير ابن عطية) (٥٠/١٣) ؛ (تفسير ابن كثير) (٨٧/٤ ، ٨٨) ؛ (التفسير الكبير) (للرازي) (٧١/٢٧) .



ابتلي آل فرعون بالسنين (وهو : القحط والجذب) وخص آل فرعون لأنهم هم المعاندون لموسى - عليه السلام - في الأصل ، ووقعه على غيرهم بالتبع لهم ؛ لإقرارهم على الظلم فضلا عن متابعتهم له في الكفر والشرك بالله ، وكان حقا عليهم أن لا يقبلوا استعباد فرعون لهم وجعلهم آلة لطغيانه .

وإنما أخذهم الله بالسنين ، ونقص من الثمرات ؛ لعلمهم يتعظون بأن ما أصابهم هو بسبب كفرهم وإسنادهم لظلم فرعون ، فما عليهم إلا الإقلاع عن ذلك ويتوبوا ويؤمنوا بما جاء به موسى - عليه السلام - من ربه فيزول عنهم عذاب القحط ، والجذب ، ونقص الثمرات . وحكمة ذلك : أن الناس وقت الشدائد يضرعون إلى الله وترق قلوبهم ، وربما حملهم على الإيمان بالله وترك ما هم فيه من الكفر والظلم والعصيان ، ولكنهم لشدة جهلهم وضلالهم وتبعيتهم رموا شؤم ما أصابهم إلى موسى - عليه السلام - ومن آمن به .

قال تعالى عنهم ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَٰغَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١] .

أي : إذا جاءهم الخصب والسعة في الرزق قالوا هذا لنا بما نستحقه ، فإذا أصابهم الجذب والقحط قالوا هذا بشؤم موسى ومن معه ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَٰغَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي : ما قدر عليهم فهو كله من عند الله ؛ بسبب ذنوبهم وكفرهم وعصيانهم لا من عند موسى وقومه<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك لم يتعظوا بل زادهم ذلك عتوا ، وعنادا ، وإصرارا على الباطل في قولهم ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٢] أي : يقولون أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها فلن نقبلها منك ولن نؤمن بك ولا بما جئت به<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : تفسير الزمخشري (١٤٤/٢) ؛ تفسير ابن عطية (٤٧/٦) ؛ تفسير ابن كثير (٢٤٩/٢) ؛ تفسير القرطبي (٢٦٤/٧ ، ٢٦٧) ؛ تفسير المنار (٨٧/٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢٥٠/٢) .

وفي هذه الآية بيان لإصرار قوم فرعون على كفرهم حتى بعد إيمان كبار السحرة بعد ما تبين لهم أن ما جاء به موسى حق من عند الله وليس من السحر<sup>(١)</sup>.

### ب - ابتلاء فرعون وقومه بمصائب جديدة .

كان من لطف الله - تعالى - بعباده المؤمنين<sup>(٢)</sup> ، أنه أنزل على فرعون وقومه عددا من الكوارث والنكبات فشغلوا بها عن تعذيب المؤمنين واضطهادهم حتى إنهم في كل مرة يطلبون من موسى - عليه السلام - أن يسأل الله - تعالى - أن يرفعها عنهم .

وكما رأينا من قبل أن الله - تعالى - ابتلاههم بالسنين ونقص الثمرات إلا أنهم استمروا في طغيانهم وعنادهم وفسادهم ، فابتلاههم الله بما ذكره بعدها في قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أي : المطر<sup>(٣)</sup> ، حتى خافوا الهلاك فأتوا موسى فقالوا : يا موسى . ادع لنا ربك : أن يكشف عنا المطر إنا نؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه فكشف عنهم المطر فأثبت الله به حرثهم ، وأخصب به بلادهم ، فقالوا : ما نحب أنا لم نمطر بترك ديننا فلم نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل ! فأرسل عليهم الجراد ، فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك (أن يكشف عنا الجراد إنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل) فدعا ربه : فكشف عنهم الجراد ، وكان قد بقي من زرعهم ومعاشهم بقاية ، فقالوا : قد

(١) تفسير المنار (٨٧/٩) .

(٢) أي موسى ومن آمن به .

(٣) قال الطبري في تفسيره ، بعد عرض أقوال أهل التأويل (١٣/٥٢-٥٣) والصواب في ذلك عندي ما قاله ابن عباس أنه أمر من الله طاف بهم ، وأنه مصدر من قول القائل طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا ، وإذا كان ذلك كذلك ، جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد ، وجاز أن يكون المطر الذريع . وفي معنى الطوفان ثلاثة أقوال عند المفسرين : قيل : إنه الماء . روي ذلك عن ابن عباس وإليه ذهب سعيد بن جبر ، وقتادة والضحاك وأبو مالك ، ومقاتل ، واختاره الفراء وابن قتيبة .

والثاني : أنه الموت . روي ذلك عن عائشة - رضي الله عنها - وبه قال مجاهد - وعطاء ، ووهب بن منبه .

والثالث : الطاعون . نقل عن مجاهد ووهب بن منبه - انظر - زاد المسير (١٦٩/٣) .

وقد أثبت المعنى الأول ؛ لكثرة القائلين به ، وإلا فإنه يصدق عليه جميع ذلك . وانظر : (تفسير القرطبي) (٢٦٧/٧) . وقال ابن عطية : « هو عام في كل شيء يطوف إلا أن استعمال العرب له أكثر في الماء والمطر الشديد » .

بقي لنا ما هو كافينا ، فلن نأمن لك ، ولن نرسل معك بني إسرائيل ، فأرسل الله عليهم القمل<sup>(١)</sup> وهو الدبى ، ففتبع ما كان ترك الجراد ، فجزعوا وأحسوا بالحلاك ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى ، فإننا سنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل ! فدعا ربه فكشف عنهم الدبى ، فقالوا : ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأ بيوتهم منها ، ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله ، إنها كانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم ، وتطفئ نيرانهم ، قالوا يا موسى : ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع ، فقد لقينا منها بلاء وأذى لا نؤمن لك ، ولا نرسل معك بني إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الدم<sup>(٢)</sup> ، فجعلوا لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم فإننا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ! فدعى ربه ، فكشف عنهم الدم ، فقالوا : يا موسى لن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بني إسرائيل ! فكانت آيات مفصلات بعضها أثر بعض ، ليكون لله عليهم حجة ، فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم في اليم<sup>(٣)</sup> .

قال تعالى بعد ذكر هذه الشدائد ﴿ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] أي : مبینات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره ، وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم ، أو فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم ، و ينظر أیستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم

(١) ذكر في معناه سبعة أقوال : أحدها : أنه السوس الذي يقع في الحنطة ، روى ذلك ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبیر .

الثاني أنه الدبى وهو أولاد الجراد . رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعطاء وقتادة .

الثالث : أنه دواب سود صغار ، قاله الحسن وسعيد بن جبیر .

الرابع : إنه الجعلان . قاله : حبيب بن أبي ثابت .

الخامس : أنه القمل ، ذكره عطاء الخرساني وزيد بن أسلم .

السادس : أنه البراغيث ، حكاه ابن زيد أي (عبدالرحمن بن زيد بن أسلم) .

السابع : أنه الحمnan ، واحدها حمنانة وهو ضرب من القردان ، قاله أبو عبيد - انظر : (زاد المسير) (١٦٩/٣) .

وقد جمع النحاس بين ذلك كله فقال : يجوز أن تكون هذه الأشياء كلها أرسلت عليهم ، وهي أنها تجتمع في أنها تؤذيهم : معاني القرآن للنحاس (٧٠/٣) ، وانظر : (القرطبي) (٢٧٠/٧) .

(٢) وقيل : أخذهم الرعاف . انظر : (تفسير ابن عطية) (٥٢/٦) ؛ انظر : (تفسير الكشاف)

(١٤٨/٢) ؛ وانظر : تفسير النسفي المسمى (عمدراك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات

عبدالله النسفي (٧٢/٢) ؛ زاد المسير (١٦٩/٣) ؛ البحر المحيط (٣٧٣/٤) وما ذكرناه عليه قال عنه ابن الجوزي : إنه قول الجمهور (١٦٩/٣) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٦١/١٣-٦٢) صحيفة علي بن طلحة عن ابن عباس ص "٢٣٤، ٢٣٣"

ينكثون إلزاماً للحجة عليهم . فما كان منهم إلا أن ترفعوا عن الإيمان بالله تعالى بالرغم من عظم ما رأوا من الآيات الدالة على صدق رسوله ؛ لكنهم كانوا عريقين في الإجرام على الله أولاً ثم على عباده<sup>(١)</sup> .

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدَعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ﴿١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٥] .

أي : فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد مرة إلى أجل هم بالغوه ومنتھون إليه في كل مرة مما حصل لهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، أو على ما قال قوم من المفسرين<sup>(٢)</sup> : أنه الطاعون أنزله فيهم فحصد خلقاً كثيراً ، فقالوا عند نزول كل نوع أو عند نزول عذاب الطاعون : يا موسى ادع ربك بالذي عهد به إليك أن تدعوه فيستجيب لك الدعاء ونحن نقسم لك لئن كشفت عنه لنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل .

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٥] .

أي : فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد مرة إلى أجل هم بالغوه ومنتھون إليه في كل مرة منها إذا هم ينكثون عهدهم ويحنثون في قسمهم<sup>(٣)</sup> .

قال صاحب الظلال : « جمع السياق الآيات كلها ، كأنما جاءتهم مرة واحدة ، وكأنما وقع النكث منهم مرة واحدة . ذلك أن التجارب كلها كانت واحدة ، وكانت نهاياتها واحدة كذلك . وهي طريقة من طرق العرض القرآني للقصص ، يجمع فيها البدايات لتماثلها ، ويجمع فيها النهايات لتماثلها كذلك . ذلك

(١) انظر : تفسير الكشاف (١٤٨/٢) ، وقال ابن عطية (٥٢/٦) : المراد أن هذه الأنواع من العذاب لم تجئ جملة ولا متصلة ، إنما جاءت مفرقة بالزمن ، وانظر : تفسير القرطبي (٢٧١/٧) ؛ تفسير زاد المسير (١٧٠/٣) ؛ تفسير الوسيط في تفسير القرآن (٤٠٠/٢) ؛ تفسير البحر المحیط (٣٧٣، ٣٧٢/٤) .

(٢) قال صاحب زاد المسير (١٧٠/٣) في معنى قول الله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي : نزل بهم العذاب ، وفي معنى العذاب قولان :

أحدهما : أنه طاعون أهلكت منهم سبعين ألفاً - قاله ابن عباس وسعيد بن جبیر .

الثاني : أنه العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك قاله ابن زيد . أي : (عبدالرحمن ابن زيد) وانظر : (تفسير ابن عطية) (٥٢/٦) .

(٣) تفسير القرطبي (٢٧١/٧) ، تفسير النسفي (٧٣/٢) ، تفسير المنار (٩٥/٩) .

أن القلب المغلق المطموس يتلقى التجارب المتنوعة وكأنها واحدة ، لا يستفيد منها شيئا ، ولا يجد فيها عبرة «<sup>(١)</sup> فكان لا بد من الانتقام منه ومن قومه .

### سادسا : إعداد موسى بني إسرائيل للخروج من مصر

كما مر معنا من قبل في أن فرعون وأمام التحريض والتهيج له من الملاء أمر بتقتيل أبناء بني إسرائيل مرة أخرى ، ليحتث عروقهم عن آخرها مع مرور الزمن ، هنا جاء دور موسى كما كان من قبل في التخفيف عن قومه وبث روح الأمل في نفوسهم ؛ لئلا يضعفوا ويخافوا ويرضوا بما هم فيه من المهانة والظلم .

قال تعالى ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْآرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

قال لهم موسى ذلك حين قال فرعون : سنقتل أبناءهم فجزعوا وتضجرُوا فجعل موسى يسكنهم ويسليهم ، ويعدهم النصر عليهم وأن الله سيورثهم أرضهم وديارهم . ولكن عليهم أن يصبروا فإن العاقبة المحمودة لهم ولا ينال ذلك إلا بالاستعانة بالله والصبر على ما يصيبهم من أذى في سبيل الله<sup>(٢)</sup> ، ولذلك كان الالتزام بهاتين الصفتين الاستعانة بالله والصبر من باب التقوى كما كانت ركيزة هامة للقاعدة الإيمانية التي تبعثها وهي ﴿ إِنَّا الْآرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] . إن الأرض ليست ملكا لأحد لا فرعون ولا غيره مهما بلغ هذا الغير من القوة أو الضعف ، بل هي لله - تعالى - يتصرف فيها كيف يشاء أخذا وعطاء ، ويورثها من يشاء مؤمنا أو كافرا ، ولكن المهم جدا أن العاقبة دائما وأبدا للمتقين ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٥٨) .

(٢) وردت الاستعانة في القرآن الكريم ثلاث مرات - اثنتان منها في حق بني إسرائيل في سورة (البقرة) و (الأعراف) أما ما في سورة (البقرة) في قوله تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥] ، وفي سورة (الأعراف) في قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْآرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

وأما الثالثة فعامية لهم ولغيرهم في سورة (البقرة) أيضا في قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] .

(٣) انظر : (تفسير الكشاف) (٢/ ١٤٣) ؛ وانظر : (تفسير ابن كثير) (٢/ ٢٤٩) .

وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١﴾ [الحج: ٤١] .  
ومع كل هذا إلا أن بني إسرائيل ردوا عليه قائلين ﴿أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩] يعنون : أنهم لم يستفيدوا من إرساله ، فلا فرق بين الحالين ، وما علموا أن استعبادهم من قبل كان احتقارا وامتهانا لهم ، والاستعباد الثاني كان في سبيل الله ، وشتان بين من يعذب ولا يؤجر ومن يعذب ليزداد رفعة ومثوبة عند الله !! .

وهذه الكلمة بحد ذاتها أكبر من أن تقال لموسى الذي يدافع عنهم ويريد خلاصهم دون أجر يطلبه منهم - فكان الأليق بهم رد أمرهم إلى الله وطلب النصرة منه الذي يملك مقاليد الأمور ويعلم خفايا الصدور عز وجل .

إنها كما يقول صاحب الظلال : « كلمات ذات ظل ! وإنها لتشي بما وراءها من تبرم ! أودينا قبل مجيئك وما تغير شيء بمجيئك وطال هذا الأذى حتى ما تبدوا له نهاية ! » ﴿٢﴾ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿[الأعراف: ١٢٩] لكن موسى - عليه السلام - لا تؤثر فيه هذه الكلمات - وهو النبي المؤيد العالم بأنه لا بد أن ينقشع هذا الظلام ليتحول إلى صبح يحمد أهل السرى - .

فيمضي يذكرهم بالله ويلحق رجاءهم ويلوح لهم بالأمل في هلاك عدوهم ويجعلهم خلفاء في الأرض التي وعدهم إياها والتي يمنعكم فرعون من الخروج إليها فينظر سبحانه كيف تعملون . هل ستشكرون النعمة أم تكفرون ، وهل تصلحون في الأرض أم تفسدون ؟ ليجازيكم في الدنيا والآخرة بما تعملون ﴿٣﴾ .

وعلى هذا الخوف من فرعون وملئه لم يؤمن لموسى ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣] ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ ﴿٤﴾ أي : إلا أولاد قومه من الشبان

(١) انظر : تفسير سورة (الأعراف) للبهي الخولي ص (١١٥) ؛ في ظلال القرآن (٣/١٣٥٥) .

(٢) في ظلال القرآن (٣/١٣٥٥) .

(٣) تفسير المنار (٩/٨٢) ؛ دعوة الرسل للعدوى ص (١٩٠) وانظر : (تفسير ابن كثير) (٢/٢٤٩) ، وتفسير أبي السعود (٢/٢٦٣) .

(٤) الضمير في (قومه) عائد إلى بني إسرائيل على الصحيح ؛ لأنه يعود إلى أقرب المذكورين ، وهذا قول مجاهد . وضعف القول الآخر القائل بعوده إلى فرعون وذريته ومؤمن آل فرعون وامراته آسية وخازنه ، وماشطته وهذا بعيد - انظر : (تفسير أبي السعود) (٤/١٧٠) .

حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون ، ومن ملأه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر ؛ لأنه كان جبارا عنيدا مسرفا في التمرد والعتو ، وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفا شديدا<sup>(١)</sup> .

فقال لهم موسى ﴿ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤] والاعتماد عليه إن كانوا مؤمنين بالله مطيعين له مستسلمين منقادين لأوامره ؛ فكان في هذا رفع لمعنوياتهم واستعداداتهم النفسية لمواجهة المحنة وتحمل الإيذاء في سبيل الله ، وحتى تهذب هذه النفوس من كل حظوظها لتصبح خالصة لله وأهلا للهجرة في سبيله .

فكانت إجابتهم في هذه المرة حاسمة وسريعة على عكس ما اعتدنا عليه من قبل ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [يونس: ٨٥] ثم توجهوا لله تعالى يدعونه ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٥] أي : لا تسلطهم علينا فيفتنوننا ، ولا تفتنا بهم فتتولى عن اتباع نبيك أو نضعف فيه فرارا من شدة ظلمهم لنا ، ولا تفتنهم بنا فيزدادوا كفرا وعنادا وظلما بظهورهم علينا ، ويظنوا أنهم على الحق وأننا دعاة الباطل ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٦] أي : نجنا برحمتك وإحسانك من سلطان وتسلط وحكم الكافرين ؛ لأن حكم الكافر لا يطاق<sup>(٢)</sup> .

وقد دعوا بهذا الدعاء ؛ لأن التوكل على الله أعظم علامات الإيمان ، لا يكمل إلا بالصبر على الشدائد . بل إن الدعاء لا ينافي التوكل على الله ؛ بل هو أدل على الاعتماد على الله ، والمؤمن لا يتمنى البلاء ولكن يثبت عند اللقاء ، ثم إن الدعاء أصلا لا يستجاب إلا مع الطاعة واتخاذ الأسباب قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] وكثيرا ما يقرن الله بين العبادة والتوكل كقوله ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَنُ ءَامِنًا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾<sup>(٣)</sup> [الملك: ٢٩] .

(١) ومن آمن بموسى كما مر معنا (الرجل المؤمن ، ومن النساء : زوجة فرعون التي قالت ﴿ رَبِّ أَبْنِ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِيْ مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِيْ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ [التحریم: ١١] وانظر : (تفسير ابن كثير) (٤٤٣/٢) ؛ تفسير أبي السعود (١٧٠/٤) ؛ وانظر : (في ظلال القرآن) (١٨١٥/٣) ؛ التفسير الميسر (٢٤٤/١١) .

(٢) تفسير المنار (٤٧١/١١) ؛ وانظر تفسير ابن كثير (٤٤٤/٢) .

(٣) والمرجع التفسير المنير (٢٤٦/١١) ، في ظلال القرآن (١٨١٦/٣) .

وأمام هذا البناء الروحي والنفسي ، وأمام الالتزام بهذه المعاني الإيمانية من استجابة لله ورسوله ودعاء وتضرع ، صاحب ذلك البناء الروحي الاتجاه إلى البناء العملي ، فأوحى الله إلى نبيه موسى - عليه السلام - وأخيه هارون ﴿ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧] أي : اتخذوا لبني إسرائيل بيوتا<sup>(١)</sup> ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ [يونس: ٨٧] أي : قبل القبلة ، أو مساجد أو يقابل بعضها بعضا يقيموا فيها الصلاة ، فيسهل على موسى إيصال التوجيهات النبوية إليهم ، ويتسنى له أيضا فرزهم وتنظيمهم استعدادا للرحيل من مصر في الوقت المختار ، وكلفهم تطهير بيوتهم وتركية نفوسهم والاستبشار بنصر الله . وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية ، وهما معا ضروريتان للأفراد والجماعات وبخاصة قبيل المعارك والمشقات<sup>(٢)</sup> .

قال ابن كثير : وكأن هذا - والله أعلم - لما اشتد بهم بلاء فرعون وقومه وضيقوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾<sup>(٣)</sup> [البقرة: ١٥٣] وفي الحديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى »<sup>(٤)</sup> .

(١) تفسير الثعالبي (١٨٩/٢) .

(٢) في ظلال القرآن (١٨١٦/٣) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤٤٤/٢) .

وهذا يذكرنا بما كان عليه المؤمنون في صدر الإسلام حين كان الخائف منهم يصلي خفية ، ويذكرنا أيضا بما حصل للمسلمين في الدول الشيوعية الكافرة الملحدة في الجمهوريات الإسلامية وغيرها . انظر كتاب : (الكيد الأحمر) لـ عبدالرحمن الميداني - الفصل الخامس - نكبات المسلمين على أيدي الشيوعيين ص (٢٥١) ، قال ابن القيم في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾ [يونس: ٨٧] : « هو من أحسن النظم وأبدعه ، فإنه ثنى أولا إذ كان موسى وهارون هما الرسولان المطاعان ، ويجب على بني إسرائيل طاعة كل واحد منهما سواء ، وإذا تبوأ البيوت لقومهما فهم لهما تبع . وجمع الضمير فقال ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [يونس: ٨٧] لأن إقامتها فرض على الجميع ، ثم وحده في قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧] لأن موسى هو الأصل في الرسالة وأخوه ردؤه ووزيره . وكما كان موسى الأصل في الرسالة فهو الأصل في البشارة » .

(٤) رواه أحمد (٣٨٨/١) برقم [٢٣٣٤٧] عن حذيفة ، ورواه أبو داود - كتاب الصلاة - باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل (٧٨/٢) برقم (١٣١٩) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٢) برقم [٨٥٠، ٨٤٩] ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٥/١) برقم [١١٧١] ، وفي صحيح الجامع الصغير (٢١٥/٤) برقم [٤٥٧٩] ، وانظر : مشكاة المصابيح تحقيق الألباني (٤١٦/١) برقم [١٣٢٠] ، وانظر كلام الشيخ مقبل الوادعي عليه... ، تفسير ابن كثير (١٦٧/١) بتحقيقه ، ط دار الراهية .



ثم إن موسى - عليه السلام - بعد أن اتخذ كل هذه الخطوات العظيمة في تربية المؤمنين وفي دعوة فرعون وملاه من قبل ، ولما رأى من إصرار فرعون وقومه على الكفر والضلال والعناد والجحود ، إضافة إلى اغتصاب ممتلكات بني إسرائيل واستعمالها ضدهم توجه هو وأخوه بالدعاء عليهم .

قال تعالى عنه ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ <sup>(١)</sup> [يونس: ٨٨] .

قال ابن كثير : هذه الدعوة كانت من موسى - عليه السلام - غضبا لله ولدينه على فرعون وملاه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح - عليه السلام - فقال ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ <sup>(٢)</sup> إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ <sup>(٣)</sup> [نوح: ٢٦-٢٧] .  
ومعنى الآية :

يخبر الله تعالى عن أن موسى - عليه السلام - قال ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٨٨] أي : أعطيت فرعون وأشراف قومه وكبراءهم زينة من حلي ولباس وأثاث ورياش وأموال كثيرة ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ <sup>(٣)</sup> [يونس: ٨٨] أي : ليفتنن بما أعطيتهم من شئت من خلقك ليظن

(١) الطمس : محو الآثار حتى لا يرى أو لا يعرف . والمعنى : حتى يعدموا الانتفاع بها فيذوقوا ذل الحاجة ، سواء بالحق بالآفات أو الانتقاص من المكاسب والثمرات أو بأي وسيلة تحقق عدم انتفاعهم بها واستعماله في الضلال والإضلال . تفسير المنار (١١/٤٧٣) ؛ وانظر : (المفردات للراغب الأصفهاني) ص (٣١٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٥) والآيات من سورة نوح من آية (٢٦ ، ٢٧) .

(٣) اللام في (ليضلوا) لام العاقبة أو الصيرورة كقوله تعالى ﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] فكانت عاقبة قوم فرعون هو الضلال ، ويحتمل أن تكون لام التعليل ، لكن بحسب ظاهر الأمر لا في الحقيقة نفسها ، بمعنى أنه تعالى لما أعطاهم هذه الأموال ، وصارت سببا لمزيد البغي والكفر أشبهت هذه الحالة حالة من أعطي المال لأجل الإضلال ، فورد هذا الكلام بلفظ التعليل لأجل هذا المعنى . التفسير المنير (١١/٢٥٢) ، وانظر : (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) ، ابن القيم (٢/٩٠، ٩١) ط مكتبة السوادي للتوزيع .

من أغويته أنك إنما أعطيتهم هذا لحبك إياهم واعتناك بهم ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [يونس: ٨٨] .

أي : امحق وأزل آثارها وأهلها ﴿ وَأَشَدُّدْ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ ﴾ [يونس: ٨٨] أي : اطع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان فيستحقوا شديد العقاب وأليمه<sup>(١)</sup> .  
قال ابن القيم : وهذا الشد وهذه التقسية من كمال عدل الرب - سبحانه وتعالى - في أعدائه ، فإنه جعله عقوبة لهم على كفرهم وإعراضهم كعقوبته لهم بالمصائب ولهذا كان محمودا ، فهو حسن منه ، وأقبح شيء منهم ، فإنه عدل منه وحكمة ، وهو ظلم منهم وسفه . فالقضاء والقدر فعل عادل حكيم غني عليم يضع الخير والشر في أليق المواضع لهما<sup>(٢)</sup> .

قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾<sup>(٣)</sup> [يونس: ٨٩] أي : استجبنا دعاءكما وقبلناه كما سألتما من تدمير فرعون وملاه ﴿ فَاسْتَقِيمَا ﴾ أي : كما أجيبت دعوتكما فاستقيما على أمري وعلى ما أنتما عليه من الدعوة إلى الحق ، وإلزام الحجة ، ومن إعداد بني إسرائيل للخروج بهم من مصر ، لا تستعجلا الأمر قبل أوانه فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٩] أي : طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعدي فيأتي منجزه لرسلي<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : (زاد المسير) (٤/٤٩) ، تفسير القرطبي (٨/٣٧٤) ، تفسير أبي حيان (٥/١٨٦) ، تفسير القاسمي (٩/٧٣) .

(٢) شفاء العليل لابن القيم (١/٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(٣) حيث كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه - ويجوز أنهما كانا يدعوان جميعا - انظر : (تفسير الكشاف) (٢/٣٦٦) ؛ تفسير ابن كثير (٢/٤٤٥) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٥) ؛ تفسير الكشاف (٢/٣٦٦) ؛ تفسير ابن عطية (٧/٢٠٤ ، ٢٠٨) ؛ تفسير المنار (١١/٤٧٣ ، ٤٧٤) ؛ التفسير المنير (١١/٢٥٢) .

## نوع العقوبة

## الإغراق :

بدأت مرحلة هذا المشهد بوحي من العليم لنبيه موسى - عليه السلام - بعد استجابة الله - تعالى - لدعائه هو وأخوه أن يطمس الله على أموالهم ، ويشدد على قلوبهم ؛ بأن يخرج بيني إسرائيل ليلا من مصر دون أن يعلم أحد من الأقباط بذلك وأن يمضي بهم حيث يؤمر ، وليعلم بأن فرعون سيتبعه بجنوده ليقضي الله فيه أمره كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٢] ونص على أن السري يكون ليلا في آية أخرى بقوله ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ [الدخان: ٢٣] وكان السري أول الليل ، وذلك ليتماذوا ، ويتمهلوا في ذهابهم ، ثم علل ذلك الاختيار بقوله ﴿ إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ - فوقع كما أخبر ، فإنهم لما أصبحوا إذا بنو إسرائيل قد سروا كلهم مع موسى <sup>(١)</sup> .

فعندما بلغ فرعون خبر خروجهم غاظه ذلك وظن أنهم خرجوا ليجمعوا شملهم ويستكملوا قوتهم فيعودوا إلى مهاجمته ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٥٣] أي : سريعا في المدائن من يجمع لهم الجند الكثيف ، والجيش الكثير ليردهم إلى العبودية وقال : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٤-٥٦] وانظر إلى كلمة ﴿ حَاشِرِينَ ﴾ في أنها توحى بإكراه فرعون المحشورين على مشاركته فيما يريد فعله ؛ لأنهم كانوا يجمعونهم بعنف <sup>(٢)</sup> .

فلما تكامل جمعهم قال لهم ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ أراد عدو الله بالقلة الذلة ، لا قلة العدد . فهم لقلتهم أمام كثرتهم لا يبالي بهم ولا تتوقع غلبتهم <sup>(٣)</sup> ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٥] أي : بما فجعونا به من أنفسهم وما استعاروه من

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٦٦/٣) ، ولا توجد رواية ثابتة تحصي عددهم ،

إلا أنه من المؤكد أنهم أقل من عدد جنود فرعون .

(٢) تفسير النسفي (١٨٤/٣) ، وانظر : نظم الدرر (٣٨/١٤ ، ٣٩) .

(٣) نفس المصدر (١٨٥/٣) وانظر التفسير الواضح (٤٧/٢) .

الزينة من أواني الذهب والفضة وفاخر الكسوة فلا رحمة في قلوبكم تحميهم<sup>(١)</sup> ، وهذا أسلوب تحريض قصد به إيغار صدورهم على موسى وقومه ، ثم أضاف بكبر وغرور وشموخ أنف ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦] أي : يقظون محددون حذرنا باستمرار ؛ فنحن لا نزال على أهبة القتال ، ولا نسمح أن نؤخذ على غرة - وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور<sup>(٢)</sup> .

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> [الشعراء: ٦٠] أي : فلاحق فرعون وجنوده ببني إسرائيل وقت شروق الشمس من صبيحة الليلة التي سار فيها بنو إسرائيل - وهذا من تقدير العزيز العليم الذي أخرجهم جميعا في ليلة واحدة ، فكان ذلك من الخارق للعادة الذي يعجز الملوك مثله ؛ فياله من حشر ما أسرعه ! وجهاز ما أوسعاه ! واستمروا إلى أن لحقوهم عند البحر الأحمر قريبا من خليج السويس<sup>(٤)</sup> .

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] أي : تقاربا بحيث يرى كل واحد منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي : لهالكون على أيديهم وواقعون في قبضتهم فكيف النجاة<sup>(٥)</sup> ؟ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] أي : ارتدعوا عن سوء الظن بالله ، فلن يدركوكم ؛ لأن الله وعدكم الخلاص منهم ، وإن ربي سيهديني إلى طريق النجاة منهم .

(١) تفسير نظم الدرر (٣٩/١٤) .

(٢) انظر : (تفسير النسفي) (١٨٥/٣) ؛ نظم الدرر (٤٠/١٤) .

(٣) يقال : تبعت القوم فأتبعهم أي : تلوتهم فلحقتهم ، كأن المعنى : فجعلتهم تابعين لي بعدما كنت تابعا لهم . تفسير الألوسي (٨٤/١٩) ؛ وانظر : معجم مقاييس اللغة (٣٦٢/١) ؛ المعجم الوسيط (٨١/١) - د/ إبراهيم أنيس وآخرون ، ط المكتبة الإسلامية - إستانبول - تركيا .  
مشرقين : قال أبو عبيد : هو من أشرق إذا توجه نحو الشروق كأنجد توجه نحو نجد ، وأغرق توجه نحو العراق والجمهور على الأول - تفسير الألوسي (٨٤/١٩) ، وانظره في تفسير الرازي (١٣٨/٢٤) .

(٤) وهو في الغالب عند التقاء خليج السويس بمنطقة البحيرات - انظر : (في ظلال القرآن) (٢٥٩٧/٥) وقيل : النيل انظر : تفسير النسفي (١٨٥/٣) وخطأ أبو حيان هذا القول وقال : وأخطأ من قال : إنه نيل مصر . انظره في تفسيره : (البحر المحيط) (٣٧٦/٤) .

(٥) انظر : تفسير الألوسي (٨٤/١٩) وهذا في نظري أي قول بني إسرائيل ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] ضعف يقين منهم وإلا فقد شاهدوا بأمر أعينهم آيات عظام قبلها - وكان الأولى أن لا يتزعزع الإيمان في هذا الموطن بل يزيد ارتباطهم ، ودعاهم الله أكثر مما سبق .  
ولذا رد عليهم موسى - عليه السلام - ردا شديدا بقوله : كلاً أي : ارتدعوا عن هذا القول ولا تعيدوه .

وهنا نلاحظ في قوله ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] ملحظاً أنه لم يقل : معي ومعكم ؛ لأنهم بقولهم السالف لم يكونوا أهلاً للمعية<sup>(١)</sup> ، وهذا هو التوكل بعينه الذي يحصل به المطلوب ويندفع المكروه<sup>(٢)</sup> ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] وعند ابن أبي شيبة التوكل على الله جماع الإيمان<sup>(٣)</sup> وفي لفظ جميع الإيمان<sup>(٤)</sup> .  
قال تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ<sup>(٥)</sup> فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] .

أي : ولما وصل موسى وقومه إلى ساحل البحر ومن ورائهم فرعون وجنوده أوحى الله - تعالى - إلى موسى ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣] فانفلق فكان كل فرق منه كالجبل الكبير .

وهنا تتدخل العناية الإلهية في اللحظة الحاسمة وفي وقت الخوف والهلوع وقت اليأس لتنجي عباد الله ، وتهلك أعداءه ؛ قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠] ، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي : كالجبل العظيم البالغ الشموخ في عنان السماء ، ويخبرنا الله في آية أخرى أن أرضية البحر ليست تماماً لتصبح صالحة للمسير قال تعالى ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] وإنما فعل الله ذلك ليطمئن بنو إسرائيل لهذه الطرق ، فلا يتعلق بقلوبهم خوف منها ، وليغري بذلك فرعون وجنوده بملاحقتهم لما أراد الله بهم من عقوبة ، ﴿وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤] أي : قربنا من البحر فرعون وجنوده ، وأدنيانهم إليه فدخلوا فيه على أثر بني إسرائيل<sup>(٦)</sup> .

(١) تفسير الألوسي (٨٥/١٩) .

(٢) انظر : مدارج السالكين (١٢٦/٢) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ، أبوبكر عبدالله بن محمد (٧٦/٦) برقم (٢٩٥٨٩) و (٢٠٢/٧) برقم (٣٥٣٤٢) ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، وانظر : شعب الإيمان (١١١/٢) برقم (١٣٢٤) .

(٤) كتاب الدعاء للضبي (أبي عبدالرحمن محمد بن الفضيل (٢٣٠/١) برقم (٥٩) ، الطبعة الأولى ، بتحقيق : د/ عبدالعزيز البعيمي .

(٥) قال صاحب اللسان : « والفرق من الشيء إذا انفلق منه ، ومنه قوله تعالى ﴿فَأَنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] ، أراد : فانفلق البحر فصار كالجبال العظام وصاروا في قراره (٢٤٤/١٠) » .

وقال الراغب : الفرق : يشبه الفلق ، لكن الفلق يقال باعتبار الانشقاق ، والفرق باعتبار الانفصال ص (٣٩١) .

(٦) وفي تفرق الماء وذهابه معجزة عظيمة حصلت أمام فرعون وجنوده ، وكانت كفيلة أيضاً ببرد فرعون وجنوده عن طغيانهم ، ومع ذلك لم يستفيدوا منها ؛ لأن الله طمس بصائرهم وأغلق قلوبهم عن قبول الحق .

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥] بأن خرجوا من الشط الثاني سالمين ، وأوحى الله إلى موسى بـ ﴿وَاتَّركِ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ [الدخان: ٢٤] أي : ساكنا حتى يدخل فيه فرعون وقومه ، فلما انتهى إليه فرعون رأى ما رأى هاله هذا المنظر العظيم وتحقق له ، وما كان يتحققه قبل ، وعرف أن هذا من عند الله حقا ، وندم حيث لا ينفع الندم ، ولكن ماذا يفعل الآن ، ، فأظهر لجنده تجلدا وعاملهم معاملة العدا ، وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه وعلى باطله تابعوه : انظروا كيف انحسر البحر لي ؛ لأدرك عبيدي الآبقين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدي ، وجعل يوري في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو وهيئات ويقدم تارة ويحجم تارات<sup>(١)</sup> قال تعالى ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ [يونس: ٩٠] .

ثم إنه عزم على اللحوق بموسى وقومه ؛ فنزلوا البحر حتى إذا تم نزولهم جاء أمر الله ﴿فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَاشَيْهِمْ﴾ [طه: ٧٨] وانطبق البحر عليهم وداهمتهم أمواجه وأيقنوا الهلاك ؛ صاح فرعون يلتمس النجاة من شدة الهول الذي أحاط به كما اعتاد من قبل عند نزول الآيات<sup>(٢)</sup> ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> [يونس: ٩٠] فآمن حيث لا ينفعه الإيمان ؛ لأنه إيمان وقت مشاهدة العذاب ؛ لأن من سنن الله - تعالى - الجارية في البشر أن التوبة لا تقبل وقت نزول العذاب .

قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [١١] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥] .

ولهذا قال الله لفرعون حين قال ما قال ﴿ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١] أي : أتؤمن الآن وفي وقت لا ينفع فيه الإيمان ، وقد عصيت الله كثيرا ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] في الأرض الضالين المضلين عن الإيمان<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : (البداية والنهاية) (٢٧٢/١) .

(٢) انظر : (تفسير المنار) (٤٧٦/١١) .

(٣) في الآية دلالة على أن البحر لم ينطبق عليه دفعة واحدة - تفسير المنار (٥/١١) .

(٤) انظر : (تفسير الزمخشري) (٣٦٨، ٣٦٩) ؛ تفسير ابن كثير (٤٤٥، ٤٤٦) ؛ تفسير المنار

(١١/٤٧٥ ، ٤٧٦) ؛ تفسير القاسمي (٧٤/٩ ، ٧٥) ؛ والتفسير الواضح (٧٢/٢) .

ثم بين تعالى صنعه بفرعون من بين سائر الغارقين من قومه ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ ﴾<sup>(١)</sup> [يونس: ٩٢] أي : نلقي بك بعدوة من الأرض بدنا لا روحا ؛ ليعلم من عبدوك ومن رفعوك عن قدرك ومن أضللتهم ضعفك وحقارتك ، أو ليعلم من رآك أنك أنت بعينك فلا يشك فيما نزل بك .

وفي التعبير عن إخراجه من القعر إلى الشاطئ بالتنجية التي هي الخلاص من المكروه تهكم واستهزاء ﴿ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ [يونس: ٩٢] من الأمم الكافرة عبرة من التمرد والطغيان على أوامر الله تعالى ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢] أي : معرضون عن تأمل آياتنا والتفكر فيها<sup>(٢)</sup> .

وهكذا كانت عاقبة الظلم والإفساد في الأرض دمرها الله ، ودمر أصحابها معها ؛ لما يريد الله - تعالى - من تمكين عباده في الأرض قال تعالى ﴿ وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُّونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] أي : وأورثنا بني إسرائيل ( قوم موسى ) الذين كانوا يعانون من ظلم فرعون ﴿ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وهي الأرض المباركة في بلاد الشام وليست مصر ؛ لأنهم لم يرجعوا إليها بعد خروجهم منها ، وموسى بين أظهرهم<sup>(٣)</sup> ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] إما بالنصر والتمكين في الأرض وهي قوله تعالى ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۖ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [ القصص: ٥-٦ ]

(١) قيل : (بدرعك المعروفة المصنوعة من الذهب) انظر : تفسير النسفي (١٧٥/٢) ؛ وانظر : (تفسير البغوي) (١٤٩/٤) .

(٢) انظر : (تفسير الزمخشري) (٣٦٨/٢ ، ٣٦٩) ؛ تفسير ابن كثير (٤٤٥/٢ ، ٤٤٦) ؛ تفسير المنار (١١/٤٧٥ ، ٤٧٦) ؛ تفسير القاسمي (٧٥، ٧٤/٩) ؛ والتفسير الواضح (٧٢/٢) .

(٣) يؤيد ذلك ما ذهب إليه صاحب الظلال حيث قال : « ولا يعرف أن بني إسرائيل عادوا إلى مصر بعد خروجهم إلى الأرض المقدسة ، وورثوا ملك مصر وكنوز فرعون ومقامه . لذلك يقول المفسرون : إنهم ورثوا مثل ما كان لفرعون وملئه ، فهي وراثته لنوع ما كانوا فيه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم » (٢٥٩٨/٥ ، ٣٢١٤) .

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧] أي : إنما حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله - تعالى - به عليهم من إنجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دين الله وأذى فرعون<sup>(١)</sup> ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧] من العمارات والبنیان والمزارع وبما فصله في قوله ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتٍ وَعَيُْونٍ﴾ ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩] وفي قوله ﴿كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيُْونٍ﴾ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَلَکِهِنَّ﴾ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩] أي : لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم ، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم<sup>(٢)</sup> ، وهكذا هلك الطغاة ولم يكن لهم في ميزان الله من شيء ، ولم ييال الله بهم حيث هلكوا فقد كانوا أحقر وأذل على الله - تعالى - من أن يذكر اسمهم في القرآن إلا للعبرة والعظة ، وانظر إلى قوله تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصاص: ٤٠] أي : أغرقناهم في صبيحة يوم واحد فلم يبق منهم أحد . وتعبير القرآن الكريم بـ ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ من الكلام المفخم الذي يدل على عظمة الله - تعالى - وكبرياء سلطانه ، فقد شبههم استحقاقا لهم واستقلالا بعددهم وإن كانوا كثيرين بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر<sup>(٣)</sup> ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انتَقِمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخَرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦] .

(١) تفسير الخازن (٢٤٣/٢) ، تفسير ابن كثير (٢٥٢/٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٥٣/٤) .

(٣) تفسير الكشاف (٤١٥/٣) .



## المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عرض قصة موسى وعقوبات

## فرعون وقومه

أولا : الحاكم الظالم يخاف دائما من ثورة شعبه ، فتراه كثيرا ما يتحسس الأخبار عنهم ، ويرسل العيون عليهم ، ويصدق بالكذبة ويأخذ بالظنة ، ويقتل بآفته سبب . وهذا ما رأيناه من خلال عرض قصة موسى حين ولادته ؛ فقد ولد في وقت كان الظالم فرعون يقتل فيه الأبناء ، ويستحيي فيه النساء يقتل الأبناء بدون ذنب ؛ لخوفه كما زعم من أنه سيولد في بني إسرائيل من يقضي عليه ويأخذ ملكه .

بينما الحاكم العادل لا يخاف إلا من الله ولا يسير إلا على منهج الله ويحكم بكتاب الله ، ويتبع سنة رسول الله ؛ ليكون محبوبا من الله ، ثم من الملائكة ومن الناس . عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلانا فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض »<sup>(١)</sup> .

ثانيا : من لطف الله - تعالى - بأم موسى أن ألهمها بما سلم به ابنها من القتل وبما بشرها به من رده إليها ؛ بأن كانت ترضعه وتأخذ عليه أجرا ؛ تحقيقا لوعده الله ﴿ إِنَّا رَأَوْهُ إِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [ القصص: ٧ ] وبذلك وبغيره يعلم أن ألطاف الله على أوليائه لا تتصورها العقول ، ولا تعبر عنها العبارات ، فكم من أمر كرهه الإنسان وكان قضاء الله فيه خيرا له قال تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [ البقرة: ٢١٦ ] فعلى الدعاة إلى الله - تعالى - استغلال مثل هذه المواقف لتذكير الناس بأن الفرج بعد الشدة سيأتي سريعا ؛ كما حصل لأم موسى ، أو بعد حين ، فعلى المسلم أن يكثر من التضرع والتوسل والدعاء فيما يحل به من بؤس ، أو ضرر

(١) رواه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة (٤٢٤/٢) برقم [ ٣٢٠٩ ] .

ورواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أحب الله عبدا (٢٣٠/٤) برقم [ ٢٦٣٧ ] وزاد « وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، ثم توضع له البغضاء في الأرض » .

أو مرض إلى الله ، ولا يستعجل الإجابة فإن الله لا مكره له<sup>(١)</sup> ، وأنه إذا أراد شيئا هيا أسبابه بالتدريج لا دفعة واحدة<sup>(٢)</sup> .

ثالثا : أن ما حصل للأمم السابقين إنما يستفيد منها ويستنير بها المؤمنون ، وما ذكر من القصص في القرآن هدفه العبرة والعظة لمن كان له قلب كما قال تعالى ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ القصص: ٣ ] .

رابعا : أن الأمة المستضعفة مهما بلغت في الضعف لا ينبغي أن يستولي عليها الكسل عن السعي في حقوقها ولا اليأس من الارتقاء إلى معالي الأمور خصوصا إذا كانوا مظلومين ، كما علمنا من إنقاذ الله لبني إسرائيل على ضعفها ، واستعبادها لفرعون وملئه منهم ، ومكثهم في الأرض وملكهم بلادهم وآتاهم ما لم يئوت أحدا من العالمين<sup>(٣)</sup> فعلى الأمم والجماعات المطالبة بحقوقها السعي لإيجاد السبل لتخليصها من القهر والظلم وإذا علم الله صدق توجههم هداهم سبله قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ العنكبوت: ٦٩ ] .

خامسا : من أعظم نعم الله على العبد تثبيت الله للعبد المؤمن وقت المخاوف والكروب ، ولولا ذلك لضاع فكره وذهل عقله .

هذه أم موسى كاد قلبها أن يطير وقاربت أن تظهر أمره لولا أن الله ثبتها وصبرها وملاً قلبها بالإيمان والاطمئنان والسكينة .

وقد أخذ العلماء من ذلك ( أن الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله كما جرى لأم موسى ولموسى نفسه حين أخرج<sup>(٤)</sup> ) .

سادسا : الأخذ بالأسباب في فعل الخير مطلب شرعي ؛ لأنها من قدر الله ، فعلى

(١) لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لي » انظر : فتح الباري - كتاب الدعوات - باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (١١/١٦٩) برقم [٦٣٤٠] ورواه مسلم - كتاب الذكر - باب بيان أنه استجاب للداعي (٤/٢٠٩٥) برقم [٢٧٣٥] .

(٢) انظر : (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) ص "١٧٩" .

(٣) انظر المصدر نفسه ص (١٧٩) .

(٤) انظر : (التفسير المنير) (٢٠/٦٩) ؛ تفسير الكريم الرحمن ص "١٧٩" .

المسلم أن لا يهمل فعل ذلك ويركن إلى التواكل بزعم أنه يفعل التوكل<sup>(١)</sup> ، فهذه أم موسى أرسلت ابنتها لتقص خبر أخيها ، فكان فعلها سببا لرده إلى أمه ﴿فَرَدَدْتُهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: ١٣] .

سابعا : أن أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع جائز شرعا كما فعلت أم موسى ؛ لأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه<sup>(٢)</sup> .

ثامنا : القتل الخطأ ذنب ، بدليل وجوب الكفارة ؛ لما فيه من الإهمال أو التقصير أو لتجاوزه الحدود المألوفة . قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢] فهذا موسى صلى الله عليه وسلم - خاف من ذنبه هذا ، وطلب من الله تعالى المغفرة والصفح فغفر له . ومن ذلك نأخذ أن قتل الكافر المعاهد بعقد أو عرف لا يجوز .

ومن قتل نفسا بغير حق فإنه يعد من المفسدين الجبارين ، وإن زعم أنه مصلح حتى يرد الشرع بما يبيح قتل تلك النفس<sup>(٣)</sup> .

تاسعا : أن في دخول المعارك دون استعداد معنوي ومادي عصيانا لأمر الله القائل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] فمع الإيمان لا بد من قوة تدمر الشر وأهله وتنصر الحق وحزبه ، فهذا الذي سبب لموسى عليه السلام - المتاعب باسم بني إسرائيل ، قد دخل المعركة دون ظهر يحميه مثيرا للفتنة بكثرة اشتباكاتة التي لا تثمر بل تجر المشاكل الكثيرة على قومه ، وهم في غنى عنها بما يصيبهم من ويلات الاستعباد والإهانة الجماعية .

عاشرا : احتج أهل العلم بقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] منع خدمة أهل الجور ومعاونتهم في شيء

(١) الفرق بين التوكل والتواكل : التوكل : يقال : توكل بالأمر ، إذا ضمن القيام به . ووكلت أمري إلى فلان أي : ألقأته إليه واعتمدت فيه عليه - التواكل : يقال استعنت القوم فتواكلوا . أي : وكلني بعضهم إلى بعض - ويقال : رجل وكلة إذا كثر من الاتكال على غيره - النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير (٥/ ٢٢١ ، ٢٢٢) .

(٢) تيسير اللطيف المنان ص (١٧٩ ، ١٨٠) .

(٣) انظر تيسير اللطيف المنان ص "١٨٠" .

من أمرهم ، نص عليه عطاء بن أبي رباح<sup>(١)</sup> بقوله ( فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه ، وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معينا للظالمين ) وفي الحديث « من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلومته ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة يوم تزل الأقدام ، ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض فيه الأقدام »<sup>(٢)</sup> .

وفي الحديث أيضاً « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام »<sup>(٣)</sup> .

والمقصود أن إعانة الظالم على الظلم ظلم ، والواقع أن المسلمين عموماً إلا القليل منهم يغفلون عن حرمة وخطورة معونة الحاكم الظالم ، ومن هنا كان من أولويات واجبات الداعي المسلم - تبصير الأمة بجرمة وخطورة معونة الحاكم الظالم ؛ لأنه

(١) عطاء بن أبي رباح : هو الإمام أبو محمد : عطاء بن أبي رباح : أسلم ، وقيل : سالم بن صفوان المكي ، كان من أجلاء فقهاء التابعين بمكة ، أخذ العلم عن ابن عباس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وإليه وإلى مجاهد انتهت الفتوى بمكة في زمانهما ، وكان يصيح الصائح في الحج ( لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح ، توفي رحمه الله سنة (١١٥) من الهجرة ، وقيل بغيرها - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لأبي العباس : شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٢٦١/٣-٢٦٢) ؛ سير أعلام النبلاء (٧٨/٥ : ٨٨) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٦٣/١٣) ، حلية الأولياء (٣٤٨/٦) .

وهو في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (٨٣/٣) برقم [٥٦٠٤] مؤسسة الرسالة .

(٣) التاريخ الكبير لأبي عبد الله : محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٠/٤) برقم [٢٦٩٣] مؤسسة الكتب الثقافية (٢٥٠/٤) ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه : عياش بن مؤنس ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله وثقوا (٢٠٥/٤) وسنده عنده : حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن زبريق الحمصي حدثني أبي ثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم عن الزبيدي حدثنا عياش بن مؤنس أن أبا الحسن : نمران بن محمد حدثه أن أوس بن شرحبيل حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم به . والآحاد والمثاني (٢٤٩/٤) ، (٢٩٥/٥) ؛ الإصابة في تمييز الصحابة (١٥٥/١) إلا أنه قال : فقد خرج من الإيمان ؛ وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة - ابن حجر (١٧٦/١) ؛ انظر : (مسند الشهاب) لأبي عبد الله : محمد بن سلامة القضاعي عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مشى مع ظالم فقد أجرم يقول الله تعالى ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢] » (٢٤٣/١) ، ورواه الطبراني في الكبير (١١٢/٢٠) ؛ ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١٢٢/٦) ؛ ومعجم الصحابة لأبي الحسين : عبد الباقي بن قانع (٣٤/١) ط مكتبة الغرباء الأثرية ، وفي مسند الشاميين (للطبراني) (٢٧٦/٢) برقم [١٣٣٣] ط مؤسسة الرسالة .

ما كان ليستمّر في ظلمه وبغيه لولا معونة أعوانه ، ثم إن كثيرا من المسلمين لا يرون بأسا ولا تناقضا بين معونة الحاكم الظالم ، وبين الالتزام المطلوب بأحكام الإسلام ، وبهذا تراهم يصلون ويصومون بل يبنون المساجد وهم من أكثر الناس عوناً للحاكم الظالم ، وتنفيذا لأوامره الجائرة في حق الإسلام ودعائه .

لذا ينبغي لدعاة الإسلام تبصير الأمة بما ورد في النهي عن معونة الظالم ، وذكر الآيات الدالة على عدم الركون إليهم ومعاونتهم ، ويستدل بمثل قوله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] .

وقد جاء في تفسيرها : الركون : هو الميل اليسير إلى الشيء ، والنهي متناول للانحطاط في هوى الذين ظلموا ، والانقطاع إليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم وزيارتهم ، ومداهنتهم ، والرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم والتزي بزيهم ، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم<sup>(١)</sup> .

فإذا كان هذا داخلا في معنى الركون إلى الذين ظلموا المنهي عنه والمترتب عليه دخول النار فكيف بمن يعينهم فعلا على ظلمهم وينفذ أوامره الظالمة .

إن من يفعل ذلك يكون ظالما مثلهم ، وانظر إلى قول الله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨] فقد وصفهم الله جميعا بالخطيئة ، ومن خطيئتهم الظلم الذي كانوا يرتكبون في حق بني إسرائيل جميعا ، ويدل على ذلك أيضا : اشتراكهم جميعا في العذاب بما وقع عليهم من غضب الجبار - عز وجل - في أخذهم بالإغراق جميعا في البحر في الدنيا ، واستحقاقهم العذاب في عالم البرزخ إلى يوم القيامة كما قال تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] .

وأما في الآخرة فاسمع ما قال الله عنه وعنهم ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٧٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٩٧-٩٨] إنهم يعذبون جميعا في نار جهنم أشد العذاب وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فعلى من ابتلى بمثل هذا أن ينصح لهم ولا يتركهم ويتعلل ويتأول الأمور فيفتي نفسه ؛ لأن العقاب من الله يعم الجميع ، نعوذ بالله من ذلك ! .

(١) انظر تفسير الكشاف (٢/٤٣٣) .

عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه »<sup>(١)</sup>.

ثم إنه ينبغي للدعاة إلى الله - تعالى - التركيز على تقييح الظلم . وأهله في عيون الناس ؛ لئلا يغتروا بمعاونتهم أو حتى الدعاء لهم بطول البقاء أو بطول العمر ، ورد ذلك عن سفيان الثوري<sup>(٢)</sup> والحسن البصري<sup>(٣)</sup> - رحمهما الله تعالى - حيث قالوا : « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه »<sup>(٤)</sup> ومن الواضح أن معونة الحاكم الظالم أشد عصياناً لله - تعالى - من مجرد الدعاء ، فإذا نهى المسلم عن مجرد الدعاء للظالم فنهيه عن معونته أولى<sup>(٥)</sup> ، وعند الزمخشري أن سفيان الثوري سئل عن ظالم أشرف على الهلاك في برية ، هل يسقى شربة ماء ؟ فقال : لا ، قيل له : يموت ؟ فقال : دعه يموت<sup>(٦)</sup> . فإذا كان هذا في الظالم فالنهى عن معونة الحاكم الظالم لا شك أنها من باب أولى .

(١) رواه أحمد (٥/١ ، ٧ ، ٩) برقم (١٦ ، ٣٠ ، ٥٣) .

رواه أبو داود - كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي - (٥٠٩/٤ ، ٥١٠) برقم (٤٣٣٨) ورواه الترمذي وصححه - كتاب الفتن - ٨ - ماجاء في نزول العذاب إذا لم ينكر - (٤٦٧/٤) برقم (٢١٦٨ ، ٣٠٥٧) ، ورواه ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٣٢٧/٢) برقم (٤٠٠٥) ، ورواه ابن حبان في موارد الظمان - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٨٢٣/٢) برقم (١٨٣٧) ط مؤسسة الرسالة ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٥٤) .

(٢) سفيان الثوري : شيخ الإسلام ، إمام حافظ مجتهد ولد سنة (٩٧) هـ ، ومات سنة ١٦١ هـ انظر : (سير أعلام النبلاء) (٢٢٩/٧ ، ٢٧٩) ؛ وفيات الأعيان (٣٨٦/٢ ، ٣٩٠) .

(٣) الحسن البصري (أبوسعيد : الحسن بن أبي محمد يسار البصري مولى الأنصار ، وأمه (خيرة) مولاة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها من سبي ميسان ، وهي بين البصرة وواسط - سكن المدينة ، وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر ، فولد له الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وتوفي سنة (١١٠) هـ وعمره (٨٨) سنة رحمه الله . انظر : (سير أعلام النبلاء) (٥٦٣/٤ - ٥٨٨) ؛ تهذيب التهذيب (٢٣١/٢ : ٢٣٦) .

(٤) انظر : (شعب الإيمان) (٥٤/٧) ؛ حلية الأولياء (٤٦/٧) ؛ وذكره الزمخشري في الكشف عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤٣٣/٢) .

(٥) تفسير الكشاف (٤٣٣/٢ ، ٤٣٤) ولولا خشية الإطالة لأكثر من ضرب الأمثلة من الواقع .

(٦) نفس المصدر (٣٤/١) .

الحادي عشر : أنه إذا خاف التلف بالقتل بغير حق ، فلا يلقي بيده إلى التهلكة ويستسلم ، بل يفر إلى مكان آخر كما فعل موسى - صلى الله عليه وسلم - وكما فعل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - حين أراد قومه قتله ، فعلى كل من أودى من الدعاة إلى الله تعالى أو ضيق عليهم أو هددوا بالقتل أن يختاروا مرتعا آخر يروا أن فيه المصلحة إلى حين ؛ لأنه إذ كان لابد من ارتكاب إحدى مفسدتين تعين ارتكاب الأخف منهما الأسلم دفعا لما هو أعظم وأخطر<sup>(١)</sup> .

الثاني عشر : أن إخبار الغير بما قيل فيه وعنه على وجه التحذير له من شر يقع به لا يكون نعمة ؛ بل قد يكون واجبا كما ساق الله خبر ذلك الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى محذرا لموسى على وجه الثناء عليه<sup>(٢)</sup> ، وهكذا تكون رابطة الإيمان قوية بين المؤمنين أقوى من الاجتماع على طعام ، وأقوى من الملازمة للتعليم ، وأقوى من أخوة النسب .

الثالث عشر : اللجوء إلى الله - تعالى - في الرخاء والشدة شأن المؤمن ، فهذا موسى - صلى الله عليه وسلم - حين خرج خائفا لا يلوي على شيء يترقب الطلب دعا الله قائلا ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> [ القصص: ٢١ ] وهكذا المؤمن إذا وقع به كرب ، أو هم ، أو غم ؛ فإنه يفوض أمره إلى الله ويطلب من الله - تعالى - أن يهيء له أسباب الفرج ، وأن يفتح له أبواب الخير .

الرابع عشر : أخذ العلماء من قول الله تعالى على لسان موسى ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [ القصص: ٢٢ ] أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى العمل ، أو التحدث به ، إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يسأل ربه أن يهديه إلى الصواب من القولين بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه ، فإن الله لا يخيب من هذه حاله<sup>(٤)</sup> .

الخامس عشر : جواز خروج المرأة في حوائجها ، وتكليمها للرجال إذا انتفى المحذور كما صنعت أخت موسى وابنتا صاحب مدين<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : (تيسير اللطيف المنان) ص (١٨٠) .

(٢) تيسير اللطيف المنان ص (١٨٠) ، وانظر : (أيسر التفاسير) (٣/ ٣٨٩) .

(٣) انظر : (التفسير المنير) (٧٩/ ٢٠) .

(٤) تيسير اللطيف المنان ص "١٨٠" .

(٥) حيث جاءته أي موسى إحداهما على استحياء فكلمته بكلام أبيها مسترة بكم درعها ، كما قال ذلك عمر - رضي الله عنه - جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء ولاجة خراجه . قال ابن كثير : إسناده صحيح (٣/ ٣٩٦) .

ونأخذ من هذا أيضا أنه يجوز للمرأة أن تعمل خارج بيتها للضرورة ، والحاجة بالشروط المعروفة الخالية من المحاذير ؛ فعلى الدعاة حين التحدث عن مثل هذا ، أن ينبهوا الناس إلى أن الأصل للمرأة هو القرار في البيت ؛ إلا أنه يجوز لها عند الحاجة أن تخرج وأن تعمل إذا خلا ذلك العمل من المحاذير الشرعية .

**السادس عشر :** من الرحمة والإحسان على الخلق مساعدة المحتاج ، ولو لم يطلب ذلك كما فعل موسى - صلى الله عليه وسلم - حين سقى لبنتي الشيخ الكبير دون أجر ، فعلى الدعاة استغلال مثل هذه المواقف ؛ لأنها مؤثرة جدا في الدعوة إلى الله ، وتكسب الداعي إلى الله صحبة دائمة مع المدعو .

**السابع عشر :** أن الله - تعالى - كما يحب من السائل أن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته ونعمه العامة والخاصة ، فإنه يحب منه أن يتوسل إليه بضعفه وعجزه وفقره كما قال موسى عليه السلام ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] لما في ذلك من إظهار التضرع ، والمسكنة ، والافتقار لله القريب من كل عبد<sup>(١)</sup> .

وقول موسى ﴿ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] يشعرونا بهوان الدنيا على الله تعالى . وإلا فإنه يستطيع أن يعطي موسى ما يشاء ، ولكنه سبحانه رضي له ما يدخره له في الآخرة ، فعلى الدعاة إلى الله أن يلجؤا إلى الله - تعالى - إذا افتقروا ، وأن يتخذوا الأسباب الكافية بمعاشهم من تجارة أو تدريس ، أو إمامة ، وغير ذلك مما هو مشروع مع الرضا والتسليم .

**الثامن عشر :** أن العبد إذ عمل العمل لله خالصا ثم حصل على مكافأة عليه بغير قصده ؛ فإن هذا لا يقدر في فعله ولا يخل بإخلاصه ، كما قبل موسى مكافأة صاحب مدين<sup>(٢)</sup> ، وإن رد ذلك بحكم عدم احتياجه ، أو زهده فيه فهذا من كماله وورعه .

**التاسع عشر :** بيان أن الكفاءة شرط في العمل ، وقد استنبطتهما بنت الرجل الصالح من فعل وصفة موسى - صلى الله عليه وسلم - وهما : القوة البدنية والأمانة ؛ حيث قالت لأبيها ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] قال الشيخ

=

قال الجوهرى : السلف من الرجال الجسور أي : الجريء ، ومن النساء الجرية السليطة ، ومن النوق

الشديدة . تفسير ابن كثير (٣/٣٩٦) .

(١) تيسير اللطيف المنان . ص "١٨١" .

(٢) تيسير اللطيف المنان . ص "١٨١" .



السعدي رحمه الله « هذان الوصفان بهما تمام الأعمال كلها ، فكل عمل من الولايات ، أو من الخدمات ، أو من الصناعات التي القصد منها الحفظ والمراقبة على العمال والأعمال إذا جمع الإنسان الوصفين ، أن يكون قويا على ذلك العمل بحسب أحوال الأعمال ، وأن يكون مؤتمنا عليه ، تم ذلك العمل وحصل مقصوده وثمرته ، والخلل والنقص سببه الإخلال بهما أو بأحدهما »<sup>(١)</sup> .

**العشرون :** دل قوله تعالى ﴿ يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرُّهُ ﴾ [القصص: ٢٦] على مشروعية الإجارة على كل عمل معلوم ، وأن مرد ذلك إلى العرف ، وأنه تجوز الإجارة وتكون المنفعة البضع كما قال صاحب مدين ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ [القصص: ٢٧] وأنه يجوز للإنسان عرض ابنته على الرجل لخطبتها ولا عيب ولا نقص في ذلك . كما فعل صاحب مدين ، وكما عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر ثم عرضها بعد ذلك على عثمان - وكما عرضت الواهبة نفسها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ففي صحيح البخاري عن ابن عمر قال « لما تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة السهمي »<sup>(٢)</sup> وكان من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر في أمري « الحديث وكذلك فعل مع أبي بكر لكنه امتنع ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكرها بخير فلم يفش سره . والمقصود أنه لا غضاضة في أن يعرض الإنسان موليته على أهل الخير ، وقد بوب البخاري بابا بذلك ؛ فقال : « باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير »<sup>(٣)</sup> .

**الحادي والعشرون :** من أعظم مكارم الأخلاق تحسين الخلق مع كل من يتصل بالإنسان المسلم من خدم ، وأجراء وزوجة ، وولد وغيرهم ، ومن ذلك تخفيف العمل على العامل ، ومساعدته إذا كثر عليه العمل ، أو زيادة أجره ؛ كما قال صالح مدين ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾ [القصص: ٢٧] ومنها أيضا ، ترغيب العامل في معاملته ، إما صراحة أو تعريضا . كأن يقول : اسأل عني ، أو لم يتذمر أحد مني ونحو ذلك . بشرط أن يكون كما قال صالح مدين ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧] .

(١) تيسير اللطيف المنان ص "١٨١" .

(٢) من المهاجرين الأولين وهو زوج حفصة بنت عمر قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرًا وأحدا ، وأصابه جراحة بأحد فمات منها . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن حجر (١٤٧/٢) ، طبعة دار الشعب ، وانظر : الجرح والتعديل (٣/٣٩٤) .

(٣) كتاب النكاح - باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير (٣/٣٦٨) برقم [٥١٢٢] .

**الثاني والعشرون :** مشروعية عقد المعاملات من إجارة وغيرها بغير إشهد ، والاكتفاء بإشهد الله عليها ؛ بمثل ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾<sup>(١)</sup> [ القصص: ٢٨ ] إلا أنه حصل في هذه الأزمنة كثير من خراب الذمم وإنكار الحقوق واغتصابها بحجة عدم الإثبات ، فالأفضل للإشهد وتقييد ذلك بوثائق تحفظ عن طريق المحاكم والدواوين . لما فيها من فض المنازعات وحفظ الحقوق .

**الثالث والعشرون :** دلت آية ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ بِإِيجَابٍ مُّتَّفِقٍ هَلْ تَدْرِي مَا يُلْفَىٰ إِنْ مَنَعَ الْحَقُّ أَنْ يُعْطَىٰ وَهِيَ كَالْأَحْجَرِ الْكَاسِيَةِ ﴾<sup>(٢)</sup> [ القصص: ٢٧ ] على اجتماع عقدين هما : الإجارة والزواج<sup>(٣)</sup> ، قال الخطابي : « إن منافع الحر قد يجوز أن يكون صداقا كأعيان الأموال ، ويدخل فيه الإجارة وما كان في معناها من خياطة ثوب ونقل متاع ونحو ذلك من الأمور »<sup>(٤)</sup> .

**الرابع والعشرون :** فضل موسى - صلى الله عليه وسلم - حيث أجر نفسه على شعب بطنه ، وعفة فرجه ، وقضى أوفى الأجلين<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : (أيسر التفاسير أبي بكر الجزائري) (٣/٣٩٤) .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٤٧٦) حيث قال : -

اختلف علماؤنا في ذلك على أربعة أقوال : الأول : قال في ثمانية أبي زيد : يكره ابتداء فإن وقع مضي .

الثاني : قال مالك وابن القاسم في المشهور : لا يجوز ، ويفسخ قبل الدخول وبعده الثالث : أجازاه أشهب وأصبع ، الرابع : قال محمد : قال ابن الماجشون : إن بقي بعد المبيع ، يعني من القيمة ربع دينار يقابل البضع جاز النكاح وإلا لم يجز ، ثم قال بعد توجيه هذه الأقوال : والصحيح جوازه وعليه تدل الآية ، وقد قال مالك : النكاح أشبه شيء بالبيع ، فأى فرق بين إجارة وبيع أو بيع ونكاح ، وهو شبهه إلا من جهة الرجلين يجمعان سلعتهما وإذا كانتا لرجل واحد جاز والعاقده هنا واحد ، وهو الولي .

(٣) سنن أبي داود (٢/٥٨٦ ، ٥٨٧) في شرح الخطابي لحديث (زوجتكها بما معك من القرآن) الذي أخرجه البخاري في النكاح - باب التزويج على القرآن وبغير صداق (٣/٣٧٥) برقم (٥١٤٩) . ومسلم في النكاح - باب الصداق (٢/١٠٤٠) برقم [١٤٢٥] .

(٤) لما في صحيح البخاري (إن سعيد بن جبير سأل ابن عباس : أي الأجلين قضى موسى ؟ فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل) فتح الباري - كتاب الشهادات - باب من أمر بإنجاز الوعد ، وفعله الحسن (٥/٣٦٢ ، ٣٦٣) برقم [٢٦٨٤] .

**الخامس والعشرون :** أيد الله موسى - صلى الله عليه وسلم - بمعجزات عدة : منها : انقلاب العصا إلى حية ، وأن يده إذا أدخلها في جيبه ثم أخرجها صارت بيضاء .

ومنها : انفلاق البحر لموسى ، ودخوله فيه هو وقومه ، وخروجهم منه وغرق فرعون ، وغيرها مما أيد الله به موسى من معجزات نقلتها الكتب السماوية ، وصدقها القرآن ونقلتها القرون كلها ؛ فمن أنكرها فهو جاهل مكابر زنديق .

**السادس والعشرون :** بيان فضل موسى - عليه السلام - على الله حيث اختصه برسالاته ، وبكلامه فناده ، وناجاه بلا واسطة قال تعالى ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وشرح له صدره ويسر له أمره وأثنى عليه في القرآن فقال ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١] وقال عنه ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩] وأثنى عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال « لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، لا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي ؛ أو كان ممن استثنى الله » ، أي : فإن كان أفاق قبلي ففيه فضيلة ظاهرة ، وإن كان ممن استثنى الله فلم يصعق فهي فضيلة أيضا<sup>(١)</sup> .

**السابع والعشرون :** في قوله تعالى ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ [القصص: ٢٩] فيه دليل على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء ، لما له عليها من فضل القوامة وزيادة الدرجة إلا أن يلتزم لها أمرا ؛ فالمؤمنون عند شروطهم وأحق الشروط أن يوفي به ما استحللتم به الفروج<sup>(٢)</sup> .

**الثامن والعشرون :** الحذر من ذوي السلطة ، والخوف منه لا يقدر في الداعي إلى الله ؛ لأنه يمثل ذلك يكون أشد حذرا في جميع تصرفاته ؛ لئلا يتوقف عن الدعوة فيحرم الناس دعوته ؛ ولذا ينبغي للدعاة عدم مجابهة ذوي السلطة المعروفين بتصيد الأخطاء وإلصاق التهم بالدعاة ، وإنما مداراته ومجادلته بالتي هي أحسن ؛ لئلا تقف الدعوة

(١) فتح الباري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب وفاة موسى وذكره بعده (٥٤٤/٦) برقم [٣٤٠٨] .

ومسلم بشرح النووي في كتاب الفضائل - بات فضائل موسى صلى الله عليه وسلم

(١٥/١٢٩: ١٣١) .

(٢) تفسير القرطبي (٣٨١/١٣) .

بالكلية ، وإذا فرض توقف صوت الداعي فلا يعدم أسلوبا آخر يفعله إما بقلمه أو تعليم غيره سرا وغير ذلك من الأساليب مع الاستعانة بالله ثم بإخوانه الدعاة .  
فهذا موسى - صلى الله عليه وسلم - خاف أول الأمر من فرعون ، وطلب أن يكون أخوه هارون معه ، ولكن حينما بدأ في الدعوة استمر معه في بيان الحق ؛ منتقلا من أسلوب إلى أسلوب ، ومن حوار إلى حوار ، ومن إظهار معجزة إلى أخرى حتى نصره الله عليه في النهاية .

**التاسع والعشرون :** بث روح الأمل في نفوس المدعويين بتلاوة آيات القرآن الدالة على أن العقابة للمتقين الملتزمين بأوامر الله المنتهين عن نواهيه . فلا بد للظلم أن ينقشع والليل أن يصبح مهما اشتدت النكبات على الأمة وازدادت التهديدات ، وتنوعت المؤامرات ؛ فهذا موسى - عليه السلام - مرت به تلك الأمور وبشعبه ، وكانت العقابة له ولقومه كما قال الله عنه ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

**الثلاثون :** التبعية والاستضعاف لا تغني أصحابها ولا تسمنهم من جوع . لماذا ؟ لأن الله منحهم كرامة الإنسانية ، وكرامة الاختيار والحرية ، ولكنهم أنفسهم تنازلوا عن ذلك وانساقوا وراء الكبراء والطغاة - لم يقولوا لهم يوما لا بل لم يفكروا أن يقولوها ؛ بل لم يفكروا أن يتدبروا ما يملونه عليهم من ضلال ؛ فكان مآلهم معهم في النار لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيو لا وإمعات ولم يخفف عنهم أنهم كانوا غنما تساق لا رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار . لقد رأوا الحق بأم أعينهم يوم إتيان السحرة بحبالهم وعصيتهم ، ورأوا الغالب والمغلوب فلم يجرؤ غير السحرة أن ينطق ببنت شفة ، ورأوا الآيات الباهرات تتابع عليهم الواحدة تلو الأخرى ؛ فيسخرّون من موسى ، ويعدونه الإيمان إن دعا ربه فكشف ما بهم ، ورأوا كذب فرعون ودجله في كل مكان يرتادونه ، وأخيرا رأوا انفلاق البحر فلم يزددهم إلا تبعية واستضعافا لما يقوله فرعون .

قال الله تعالى ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤] وقوله ﴿ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْنُونَ عَلَيْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ [٤٧-٤٨] .  
﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨] .

**الحادي والثلاثون :** إذا كان في إظهار عمل خير أمام الناس فيه مصلحة راجحة كأن يقتدى به أو فيه تشجيع للآخرين فإظهار الإيمان بالله تعالى من باب أولى كما فعل

السحرة حين رأوا حقيقة تتجلى أمامهم ، وأن ما يفعلونه ما هو إلا كيد وعناد وإظهار لموالاة الطاغية ، وحبا لما في يديه من زخرف الدنيا وزينتها ، وأن ما أتى به موسى حق من عند الله ، وليس من عنده ؛ لأنهم رواد فهم ، وما أتى به موسى ليس من جنس فعلهم ، فأعلنوا الإيمان أمام فرعون الطاغية أولا ثم أمام الناس ثانيا ، فلعل ذلك يشعل في قلوبهم وضمائرهم حب الإيمان وترك ما هم عليه من الطغيان ، فعلى الدعاة إلى الله - تعالى - الاستفادة من مثل ذلك في إظهار الدعوة كلما كان ذلك مفيدا لها ، وكذلك على المستجيب إظهار ذلك كلما كان ذلك مفيدا .

الثاني والثلاثون : قال الله تعالى ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] تدل هذه الآية على ضعف الإنسان ؛ لأنه خلق كذلك مهما وصل في ترقيه لمناصب الدنيا ، ومما يدل على ضعف فرعون المدعي للألوهية أنه استعان بالسحرة في إبطال كيد موسى كما يزعم ، وكان الأولى أن يطله هو ، وكذلك حينما استشار قومه في أمر موسى فأشاروا عليه أن يرجئه وأخاه وكان الأولى أن لا يستشير ، وكذلك حينما قال ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ [غافر: ٢٦] كأنهم هم الذين يمنعونه ، كل ذلك يدل على ضعفه ، والعجب أن القوم لم ينتبهوا لذلك أو تنبهوا ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] .

الثالث والثلاثون : طلب الثبوت من الله - تعالى - مطلب شرعي يحبه المؤمنون ويسعون في تحصيل ذلك بكثرة الدعاء فيقولون في كل صلاة ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] ويحصل ذلك بالصبر على الطاعة والصبر عن المعصية وبالصبر على كيد الأعداء فتقول كما قال السحرة ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] وكما قال المؤمنون الذين برزوا لجالوت وجنوده ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠] وانظر إلى كلمة ( أفرغ ) الدلالة على المبالغة في طلب كمال الصبر .

ومع الصبر نطلب الثبوت من الله - تعالى - لئلا نخرج عن طوره إلى الجزع أو التسخط ، أو الاستعجال على الله - تعالى - ليؤول الأمر بعد ذلك إلى النصر ؛ فمن آمن وصبر وثبت كانت له الغلبة في النهاية .

يقول صاحب تفسير المنار « ولدينا من نقول التاريخ القديم والحديث ما يؤيد ذلك ، وقد صرح الذين كتبوا أخبار الحروب الأخيرة بعلمها وفلسفتها ؛ أن المؤمنين

بالله وباليوم الآخر من جميع الملل أعظم شجاعة وأشد صبرا على مشاق الحرب من غيرهم»<sup>(١)</sup> .

**الرابع والثلاثون :** رابطة الأخوة الإيمانية تتجلى في شخص مؤمن آل فرعون ، وذلك حين دافع عن سيدنا موسى - عليه السلام - حين أرادوا قتله فانبرى يقول ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٦] ، وحاول أن يستغل الصلة بينه وبين فرعون لصالح الدعوة والدعاة ، فأخذ يحاجهم بدعوى مصلحتهم أولا ثم إنه لا ينبغي لهم معاداة موسى ؛ لأنه لم يأمرهم بباطل ثانيا ؛ فإن كان كاذبا فعليه كذبه ، وإن كان صادقا فلا تتعرضوا له لربما يصبكم شيئا مما يقول فتهلكوا .

فعلى من له صلة من الدعاة إلى الله بأهل السلطة أن يستثمروا صلتهم في تبليغ دعوة الله إليهم أولا باللطف واللين ، ثم بمسايستهم في أمر الدعوة دون مدهانة أو رضى بمنكر ؛ لئلا يلحقوا الأذى بالدعوة والدعاة .

**الخامس والثلاثون :** على الدعاة إلى الله تعالى تبليغ الدعوة بلطف ولين كما تقدم ، وزيادة على ذلك عليهم أن لا يجابهوا أصحاب السلطة بالكلمة النابية أو التجريح المتكلف فيه أمام الناس ، أو من فوق المنابر ؛ بل الأفضل الاتصال بهم عن قرب ونصحهم مادام يسمع ذلك ؛ فإن رأوا منهم جفاء وتهديدا فليلجئوا إلى الهدنة والمسالمة للتمكن من تبليغ الدعوة بالكلمة الطيبة ؛ كما قال موسى - عليه السلام - ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ [الدخان: ٢٠] أي : أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من أن تصلوا إلي بسوء من قول أو فعل (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)<sup>(٢)</sup> أي : فلا تتعرضوا لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير المنار (٧٧/٩) ، وانظر في ذلك سير الصحابة والتابعين ، فقد كان الواحد منهم يحرص على أن يقتل في سبيل الله كما يحرص أحدنا اليوم على الحياة أو أشد . يقول سيد قطب رحمه الله « ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية ، ولكن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة تنبئ بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة ، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي شيئا كثيرا في ساعة الشدة » : في ظلال القرآن (١٨١٦/٣) .

(٢) سورة الدخان آية (٢١) وتقدم تفسير ذلك ص "٤٦٠" .

(٣) تفسير ابن كثير (١٥٢/٤) .

السادس والثلاثون : إذا واصل الطغاة تهديداتهم ، ولم يتركوا الأمر مسألة ، وأخذوا في تنفيذ تهديدهم ؛ فإن على الدعاة إلى الله - تعالى - تحذير الناس من ظلمهم وإعداد أنفسهم ، ومن معهم إلى اختيار بيئة أفضل ، ومكان أخصب لإبلاغ الدعوة ، وتكوين النفس ، وتدريبها على الطاعة وشحن الهمم ، وإعدادها لما هو أكبر من ذلك ، وهو الجهاد في سبيل الله ، ومنازلة أعداء الله كما فعل موسى حين خرج بقومه ، وكما فعل محمد - صلى الله عليه وسلم - حين أخرجهم قومه .

السابع والثلاثون : بعد إيمان الشباب الذين قال الله عنهم ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾ [يونس: ٨٣] كان لابد من إيقاف زحفه بين بني إسرائيل ؛ لأن كل واحد منهم بدأ يدعو إلى الإيمان بموسى - عليه السلام - والكفر بفرعون مما أدى إلى استجابة بعضهم ، فما كان أمام الملائكة إلا تحريض فرعون وتشجيعه للفتك بموسى وقومه ؛ ليزدادوا عنده حظوة ومكانة . قال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِّن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سُنُقِتِلْ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] .

فعلى من ابتلي بشيء من هذا كأن يكون بطانة للحكام والسلاطين أن يتقوا الله فيما يشيرون به عليهم برفق ولين كلام بلا تشويش ولا غلظة ، وهذا يحتاج إليه في كل مقام ، لكن هذا أهم المواضع ؛ وذلك لأنه الذي يحصل به الغرض المقصود من التذكر والخشية ، وإلا فقد أعذروا إلى الله ولزمته الحجة .

الثامن والثلاثون : أن من أعظم العقوبات على العبد أن يكون إماما في الشر ، وداعيا إليه . قال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [القصص: ٤١] كما أن من أعظم نعم الله على العبد أن يجعله إماما في الخير هاديا إليه قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [السجدة: ٢٤] .

التاسع والثلاثون : أمر الله موسى - عليه السلام - بأن يتخذ لبني إسرائيل أماكن خاصة للصلاة في البيوت متجهة إلى القبلة بعد أن خرب فرعون مساجدهم وأذاهم في دينهم ، وهذا يدل على أن القبلة في الصلاة كانت شرعا لموسى عليه السلام .

وقد استنبط العلماء من جواز أداء الصلاة في البيوت ؛ أن المعذور بالخوف وغيره يجوز له ترك الجماعة والجمعة ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما مرض تخلف عن

المسجد وقال « مروا أبا بكر فليصل بالناس »<sup>(١)</sup> متفق عليه . أو زيادة مرض ، أو مدافع للأخبثين ، ومن بحضرة طعام محتاج إليه ، وخائف ضياع ماله أو فواته أو ضرر فيه ، أو موت قريبه أو رفيقه ، ولم يكن من يمرضهما غيره ، أو يخاف على أهله ، أو ولده ، أو على نفسه ، من ضرر كسب أو سلطان ، أو ملازمة غريم ولا شيء معه ؛ لأن حبس المعسر ظلم لقوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أو يخاف فوات رفقة بسفر مباح ، أو أذى بمطر ووحل ونحوه ، وبريح باردة شديدة في ليلة مظلمة ؛ لقول ابن عمر - رضي الله عنه - : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينادي مناديه في الليلة الباردة أو المطيرة « صلوا في رحالكم »<sup>(٢)</sup> وكذا تطويل إمام ، ومن عليه قود يرجو العفو عنه<sup>(٣)</sup> .

الأربعون : تدل استجابة الفئة المؤمنة لموسى - عليه السلام - بعد أن دعاهم عليه السلام إلى التوكل على الله تعالى ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ [يونس: ٨٥-٨٦] على اهتمامهم بأمر دينهم ، وتفضيله على أمر دنياهم ؛ لذا أعدهم موسى بعد اطمئنانه على صدق قولهم ؛ لما هو أعظم من ذلك دون تكبد المشاق ومنازلة الأعداء .

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله - تعالى - تزهيد مدعويهم في أمور الدنيا والتخفيف من أعبائها ؛ لأن من كثر شغله فيها زاد حبه لها ، وكثر اهتمامه بها لحديث « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر يقول « إذا أمسيت فلا تنتظر

(١) رواه البخاري - كتاب الجماعة والإمامة - باب حد المريض أن يشهد الجماعة (٢٢١/١) برقم [٦٦٤] رواه مسلم - كتاب الصلاة - باب استخلاف الإمام إذ عرض له عذر - (٣١١/١) برقم [٤١٨] ، [٤٢٠] .

(٢) في الصحيحين عن ابن عباس أنه قال لمؤذنه في يوم مطير ، زاد مسلم : في جمعة : إذ قلت : أشهد أن محمدا رسول الله فلا تقل حي على الصلاة ولكن قل (صلوا في رحالكم) الحديث . رواه البخاري - كتاب الأذان - باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة - (٢١٢/١) برقم [٦٣٢] .

رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب الصلاة في الرحال في المطر (٤٨٤/١) برقم [٦٩٧] ، [٦٩٩] .

(٣) حاشية الروض المربع (٣٥٧/٢ : ٣٦٣) عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي (١٣٩٢ - ١٣٩٢) .



الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»<sup>(١)</sup> «فאלلهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»<sup>(٢)</sup> .

الحادي والأربعون : مشروعية الدعاء بالهلاك على أهل الظلم ليقطع الله دابرهم ويريح البلاد والعباد منهم .  
ثم ليعلم أن :

موسى وهارون لم يحصل منهما الدعاء على قومهم إلا بعد اليأس من إيمان القوم وبعد نفاذ الصبر من تعسف فرعون وظلمه ، واستهزاء ومعاونة قومه له ، فعلى الدعاء إلى الله - تعالى - الصبر في دعوة من يريدون ، ولا يدعون عليهم بمجرد الإعراض ، وإنما ينبغي تكرار الدعوة مرات وكرات مع طلب الله لهم الهداية والدعاء لهم لا عليهم لأن أصل الإيمان موجود ، وإنما الداعية المخلص الذي يخرجهم إلى الوجود بالكلمة الطيبة والموعظة الرقيقة والمجادلة الحسنة .

الثاني والأربعون : كثرة المال وأنواع الزينة ، والانغماس في ذلك والتلهي به يسبب الضلال لصاحبه<sup>(٣)</sup> . فعلى الدعاء إلى الله ترغيب الناس في أن ما عند الله خير وأبقى وألذ وأشهى ، وأن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾<sup>(٤)</sup>  
[ السجدة: ١٧ ] .

(١) رواه البخاري - كتاب الرقاق - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (كن في الدنيا كأنك غريب ... (١٧٦/٤) برقم [٦٤١٦] .

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٨٠ - (٥٢٨/٤) برقم (٣٥٠٢) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب - وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨/٣) برقم [٢٧٨٣] وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٤٠٤) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٤٨) ، والبغوي في شرح السنة (١٧٤/٥) ، وصححه الحاكم - كتاب الدعاء (٧١٠، ٧٠٩/١) برقم [١٩٣٤] وقال : على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي .

(٣) أيسر التفاسير (٥٠٢/٢) .

(٤) رواه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ - (٢٧٦/٣) برقم (٤٧٧٨) بلفظ قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال أبوهريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .

الثالث والأربعون : إجابة الدعوة لها وقت مخصوص في علم الله وتقديره ، ولا يجوز استعجاله لما فيه من الجهل ، وسوء الأدب في مخاطبة الله تعالى ، وإنما تترك الإجابة حسب تقدير الله وتصريفه الأمور .

ولذلك استجاب الله دعوة موسى وهارون عليهما السلام ، وأمرهما بالاستقامة على أمره ، ونهاهما أن يسلكا سبيل الذين لا يعلمون من تحقيق وعد الله ووعيده وعليهما أن لا يستعجلا أمره ؛ فإنه كائن لا محالة .

وهكذا العبد عليه الإكثار من دعاء الله لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] وعليه أن لا يستعجل الإجابة فيقول : دعوت ودعوت فلم يستجب لي<sup>(١)</sup> .

الرابع والأربعون : أهل المسجد يؤمنون على دعاء الإمام في الخطبة والقنوت ونحوه ؛ لأنهم شركاء معه لتحصل الإجابة للجميع ، ومن هنا يخطئ من يردد الدعاء دون التأمين كالمطوفين ونحوهم<sup>(٢)</sup> . يؤخذ ذلك من تأمين هارون - عليه السلام - على دعاء موسى .

الخامس والأربعون : أخذ العبرة والعظة بما حل بفرعون وجنوده ، فقد أهلكهم الله جميعا في صبيحة يوم واحد ، ولم ينج منهم أحد . ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلي :

- ١ - أن فرعون أحقر وأذل على الله من أن يضاده في ملكه .
- ٢ - أنه لكثرة جنده وقوة عتاده لم ينفعه ذلك .

- ٣ - أنه حين أيقن بالهلاك وغشيته سكرات الموت آمن فقال ﴿ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] فلم يقبل منه . يقول الإمام النسفي : « فيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد حيث قال : آمنت ، ثم قال : وأنا من المسلمين . كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته ، وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار »<sup>(٣)</sup> .

(١) سبق تخريجه ص ٤٣٦ .

(٢) انظر : أيسر التفاسير (٥٠٣/٢) .

(٣) تفسير النسفي (١٧٤/٢) .

فعلى الدعاة تذكير الناس بما حل بفرعون وجنوده وغيرهم حتى لا يأسوا من هلاك الطغاة وأعوانهم إذا كثر شرهم وزاد بغيتهم وقل خيرهم ؛ لأنهم فراعنة صغار ، وإمامهم الأكبر أمامهم ينتظرهم ؛ ليقودهم جميعا إلى نار جهنم ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨-٩٩] وفي الحديث « إن الله ليملي للظالم الْقِيَمَةَ بِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨-٩٩] وفى الحديث « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال : ثم قرأ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ <sup>(١)</sup> [هود: ١٠٢] .

فالعاقل من يتدبر في الأمر ، يبادر إلى روضة الإيمان ؛ ليكون من أهل النجاة والرضوان في دار الجنان مع أهل الإحسان .

**السادس والأربعون :** المداومة على الأعمال الصالحة في الرخاء سبب للنجاة من الشدائد <sup>(٢)</sup> ، فعلى المرء المسلم أن يكثر من العمل الصالح في وقت الرخاء وطول الأمل ، فهذا يونس عليه السلام قال الله عنه ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ لَلْبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤] قيل : لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء <sup>(٣)</sup> .

ونجى الله يوسف - عليه السلام - من قعر البئر حتى وصل إلى الحكم ، ونجى الله موسى - عليه السلام - من ظلم فرعون فشق له البحر ، وأخرجه وقومه إلى ملك الدنيا وأغرق الله فرعون ، ولم يقبل منه إيمانه ؛ لأفعاله وصحائفه السوداء .  
ونجى الله عيسى - عليه السلام - من كيد اليهود ورفع الله إليه ، ونجى الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - من سيوف المشركين ليلة الهجرة ، ونصره الله عليه يوم بدر ويوم فتح مكة .

وفي الحديث « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » <sup>(٤)</sup> .

(١) رواه البخاري - كتاب التفسير - باب (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ..) (٢٤٣/٣) برقم [٤٦٨٦] .

ومسلم - كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم - (١٩٩٧/٣ - ١٩٩٨) برقم [٢٥٨٣] .

(٢) تيسير المنان في قصص القرآن ، أحمد فريد ، ص "١٦٠" دار ابن الجوزي .

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣/٤) .

(٤) جزء من حديث (احفظ الله يحفظك ...) أخرجه الإمام أحمد (٢٩٣/١) برقم (٢٦٦٩) وأخرجه الترمذي - كتاب الدعاء - باب أن دعوة المسلم مستجابة - (٤٦٢/٥) برقم [٣٣٨٣] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
« من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء عند الرخاء »<sup>(١)</sup>.

السابع والأربعون : للمرأة دور كبير في الدعوة إلى الله تعالى ؛ لذا يحسن استغلالها فيما يعود على الدعوة بالخير لما لها من التأثير الكبير في المجتمع النسوي الأسري ؛ فكم من امرأة اهتدى على يدها خلق كثير ؛ بل قد تكون قدوة لزوجها وأولادها إذا أحسنت الإخلاص ، ومعنا هنا أربع نسوة اشتركن في قصة موسى عليه السلام : فأولهن (أم موسى عليه السلام) التي كان لها شأن عظيم في الصبر ، وحنكة التدبير ، ولا غرو فقد كان ذلك بإلهام من الله لها .

ثم (أخته) التي كان لها دور في تبصر الأمور وتوريثها دون أن يشعر آل فرعون بذلك ؛ حيث ألفت كلاماً لا يثير حولها شبهة ﴿ هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴾ [ القصص: ١٢ ] .

وإذا كان كل من أم موسى وأخته قد قام بالدور اللازم الموكل إليه ؛ فإن (مؤمنة آل فرعون) كما يحسن أن نسميها قد هيأها الله لتؤثر على الطاغية الجبار الظالم في أن يترك موسى قرة عين لها وله ؛ فكان أن أسرها الله به دونه ؛ فأفاضت عليه حنانها وأسبغت عليه عطفها ؛ ليتربى في بيت الملك وعز السلطان بعد الخوف والذل والهوان ؛ فأمنت بموسى وبما جاء به من عند الله ؛ فرفع الله ذكرها وسجل لها دعاء يتلى إلى يوم القيامة ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [ التحريم: ١١ ] .

=

ورواه أبو يعلى في مسنده برقم (٢٥٥٦) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٤٢٧) دار الجليل ، والطبراني في الدعاء (٤٢) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٩/٢) برقم [٢٠٤٣] ، وفي المشكاة برقم [٥٣٠٢] .

(١) رواه الطبراني في كتاب الدعاء - (٤) باب الحث على الدعاء في الرخاء - (٨٠٥/٢) برقم [٤٤] ، ورواه الحاكم في مستدركه - كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر (٧٢٩/١) برقم [١٩٩٧] ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وانظره : في تاريخ بغداد (١/٤١٤ ، ٤١٥) برقم [٤١٣] .

والمرأتان الباقيتان هم (ابتنا الشيخ الكبير) كما سماه القرآن ، وما رأينا من حسن حياتهما وابتعادهما عن مزاحمة الرجال وفيه من الدروس لنساء زماننا الشيء الكثير ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء ولاجة خراجة »<sup>(١)</sup> .

ويظهر من إحداهن عقل راجح وحصافة رأي ، حين قالت لأبيها ﴿ يَأْتِبُ أَسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجِرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [الفصل: ٢٢] .

ثم إنه كان لمن تزوج بها طاعة عجيبة لموسى - عليه السلام - حين تركها في تلك الليلة المظلمة الشاتية ليأتي لها بنار تستدفئ بها ولم تعترض عليه ؛ بل أطاعته دون تردد ، وإلا كانت تستطيع أن تطلب الذهاب معه ومجادلته في ذلك ، ولكنها الطاعة الإيمانية النابعة من قلب إيماني .

(١) سنده قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون .

قال ابن كثير : هذا إسناد صحيح . كما سبق بيانه قريبا .

انظر : (تفسير ابن أبي حاتم) (٢٩٦٥/٩) ؛ تفسير ابن كثير (٣/٣٩٦) .

## المبحث الثاني

### عقوبات بني إسرائيل في عهد موسى - عليه السلام -

تمهيد : خرج بنو إسرائيل من ظلم الاستعباد ونار الاضطهاد وذل الطغيان إلى عدل السلطان وتوجيه الرحمن ، فما كان منهم إلا أن أكثروا على نبيهم سؤالاتهم و تعنتهم وإشراكهم بالله تعالى ، وما ذلك إلا لفساد نفوسهم إلا من رحمه الله ، يقول صاحب الظلال : « وسرى هذه النفوس وهى تواجه الحرية بكل رواسب الذل ، وتواجه الرسالة بكل رواسب الجاهلية ، وتواجه موسى - عليه السلام - بكل الالتواءات والانحرافات والجهالات التى ترسبت فيها على مر الزمن الطويل »<sup>(١)</sup> .

سرى كيف عاجل موسى كل ذلك أشد المعالجة ، وإلا لِمَ طلب من الله - تعالى - أن يشرح صدره من أول الأمر ؟ إلا لعلمه بتحمل هذه المسؤولية العظيمة فكان لها!! . وكان كثيراً ما يطلب من قومه تذكر منة الله وفضله عليهم من نجاتهم من عدوهم وإسباغ نعمه عليهم ، ولكن سرعان ما تنقلب تلك النفوس فتطلب غير ذلك ، فيسارع إلى توجيهها وتذكيرها في كل مرة وتعاقب ، وفي آخر أمرها عصت أمر الله وأمر نبيه فكتب الله عليها الذل والمهانة وعوقبت بالتيه في الأرض أربعين سنة جزاء فسقهم وامتناعهم عن طاعة ربهم ورسولهم .

(١) في ظلال القرآن (٣/١٣٦٥) .

## المطلب الأول :

## أ - الآيات التي تحدثت عن عقوبات بني إسرائيل :

ذكر لبني إسرائيل في القرآن الكريم عدد ليس بالقليل من العقوبات ، وسنورد فيما يلي الآيات التي تحدثت عن عقوبتهم مرتبة : -

أولاً : الآيات التي تحدثت عن عقوبة عبادة العجل في سورة البقرة .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾  
 ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥١-٥٤] .

وقال سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٢-٩٣] .

لطائف الآيات :

أولاً : ذهاب موسى - عليه السلام - لملاقاة ربه والاستماع لكلامه عز وجل .

ثانياً : سفاهة بني إسرائيل في اتخاذهم العجل للعبادة في غياب موسى .

ثالثاً : عظم منة الله عليهم بأن عفى عنهم بعد أن استوجبوا العذاب ؛

فتاب عليهم .

رابعاً : في ذكر تكرار اتخاذ العجل تذكير لبني إسرائيل في عهد النبي ﷺ .

لما كان عليه سلفهم ، لذا صح أن يوجه الخطاب إليهم بالشناعة عليهم بفعل غيرهم .

خامساً : بعد عبادتهم العجل أخذ الله عليهم العهد والميثاق في عدم المخالفة ،

والطاعة كل الطاعة في أخذ التوراة بقوة من تصديق بالأخبار وعمل بالأحكام ،

فخالفوا وعتوا وأعرضوا ، فرفع فوقهم الطور حتى قبلوه ثم خالفوا وقالوا ﴿ سَمِعْنَا

وَعَصَيْنَا ﴿ [البقرة: ٩٣] وكان الواجب عليهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وكان هذا نتيجة لما أشربته قلوبهم من حب العجل بسبب كفرهم بالله - عز وجل - فهم لما عدلوا عن الحق عوقبوا بالإغراء بالكفر ؛ لأن القلوب إما على حق وإما على باطل ، فإذا انتفى الحق ثبت الباطل .

سادساً : يشنع الله عليهم فعلهم من عبادة العجل وعصيانهم لأمره وأمر رسوله<sup>(١)</sup> .

فيقول : ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٣] لأن من عبد مع الله غيره فليس بمؤمن ولو ادعى أنه مؤمن ، ولكن هذه الصيغة التي جاءت في آخر الآية من باب التحدي لهم إذا كانوا مؤمنين فلم يعبدون العجل ؟ هل الإيمان يأمر بعبادة غير الله<sup>(٢)</sup> ؟ .

سابعاً : في الآيات عدد من الأسئلة :

الأول : لم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [البقرة: ٥١] ولم يقل يوماً ؟

والجواب :

أن الشهور تبدأ من الليالي لا من الأيام<sup>(٣)</sup> .

الثاني : في قوله تعالى ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] .

وهذا يقضى كون التوبة مفسرة بقتل النفس ، فكيف يجوز تفسيره به ؟

والجواب : ليس المراد تفسير التوبة بقتل النفس ، بل بيان أن توبتهم لا تتم ولا تحصل إلا بقتل النفس ، وإنما كان كذلك لأن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن شرط توبتهم لا تتم ولا تحصل إلا بقتل النفس<sup>(٤)</sup> ، لإمعانهم في الكفر والصدود والإعراض .

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/١٣٠) ؛ أحكام من القرآن الكريم - ابن عثيمين (١/٣٥١) .

(٢) المصدر السابق ، ابن عثيمين (١/٣٥١) .

(٣) انظر : (التفسير الكبير) (٣/٧٤) .

(٤) انظر : (التفسير الكبير) (٣/٨٠) .



الثالث : ما الفرق بين الفاء في قوله ﴿ فَتُوبُوا ﴾ وبين قوله ﴿ فَأَقْتُلُوا ﴾ ؟

والجواب :

أن الفاء الأولى للسبب . لأن الظلم سبب التوبة ، والثانية للتعقيب ، لأن القتل من تمام التوبة ، فمعنى قوله ﴿ فَتُوبُوا ﴾ فَأَتَبِعُوا التوبة القتل تنمة لتوبتكم<sup>(١)</sup> .

الرابع : ما المراد بقوله ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] هل هو على ظاهره أم غير ذلك ؟

الجواب : أن معناه أن من لم يعبد يقتل من عبد ، فيكون المراد من ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] أي : استسلموا للقتل<sup>(٢)</sup> ، حيث قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضاً ، لا يخنو رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف قتيل ، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسي فقد اكتفيت ، فذلك حين ألوى موسى بثوبه<sup>(٣)</sup> .

الخامس : سبق أن ذكرنا أن القوم اقتتلوا حتى كادوا أن يفنوا لعبادتهم العجل ، فهل يمكن أن يصح قول من قال : إن منهم من لم يقتل ممن قبل الله توبته .

والجواب : نعم حيث كان القتل شهادة للمقتول وتوبة للقاتل<sup>(٤)</sup> .

(١) التفسير الكبير (٨٠/٣) .

(٢) تفسير الرازي (٨١/٣ : ٨٢) .

(٣) تفسير ابن كثير بسنده قال ابن جريج : أخبرني القاسم بن أبي بردة أنه سمع سعيداً ومجاهداً ، والسند كما ترى : صحيح ، كما هو في تفسير ابن جرير (٧٣/٢) ؛ انظر : تفسير ابن أبي حاتم بتحقيق د/ أحمد العماري (١٦٨/١ ، ١٦٩) ؛ وانظر : تفسير ابن كثير (١٦٩/١) بتحقيق الشيخ مقبل الوادعي .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٧٥/٢ و ٧٦ و ٧٨) .

السادس : في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣] وقال في سورة الأنبياء ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨] فعطف في الآية الأولى الفرقان على الكتاب ، والعطف يقتضي المغايرة ، وفي الآية الثانية أثبت كلمة (الفرقان) دون كلمة (الكتاب) فهل هما شيئان أم شيء واحد ؟.

الجواب : أن ظاهر السياق هنا في سورة البقرة وفي سورة الأنبياء أن الفرقان هو المعجزات الخارقة التي أيد الله بها موسى عليه السلام - فكانت فرقاناً له بين الحق والباطل .

وأما الكتاب في هذه الآية فهو التوراة ، وعبر عنه في سورة الأنبياء بأوصافه دون إسمه قائلاً ﴿ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨] وقد غلط في المعنى من زعم أن الفرقان هو المنزل على محمد ﷺ وذلك : أولاً : لعدم ذكر محمد ﷺ في الآيات .

الثاني : ما ذكره في سورة الأنبياء ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨] فيكون على ما ذكرنا (١) .

الثالث : التوراة لم تنزل على محمد ﷺ ؛ وإنما نزل عليه القرآن .

ثانياً : سورة النساء :

قال تعالى ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ءَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٥٣] .

جاء الكلام عن العجل في الآيات متأخراً عن سؤال الرؤية بسبب العطف (بثم) مع أن سياق الكلام في سورة البقرة والأعراف يدل على أن طلب الرؤية جاء متأخراً عن

(١) صفوة الآثار ، لعبد الرحمن الدوسري (١٣٣/٢ ، ١٣٤) .

عبادة العجل فما توجيه ذلك ؟

والجواب : أن العطف (بشم) هنا هو للتراخي الرتبى ؛ لا لإفادة الترتيب الزمني ؛ إذ اتخذهم العجل كان قبل طلبهم رؤية الله جهرة<sup>(١)</sup> .

وهنا يرد سؤال : لِمَ عبد العجل بالذات ؟

لأنهم قد مروا في طريقهم بقوم يعبدون أصناماً لهم على صور البقر ؛ فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : سورة الاعراف :

قال تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسَفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ [الاعراف: ١٤٨-١٥٥] .

لطائف الآيات غير ما سبق :

أولاً : لم قيل ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا ﴾

[الاعراف: ١٤٨] والمتخذ هو السامري ؟

والجواب من وجهين :-

الأول : أن الله نسب الفعل إليهم ؛ لأن رجلاً منهم باشره ، كما يقال : « بنو تميم

(١) التحرير و التنوير (١٥/٦) .

(٢) انظر : (تفسير ابن جرير) (٨٠/١٣) ؛ تفسير القرطبي (٢٧٢/٧) ؛ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٢) ؛

الدر المنثور (٢١٣) .

قالوا كذا وفعلوا كذا » والقائل والفاعل واحد .

الثاني : أنهم كانوا يريدون لاتخاذهم راضين به ، فكأنهم اجتمعوا عليه <sup>(١)</sup> .

ثانياً : لم قال ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ولم يكن لهم ، إنما استعاروه ؟

والجواب : أن الله تعالى لما أهلك فرعون وقومه صارت تلك الأموال لهم لأن الحلي

كان في حوزتهم فكأنه ملك لهم بدليل ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٨] .

ثالثاً : هل انقلب ذلك التمثال لحماً و دماً كما قيل ، أو بقي كما هو ؟

والجواب : ظاهر السياق يبين أنه ظل جسداً من الحلي ولم يتحول إلى لحم ودم ؛

لأن صانع العجل جعل في باطنه تجويفاً ضيقاً واتخذ له آلة نافخة خفية ، فإذا حركت

آلة النفخ انضغط الهواء في باطنه و خرج من المضيق فكان له صوت <sup>(٢)</sup> ، ومن تعلق

بكلمة خوار أنه لا يكون إلا لماله لحم ودم فلا دليل له عليه ، لأنه الصوت لما أشبه

الخوار لم يبعد إطلاق لفظ الخوار عليه <sup>(٣)</sup>

ثم إنه في سورة طه لما جاء موسى وأراد نسفه وتحطيمه قال ﴿ وَأَنْظُرْ

إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ

نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٧] إشارة إلى أنه شئ تفرق إلى أجزاء لا يمكن جمعها <sup>(٤)</sup> .

رابعاً : ما فائدة إتيان جملة ﴿ اتَّخَذُوهُ ﴾ بعد قوله ﴿ وَاتَّخَذَ ﴾ .

والجواب : أن جملة ﴿ اتَّخَذُوهُ ﴾ مؤكدة لجملة ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى ﴾ ،

والغرض من التوكيد هو التكرار لأجل التعجب كما يقال : « نعم اتخذوه » ولتبنى عليه

جملة ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] فيظهر تعلقها باتخاذ العجل ، وذلك لبعد

(١) تفسير الكشاف (١٥٩/٢) ، التفسير الكبير (٦/١٥) .

(٢) انظر : (الحرير و التنوير) (١٩ : ١١) . قال الزجاج الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز إنما هو الجثة

الهامة انظر معاني الزجاج (٣٧٧/٢) .

(٣) التفسير الكبير (٦/٢٥) .

(٤) قرأ الجمهور ﴿ لَنُْحَرِّقَنَّهُ ﴾ بضم النون الأولى وفتح الحاء وكسر الراء مشددة أي : إحراقاً شديداً

لا يدع له شكلاً ، وقرأ ابن جهماز عن أبي جعفر لَنُْحَرِّقَنَّهُ بضم النون الأولى وإسكان

الحاء وتخفيف الراء ، وقرأ ابن وردان عن أبي جعفر بفتح النون الأولى وإسكان الحاء وضم الراء

(لَنُْحَرِّقَنَّهُ) أي : لنيردنه بالميرد . انظر : (التفسير الكبير) (١١٣/٢٢) ، التحرير و التنوير

(٣٠٠/١٦) .

جملة ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ <sup>(١)</sup> [الأعراف: ١٤٨] .

خامساً : في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيِّدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩] كان مقتضى الظاهر في ترتيب حكاية الحوادث أن يتأخر قوله ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيِّدِهِمْ﴾ عن قوله ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠] لأنهم ما سقط في أيدهم إلا بعد أن رجع موسى ورأوا منه ما رأوا ، فكيف ؟

والجواب : خولف مقتضى الترتيب تعجيلاً بذكر ما كان لاتخاذهم العجل من عاقبة الندامة وتبين الضلالة .

فكأنه قيل : فسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ، ثم قيل : ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيِّدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩] قالوا <sup>(٢)</sup> .

سادساً : لم نسبه إلى أمه في ﴿يَبْنُوهُمْ﴾ [طه: ٩٤] ولم يقل يا أخي ؟  
والجواب : ناداه بأمه إشارة إلى أنهما من بطن واحد وهو أقوى أوامر الأخوة وذلك أدعى إلى العطف والرحمة <sup>(٣)</sup> .

سابعاً : أي معنى لقوله ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] بعد قوله ﴿خَلَقْتُمُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] في قوله تعالى ﴿بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] ؟

والجواب : معناه : من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له .  
أو من بعد ما كنت أجمع بني إسرائيل على التوحيد وأمنعهم من عبادة البقر حين قالوا ﴿أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ومن حق الخلفاء أن يسيروا سيرة المستخلفين <sup>(٤)</sup> .

ثامناً : لماذا سكت هارون على فعل بني إسرائيل ولم يفعل فعل موسى حين رجع ؟  
والجواب : أنه نصحهم فلم يسمعوا له ولم يجد من ينصره على ذلك ، بل خاف على نفسه القتل منهم . وفي الآية دليل على أن من خاف على نفسه القتل أن يسكت عن تغيير المنكر ولا يغيره بيده ولا بلسانه ولكن بقلبه <sup>(٥)</sup> .

(١) التحرير و التنوير (١١١/٩) .

(٢) التحرير و التنوير (١١١/٩ ، ١١٣) .

(٣) تفسير الكشاف (١٦١/٢) وانظر : (التحرير) (٢٩٢/١٦) .

(٤) التفسير الكبير (١٠/١٥) .

(٥) نهر الخير على أيسر التفاسير : أبي بكر الجزائري (٢٤٢/٢) .

تاسعا : قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الأعراف: ١٥٢] .

يرد عليها سؤال وهو : أن أولئك الأقوام تاب الله عليهم بسبب أنهم قتلوا أنفسهم ، و إذا كان كذلك فكيف قال ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ... ﴾ .

والجواب : أن ذلك الغضب إنما حصل في الدنيا قبل التوبة لا في الآخرة ، وأما قوله ﴿ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الأعراف: ١٥٢] هو أنهم ضلوا فذلوا<sup>(١)</sup> .

فإن قيل : السين في ﴿ سَيَنَالُهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] للاستقبال ، فكيف يحمل هذا على حكم الدنيا ؟

والجواب : إن هذا الكلام كان سابقا على وقوعهم في القتل وفي الذلة ، وإن كان على ظاهره فهو مما كان يعير به اليهود بعد ذلك في زمن النبي ﷺ من فعل آبائهم<sup>(٢)</sup> .

رابعا : سورة طه :

قال تعالى ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ (١) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٢) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٣) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفُطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٤) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٥) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٦) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٧) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٨) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩) قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (١٠) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (١١) قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (١٢) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَرِيُّ (١٣) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (١٤) قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ

(١) التفسير الكبير (١٥/١٢ : ١٣) .

(٢) انظر : (التفسير الكبير) (١٥/١٣) .

وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ [طه: ٨٣-٩٨] .  
لطائف الآيات غير ما سبق :

أولاً : كيف قال موسى - عليه السلام - حينما سأله الله بقوله ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ [طه: ٨٣] بأن قدم ما لا يطابق السؤال وقال ﴿ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه: ٨٤] .

والجواب : أن موسى - عليه السلام - بدأ بالاعتذار أولاً عما أنكره عليه ﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثَرِي ﴾ [طه: ٨٤] ثم عقب العذر بجواب السؤال عن السبب بقوله ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ <sup>(١)</sup> [طه: ٨٤] أي : طلب زيادة رضاك .

ثانياً : قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ [طه: ٨٨] .

نسب الصناعة إلى السامري ، و نسب القول لجماعتهم مع أن فيهم ممن لم يرضَ به ؟

والجواب : مثل ما قال في سورة الأعراف ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] كما مر <sup>(٢)</sup> سابقاً ، ويضاف عليه أن ضمير ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ ﴾ [طه: ٨٨] التفات <sup>(٣)</sup> ، قصد القائلون به التبرئ من أن يكون إخراج العجل ؛ لأجلهم و إنما أخرجه لمن رغبوا فيه <sup>(٤)</sup> .

ثالثاً : أن هارون كان حاضراً فخافوا أن يكذبهم وهو الذي قال لهم من قبل ﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٠] .  
وانظر إلى حسن المقالة حيث زجرهم أولاً عن الباطل فقال ﴿ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ إلى معرفة الله ثانياً بقوله ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ ثم دعاهم ثالثاً إلى معرفة النبوة

(١) تفسير الرازي أنموذج جليل ص "٣٣٠" .

(٢) مر الكلام عليه عند قول الله : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] .

(٣) الالتفات هو : انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار و العكس - انظر : (علم المعاني ،

البيان ، البديع) د/ عبد العزيز عتيق ص "٥٦١" ط دار النهضة العربية . أو أن يكون المتكلم آخذاً

في معنى فيعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول في غير خلل .

انظر : (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) - ابن رشيق القيرواني ، واسمه : (الحسن بن رشيق)

(١/٦٣٦) ط دار المعرفة .

(٤) التحرير والتنوير (١٦/٢٨٦) .

بقوله ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ ثم دعاهم رابعاً إلى الشرائع بقوله ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠] وهذا هو الترتيب السديد ؛ لأنه لا بد قبل كل شئ من إماطة الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات ثم معرفة الله ثم النبوة ثم الشريعة<sup>(١)</sup> .

رابعاً : خص موسى - عليه السلام - أخاه هارون بخطاب له لعلمه أنه لا يمكن أن يفعل ما فعل قومه ؛ إذ لا يجوز عليه ذلك ؛ لأن الرسالة تقتضي العصمة ، فكان خطابه له خطاب لوم وعتاب لبقائه بين عبدة الصنم ، فأخذ بلحيته ورأسه يجرهما إليه حتى بين له هارون عذره من أولئك الظلمة .

خامساً : اختصت سورة طه بذكر اللحية ، فعلم أنها من سنن المرسلين .

وعطف الرأس على اللحية لأن أخذه من لحيته زيادة في اللوم و العتاب .

سادساً : انفردت سورة طه بذكر اسم صانع العجل وعقوبته حيث ورد ذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَرِي﴾ [طه: ٩٥] . وهنا يأتي سؤال ، لم أغلظ موسى - عليه السلام - الكلام لأخيه هارون ولم يغلظ للسامري ؟

والجواب : لأنه كان جاهلاً بالدين ، فلم يكن في ضلاله عجب . ولعل هذا يؤيد ما قيل : إن السامري لم يكن من بني إسرائيل ؛ وإنما هو من القبط ، فاندس في بني إسرائيل ، فلجهله لم يعنفه موسى ؛ لأن الأجدر بالتعنيف هم القوم الذين عاهدوا الله على الشريعة<sup>(٢)</sup> .

سابعاً : لم عاقب موسى السامري بعد اعترافه بفعله ، أما كان الأولى نصحه ودلالته للتوبة ؟

والجواب : لأن موسى أعلم بأن السامري لا يرجى صلاحه فيكون ممن حقت عليه كلمة العذاب ، ويكون الله قد أطلع موسى على ذلك بوحى أو إلهام .

مثل الذي قاتل قتلاً شديداً مع المسلمين وقال عنه النبي ﷺ : «أما إنه من أهل النار»<sup>(٣)</sup> ، ومثل ما أعلم النبي ﷺ حذيفة بن اليمان ببعض المنافقين<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : (التفسير الكبير) للرازي (١٠٦/٢٢) ؛ التحرير والتنوير (٢٩٠/١٦) .

(٢) التحرير و التنوير (٢٩٤/١٦) .

(٣) التحرير و التنوير (٢٩٧/١٦) ، والحديث في صحيح البخاري - كتاب الجهاد - باب لا يقول :

فلان شهيد (٣٣١/٢) برقم [٢٨٩٨] ، ومسلم كتاب الإيمان - باب غلط تحريم قتل الإنسان

نفسه (١٠٦/١) برقم [١١٢] .



## ب - الآيات التي تحدثت عن عقوبة من طلب رؤية الله عزوجل :

أولاً : سورة البقرة :

قال تعالى عنهم : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٧] .

لطائف الآيات غير ما سبق :

أولاً : ذكرت الآية أنهم طلبوا رؤية الله ( جهرة ) ولم يقل : عياناً ،

فما وجه ذلك ؟

والجواب : عموم الإظهار والمبالغة فيه ولا يكون إلا إذا ظهر للجماعة الكثيرة ليزول الشك<sup>(٢)</sup> . ثم إن ( جهرة ) أفصح لفظاً ؛ لخفته ولسلامته من حرف الحلق والعلة وكذلك يجتبي البلغاء بعض الألفاظ على بعض لحسن وقعها وخفتها على السمع وللقرآن السهم المعلى في ذلك<sup>(٣)</sup> .

ثانياً : قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٦] فيه إيجاز بديع ، أي : فتم من الصاعقة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ استجابة لدعاء موسى وشفاعته ، وعقابهم هذا عقاب دنيوى ينال الصالحين ، و يسمى عند بعض الناس عتاب ولا ينافي الكرامه ، ومعلوم أن موسى - عليه السلام - سأل الله الرؤية فتجلى للجبل فاندك ؛ فخر موسى صعباً فلما أفاق قال سبحانه تبت إليك<sup>(٤)</sup> .

ثالثاً : في قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧] ترى أنه تقدم المفعول وهو (أنفسهم) على الفاعل وهو الضمير في (يظلمون) لإفادة القصر ، أي : قصر ظلمهم على أنفسهم حيث لم يتجاوز إلى غيرهم ، ولا إلى

==

(١) انظر : (فتح الباري) - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمار وحذيفة رضى الله عنهما (١١٦/٧) .

(٢) معنى جهرة عياناً لاشك فيه - الفروق اللغوية ص (٢٣٧) لأبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله العسكري) ط دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠١ هجرية .

(٣) التحرير والتنوير (٥٠٧/١) .

(٤) التحرير والتنوير (٥٠٨/١) .

موسى ، ولا إلى الله عز وجل<sup>(١)</sup> .

ثانيا : سورة النساء :

قال تعالى ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ الآية [النساء: ١٥٣] .

ما في الآية من لطائف غير ما سبق :

أولا : الفرق بين هذه الآية وآية سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] أن سورة البقرة كان الكلام فيها عن بني إسرائيل (موسى) - عليه السلام - أما ، هنا فالحديث عن بني إسرائيل « محمد ﷺ » أي : اليهود الذين كانوا بالمدينة يكررون نزعة أسلافهم في كثرة سؤا لهم واختلافهم على أنبيائهم .

ثانيا : في سؤا لهم موسى - عليه السلام - رؤية الله جهرة ما أرادوا التلذذ برؤية الله - عز وجل - ولا التمتع بالمشاهدة ، وإنما أرادوا النظر تعجبا فقالوا ﴿ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] ولم يقولوا : ليتنا نرى ربنا<sup>(٢)</sup> .

ثالثا : أن الظلم المحكى هنا هو الظلم المحكى في سورة البقرة ؛ حيث امتنعوا عن تصديق موسى إلا أن يروا الله جهرة ، وليس الظلم لمجرد طلب الرؤية .

لأن موسى قد سأل مثل سؤا لهم ولم يسم قوله ظلما ، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾<sup>(٣)</sup> [الأعراف: ١٤٣] .

ج : الآيات التي ذكرت عقوبة بني إسرائيل في صحراء سيناء

أولا : سورة البقرة :

قال تعالى ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا

(١) أيسر التفاسير (٥٨/١) الحاشية المسماة : نهر الخير .

(٢) التحرير و التنوير (١٥/٤) .

(٣) التحرير و التنوير (١٥/٤) .

مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ [البقرة: ٦٠-٦١] .

لطائف الآيات غير ما سبق :

أولاً : تدل الآيات على كفر قوم موسى النعم ، بدليل أنهم لم يعتبروا بما أصابهم

من ذل الاستعباد .

ثانياً : عاقبهم الله - تعالى - بأن ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، أي : الذل والفقر

وأحل بهم غضبه .

وهذا يعني أن موسى - عليه السلام - حين قال لهم ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ [البقرة: ٦١]

قال ذلك على سبيل التأنيب والتوبيخ<sup>(١)</sup> .

ثانياً : سورة الأعراف :

قال تعالى ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

لطائف الآية غير ما سبق :

أولاً : أخبر الله أنه قسم بني إسرائيل إلى اثنتي عشرة قسماً في أول هذه الآية ولم

تذكر ذلك آية البقرة .

ثانياً : ذكر هنا أن قومه استسقوه ، وفي سورة البقرة أنه استسقى ربه فكيف

يجمع بينهما ؟

(١) نصر هذا القول صاحب الظلال بسبب ما أعقبه من السياق الذي يتضمن ضرب الذل والمسكنة على بني إسرائيل ، ويذكر أن هذا وإن كان تاريخياً متأخراً عن هذه الحادثة إلا أن السياق القرآني ذكره تذكيراً لهم بالذل في مصر وبالنجاة ثم هفوة نفوسهم للمطاعم التي ألفوها في دار الذل والهوان - انظر : (في ظلال القرآن) - (١/٧٤ - ٧٥) .

والجواب : أن كلاهما حصل<sup>(١)</sup> ، قومه استسقوه حين عطشوا فاستسقى ربه .  
ثالثا : قال هنا ﴿ فَأَنْبَجَسَتْ ﴾ وقال في سورة البقرة ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ ﴾  
فما الفرق ؟

والجواب : قال الراغب : الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شئ ضيق ،  
والإنفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شئ واسع<sup>(٢)</sup> .

رابعا : كيف قال ﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ [البقرة: ٦١] وطعامهم كان المن  
والسلوى وهما طعامان ؟

والجواب : أنه غير متبدل وإن كان نوعين<sup>(٣)</sup> .

خامسا : كيف قال ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٦١] وقتلهم  
لا يكون إلا بغير الحق ؟

والجواب : أن التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ في ذمهم . وإن كانت تلك الصفة  
لازمة للفعل كما في عكسه ﴿ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ [الأنبياء: ١١٢] لزيادة معنى في  
التصريح بالصفة<sup>(٤)</sup> .

د - الآيات التي ذكرت عقوبة الذين بدلوا أمر الله قولا غير الذين  
قيل لهم :

أولا : سورة البقرة :

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا  
وَادْخُلُوا الْبَابَ<sup>(٥)</sup> سُجَّدًا<sup>(٦)</sup> وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ

(١) تفسير المنار (٣٦٦/٩) .

(٢) نفس المصدر (٣٦٦/٩) عن مفردات الراغب ص (٣٤) ، وانظر : (كشف المعاني)  
ص "٩٨، ٩٩" ؛ ملاك التأويل (٢١٢/١) ؛ تفسير الألوسي (٢٧١/١ ، ٨٨/٩) .

(٣) تفسير الرازي المسمى أنموذج جليل ص "٢٥" .

(٤) تفسير الرازي المسمى أنموذج جليل ص "٢٥" .

(٥) ذكر الباب يحتمل الباب حقيقة - ، ويحتمل منه القرية نفسها كما في الآية وذلك في اللغة جائز -  
يقال : فلان دخل باب كذا لا يعنون حقيقة الباب و لكن كونه في أمر هو فيه .

(٦) ذكر سجدا - يحتمل حقيقة السجود ، ويحتمل الأمر بالخضوع له - تفسير القاسمي

الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٨﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩] .  
لطائف الآيات :

أولاً : تذكر الآيات أول تجربة عملية مع بني إسرائيل وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة ؛ حيث أمرهم الله بدخول قرية في طريقهم فدخلوها يزحفون على أستانهم وقالوا : حبة في شعرة<sup>(١)</sup> . ومعنى حبة : أننا نحتاج إلى الأكل ، وشعره - كلام لافهم له ، قصدهم منه خلاف ما أمرهم الله به<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : قوله ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٩] وقوله ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ

(١) إشارة لحديث « قيل لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجداً وقلوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستانهم فبدلوا وقالوا : حطة حبة في شعره » الحديث رواه البخاري كتاب التفسير - باب (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية) برقم [٤٤٧٩ ، ٤٦٤١] (٨/٢٠٨ ، ٣٨٧) .

(٢) انظر : (تفسير المنار) (٣٢٤/١) . بقي مسألة حول هذا الأمر الذي نحن بصددده وهو : من خلال ما رأيت أن كثيراً من المفسرين ذكروا أن المقصود بالقرية هي بيت المقدس أو الأرض المقدسة المذكورة في سورة المائدة مستقلة ، وهذا مما يرد عليه مجموعه من الاعتراضات هي :

١- أن دخول الأرض المقدسة كان آخر موقف لبني إسرائيل مع نبيهم موسى - عليه السلام - وعقبوا بعد امتناعهم من دخول الأرض المقدسة بالتيه في حين أن سورتي البقرة والأعراف ذكرتا مواقف كثيرة لبني إسرائيل مع موسى بعد هذا الموقف - مثل استسقاء موسى لقومه ورفع الطور وكرهم الطعام الواحد... الخ

٢- أن حديث البخاري المروي آنفاً ينص على أنهم دخلوا القرية على أستانهم ، والمعلوم أن بني إسرائيل لم يدخلوا الأرض المقدسة إلا مع يوشع بن نون عليه السلام .

٣- أن العقاب الذي أوقع بهم هنا كان الرجز . بينما كان عقاب من امتنع عن دخول الأرض المقدسة هو التيه .

٤- دعا موسى على قومه وسماهم فاسقين حين أبوا دخول الأرض المقدسة ؛ بينما هنا لم يدع عليهم ؛ بل صبر عليهم حتى أوقع الله بهم عقابه .

٥- لا يخفى على ذي لب الفرق بين الخطاب هناك والخطاب هنا ، فهناك قال ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١] بينما هنا يخاطبهم الله مرة بقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة: ٥٨] ومرة يقول ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١] لكل هذه الأمور الاستفادة من الآيات يتبين أن الأمر بدخول القرية اختبار لبني إسرائيل في طريقهم إلى الأرض المقدسة .

انظر : - (العبرة من قصة موسى) - محمد خير عدوي - رسالة ماجستير ص "٤٧٩-٤٨٠" .

وانظر : - أحكام من القرآن الكريم - ابن عثيمين ص "٢٣٣" حيث قال في تفسير ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] هي القرية التي فتحوها قيل لهم : ادخلوها .

ظَلَمُوا ﴿ [البقرة: ٥٩] ما سر تكرار الذين ظلموا دون استعمال الضمير هنا ؟  
والجواب : زيادة في تقبيح أمرهم ، وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم  
لظلمهم .

ثالثا : ما سبب التخصيص في قوله تعالى ﴿ رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ٥٩] ؟  
والجواب : أن العذاب ضربان :-

ضرب يمكن أو يظن دفاعه كعذاب الآدمي للآدمي - أو من جهه المخلوقات  
كاهدم والغرق ، وضرب لا يمكن دفاعه - كالطاعون والصاعقة - والموت وهو  
المعني به هنا .

ثانيا : سورة الأعراف :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ  
وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ  
﴿ ١٣ ﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا  
مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦١-١٦٢] .

الفرق بينها وبين ما ذكر في سورة البقرة<sup>(١)</sup> .

أولا : قال هنا ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ﴾ وفي سورة البقرة قال ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ فما الفرق ؟  
والجواب : أن الخطاب وجه أولا لأهل مكة والكلام فيه عن غائب ، والأصل أن  
يذكر ضميره فيه فقال ( لهم ) .

أما في سورة البقرة فقال ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ والمعنى واحد ، إذ المعلوم أن القائل هو الله  
تعالى . وقد روعي فيها السياق حيث قال قبلها ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ ... ﴿ وَإِذْ  
وَعَدْنَا ﴾ [البقرة: ٥٠-٥١] فناسب أن يقول ( وإذ قلنا ) .

ثانيا : لم يقل فيها ( لكم ) كما قال هنا ( لهم ) لأن الخطاب لأسلافهم ، ثم فيه  
أيضا تذكير لهم بما تقوم به الحجة عليهم .

ثالثا : قال ههنا ﴿ اَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ [الأعراف: ١٦١] وفي سورة البقرة قال  
﴿ اَدْخُلُوا ﴾ [البقرة: ٥٨] فما الفرق ؟

(١) تفسير المنار (٣٧١/٩ : ٣٧٤) - وانظر : (ملاك التأويل) (٢٠٤/١ : ٢١١) ؛ البرهان في متشابه  
القرآن ص "١٢٣، ١٢٤" .

**والجواب :-** أن السكنى تستلزم الدخول ولا عكس - وتظهر فائدة اختلاف التعبير في الفعلين بما يليهما من العطف عليهما بـ ﴿ وَكُلُّوا ﴾ مرة وبالفاء أخرى فما الفرق ؟

**والجواب :** أنه عطف الأمر بالأكل في سورة البقرة بالفاء ﴿ فَكُلُّوا مِنْهَا ﴾ [البقرة: ٥٨] لأن الأكل يكون عقب الدخول - كأكل الفواكه والثمرات الموجودة في كل ناحية .

وأما السكنى أمرها ممتد ويكون الأكل في أثناءه لا عقبه ، فلذلك عطف عليه هنا بالواو التي تفيد الجمع بين الأمرين مطلقا بلا ملاحظة ترتيب ولا تعقيب ، وقد وصف الأكل بالرغد في سورة البقرة ، والتبشير به يناسب حال الدخول إذ الأمر لدى الداخل مجهول .

**رابعا :** في قوله تعالى هنا ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [الأعراف: ١٦١] وقدم في البقرة ما آخر هنا ، فما الفرق ؟

**والجواب :** أنه لا يدل على طلب ترتيب بين الأمرين ؛ لأن العطف فيه بالواو الداله على طلب الأمرين مطلقا ، فلو كان التعبير واحدا في الموضعين لفهم أن المقدم في الذكر أهم ، أما وكان الاختلاف بينهما حاصلًا ، فمعنى ذلك أنه لافرق بين تقديم هذا وتأخير ذلك وبين عكسه .

**خامسا :** قال هنا في الأعراف ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦١] قرئت ( تغفر ) بالتاء والفاء المفتوحة ورفع ﴿ خَطِيئَتَكُمْ ﴾ وهو يناسب ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦١] وقرأ الجمهور نغفر بالنون وكسر الفاء ونصب ﴿ خَطِيئَتَكُمْ ﴾ بكسر تائها وهو يناسب ما بعده وهو كون ﴿ سَنَزِيدُ ﴾ [الأعراف: ١٦١] للمتكلم المعظم ، والمعنى فيهما واحد ؛ لأن المخاطب الذي يغفر الذنوب واحد .

ثم إن كتابة الكلمتين في المصحف الإمام تحتل كل ما ذكر في الكلمتين - وفائدة الاختلاف لفظية قصد منها التوسع في القراءة .

**سادسا :** قال هاهنا ﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦١] بدون واو وهو جواب سؤال كأنه قيل : وماذا بعد المغفرة ؟ والجواب : سنزيد المحسنين جزاء حسنا على إحسانهم ، وفي سورة البقرة ﴿ وَسَنَزِيدُ ﴾ [البقرة: ٥٨] بالعطف حيث يدل الواو على كون هذه الزيادة تشارك المغفرة .

سابعاً : قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> [الأعراف: ١٦٢] وفيه زيادة (منهم) على ما في سورة البقرة ، فما سبب ذلك ؟  
والجواب :

لما في ذلك من الحاجة إلى ربط الكلام بعضه ببعض ، وليكون موافقاً لما ذكر في  
السورة من قوله ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِمَّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ  
ذَلِكَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨] .

ثامناً : قوله تعالى ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩] وقال هنا في الأعراف ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ  
بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٢] فلاختلاف في الآيتين جاء في ثلاثة مواضع :  
الأول : بين الإرسال والإنزال .

الثاني : بين المضرر ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ والمظهر ﴿ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ .  
الثالث : بين يظلمون ويفسقون .

فالأول :- لأن لفظ الرسالة والرسول كثرت في سورة الأعراف فجاء ذلك وفقاً  
لما قبله وليس كذلك في سورة البقرة .

والثاني :- أن قوله ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ في الأعراف يدل على عدم التصريح بنجاة  
غيرهم ، فكان العذاب خاصاً بهم ، ولوقال : فأرسلنا على الذين ظلموا رجلاً من  
السماء بما كانوا يظلمون ؛ لكان تكرار التعليل بالظلم منافياً للبلاغة القرآنية .

والثالث :- بين ﴿ يَظْلِمُونَ ﴾ ، ﴿ يَفْسُقُونَ ﴾ وفائدته بيان أن الظلم يلزم  
منه الفسق حيث كانوا جامعين بينهما ، أما الفسق فلا يلزم منه الظلم ، فناسب كل  
لفظ منهما سياقه ، وحسن أن هذه الزيادة فيه لأنها نزلت آخر <sup>(٢)</sup> .

الآيات التي ذكرت عقوبة إعراضهم عن قبول التوراة :

أولاً : سورة البقرة :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ  
بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> [البقرة: ٦٣-٦٤] .

(١) انظر : (البرهان في متشابه القرآن) ص "١٢٤" ، تفسير المنار (٣٧٣/٩) .

(٢) انظر : (البرهان في متشابه القرآن) ص "١٢٤" ؛ كشف المعاني ص "٩٨" ؛ تفسير المنار

(٣٧٤/٩) .



### لطائف في الآيات :

أولا : في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ [البقرة: ٦٣] ولم يقل : موثيقكم مع أنه لهم جميعا ، فلم ؟

والجواب : لأنه أراد ميثاق كل واحد منهم مثل ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [غافر: ٦٧] أي : يخرج كل واحد منكم طفلاً<sup>(١)</sup>.

ثانيا : رفع الجبل فوقهم تخويفا وإرهابا لهم حين عصوا أمر ربهم ورسولهم ، وكاد أن يسقط عليهم فسجدوا توبة لله فأخذوا التوراة بالميثاق<sup>(٢)</sup>.

ثالثا : في الآية يرد اعتراض هو : أن رفع الجبل عليهم وأمرهم بأخذ التوراة إكراه على الإيمان وإلجاء إليه وذلك ينافي التكليف ، فكيف ؟

والجواب من وجهين<sup>(٣)</sup> :

الوجه الأول : إن ما يفعل بالإكراه يعود اختياريا بعد زوال ما به الإكراه .

الوجه الثاني : إن مثل هذا الإلجاء والإكراه كان جائزا في الأمم السابقة، وأن نفي الإكراه في الدين كما في الآية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] خاص بالإسلام .

ثانيا : سورة النساء :

قال تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا أَبْوََابَ سُجْدَا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾<sup>(٤)</sup> [النساء: ١٥٤] .

ثالثا : سورة الأعراف :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١] .

ما في الآيات من لطائف :

أولا : نتقنا الجبل أي : قلعناه من موضعه - وأصل نتق في اللغة : قلع الشيء من موضعه والرمي به<sup>(٥)</sup> .

(١) التفسير الكبير للرازي (١٠٧/٣) ؛ وانظر : (التفسير المنير) (١٨٠/١) .

(٢) تفسير الطبري (١٥٧/٢) .

(٣) تفسير المنار (٣٤٠/١) .

(٤) وقد تقدم الكلام عليها بما فيها من تقديم وتأخير عند قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سُجْدَا ﴾ [الأعراف: ١٦١] وأما قوله ﴿ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ [النساء: ١٥٤] فالخطاب جاء تذكيرا لليهود بما فعله أسلافهم وسيأتي الكلام على ذلك عند قول الله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] .

(٥) التفسير الكبير للرازي (٤٥/١٥) ؛ وانظر : مفردات الراغب ص (٥٠٣) .

إذا فمعنى ﴿ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾ أي : قلعناه من أصله وجعلناه فوقهم كأنه ظلة كالسقيفة ، والظلة : كل ما أظلك من سقف أو سحابة أو جناح حائط ، والجمع : ظلل وظلال .

إذا فلا منافاة بين قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ [النساء: ١٥٤] وبين ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ﴾ .

ثانيا : ما جاء هنا في سورة الأعراف من نتق الجبل ورفعهم فوقهم وأيقنوا بوقوعه عليهم زاد ما في سورة البقرة إيضاحا وتفسيرا<sup>(١)</sup> ، والقرآن يفسر بعضه بعضا .

### و - الآيات التي ذكرت عقوبة عناد بني إسرائيل في ذبح البقرة :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٣٧] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [٣٨] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ [٣٩] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [٤٠] قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٤١] وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [٤٢] فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [٤٣] ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٤٤] [البقرة: ٦٧-٧٤] .

### ما في الآيات من لطائف :

أولا : كان سبب قصة ذبح بقرة بني إسرائيل هو تخاصمهم وتدافعهم في أمر قتل قتل لا يدرى من قتله .

ثانيا : ذكر قتل القتل وإحيائه من بعد موته جاء متأخرا عن القصة ، وهذا من قبيل التأخير لفظا والتقديم معنى للتشويق في معرفة سبب ذبح البقرة<sup>(٢)</sup> ، أو أن آيات

(١) انظر : (ملاك التأويل) ص "٢٢٣" .

(٢) التفسير الكبير (١٢٣/٣) حيث قال : قدمت قصة الذبيح لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولو كانت واحدة لذهب الغرض من بينية التفريع . وانظر : (التفسير المنير) (١٨٩/١) .

البقرة سبقت لبيان النعم فناسب تقدم ذكر النعمة على ذكر الذنب<sup>(١)</sup> .

ثالثا : أسند القتل لليهود المعاصرين للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنهم من سلالة السابقين وهم معتزون بنسبهم راضون بفعلهم - فكأنهم شاركوهم في ذلك<sup>(٢)</sup> .

رابعا : أن الله - تعالى - قادر على إحياء الميت دون الضرب ببعض البقرة ، فما فائدة الأمر بذبحها لذلك ؟

والجواب : فائدة ذلك ترتيب الأشياء على أسبابها لما اقتضته حكمته تعالى ، ثم لجبر اليتيم صاحب البقرة بما حصل له من ثمنها<sup>(٣)</sup> .

خامسا : أمر الله بني إسرائيل حين سألوا موسى في أمر القتل أن يذبحوا بقرة ، وللعقل أن يتأمل العلاقة بينها وبين عبادتهم للعجل .

سادسا : في قوله تعالى ﴿ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ [البقرة: ٧١]

قد يقال : إن فيها عيبا لأنها لا تقدر على أن تثير الأرض أو تسقى الحرث - فكيف ؟

والجواب : أن الله بين بعدها أنها ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٧١] أي : سليمة

من العيوب وآثار العمل ، وهذا يسمى بالاحتراز أو الاحتراس في علم البلاغة<sup>(٤)</sup> .

سابعا : قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ [البقرة: ٧٤] كلاهما في المعنى واحد ، فما فائدة الثاني ؟

والجواب : فائدة هذا الوصف معذرة منه تعالى لها لأن منها ما هو ألين من قلوبهم

لما يدعون إليه من الحق<sup>(٥)</sup> .

ثامنا :- لم شبه الله قلوب بني إسرائيل بالحجارة في قساوتها أو أشد دون الحديد ؟

والجواب : لأن الحديد قد يلين مع النار ، لكن الحجارة لاتلين ، فقلوبهم كالحجارة

(١) كشف المعاني ص "١٠٢" .

(٢) انظر : (التفسير المنير) (١/١٩٠) .

(٣) كشف المعاني ص (١٠٢) - وانظر : (التفسير الكبير) (٣/١٢٥) .

(٤) أحكام من القرآن ، محمد ابن عثيمين ص "٢٨٨" - وقد جاء في القرآن في مواقع منها آية

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ قال بعدها - ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ

الْحِجَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ، وآية ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ

أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا ﴾ - قال بعدها - ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [الحديد: ١٠]

ومعنى الاحتراس : أن يؤتى بلفظ في الجملة إما مبالغة وإما احتياطا واحتراسا من التقصير . انظر :

(العمدة في محاسن الشعر) (١/٦٤٥) .

(٥) انظر : تفسير الطبري (٢/٢٣٩، ٢٤٠) .

أو أشد . بل إن الحجارة خير من قلوبهم ، لأن الحجارة يخرج منها ما فيه منافع للناس كما ذكر الله<sup>(١)</sup> .

— الآيات التي ذكرت عقوبة أهل التيه :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠] يَنْقُومِ آذْكُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦] .

ما في الآيات من لطائف :

أولاً : كيف قال ﴿ يَنْقُومِ آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾ [المائدة: ٢٠] ولم يكونوا كلهم ملوكا ؟

فالجواب : إما أن المراد : جعل فيكم ملوكا ، وهم ملوك بني إسرائيل ، أو المراد : أنه رزقهم المنازل الواسعة التي فيها المياه الجارية ، أو المراد به أنه رزقهم الصحة والكفاية والزوجة الموافقة والخادم والبيت فسماهم ملوكا لذلك<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : من أين علم الرجلان أنهم غالبون ؟

(١) أحكام من القرآن ص ٢٨٠ - وانظر : (التفسير الكبير) (١٢٩/٣) .  
(٢) تفسير الرازي - أنموذج جليل ص ١١٢ ، وانظر : درة التنزيل ص ٨٢ ، وقد جاء في تفسير ﴿ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾ [المائدة: ٢٠] قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن الحكم أو غيره عن ابن عباس قال : الخادم والمرأة والبيت ، وروى الحاكم في مستدركه من حديث الثوري أيضا عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : المرأة والخادم ، وعن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سمي ملكا .  
وقال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا هاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال : ألك مسكن تسكنه ، قال : نعم ؛ قال : فأنت من الأغنياء ، فقال : إن لي خادما ، قال : فأنت من الملوك .  
وروى ذلك عن الحسن وزيد بن أسلم وهو في صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق (٢٢٨٥/٤) برقم [٢٩٧٩] .

**فالجواب :** علموا من جهة وثوقهم بإخبار موسى - عليه الصلاة والسلام -  
فذلك قوله ﴿ اَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١] أو علما  
بذلك بغلبة الظن وما عهداه من صنع الله تعالى بموسى - عليه الصلاة والسلام -  
في قهر أعدائه .

**ثالثا :** قوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] يدل على  
أن من لم يتوكل على الله لا يكون مؤمنا ، وإلا لضاع التعليق ( أي : الشرط ) وليس  
كذلك فكيف ؟

**فالجواب :** أن ( إن ) هنا بمعنى ( لأن ) فتكون بمعنى التعليل كما في قوله تعالى  
﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٢٧٥] .

**رابعا :** كيف نوفق بين قوله تعالى ﴿ اَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ  
لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١] وبين قوله ﴿ فَإِنَّهَا حُرْمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ٢٦] ؟  
**فالجواب :** من وجوه :

**الأول :** كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها ، فإن أبيتم فإنها محرمة عليكم .  
**الثاني :** أن المراد تحريمها عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان  
ما كتب لهم .

والذي أميل إليه منها أنه بعد الأربعين دخلها الطائعون ممن بقي منهم وذرية من  
مات منهم .

**خامسا :** إن قيل : كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في مفازة أربعين سنة دون  
أن يستطيعوا الخروج منها ، فلو وضعوا أعينهم على حركة الشمس أو الكواكب  
لخرجوا ، ولو كانوا في بحر عظيم ، فكيف في المفازة الصغيرة ؟

**فالجواب :** أن انخراق العادات في زمان الأنبياء غير مستبعد ؛ لأننا إذا فتحنا باب  
الاستبعاد لزم الطعن في جميع المعجزات<sup>(٢)</sup> .

**سادسا :** قوله تعالى على لسان موسى ﴿ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾<sup>ط</sup>  
[المائدة: ٢٥] فما معنى الملك هنا الجواب : أن مراده : إني لا أملك إلا نفسي ، وأخي  
أيضا لا يملك إلا نفسه ، فلا قدرة لي ولا له على بني إسرائيل - وليس معناه : الاستبعاد  
إذ هو أخوه فكيف يملكه<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير الرازي أنموذج جليل ص "١١٣" ، وانظر : (الكشاف) (١/٣٢٢) .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١١/٢٠٢) .

(٣) حاشية أيسر التفاسير (١/٦١٨) مكتبة دار العلوم والحكمة .

## المطلب الثاني والثالث : سبب العقوبة ( ونوعها )

لعقوبة بني إسرائيل عدد من الأسباب ، نحمل ذلك فيما يلي حسب ما اقتضاه كل موقف لا العرض التاريخي ؛ لأن القصد هو الاعتبار بما حصل لهم وجني الدروس المستفادة منها<sup>(١)</sup> .

الأول : عبادتهم للعجل وعقوبة صانعه .

الثاني : طلبهم رؤية الله - عز وجل - وإعراضهم عن قبول التوراة .

الثالث : تبديلهم أمر الله قولاً غير الذي قيل لهم .

الرابع : كفرانهم لنعم الله ورغبتهم في الرجوع إلى الذل .

الخامس : مراوغاتهم وتملصهم في عدم ذبح ما أمروا به .

السادس : امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة .

وإليك بيان كل سبب باختصار .

أولاً : عبادتهم العجل .

ليبان هذا السبب سوف نربطه بموقفين على ضوء ما ذكر القرآن عنهم :

الموقف الأول : قولهم لموسى عليه السلام ﴿ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾

[الأعراف: ١٣٨] .

الموقف الثاني : أمر الله لهم بذبح بقرة حين قتل قتيل منهم لا يدرى من قتله .

قولهم لنبيهم ﴿ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] .

قال تعالى : ﴿ وَجَوَّزْنَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ

(١) قال صاحب صفوة الآثار : « إن الله تعالى لم يراع الترتيب في سرد أحوالهم ومواقفهم وتنويع نعمه عليهم ، لأنه لما كان يريد العظة والاعتبار جعل بيانه لنعمه عليهم متصلاً بأسبابها ، منفصلاً عن أوقاتها .

وقد اعترض بعض أعداء القرآن عليه بعدم ترتيب ما فيه من القصص ، كتأخير مثلاً لذكر الاستسقاء وضرب الحجر ، مع أنه كان متقدماً على دخول القرية ، فأجابهم علماً أننا بما تقدم ، وبأن القرآن لم يقصد التاريخ وسرد الوقائع بمواقفها مرتبة ، لأن هذا قد يخالف لوازم الهداية ومواقع العظة والاعتبار ، والقرآن كتاب هداية لا كتاب تاريخ ، فهو يعنى ببيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب منها وبيان النقم بعلمها ليحذر منها ، فكانت طريقة القرآن أبلغ في التذكير والتأثير « صفوة الآثار (٢/ ١٤٢) .

اللَّهُ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذْ أَخَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ  
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ  
وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤١] .

في الآية تذكير لبني إسرائيل بنعم الله - تعالى - عليهم بعد أن أغرق عدوهم  
ونجاههم من أعدائهم وخلصهم من عبوديتهم الذليلة إلى حرية الاستقلال من بعد  
الضلال إلى استقامة الفطرة وربطها بخالقها عز وجل من جديد - ولكن انظر بم قابل  
بنو إسرائيل هذه النعم العظيمة ؟.

بعد خروجهم من البحر سالمين قد شفى الله صدورهم من عدوهم أمام أعينهم  
ينسونها وبسرعة لنظرة عابرة نفذت إلى قلوبهم من قوم يعبدون أصناما لهم - فظنوا أن  
ذلك لا يقدح في العبودية لله وحده . عندها يغضب موسى لله تعالى ويقول في الحال  
﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فوصفهم بالجهل المطلق وأكدته ، فلا جهل  
أعظم مما رأى منهم ولا أشنع ، ثم واصل تأنيبه لهم وإنكاره الشديد عليهم لعل من به  
رشد منهم أن يثوب إلى رشده فقال ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَرِّئُونَ مِمَّا فِيهِ وَيَبْطِلُونَ مَّا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٩] أي : مدمر ومهلك وباطل زاهق ومضمحل زائل - وما  
أدعوكم إليه فيه عزكم ونجاتكم وسعادتكم فقد فضلكم على العالمين وشرفكم على  
سائر الخلق أجمعين ، أفهكذا يكون شكركم له ؟<sup>(١)</sup> ومن فضل الله عليكم ونعمه أن  
أنجاكم من عدوكم وأخرجكم سالمين بعد أن كنتم مستضعفين ذليلين لا تستطيعون  
دفعاً عن أنفسكم ولا عن أولادكم ، وهذا يتطلب منكم الشكر لا الكفر .

ثم إن موسى - عليه السلام - حين أرسل لم يرسل إلا لتخليصهم من عبادة غير  
الله ، فلو لم يكونوا جهلة بحق لما طلبوا منه ذلك .

والواقع الذي لا يتصور غيره أن استمراءهم الذل والمهانة في ظل العبودية هو الذي  
جعلهم ينسلخون من كل ما يمكن أن يرفع من قدرهم إلا من رحم الله ، وما الذل  
الذي نزل بهم إلا نقمة من الله أصابتهم لتركهم دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام -  
فلا عجب أن يطلبوا من نبيهم ذلك ، وقد مر معنا من قبل كيف تجرأوا وقالوا لموسى  
عليه السلام ﴿ قَالُوا أُودِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

(١) هذا التفضيل : خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون . انظر : (تفسير ابن كثير)

(٩٢/١) ؛ حاشية أيسر التفاسير (٢/٢٣٢) .

وهذا يدل على استعجالهم وعدم صبرهم . وإلا فقد رأوا من الآيات والعبر ما يكفيهم لو كانوا طلاب حق ، ثم قالوا له بعد ذلك حين طلب منهم ذبح بقرة ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا ﴾ [البقرة: ٦٧] وهذا غاية الجهل بالنبوة ، إذ الأنبياء يستحيل عليهم الهزاء ألبتة لأنهم معصومون ، ثم قالوا له بعدها ﴿ آدَعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [البقرة: ٦٨] فكأنما هو ربه وحده لا ربهم كذلك - ثم يقولون في نهاية القصة ﴿ أَلَّنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٧١] كأنما كان كل ما مضى ليس حقا . أو كأنهم لم يستيقنوا أن ما جاءهم به هو الحق إلا اللحظة<sup>(١)</sup> ؛ وفي آخر المطاف يأبون دخول الأرض المقدسة ويعصون أمر الله وأمر رسوله فيدعو عليهم نبيهم ، فقد آن الآوان إلى المفاصلة وانتهى دور المجادلة فقد أصبحوا فاسقين حقا ، فقوم هذا حالهم لا غرابة إذا طلبوا عبادة العجل لأنهم كما قال نبيهم : قوم يجهلون .

وبعد طلبهم وتربية موسى لهم وإخبارهم بما يؤدي إليه من الشرك أخذ في وعظهم لتلقي أوامر الله - عز وجل - ولكن القوم لم يكونوا بعد على استعداد لهذه المهمة الكبرى ؛ بل يبدو أنهم لم يقتنعوا بذلك ، فما إن غاب موسى - عليه السلام - عنهم حتى قاموا بصنع إله لهم يعبدونه من دون الله ، حين كان موسى يتلقى من ربه الأوامر والنواهي ويتلذذ بخطاب الله تعالى في مواعده إياه ليتلقاه ويتلقى عنه - قال تعالى ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أخرج الديلمي عن ابن عباس يرفعه « لما أتى موسى - عليه السلام - ربه - عز وجل - ، وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين وقد صام ليلهن ونهارهن ، كره أن يكلم ربه - سبحانه - وريح فمه ريح فم الصائم ، فتناول من نبات الأرض فمضغه ، فقال له ربه : لم أفطرت ؟ وهو أعلم بالذي كان ، قال : أي رب ، كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الرائحة ، قال : أوما علمت يا موسى ، أن ريح فم الصائم عندي أطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرة أيام ثم ائتني ، ففعل موسى - عليه السلام - الذي أمره ربه وذلك قوله سبحانه ﴿ وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ﴾<sup>(٢)</sup> وفي هذه المدة عاد حلمهم الأول إليهم ؛ ليقول للسامري : اصنع عجلا لهم يعبدونه حتى يرجع إليهم موسى عليه السلام ، وقد أخبر الله موسى - عليه

(١) في ظلال القرآن (١/ ٧٨ : ٧٩) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم لسورة الأعراف بتحقيق حمد بن أبي بكر (٢/ ٤٧٠) رسالة ماجستير وقال :

«إسناد الحديث حسن» - انظر : (الدر المنثور) (٣/ ٢١٥) ؛ روح المعاني (٩/ ٤٢) .



السلام - أن قومه افتتنوا بصنع صنم لهم وادعوا أنه إلههم وإله موسى - فرجع موسى إليهم ولم تكن اتضحت حقيقة هذه الفتنة التي أصابت قومه له إلا حين رجع ؛ لأن المعاينة أشد من السماع<sup>(١)</sup> ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] من شدة الغضب - وحق له أن يغضب ويغضب الله عز وجل .

ألقى الألواح ليس عن استهانة بها<sup>(٢)</sup> ؛ وإنما لهول ما رأى ، وحاشاه أن يفعل ذلك ! وهو الذي اشتد غضبه على قومه لله - تعالى - غيرة لله وغضبا له ، وكان هارون - عليه السلام - قد نهاهم عن ذلك ولكنهم لم يستجيبوا له ولم يأبهوا به ؛ بل كادوا يقتلونه<sup>(٣)</sup> .

والظاهر من سياق الآيات أن موسى - عليه السلام - خاطب فئتين من قومه : الفئة الأولى : المؤمنة ؛ وكان يود أن يكونوا أشد غضبا لله مما فعلوا فخاطبهم بقوله ﴿بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] فلم لا تكفوا عبدة العجل عما فعلوا بعد ما رأيتم مني من حملهم على توحيد الله وتنزيهه عن الشركاء وإخلاص العبادة له؟<sup>(٤)</sup>

والفئة الثانية وهم : عبدة العجل ؛ حيث اشتد غضبه عليهم قائلا ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: ٧٧] بعبادة العجل وكنتم من قبل على

(١) وفي الحديث الذي رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «يرحم الله موسى ، ليس المعين كالخبير ، أخبره ربه - عز وجل - أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح ، فلما رآهم وعانينهم ألقى الألواح» أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير (تفسير سورة الأعراف) (٣٥١/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

(٢) قال ابن كثير (٢٥٨/٢) في تفسير ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ : ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضبا على قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا - ، وألقاها ولم تتكسر ، ولم يثبت في خبر صحيح أن الألواح تكسرت عندما ألقاها . قال القرطبي : قال أبو الفرج بن الجوزي : من يصحح عن موسى - عليه السلام - أنه رماها رمي كاسر ؟ والذي ذكر في القرآن ألقاها ، فمن أين لنا أنها تكسرت اهـ (٢٨٨/٧) وقال الفخر الرازي (١١/١٥) : ليس في القرآن إلا أنه ألقى الألواح ، فأما أنه ألقاها بحيث تكسرت ، فهذا ليس في القرآن ، وإنه لجراءة عظيمة على كتاب الله ، ومثله لا يليق بالأنبياء عليهم السلام : قلت : لم أجد ما قاله القرطبي في تفسيره من موضعه فلعله أخذها من مصادر أخرى .

(٣) راجع لطائف آيات سورة الأعراف رقم (٨) .

(٤) روح المعاني (٦٦/٩) .

التوحيد الذي تركتكم عليه بوعده منكم ونسيتم ما وعدنا الله من النصر ودخول الأرض المقدسة ، أنسيتم نعم الله وعهده عليكم وما بالعهد من قدم ﴿ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [طه: ٨٦] أم بمعنى : بل ، أي : بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم<sup>(١)</sup> .

فاعتذروا بأنهم مغلوبون على أمرهم من السامري الذي أغراهم بكيده وأضلهم بفعله وأغراهم بعبادة ما صنع فقالوا : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه: ٨٨] .

### سبب عقوبة صانع العجل :

ذكر الله - تعالى - أن اسمه ( السامري ) في قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبَكَ أَخْلَىٰ أَلَسَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٧] وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴾ [طه: ٩٥] صنع السامري العجل من حلي بني إسرائيل (وقد كان صائغا) ، وللمفسرين - رحمهم الله تعالى - كلام كثير حول كيفية صناعة العجل وخواره ، وأقوالهم في ﴿ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ [طه: ٩٦] مما ينزه عنه كلام الله تعالى ، ومصدرها أهل الكتاب ، وفيهم كما قال ابن كثير كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة<sup>(٢)</sup> ، وأقرب الأقوال وأولاها ، ما ذكره الرازي المفسر عن أبي مسلم الأصفهاني<sup>(٣)</sup> حيث قال : ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون<sup>(٤)</sup> ، فها هنا وجه آخر وهو : أن يكون المراد بالرسول موسى - عليه السلام - وبأثره سنته ورسمه الذي أمر به .

فقد يقول الرجل : فلان يقفو أثر فلان ، ويقبض أثره إذا كان يمثل رسمه ، والتقدير : أن موسى - عليه السلام - لما أقبل على السامري باللوم والمسئلة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم فقال : ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه: ٩٦] ، أي : علمت أن الذي أنتم عليه ليس بحق ، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أي : شيئا من سنتك ودينك ، وأخذت قبضة من ذهب المصريين وطرحته في النار ثم صنعت العجل ، فعند ذلك أعلمه موسى - عليه السلام - بما له من العذاب في الدنيا

(١) انظر : (تفسير ابن كثير) (٢٥٨/٢) ؛ التفسير الكبير (١٠٣/١٠٢/٢٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢٥٨/٢) .

(٣) اسمه : محمد بن (مسلم بن) بحر الأصبهاني ، كان كاتباً بليغاً ومتكلماً جدلاً عالماً بالتفسير له كتاب (جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب المعتزلة) . انظر : (الفهرست لابن النديم محمد بن أبي يعقوب) ص "١٥١" ط دار المسيرة .

(٤) انظر مثلاً : تفسير الخازن (٢١١/٣) ؛ تفسير القرطبي (٢٣٩/١١ ، ٢٤٠) ؛ ابن كثير (١٧٢/٣) ؛ روح المعاني (٢٥٣/١٦) .

والآخرة . وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له : ما يقول الأمير في كذا ؟ وماذا يأمر الأمير ؟ .

وأما دعاؤه موسى - عليه السلام - رسولا مع جحده وكفره فعلى مثل مذهب من حكى الله عن قوله ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] وإن لم يؤمنوا بالإنزال<sup>(١)</sup> . وقال صاحب الظلال : « والقرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث ؛ إنما هو يحكي قول السامري مجرد حكاية ... ونحن نميل إلى اعتبار هذا عذرا من السامري وتملصا من تبعة ما حدث . وأنه صنع العجل من الذهب الذي قذفه بنو إسرائيل من زينة المصريين التي أخذوها معهم ، وأنه صنعه بطريقة تجعل الريح تحدث صوتا كالخوار ، ثم قال حكاية أثر الرسول يبرر بها موقفه ، ويرجع الأمر إلى فطنته إلى أثر الرسول ! » .

#### ب - نوع عقوبة عبدة العجل :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] .

في الآية يبين الله - جل وعلا - نقمته في الدنيا والآخرة على من صنع العجل أو عبده أو رضى به - ونعني هنا بعذاب الآخرة لمن لم يقبل الله توبته كالسامري ومشايعيه في هذا الأمر ، فهم مستثنون من آيات التوبة كما استثني إبليس اللعين .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴾ قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبدتها وكذلك سولت لى نفسى ﴿ قال فأذهب فإني لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وأنظر إلى الهالك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لنسفنه في اليم نسفا ﴾

[طه: ٩٥-٩٧] - الآية الأخيرة صريحة في أنه لا توبة للسامري<sup>(٢)</sup> ، وإن تاب فإن الله لا يتوب عليه مع أن شأنه تعالى رحمته بعباده لكنه رفع عنهم الرحمة ؛ لكونهم ليسوا بأهل لها ، وأحل مكانها سخطه وغضبه عليهم فأذلم في الدنيا وادخر لهم في الآخرة ما يناسب مقامهم من العذاب .

(١) التفسير الكبير للرازي (١١١/٢٢) .

(٢) راجع لطائف آيات سورة طه رقم (٦) .

فأما في الدنيا : فقد أخرجهم سيدنا موسى - عليه السلام - من بين بني إسرائيل وقال له ﴿ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه: ٩٧] أي : اذهب مطرودا لا يمسك أحد ولا تمس أحدا . وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه - وكانت هذه إحدى العقوبات في دين سيدنا موسى عليه السلام ، وهذه هي عقوبة النبذ من المجتمع أو العزل المدني وإعلان دنس المدنس فلا يقربه أحد<sup>(١)</sup> .

أما عقاب من اتخذوا العجل وتوبة الله عليهم فقد كانت أمرا عجابا مماثل كفرهم الأعجب :

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩] .

وهذا يدل على أنه بقي فيهم شيء من الاستعداد للعمل الصالح ولم تكن قلوبهم قست كما قست من بعد كما وصفهم الله العليم بهم . عندها تحركت فطرتهم وأيقنوا أنه لا ينقذهم إلا أن تدركهم رحمة الله ومغفرته قالوا ﴿ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩] فكانت كفارة صنيعهم ما ذكر الله في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤] .

أخرج الطبري بسنده<sup>(٢)</sup> ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال موسى لقومه ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] أمر موسى قومه - عن أمر ربه

(١) انظر : (التفسير الكبير) (١١٣/٢٢) ؛ تفسير ابن كثير (١٧٢/٣) ؛ تفسير القاسمي (٩٠/١١) ؛ في ظلال القرآن (٢٣٤٩/٤) ؛ التفسير المنير (٢٧٢/١٦ ، ٢٧٣) .

(٢) السند (حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال : حدثنا سفیان بن عيينة قال : قال أبو سعيد/عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس وكلهم ثقات - فعبد الكريم بن الهيثم ثقة مأمون - ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (٧٨/١١ ، ٧٩) ، وياقوت في معجم الأدباء (١٥٤/٤) ، انظر : (تفسير ابن جرير) (٤٣/١) ، وإبراهيم بن بشار الرمادي أيضا ترجم له ابن حجر في التهذيب (٩٤/١) قال عنه البخاري : صدوق - وسفيان سبقت ترجمته معروف . وأبو سعيد ثقة متقن كما قال ابن حجر في التقريب ص (٣٦١) الراوي عن عكرمة عن ابن عباس ، فالأثر صحيح .

— عز وجل — أن يقتلوا أنفسهم ، قال : فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا ، وقام الذين لم يعكفوا على العجل ، وأخذوا الخناجر بأيديهم ، وأصابتهم ظلمة شديدة ، فجعل يقتل بعضهم بعضا ، فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل ، كل من قتل منهم كانت له توبة ، وكل من بقي كانت له توبة<sup>(١)</sup> .

وهكذا فعلوا كما أمروا حيث كان عقاب ظلم النفس قتلها ، وأي ظلم أشد من أن يتخذ الإنسان مع بارئه وخالقه إلها يعبد ، كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فأعظم الظلم أن يجحد الإنسان حق ربه حتى يجعل حقه لغيره فيعبد غير الله مثلما يعبد الله عز وجل - يقول لهم عليه الصلاة والسلام : ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي : ارجعوا إليه من معصيته إلى طاعته ، ومن الإشراف به إلى توحيده ، ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي : ليقتل بعضهم بعضا ، وإنما عبر بقتل النفس لأن المؤمن أخو المؤمن ، فكأنه هو نفسه<sup>(٢)</sup> ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] فإن توبتكم بما فعلتم فيها الخير عند الله تعالى فلما فعلوا تاب الله عليهم .

ثانيا : طلبهم رؤية الله عز وجل وإعراضهم عن قبول التوراة .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦] .

في هذه الآيات ازداد تمردهم حتى قالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وهذا غاية في العناد والاستكبار والتكذيب ، ويظهر أن الذي قال هذا مجموعهم أو سوادهم الأعظم فاختار موسى - عليه السلام - سبعين رجلا<sup>(٣)</sup> يذهب

(١) تفسير الطبري (٧٣/٢) وانظر : (تفسير البغوي) (٩٦/١) ، تفسير ابن كثير (٦٦/١) .

(٢) أحكام القرآن ابن عثيمين ص "٢١٩ ، ٢٢٠" وقد أخطأ من فهمه بأن يقتل بعضهم بعضا وإنما الأمر في قوله تعالى ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] لمن لم يعبد العجل أن يقتلوا العبد . انظر : تفسير القاسمي (١٢٧/٢) .

(٣) قال تعالى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَّ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٥٧] وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٥-١٥٦] .

بهم إلى الطور للاعتذار مما حصل ، وأنهم لما أتوا الطور قالوا هذه الكلمة البشعة فأماهم الله بالصاعقة ، فقام موسى يبكي ويناشد ربه في قومه يقول : بماذا أرجع لبني إسرائيل فإني أمرتهم بالافتتال ثم اخترت من بقيتهم هؤلاء فكيف أرجع دونهم ؟ ومن يصدقني أنهم ماتوا ؟ فلم يزل يتودد إلى الله بقوله ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] حتى أحياهم ونظر كل واحد منهم إلى الآخر<sup>(١)</sup> فكان بعثهم من بعد موتهم منة وفضلا منه تعالى عليهم لعلهم يشكرون هذه النعمة إذا ذكروها ، وفي تلك الصحراء أظلمهم بالغمام من حر الشمس فصاروا في ظل بارد ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، والمن : طعام يجدونه منتشرا على رؤوس الشجر كأنه العسل فيأكلونه ، والسلوى : الطائر المعروف بالسمان وهو من ألد الطيور لحما ، وسمي المن منا لأنه يحصل بدون تعب ولا مشقة<sup>(٢)</sup> ، وأتم الله هذه النعم بنزول التوراة بما فيها من هدى ورحمة ؛ فأبوا الامتثال لأوامرها وقالوا : سمعنا وعصينا ، وهذا إن دل فإنما يدل على سوء طباعهم وخبيث سريرتهم فعاقبهم بنتق الجبل فوقهم كأنه ظلة وهددهم بسقوطه عليهم حتى أذعنوا وانقادوا ، ولكنه انقياد مؤقت قضت عليه الطباع اللئيمة قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣-٦٤] وما رفع الله فوقهم الطور إلا بعد فسوقهم وعصيانهم لأمر الله فيما أنزل عليهم ؛ حيث أمرهم أن يأخذوا ما آتاهم من الشرع بقوة وأن يذكروا ما فيها من المواعظ والأحكام ليصلوا إلى تقوى الله عز وجل ، ولكنهم تولوا بعد ذلك ، ولولا أن الله تداركهم بفضلهم ورحمته وشملهم بفضلهم ومنته لكانوا من الخاسرين الهالكين بالعقوبة .

نوع عقوبة من طلبوا رؤية الله عز وجل :

كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ [البقرة: ٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ

(١) قاله السدي ، وسنده عند ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ثنا عمرو بن حماد ثنا أسباط عن السدي . وقد حقق هذا السند الشيخ محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١/١٥٦) ورجح توثيقهم جميعا مع اختلاف الأئمة في أسباط بن نصر بين توثيق وتضعيف ، والصحيح ما قاله ابن حجر من أنه صدوق كثير الخطأ - انظر التقريب ص ٩٨ ، وللأثر طريق آخر انظر : تفسير الطبري (٢/٨٧) ؛ تفسير ابن كثير (١/٩٣) فهو مجموع طرقه حسن لغيره .

(٢) انظر : (تفسير ابن كثير) (١/٩٩/١٠٠) ؛ أحكام القرآن ص ٢٢٦ .

الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴿١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَاكَم جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ [طه: ٨٠] .

هذا الوعد كان لموسى مع قومه الذين اختارهم الخير فالخير ، ثم ذهب بهم لميقات الله ليصدقوه فيما جاءهم به من الفرائض بالألواح<sup>(١)</sup> ، ويبدوا أنهم سمعوا كلام الله لموسى يأمره وينهاه فقالوا له ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] علانية ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ [البقرة: ٥٥] أي : فماتوا ، وهي الرجفة كما جاء في الآية الأخرى ، وربما رجف بهم ثم نزلت بهم صاعقة أخذت أنفاسهم كما حصل لقوم صالح وشعيب - عليهما السلام - وقد ذكر المفسرون من معانيها أنهم سمعوا صوتا فصعقوا أي : ماتوا<sup>(٢)</sup> .

وقال السدى ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ أي : نار<sup>(٣)</sup> أهلكتهم ، فلما رأى موسى ﷺ ذلك توجه إلى الله يدعو ويتضرع إليه حتى رد الله أرواحهم إليهم - فكان موتهم عقوبة لهم وبعثهم ليستوفوا آجالهم<sup>(٤)</sup> .

وهكذا هلكوا ثم بعثوا جزاء صنيعهم والتوائهم وإعراضهم عن قبول الحق الذي جاء به موسى - عليه السلام - فرفع الله فوقهم الجبل حتى كاد يسقط عليهم لولا لطف الله بهم .

وقد دلت الآية أن طلب رؤية الله - تعالى - في الدنيا مستنكر ، ولذا لم يذكر سبحانه وتعالى سؤال الرؤية إلا استعظمه مثل قوله تعالى

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٩٧/١) ؛ تفسير المنار (١٨٦/٩-١٨٧) ؛ في ظلال القرآن (١٣٧٧/٣) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨٢/٢) وسنده : حدثنا به الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة ورواه أيضا عن الربيع بن أنس به .

(٣) تفسير ابن جرير (٨٣/١) وسنده حدثني موسى بن هارون الهمداني قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى اهـ . وقد ذكرنا من قبل توثيق الشيخ أحمد شاکر له .

(٤) انظر : تفسير ابن أبي حاتم بتحقيق د/ أحمد العماري وسنده : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قوله ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٦] فبعثوا من بعد موتهم لأن موتهم ذلك كان عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليوفوا آجالهم » (١٧٣/١) ورواه ابن جرير (٨٩/٢) من طريق عبد الرزاق به حيث جمع بين متنيهما بإسناد واحد ، وكذلك السيوطي (١٣٦/١) ، الأثر بمجموع طرقه حسن .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٣]  
ومنها قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١] فدللت هذه التهويلات الواردة لطالبيها في الدنيا على امتناعها فيها .

ثالثا : ( تبديلهم أمر الله ) :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٨﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩]

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأعراف: ١٦١-١٦٢] .

المقصود بالقرية : قرية فتحوها في طريقهم ، وكانت أول تجربة عملية لبني إسرائيل بعد تنظيمهم وتقسيمهم أسباطا وللسير بهم باتجاه الأرض المقدسة ، فكان هذا بمثابة أول اختبار جهادي لهم ، ولكنهم خالفوا ما أمروا به من القول والفعل ؛ حيث أمروا بالسجود عند انتهائهم شكرا لله ويقولوا : حطة فبدلوا السجود بالزحف وقالوا : حبة في شعرة !! .

أخرج البخاري بسنده عن همام بن منبه<sup>(١)</sup> أنه سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول : قال رسول الله ﷺ « قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا : حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا - فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا : حبة في شعرة » - قال ابن حجر كذا للأكثر ، والحاصل : أنهم خالفوا ما أمروا به من الفعل

(١) هو همام بن منبه بن كامل الصنعاني ، أبو عتبة ، أخو وهب ، يكنى أبا عقبة ، روى عن أبي هريرة وابن عباس ومعاوية ، وروى عنه وهب بن منبه ، ومعمر وعقيل بن مقفل وعلي بن الحسن قال عنه يحيى بن معين : ثقة . انظر/الجرح والتعديل (١٠٧/٩) ؛ التقريب : ص ٥٧٤ .



والقول فإنهم أمروا بالسجود شكرا لله تعالى عند انتهائهم - وبقولهم : حطة - فبدلوا السجود بالزحف وقالوا : حنطة بدل حطة<sup>(١)</sup> .

والتأمل يرى أنه لم يطلب منهم عمل شاق أو قول شاق وإنما قيل لهم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي : خاضعين لله تعالى بما أمركم شاكرين له إنعامه عليكم بفتحها ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي : احطط عنا خطايانا<sup>(٢)</sup> ، ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١] ولكنهم لم يفعلوا . وبدلوا ما قيل لهم ظلما وعدوانا وإنكارا لفضل الله - تعالى - ونعمته عليهم .

### نوع العقوبة :

قال تعالى ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] أي : كانت عاقبتهم أن أنزل عليهم رجزا من السماء بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله .

وقد فسر الرجز بالطاعون - لحديث قال رسول الله ﷺ « الطاعون رجز عذاب ، عذب به قوم من قبلكم »<sup>(٣)</sup> .

وفي الفتح : أن أسامة بن زيد سئل ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون ؟ فقال أسامة : قال رسول الله ﷺ : « الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم »<sup>(٤)</sup> .

وهكذا أرسل الله العذاب عليهم سريعا ، يدل على ذلك العطف بالفاء في قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ [الأعراف: ١٦٢] أي : على الظالمين فقط وأنه لم يتعدهم إلى

(١) فتح الباري - كتاب التفسير - باب (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) (٢٠٨/٨) برقم [٤٤٧٩] وبرقم [٤٦٤١] ص (٣٨٧) .

(٢) نفس المرجع (٣٨٧/٨) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا وكيع ثنا سفيان بن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت - صحح إسناده محققه انظره (١٨٦/١) .

(٤) فتح الباري (٢٢٤/١٠) ووقع بالجزم عند ابن خزيمة من طريق عمرو بن دينار عن عامر بن سعد بلفظ « فإنه رجز سلط على طائفة من بني إسرائيل » وأصله عند مسلم (١٧٣٧/٤) برقم [٢٢١٨] ، ووقع عند ابن خزيمة بالجزم أيضا من رواية عكرمة بن خالد عن ابن سعد عن سعد لكن قال : « رجز أصيب به من كان قبلكم » .

الصالحين منهم ، وأخبر أنه من السماء للدلالة على شدته وهوله ؛ ولذا قال بعض المفسرين : مات منهم أربعة وعشرون ألفا في ساعة واحدة<sup>(١)</sup> جزاء ظلمهم .

رابعا : كفرانهم لنعم الله ورغبتهم في الرجوع إلى الذل :

قال تعالى ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠] .

وفي سورة الأعراف ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٦٠] .

ومع كل الذي رأينا من بني إسرائيل من عناد وعصيان لله ورسوله إلا أن موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - لم يئسا منهم واستمرا في محاولتهما للارتقاء بحياة بني إسرائيل وتهيتهم لدخول الأرض المقدسة بكل حكمة ولطف ولين .

فها هو موسى - عليه السلام - يؤمر بضرب حجر لا بعينه ، وهذا أظهر في المعجزة حيث كان يضربه فينفجر منه الماء ثم يضربه فييبس<sup>(٢)</sup> ، وهنا يخبر الله - تعالى - أنه انفجر من الحجر اثنتا عشرة عينا على عدد أسباط بني إسرائيل لئلا يحصل التزاحم والتقاتل على الماء قال تعالى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠] فكان هذا امتنانا وفضلا منه عليهم فيأكلوا ويشربوا من رزق الله ويقيدوا هذه النعم بشكرها فلا يعيشوا في الأرض فسادا - وفسادها يكون بالمعاصي وارتكاب النواهي مما يكون سببا في دمارهم وفساد حالهم لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] وبقوله تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ

(١) روح المعاني (٢٦٧/١) وفي فتح الباري قوله : « أرسل على بني إسرائيل قيل : مات منهم في ساعة واحدة عشرون ألفا ، وقيل : سبعون ألفا » والله أعلم (٢٢٥/١٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٠٤/١) ، وانظر : التفسير المنير (١٦٨/١) ، وقد أورد المفسرون في أمر الحجر كثيرا من الروايات التي لا تنهض حجتها أعرضت عنها ، ثم نظرت لتفسير المنار فرأيت يشنع على من ذكر ذلك ؛ بل عدد ذلك كله من الخرافات الإسرائيلية التي كانوا يتلقونها بالقبول . انظره (٣٦٨/٩) .

الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ [الروم: ٤١] .

وفي سورتي البقرة والأعراف عدد من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل نذكرها إجمالاً<sup>(١)</sup> :

**أولها :** ما أنعم الله به عليهم حين نجاهم من فرعون وقومه حين كانوا يذيقونهم أشد أنواع العذاب من تذيبح الأبناء واستحياء النساء .

ثم اعلم أن الفائدة في ذكر هذه النعمة من وجوه :

**أحدها :** أن هذه الأشياء التي ذكرها الله - تعالى - لما كانت من أعظم ما يمتحن به الناس من جهة الملوك والظلمة صار تخليص الله إياهم من هذه المحن من أعظم النعم ؛ وذلك لأنهم عاينوا هلاك من حاول إهلاكهم وشاهدوا ذل من بالغ في إذلالهم ، ولا شك في أن ذلك من أعظم النعم .

**ثانيها :** يذكر الله تعالى بهذه النعم يهود المدينة حين نجي أسلافهم من ذل فرعون وإغراقه أمام أعينهم ، ومن ثم إسباغ نعمه عليهم فكأنه يقول لهؤلاء : لا تغتروا بفقر محمد ﷺ وقلة أنصاره فإنه على الحق كما كان موسى - عليه السلام - على الحق ولا بد وأن يصير العز له والذل على أعدائه .

**ثالثها :** أن الله تعالى نبه بذلك على أن الملك بيده يؤتية من يشاء ، فليس للإنسان أن يغتر بعز الدنيا بل عليه السعي في طلب عز الآخرة<sup>(٢)</sup> .

**النعمة الثانية :** حين فرق الله لهم البحر ، فجعله يابسا أمامهم دون أدنى جهد منهم فكان الأولى منهم شكر المنعم وإخلاص العبادة له .

**النعمة الثالثة :** إكرامهم وإكرام نبيهم بذلك الموعد الشريف ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى﴾ [البقرة: ٥١] لمناجاة ربه وتكليمه بالوحي بلا واسطة ؛ بل قرب به الله نجيا من وراء حجاب وذهب لميقات ربه فاتخذوا العجل معبودا لهم ، وكان هذا فتنة من الله يختبر بها ثبات إيمانهم وصدقهم في شكره ، ولكنهم رسبوا في هذا الامتحان بعد مشاهداتهم لتلك المعجزات الباهرات الدالة على ألوهية الله تعالى .

(١) انظر : (أحكام القرآن) ابن عثيمين ص "٢٣٨ : ٢٣٩" .

(٢) انظر : (التفسير الكبير) (٦٧/٣ : ٩٧) ؛ صفوة الآثار (١٢٣/٢ : ١٤١) ؛ التفسير المنير (١٦٠/١ : ١٦٨) .

(٣) انظر : التفسير الكبير للرازي (٦٩/٣ : ٧٠) .

**النعمة الرابعة :** امتنان الله عليهم بإنزال التوراة على موسى - عليه السلام - لأن فيها أكبر نعمة من نعم الله وهي الهداية التي من حصل عليها فقد نال سعادتي الدنيا والآخرة ، ومن حرّمها بعد ما جاءته تعرض لشقاوتي الدنيا والآخرة ، وكل من سلك مسالك الهداية منهم أو من أمة محمد ﷺ فالله يعينه على تحصيلها ، أما من أعرض وسد أذنيه وأشغلهما بلهو الحديث ؛ فإنه يخاف عليه من وعيد الله - تعالى - ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ ١٢٥ ﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿ ١٢٦ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] .

**النعمة الخامسة :** هي نعمة العفو الأول عن شركهم بالله وعبادة بعضهم العجل وسكوت بعضهم عن الإنكار ؛ حيث عمتهم العقوبة التي كادت تقضي عليهم بأيديهم لولا عفو الله عنهم وتوبته عليهم .

**النعمة السادسة :** تذكير الله لهم حيث أحياهم بعد ما أهلكتهم الصاعقة وهم ينظرون بسبب تمردهم ، وقولهم : لن نؤمن لك وننقاد حتى نرى الله عيانا ويكلمنا مثل ما كلمك ، فليس لك ميزة علينا . وهذا التمرد كما ترى جرى بعد توبتهم من عبادة العجل وتقتيلهم لأنفسهم كما سبق ، فأمرهم عجيب لا تؤثر في نفوسهم الحبيثة توبة مشروط قبولها بتقتيل أنفسهم .

**النعمة السابعة :** نعمة الإظلال بالغمام وذلك في أرض التيه :

سخر الله لهم السحاب يظلمهم من الشمس حتى لا تلفح وجوههم وتؤلم أبدانهم مع أنهم متلبسين بمعصية الله في عدم دخول الأرض المقدسة .

**النعمة الثامنة :** إنزال المن<sup>(١)</sup> والسلوى<sup>(٢)</sup> ليتنعموا بأكلها ويتفكهوا بلذاتها . والتعبير بالإنزال لكل منهما على حقيقته . وهذه النعمة زيادة على ما عندهم من لحوم المواشي .

**النعمة التاسعة :** اختار الله بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة ؛ حيث أخبرهم قبل دخولها بأن الله كتبها لهم ، وهذه نعمة عظيمة كان ينبغي عليهم طاعة نبيهم في

(١) المن : مادة لذينة المأكّل قليلة الحلاوة حتى لا يملها الأكل - انظر : التفسير الكبير (٨٧/٣) .

(٢) السلوى : طائر معروف يسمى السمانى . انظر - تفسير ابن كثير (٩٩/١) ؛ التفسير الكبير

(٨٧/٣) ؛ صفوة الآثار (١٣٨/٢) .

ذلك . ولكنهم كفروها وأبوا أن يدخلوها وقالوا ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] .

**النعمة العاشرة :** أن الله - تعالى - أنعم عليهم بتفجير الماء عليهم من حجر يابس ؛ حيث أمر الله موسى - عليه السلام - بضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا على عدد أسباطهم ، وفي هذا أعظم دليل على قدرة الله الذي أخرج لهم ماء في مكان مجذب وصحراء لا يتوقع وجود الماء فيها حتى كاد العطش أن يقتلهم ، فكان الواجب عليهم طاعة أمر الله ورسوله في ذلك .

#### نوع عقوبتهم :

ومع كل هذه النعم إلا أنهم لم يشكروها بل كفروا وضلوا كعادتهم ، والناظر في تعداد هذه النعم يرى أن الله - تعالى - لم يكلفهم مشقة عنائها بل تولى الله ذلك بنفسه لهم ، وخذ مثلا ( الماء ) حيث فجره الله لهم ولم يكلفهم مشقة حمله أو حتى البحث عنه ، ومن الله عليهم بإنزال الطعام لهم من السماء ولم يكلفهم الحرث والزرع وتعب السقي والحصد ... إلخ ؛ بل اختار لهم الطعام الخاص الذي يصلح لحياتهم في هذه الصحراء ، ووقاهم من حر الشمس ولهيها فظللهم بالغمام وأغدق عليهم من فضله ونعمه .

وكل هذه النعم قد ضاقوا ذرعا بها وملوا منها ورغبوا في الذل الذي ألفوه - ؛ لأن من عاش في النعم بالآلاف لا بالشكر يضل : ذلك أن الحياة الجديدة حياة عقيدة وإيمان حق ومنهج نبوة جاء ليرفعهم لا ليضعهم ؛ لأن المقصد ليس ملء البطون واتباع الهوى والشهوة وإنما القصد إلزامهم بمنهج النبوة والسير بهم إلى الله تعالى ؛ للفوز برضاه في الدنيا والنجاة من عذابه في الآخرة .

والظاهر أن هؤلاء القوم لم يدركوا حقيقة ذلك ولم يكن عندهم استعداد لتحمل شيء من تكاليف الله تعالى ، عندها جاءوا موسى ﷺ يخبرونه بضيقهم من هذه الحياة ، ونفاد صبرهم منها ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ﴾ <sup>(١)</sup> [البقرة: ٦١] والظاهر أن الاعتذار بمثل هذه الحجة التافهة غرضها التملص من أداء الأمانة والبعد عن تحمل المسؤولية والركون إلى الدعة واستمراء الذل الذي لم تتطهر منه نفوسهم .

(١) قال ابن كثير : « ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا فيه » (١٠٦/١) .

إنهم يريدون الأطعمة التي ألفوها تحت سياط الذل ونار القهر والظلم ، فرد عليهم نبيهم عليه الصلاة والسلام ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦١] أي : استحقوا غضبه ، ومن استحقه فقد أصابه ، فإنهم بإعانتهم لموسى - عليه السلام - في المطالب مع كثرة ما شاهدوا من العجائب ، وما أظهر الله لهم من الغرائب قد دل على أنه لا أثر للآيات في نفوسهم ، فهم بها كافرون ظالمون ، نعوذ بالله من غضبه وعقابه وشر عباده !! .

وهم بأفعالهم وسوء طباعهم قد أضروا من بعدهم إلى يوم القيامة ، فهم حين أمروا بعدم الادخار ادخروا فتعفن وفسد ، فتعدى ضررهم بالادخار هذا إلى البشرية جمعاء بتعفن أطعمتها الطرية وسريان السوس إلى أطعمتها الصلبة ، وحتى مع صنع الآلات التي تحفظ الطعام فإن ذلك محدود بآمد .

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لولا بنو إسرائيل لم يخنز<sup>(١)</sup> اللحم . ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها »<sup>(٢)</sup> .

خامسا : مراوغاتهم وتلكؤهم في عدم ذبح ما أمروا به :

سميت سورة البقرة لذكر قصة ذبح البقرة فيها ؛ حيث لم تذكر إلا مرة واحدة ، وهي تدل على عناد بني إسرائيل في أخذ الحق إضافة إلى سوء الظن بالأنبياء وإيذائهم حتى في أنفسهم .

(١) قال ابن حجر : (يخنز اللحم) بفتح أوله وسكون الخاء وكسر النون وبفتحها بعدها زاي أي : ينتن ، والخنز : التغير والتفنن ، قيل : أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك . حكاه القرطبي .

وقال بعضهم : معناه : لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أتت لما ادخر فلم ينتن - فتح الباري (٤٢٤/٦) .

(٢) رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب خلق آدم وذريته - (٤٥١/٢) برقم [٣٣٣٠] ومعنى « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها » : إشارة إلى ما وقع منها في تزويجها لآدم للأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك - وليس معناه ارتكاب الفاحشة حاشا وكلا !! وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن فحسبها » انظر : (فتح الباري) بتصرف (٤٢٤/١) .

## سبب القصة :

روى ابن أبي حاتم بسنده عن عبيدة السلماني<sup>(١)</sup> قال : « كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له ، وكان له مال كثير ، وكان ابن أخيه وارثه ، فقتله ثم احتمله ليلاً ، فوضعه على رجل منهم ، ثم أصبح يدعيه عليهم ، حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض .

فقال ذوو الرأي منهم والنهي : علام يقتل بعضكم بعضاً ، وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى عليه السلام ، فذكروا ذلك له فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا... ﴾ [البقرة: ٦٧] قال : فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شددوا ، فشدد عليهم ، حتى انتهوا إلى البقرة ، التي أمروا بذبحها ، فوجدوها عند رجل لا يملك غيرها فقال : والله لا أنقصها عن ملء جلدتها ذهباً ، فأخذوها بملء جلدتها ذهباً فذبحوها ، فضربوه ببعضها ، فقام ، فقالوا : من قتلك ؟ فقال : هذا ، لابن أخيه ، ثم مال ميتاً ، فلم يعط من ماله شيئاً ، فلم يورث قاتل بعد «<sup>(٢)</sup> .

## نوع العقوبة :

نستطيع أن نستخلص العقوبة التي نزلت بهم في أمر واحد هو أنهم : شددوا فشدد الله عليهم ، ذلك أنهم كلما زادوا موسى - عليه السلام - أذى وتعنتاً زادهم الله عقوبة وتشديداً في الأوصاف حتى وجدوها عند الرجل الذي لم يقبل إلا بملء جلدتها ذهباً ، فكان هذا أشد عليهم ، ولولا خوف الفضيحة لما فعلوا كما ذكر الله عنهم ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧١] لأن الشروط قد تضاعفت عليهم بتضاعف تلكتهم ، وكانت حكمة الله - تعالى - ألا يحيا القتل إلا بعد جهد وامتحان وثن باهظ لما قابلوا به موسى - عليه السلام - من التعنت والعناد . وهنا يوجههم الله - تعالى - بقوله ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢] من أمر القتل حمية على القاتل وعدم رحمة بالمقتول وعدم مبالاة بتهمة الأبرياء الذين تضطربهم الحالة إلى الدفاع عن أنفسهم - ثم كان في إحياء الميت فضيحة لهم وعقوبة أخرى أشد من

(١) هو عبيدة بن عمر السلماني أبو عمرو الكوفي روى عن عمر وعلي وابن مسعود ، تابعي كبير مخضرم ، فقيه ثقة ثبت ، كان شريح إذا أشكل عليه شيء سأل قال عنه يحيى بن معين عبيدة السلماني ثقة لا يسأل عنه . انظر : الجرح والتعديل (٩١/٦) ، التقريب ص "٣٧٩" .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ، وسنده : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا يزيد بن هارون أنبا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني ، صحح إسناده د / أحمد العماري - والخير عند ابن كثير (١١٢/١ : ١١٤) وقال محققه الشيخ مقبل الوادعي : الأثر إلى عبيدة السلماني صحيح .

سابقتهما هتكت أستارهم ودفع الله بها الباطل وأظهر الحق وحطم أستار التلبيس وبرهن لهم على قدرته في إحياء الموتى إحياء حسيا وإحياء معنويا<sup>(١)</sup> .

إذا فليس التشدد في الدين محمودا وليس الإلحاف في كثرة السؤال مرغوبا فيه ؛ لذا نجد أن الله نهى عن ذلك وقت نزول القرآن بقوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] وقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم بسندهما عن سعد بن أبي وقاص « إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما : من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين ، فحرم عليهم من أجل مسألتهم »<sup>(٢)</sup> ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم »<sup>(٣)</sup> .

المقصود من كل ذلك - النهي عن التشدد في الأمور ، والندب إلى الأخذ بالمتيسر منها .

#### سادسا : امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة :

هذا الموقف هو الأخير في عناد بني إسرائيل مع موسى - عليه السلام - حيث امتنعوا عن دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم مع كثرة تلوذهم ونكوصهم على أعقابهم ، لذا تلمح في خطاب موسى - عليه السلام - إشفاقه عليهم وهو يخاطبهم بقوله ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١] فلقد جربهم كثيرا في رحلته الطويلة معهم ، - جربهم حين أخرجهم من أرض مصر وحررهم من الذل والهوان وخرج بهم من البحر فمروا على عباد أصنام فطلبوا مثلهم - وما يكاد يغيب عنهم في ميقات ربه حتى

(١) الإحياء الحسي : كان بإحياء القتيل وقيامه وهم ينظرون .

والإحياء المعنوي : إنجاؤه للفريقين المتخاصمين . انظر - صفوة الآثار (١٨١/٢) .

(٢) رواه البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره من كثرة السؤال - (٣٦١/٤) برقم [٧٢٨٨ ، ٧٢٨٩] .

رواه مسلم - كتاب الفضائل - باب توقيره ﷺ (١٨٣١/٤) برقم (٢٣٥٨) .

(٣) رواه البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره في كثرة السؤال (٣٦١/٤) برقم [٧٢٨٨] .

ورواه مسلم - كتاب الفضائل - باب توقيره ﷺ (١٨٣٠/٤) برقم [١٣٣٧] .



عبدوا عجلا مصنوعا من الحلي - ، وجربهم وقد فجر لهم من الصخر ينابيع في جوف الصحراء وأنزل الله عليهم المن والسلوى فإذا هم يشتهون ما اعتادوا من أطعمة مصر ، ولا يصيرون عما ألفوا من طعام ، وجربهم في قصة البقرة فتلكأوا في الطاعة والتنفيذ - ، وجربهم وقد عاد من ميقات ربهم ومعه الألواح وفيها ميثاق الله عليهم وعهده فأبوا أن يعطوا الميثاق ويفوا بالعهد ، ولما رفع الله الجبل فوقهم أعطوه ثم عادوا .

لقد جربهم في مواطن كثيرة ، ثم ها هو ذا معهم على أبواب الأرض المقدسة التي وعدهم الله فيها أن يكونوا ملوكا ، وأن يبعث من بينهم الأنبياء فيها ليظلوا في رعاية الله وفضله - لقد حق له أن يشفق عليهم وهو يدعوهم الدعوة الأخيرة فيحشد فيها ألمع الذكريات ، وأكبر البشريات ، وأضخم المشجعات وأشد التحذيرات .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ [المائدة: ٢٠-٢١] ومع كل هذه البشريات قبل دخول أرض المعركة إلا أن اليهود هم اليهود الجبن والنكوص ونقض الميثاق، وكفران النعم ، والحنين إلى الذل ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ [المائدة: ٢٢] فاعتذروا بأن فيها قوما عظاما جبارين<sup>(١)</sup> لا يستطيعون مقاومتهم ، لقد أرادوا النصر رخيصة ، لا ثمن له ولا جهد فيه ، ولا غرابة في إحجامهم عن الدخول فيها وقتالهم الجبارين، فكل قوم تربوا في أحضان الذل يألفونه مع طول المدة .

قال رجلان من الذين يخافون الله وقد أنعم عليهما بالتوفيق والسداد . ادخلوا الباب فإنكم إذا دخلتموه كان الله معكم وناصركم عليهم ، لأنه سبحانه لا يجمع في

(١) ذكرت الروايات في وصف الجبارين حيث بالغت جدا في ذكر طولهم وعرضهم حتى سخر ابن كثير رحمه الله من ذلك - وقال « هذا شيء يستحي من ذكره إضافة إلى أنه مخالف لما ثبت في الصحيحين من أن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا . ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن » إذا فمعنى جبارين أي : عظام الأجسام طولها ، والجبار من الناس : المتعظم المتمتع من الذل والفقر أو هو من يجبر الناس على مراده بالقوة - وقد ذكر القرطبي حديثا مسهبا عن (عوج بن عناق) وهو حديث خرافة لما فيه من التهاويل الباطلة - انظر : (تفسير القرطبي) (١٢٦/٦) ؛ وانظر : (تفسير ابن كثير) (٤٠/٢) .

قلب واحد بين مخافتين : مخافته - جل جلاله - ومخافة الناس ، والذي يخاف الله لا يخاف أحدا بعده ، ولا يخاف شيئا سواه ، فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم النصر عليهم - فخارت قوى القوم وارتجفت قلوبهم وقالوا يا موسى ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ﴾ [المائدة: ٢٤] فإنهم أولوا قوة وبأس ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ ﴾ [المائدة: ٢٤] الذي أمرنا أن نخرج من مصر ونأتي إلى هنا ﴿ إِنَّا هَلْهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] ومتخلفون عن الحرب .

هكذا يردون أمر الله وأمر رسوله بعد كل جهد معهم وبعد إنجاز كل طلب لهم ، فلسان حالهم يقول لا نريد ملكا ، لا نريد عزا لا نريد أرض الميعاد ودونها الجبارين . هذه هي نهاية المطاف مع القوم الذين لا وفاء لهم مع أحد حتى مع الله ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ ﴾ وكأنه ليس بربهم<sup>(١)</sup> الذي خلقهم ونصرهم ونجاهم ورزقهم ﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىَ ﴿٨﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [طه: ٨٠-٨١] ، وبعد كل هذا ماذا فعل الله بهم ؟ .

### نوع العقوبة :

قال ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦] . انصرف الناس عن موسى وأخيه هارون ولم يسمعوا نصيحة الرجلين الذي أنعم الله عليهما ، ولم يبق معه إلا أخوه ، فهما وحيدان في أضعف جند وأذل أعوان . وبكل أمل يتوجه موسى إلى الله - تعالى - بقوله ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ [المائدة: ٢٥] وهذا القول من موسى - عليه السلام - صورته خير ومعناه إنشاء ، فهو من بث الحزن والشكوى إلى الله - وإلا فموسى يعلم أن الله - تعالى - يعلم أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه<sup>(٢)</sup> ، ولكن موسى بضعف الإنسان ، وإيمان النبي

(١) انظر : في ظلال القرآن (١/٨٧٠) ؛ التفسير الواضح (٦/٤٨) م ١ .

(٢) وعند صاحب المنار «وهذا يدل على أنه لم يكن يوقن بثبات الرجلين الذين أنعم الله عليهما على ما كانا عليه من الرغبة والترغيب في الطاعة ، وأما ثقته بأخيه فلعلمه اليقيني بأن الله تعالى - أيده بمثل ما أيده به .. إلخ» (٦/٣٣٥) .

الكليم ، وعزم المؤمن المستقيم . لا يجد متوجها إلا لله يشكو له بثه ونجواه ، ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم الفاسقين ، فما عاد يربطه بهم رباط ؛ لأنهم غير مستقيمين على الصراط .

﴿ فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥] فاستجاب الله دعاء نبيه  
 ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُكْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦] متحيرين  
 لا يدرون أين ينتهون في سيرهم مدة أربعين سنة ، وهو الزمن الذي يكفي في علم الله  
 - تعالى - كي يفنى كبارهم ويهلك رؤسائهم ثم يظهر من بعدهم جيل جديد قوي  
 الإيمان<sup>(١)</sup> عزيز الجانب ، لا يخاف الموت باذلا نفسه للجهاد في سبيل الله ، يفتح الله  
 على يديه الأرض المقدسة التي كتب الله لهم . وهكذا بدأت سنوات التيه لا ينفذون من  
 درب إلا ويضيعون في دروب أكثر وعورة وأطول سيرا ، يدورون في رمال لا تحتمل ،  
 فراغ طويل ، وعذاب نفسي ، وتعب جسدي جزاء صنيعهم ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ  
 الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦] فلا تحزن عليهم ، ودعهم يذوقوا مرارة الشقاء في الحياة بعد  
 رغد العيش وطيب المقام والبعد عن ذل الاستعباد والهوان<sup>(٢)</sup> .

(١) هو الجيل الذي سار بهم النبي يوشع بن نون - عليه السلام - بعد موت موسى - عليه السلام - إلى الأرض المقدسة ، وقاتل بهم الجبارين ووقفت لهم الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم - لحديث رواه البخاري - كتاب النكاح - باب من أحب البناء قبل الغزو (٣٩٤/٢) رقمه [٣١٢٤] رواه مسلم - كتاب الجهاد والسير ، باب تحليل الغنائم (١٣٦٦/٣) برقم [١٧٤٧] وانظر : (شرح النووي على مسلم) (٤٠٩/١٢) .

(٢) انظر : (في ظلال القرآن) (٨٧١، ٨٧٠/٢) ؛ تفسير المنار (٣٣٤/٦ : ٣٣٦) ؛ تفسير القاسمي : (١٥٨/٦) ؛ قصص الأنبياء في القرآن الكريم - سميح عاطف ص (٤٥٤ : ٤٥٥) .

## المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبات بني إسرائيل في

### عهد موسى عليه السلام :

أولاً : من قوله تعالى ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا   
 عَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠] .

نأخذ أن لكل ظالم باغ نهاية ولكل مظلوم فرجا قريباً ، ونصراً محققاً ؛ حيث أغرق الله فرعون وآله ، ونجى موسى ومن معه من بني إسرائيل ، وكان يوم الإنجاء هو يوم عاشوراء عيداً يشكر فيه الله .

روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء . فسئلوا عن ذلك ؟ فقالوا : هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون . فنحن نصومه تعظيماً له ، فقال النبي ﷺ : « نحن أولى بموسى منكم » فأمر بصومه<sup>(١)</sup> ، وفي حديث آخر عند مسلم أنهم قالوا : يا رسول الله ، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال رسول الله ﷺ : « فإذا كان العام المقبل ، إن شاء الله ، صمنا اليوم التاسع »<sup>(٢)</sup> .

لأننا مأمورون بمخالفة اليهود والنصارى ، وفي الحديث الآخر أيضاً « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع »<sup>(٣)</sup> .

ثانياً : بيان أن الله - تعالى - نجى بني إسرائيل مرتين : المرة الأولى من آل فرعون حين كانوا يسومونهم سوء العذاب فيذبجون الأبناء ويستبقون النساء .

والمرة الثانية : حين فرق بهم البحر فأنجاهم من الغرق ، وأغرق آل فرعون وهم يشاهدون ذلك .

ثالثاً : من كمال طمأنينة العبد أن يرى عدوه أمامه وقد هلك ﴿ وَأَغْرَقْنَا   
 عَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠] .

رابعاً : الرد على الذين بهرتهم صنائع أعداء الله اليوم وغرتهم حتى ظنوا أنه

(١) رواه مسلم كتاب الصيام - باب صوم يوم عاشوراء - (٧٩٥/٢) برقم [١١٣٠] .

(٢) رواه مسلم كتاب الصيام - باب أي يوم يصام في عاشوراء (٧٩٧/٢) برقم [١١٣٤] .

(٣) رواه مسلم كتاب الصيام - باب أي يوم يصام في عاشوراء (٧٩٨/٢) برقمه .

لا يمكن الانتصار عليهم ، بل ربما يسخرون إذا قيل لهم : إننا لو رجعنا إلى دين الله حق الرجوع لانتصرنا على أعدائنا مهما بلغت قوتهم ؛ فهذا فرعون على قوته وجبروته وضعف بني إسرائيل أغرقه الله في صبيحة يوم ، فأى قوة مهما بلغت لا تساوي شيئا أمام قوة الله - تعالى - ، فنحن إذا صدقنا الله - عز وجل - فإن الله سيعطينا من أسباب النصر ما لا يخطر لنا على بال<sup>(١)</sup> .

**خامسا :** ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَرِّكُمْ ﴾ الآية [البقرة: ٥٤] .

نأخذ أن بني إسرائيل حين عبدوا العجل حين ذهاب موسى - عليه السلام - لميقات ربه أنهم كانوا عالمين بأنهم على غير هدى لأنهم كانوا ظالمين ؛ فإنهم كانوا يعبدون الله من قبل ، وحين عبادتهم للعجل ذكرهم هارون - عليه السلام - بقوله ﴿ يَنْقُومُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٠] ولكنهم أصروا ، وهذا يدل على سفههم وقلة تفكيرهم<sup>(٢)</sup> .

**سادسا :** تودد وتلطف موسى - عليه السلام - لقومه بعد أن غضب الله تعالى فنسف عجلهم وحرقه وعلم منهم التوبة قال لهم ﴿ يَنْقُومِ ﴾ وهكذا ينبغي للداعية إذا غضب على قومه أن يعود إليهم فيذكرهم بالله - تعالى - ويذكر لهم من الألفاظ ما يكون سببا في إقبالهم وتقبلهم<sup>(٣)</sup> .

**سابعا :** أنه ينبغي لمن ذكر الداء أن يذكر الدواء فهذا موسى - عليه السلام - ذكر أنهم ظلموا أنفسهم ثم عرض عليهم الدواء وهو التوبة إلى الله تعالى ، وهكذا ينبغي للدعاة إذا ذكروا الداء والأمراض الدينية والمشاكل الاجتماعية أن يذكروا لهم الدواء وطريق الخلاص منها واتقاءها حتى يجمعوا بين الأمرين .

**ثامنا :** وجوب التوبة إلى الله - تعالى - لقوله ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَرِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] والعاصي إذا أذنب فلن يتوب ؟ لا شك أن الذنب الذي ألم به لا بد وأن يندم على فعله إن كان مؤمنا .

(١) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢١٢ : ٢١٤" .

(٢) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١" .

(٣) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١" .

والتوبة لابد فيها من شروط خمسة<sup>(١)</sup> :

**الشرط الأول :** إخلاص التوبة إلى الله - تعالى - وذلك بأن يكون الحامل له عليها خوف الله - تعالى - ورجاء ثوابه .

**الشرط الثاني :** الندم على الذنب فلا يكون الأمر عنده على حد سواء ، بل يتأسف ويظهر لله تعالى مدى ندمه وحسرتة على فعله .

**الشرط الثالث :** أن يقلع عن الذنب في الحال ، فإن كان متلبسا بمحرم تركه ، إن كان تاركا لواجب تداركه ، وإن لم يمكن تداركه كفته التوبة .

**الشرط الرابع :** أن يعزم على ألا يعود إلى الذنب في المستقبل ، ولا يكون في نيته العودة متى سنحت له الفرصة .

**الشرط الخامس :** رد المظلمة إن كانت أو طلب البراءة من صاحبها<sup>(٢)</sup> .

**الشرط السادس :** أن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه التوبة أي : قبل طلوع الشمس من مغربها وقبل حضور الأجل لحديث « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ ﴾ الآية [ النساء : ١٨ ] .

**تاسعا :** ببيان منة الله - عز وجل - على هذه الأمة ( أمة محمد ﷺ ) حيث جعل توبة بني إسرائيل بهذا الثقل ؛ حيث لم يقبل الله توبتهم حتى قتلوا أنفسهم . أما هذه الأمة فإن توبتها تحصل بما ذكرنا بشروطها ومن غير أن يحدث الإنسان ضررا على نفسه<sup>(٤)</sup> .

**عاشرا :** أن الإقلاع عن الذنب والتوبة إلى الله - تعالى - خير من الاستمرار عليه ؛ بل قد يكون حال الإنسان بعد التوبة خيرا منه قبل أن يقع في الذنب ؛ لأنه كلما تذكر الذنب جدد التوبة وعمل صالحا .

(١) أحكام من القرآن الكريم ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ؛ وانظر مدارج السالكين ( ١٨٢/١ : ١٨٧ ) لمن أراد الاستزادة في ذلك .

(٢) فتح الباري ( ١٠٤/١١ ) .

(٣) رواه أبو داود كتاب الجهاد ، باب في الهجرة هل انقطعت ( ٧/٣ - ٨ ) رقم [ ٢٤٧٩ ] ، ورواه أحمد في مسنده ( ٩٩/٤ ) ؛ ورواه الدارمي كتاب السير ، باب الهجرة لا تنقطع ( ٢٣٩/٢ : ٢٤٠ ) ، طبعة دار الباز ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ( ٤٧٠/٢ ) برقم [ ٢١٦٦ ] ؛ ورواه الطبراني في المعجم الكبير ( ٣٨٧/١٩ ) رقم [ ٩٠٧ ] ؛ والبيهقي في السنن الكبرى ( ١٧/٩ ) .

(٤) المصدر السابق : أحكام من القرآن ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

الحادي عشر : بيان منة الله - تعالى - على هذه الأمة حيث يقبل توبتهم بعد أن غرقوا في الذنب فيعفو عن سيئاتهم ويبدلها حسنات كما قال سبحانه ﴿الَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] .

وهذه منة من الله وفضل ، ولهذا لما علم الله - تعالى - صدق بني إسرائيل في التوبة وقتلوا أنفسهم تاب عليهم وعفا عنهم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤] .

الثاني عشر : بيان تمرد بني إسرائيل بعد توبتهم من عبادتهم العجل وتقتيلهم لأنفسهم ، فأمرهم عجيب لا تؤثر في نفوسهم الخبيثة توبة مشروط قبولها بتقتيل أنفسهم ، بل إنهم بعد هذا ازدادوا تمردا حتى قالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فعاقبهم الله بالصاعقة فماتوا جميعا وهم ينظرون ، فكان شاملا لمن قال ذلك أو رضي به ، ومن المعلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة في أن رؤية الله - تعالى - في الدنيا ممتنعة ، وأما في الآخرة فقد أثبتها أهل السنة ونفاها المعتزلة ومن تبعهم ، وإليك الأدلة التي اعتمد عليها أهل الحق :

لقد استدل أهل السنة بقوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ، وهي وجوه المؤمنين قطعاً ، وبقوله تعالى : ﴿كَأَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ، وبما ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا ، قال : « فإنكم ترونه كذلك » ... الحديث<sup>(١)</sup> .

وعن صهيب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة ، قال : يقول الله - تبارك وتعالى - : تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل »<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة العصر (١/١٩٠) برقم [٥٥٤] ؛ رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية (١/١٦٣) برقم [١٨٢] .

(٢) رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى (١/١٦٣) برقم [١٨١] .

وقد أنكر المخالفون من المعتزلة وغيرهم رؤية الله وأولوا النصوص وردوا الأحاديث الصحيحة المتفق على صحتها واحتجوا بالعقل وأكثروا في ذلك ، وأسهل ما رد به أهل السنة عليهم بما يلي :

**أولا :** أن موسى - عليه السلام - سأل ربه الرؤية ولو كانت مستحيلة لما سأها موسى - عليه السلام - ولا يتصور أن موسى - عليه السلام - يسأل المستحيل. فإن قيل: إن موسى - عليه السلام - لا يعلم باستحالة ذلك .

**فالجواب :** أنه يلزم من ذلك أن يكون آحاد المعتزلة ومن تبعهم أعلم بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز من النبي الصفي موسى - عليه السلام - ، والقول بذلك غاية الجهل والرعونة ، وحيث بطل القول بالاستحالة تعين القول بالجواز<sup>(١)</sup> . ومما يقوي قول أهل الحق أن الله - تعالى - لم ينكر عليه سؤاله ؛ بل منعه الرؤية ، ولو كانت مستحيلة لأنكرها<sup>(٢)</sup> ، ألا ترى أنه أنكر على نوح - عليه السلام - لما قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَبْنَى مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود:٤٥] فقال له منكرًا عليه ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ... ﴾ [هود:٤٦] الآية . هذا والذي ندين به الله - عز وجل - أن الحق الواضح الجلي يؤيد ما قاله أهل السنة دون تعصب أو تحيز وأنها متحققة للمؤمنين في الآخرة ، وأن مخالفهم قد خالفوا الحق ، وأدلتهم واهية لا تقوم بها حجة فضلا عن قتالهم على الاحتجاج بالعقل مع وجود النصوص .

قال شارح الطحاوية : « وهذه المسألة من أشرف مسائل الدين وأجلها وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون ، وعن بابيه مردودون »<sup>(٣)</sup> .

وقال الشوكاني : « تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة ، وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلتها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة ... فهي قواعد لا يغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب »<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : روح المعاني (٤٦/٩ : ٤٧) .

(٢) كتاب الرؤية ، للحافظ أبي الحسن بن علي بن عمر الدار قطني ص (٥١) . ط مكتبة المنار .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (علي بن علي بن محمد) ص (٢٠٨) - تحقيق د/ عبد الله التركي ، شعيب الأرنؤوط - ط الثانية - مؤسسة الرسالة ص (١٤١٣) ، ولمن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى كتاب الرؤية للدار قطني ؛ روح المعاني (٤٦/٩ - ٥٣) ، وبحث رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها د/ أحمد بن ناصر الحمد ، ط / معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى .

(٤) تفسير فتح القدير (٨٧/١) .



الثالث عشر : أن في مخاطبة بني إسرائيل المعاصرين لنزول القرآن وتذكيرهم بالنعم التي أنعم الله بها على أصولهم . دليلاً واضحاً على وحدة الأمة وتكافلها . ومن المعلوم أن الإنسان قد يتضرر بسوء أصله ، وقد ينتفع بصلاح أصله كما قال تعالى في كنز الغلامين اليتيمين ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢] وقال في تعميم العذاب ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] وغيرها من الآيات الدالة على أن صلاح الآباء ينتفع به الأبناء والأحفاد<sup>(١)</sup> .

الرابع عشر : أن الله - تعالى - ينعم على العبد برفع الضرر الذي نزل به من أجل أن يشكر العبد نعمة الله - تعالى - فيزيد في الطاعة ويكثر من الدعاء فيزيد إيمانه ويستقيم قلبه كما قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] وما حصل لبني إسرائيل من إحياء بعد الموت كان الواجب عليهم شكر نعمة الله عليهم كما حصل من دفع شر حصل لهم وهو رفع الموت عنهم وحصول خير بإحيائهم من بعد موتهم .

الخامس عشر : بيان نعمة الله - تعالى - على بني إسرائيل حيث ظلل عليهم الغمام من حر الشمس ، وفي ذلك عبرة وعظة للمؤمنين في عظمة قدرة الله - تعالى - في تسيير السحاب وأنه لا يجري إلا بأمره ولا يسير إلا بمشيئته ولا يقف إلا بإذنه ، وأن العباد مهما فعلوا لإيقافه أو إبقائه في مكان محدد أو إنزال الغيث منه فإنهم لا يستطيعون مهما أوتوا من قوة قال تعالى ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ .. ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية وقال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [النور: ٤٣] الآية .

السادس عشر : أن الله - تعالى - من على بني إسرائيل بإنزال نعمتي المن والسلوى ؛ حيث كان يأتيهم من غير كلفة ولا مشقة ؛ فكان الواجب عليهم شكرها ومن ثم عدم طلب غيرها مما هو أقل منها .

السابع عشر : الأمر في قوله تعالى ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٧] للامتنان والإباحة ، ومنه نأخذ أن الله - تعالى - أذن لعباده أن يأكلوا من الطيبات

(١) من التفسير المنير بتصرف ص ١٦٩ .

دون الخبائث لما فيها من الضرر على الإنسان ؛ ولكن ربما يحرم على عباده بعض الطيبات عقوبة لهم كما في قوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٦٠] وقد يحرم الإنسان من الطيبات بما يصاب به من الأمراض التي تجعله يحتمي من بعض المأكولات والمشروبات ، وقد يتلى الإنسان العاصي بأمراض تمنعه من التمتع بالطيبات التي أحلها الله له لعله يعتبر فيعود إلى الله تعالى .

**الثامن عشر :** أن الله تعالى لا تضره معصية العاصين ولا تنقص من ملكه شيئا ؛ لقوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧] لأن العاصي ظالم لنفسه معتد عليها غير قائم بما يجب لها ، فكما أن النفس أمانة عند الإنسان فإنه يجب عليه أن يتعد ويتوقى كل ما يضر نفسه ويضر دينه قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩-١٠] .

ومن المعلوم أنه لا يجوز للإنسان أن يلقي بنفسه إلى التهلكة في الأمور الحسية التي تضره لأن الله تعالى يقول ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] وقال ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] فكذلك أيضا لا يجوز له أن يلقي بنفسه إلى التهلكة فيما يضره في دينه .

بل إن ما يضره في دينه أولى بالمراعاة مما يضره في بدنه ، لأن ضرر الدين ضرر في الدنيا والآخرة ، أما ضرر البدن فهو ضرر في الدنيا فقط . لذا يجب على المسلم أن يتبصر وينظر مدى الخسارة العظيمة التي تلحقه بفعل المعاصي أو ترك الواجبات حتى يحرس نفسه من الظلم وهذا الضرر .

**التاسع عشر :** أنعم الله على بني إسرائيل بنعم عظيمة ، وكان موسى - عليه السلام - يذكرهم بها بين الحين والآخر ، ولكنهم لفسقهم وعتوهم كفروها ، يشهد لذلك قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّعْفِرَ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩] .

وهذا يدلنا على أن بني إسرائيل من أبعد الناس عن شكر النعم ولهذا بدلوا قولا غير الذي قيل لهم حيث قيل لهم ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ فدخلوا يزحفون على

أستاهم وأعجازهم وبدلوا قول الله لهم ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ بقولهم : حنطة ، يعني . أنهم لم يهتموا بذنوبهم وإنما كان همهم أمرا ماديا ، وهو أن يشبعوا بطونهم<sup>(١)</sup> ، وفي هذا دليل على أن تبديل الأقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يجوز إن كان التعبد بلفظها ، أما إن كان التعبد بمعناها فيجوز بما يؤدي ذلك المعنى لا بما يخرج عنه<sup>(٢)</sup> .

**العشرون :** أن الله - تعالى - أمرهم بأن يدخلوا الباب سجدا ، ويتفرع عن هذا مشروعية سجود الشكر<sup>(٣)</sup> عند تجدد النعم يثني على الله - تعالى - بما هو أهله .

**الحادي والعشرون :** أنه ينبغي للإنسان أن لا يغتر بنفسه ولا يشمخ بأنفه إذا هيا الله له أسباب النصر فيترفع على الناس ويظلمهم ؛ بل عليه أن يتواضع ويرد ذلك إلى فضل الله ونعمته كما أمر الله بني إسرائيل أن يقولوا : ( حطة ) ، وكما امتدح الله المؤمنين المجاهدين حين قالوا ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [ آل عمران : ١٤٧ ] .

**الثاني والعشرون :** أن الله - تعالى - يزيد المحسنين من فضله إحسانا وفضلا كما قال ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ البقرة : ٥٨ ] وهذا كقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [ إبراهيم : ٧ ] وكقوله ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنَ ﴾ [ الرحمن : ٦٠ ] فالله سبحانه وتعالى أكرم من عبده وأجزل عطاء ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

**الثالث والعشرون :** من قوله تعالى ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾ [ البقرة : ٦٠ ] نأخذ تقرير سنة الاستسقاء وذلك بإظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة مع التوبة النصوح كما فعل النبي محمد ﷺ حين خرج إلى المصلى ، متواضعا متخشعا متضرعا ، وحسبك به ، فكيف بنا ولا توبة معنا إلا العناد ومخالفة رب العباد فأنى نسقى؟<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٣٧" .

(٢) انظر : (تفسير القرطبي) (٤١١/١) .

(٣) وصفته : أن يكبر ثم يخر ساجدا ويقول : سبحان ربي الأعلى ، سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك ، ويثني على الله - تعالى - بما أنعم به عليه ، ثم يرفع رأسه بدون تكبير ولا تسليم - انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٣٧" .

(٤) قلت : يقوله القرطبي رحمه الله ذلك في زمانه ، فكيف لو رأى زماننا ! لا شك أنه سيقول : ومحاربة رب العباد - انظر كلامه (٤١٨/١) .

ومنها نأخذ أيضا افتقار الخلق جميعا إلى الله تعالى ، ولو كانوا أعلى أصناف الخلق وهم الرسل ولهذا استسقى موسى لقومه ، واستسقى محمد ﷺ لقومه حين دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغثنا؟ فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » قال أنس . ولا والله ما نرى في السماء من سحابة ولا قرعة<sup>(١)</sup> ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا ؟ قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر » قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس<sup>(٢)</sup> . وهذه القصة تدل على أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى ، ومع أن موسى ﷺ ﴿ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩] ومحمد ﷺ أعظم الناس وجاهة عند الله إلا أن كلا منهما مفتقر إلى الله - عز وجل - يسأله ويلجأ إليه ويتضرع إليه ، فإذا كان هذا مقام الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فما بالك بمقام من دونهم .

وعلى هذا يجب على المسلم أن لا يلجأ إلا إلى الله تعالى في جميع أموره ، فإذا أصابه ضرر أو مرض فعليه أن يرفع أمره لمن بيده كشف الضر وشفاء المرض ، ولا يلجأ إلى البشر أحياء وأمواتا يدعوهم ويستغيث بهم ؛ لأن هذا من الشرك الأكبر المخرج عن الملة قال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ لَهُ مَعَ اللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٢] لا يا ربنا ليس هناك إله معك! <sup>(٣)</sup> .

(١) القرعة : هي القطعة من السحاب - النهاية في غريب الحديث (٥٩/٤) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري - كتاب الاستسقاء - باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (٣١٩/١) برقم [١٠١٤] . وأخرجه مسلم كتاب صلاة الاستسقاء - باب الدعاء في الاستسقاء (٦١٢/٢ - ٦١٤) برقم [٨٩٧] . الظراب : بكسر الظاء وفتح الراء مفردها ظرب هي الروابي الصغار . انظر : لسان العرب (٢٤٩/٨ ، ٢٢) مادة ظرب .

(٣) انظر : أحكام من القرآن ص " ٢٤٠ ، ٢٤١ " .

**الرابع والعشرون :** في تفجر الماء من الحجر لسيدنا موسى عليه السلام آية عظيمة ، وأعظم منها ما حصل لنبينا محمد ﷺ حيث تفجر الماء من بين أصابعه في ركوة<sup>(١)</sup> وضعت له في غزوة الحديبية حين عطش الناس وطلبوا الماء ، فجعل الناس يستسقون حتى ارتووا وكانوا ألفا وأربعمائة أو قريبا من ذلك<sup>(٢)</sup> .

وفوران الماء من بين أصابعه من الركوة أعظم من خروجه من الحجر ؛ لأن الحجر جرت العادة أن تتفجر منه العيون ، أما الركوة فلم تجر العادة بذلك والله على كل شيء قدير<sup>(٣)</sup> .

**فإن قيل :** كيف يعقل خروج الماء الكثير من حجر صغير أو من بين أصابع الإنسان ؟

**فالجواب :** أن يسأل أولا بهل تسلم بوجود الرب الفاعل المختار القادر على كل شيء والذي لا يستعصي عليه أي شيء ؟ فإن اعترف بوجوده وبعظيم قدرته فقد زال ما عنده من إشكال ، وإن لم يعترف فلا فائدة في جدال كافر استحب العماية عن رؤية الحق ، وإلا فلو أرجع بصره وأعمل فكره في الكائنات لاهتدى إلى خالقها وموجدتها الذي لا يصعب عليه شيء<sup>(٤)</sup> .

**الخامس والعشرون :** الماء نعمة عظيمة ، فإذا شح عظم أمره على الناس واشتد خطبه وبحثوا عنه في كل مكان ، فإذا وجد فجأة اقتتل الناس على منبعه وتزاحموا عليه ولربما حدث بينهم شيء ؛ لأن النفوس مجبولة على محبة الاستئثار بالشيء ، فإذا قسم ووزع وصارت كل طائفة لهم جهة معينة مخصوصة كان ذلك أقرب إلى السلامة مما يترتب من الآثار السيئة على اجتماعهم على مشرب واحد<sup>(٥)</sup> .

**السادس والعشرون :** أنه يجب على المرء إذا أنعم الله عليه نعمة - أن يجعل النعمة سببا للقيام بطاعته ، لا سببا للأشر<sup>(٦)</sup> والبطر<sup>(٧)</sup> ولهذا أعقب قوله ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦٠] بقوله ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠] لأن من طبيعة البشر إذا لم تلتزم بأمر الشرع الأشر والبطر مع كثرة النعم ، إذا فعلى (١) الركوة : إناء من جلد صغير .

(٢) فتح الباري - كتاب المغازي - باب غزوة الحديبية (٥٦٠/٧) برقم [٤١٥٢] . صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب غزوة ذي قرن وغيرها (١٤٣٣/٣) برقم [١٨٠٧] .

(٣) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٤٢، ٢٤١" .

(٤) صفوة الآثار (١٤٤/٢ ، ١٤٥) .

(٥) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٤٣" .

(٦) الأشر : هو البطر ، وقيل : أشد البطر - وفي الحديث « ورجل اتخذها أشرا ... » ، وفي الحديث الآخر « الكبر بطر الحق ... » أي : الطغيان ، ومعناه : يتكبر عن الحق فلا يقبله .

(٧) انظر : (النهاية في غريب الحديث) (٥١/١ ، ١٣٥) .

طبيعة البشر إذا لم تلتزم بأمور الشرع الأشر والبطر مع كثرة النعم ، إذا فعلى الإنسان التفكير فيما هو عليه من الخير وكثرة النعم ؛ بل يسأل الله - تعالى - أن يلهمه شكرها حتى لا تكون عوناً له على المعصية .

**السابع والعشرون :** جواز التوسل بدعاء من ترجى إجابته فإن قوم موسى قالوا له ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٦١] وهذا مقرر في شريعتنا فإن الناس كانوا يأتون إلى النبي ﷺ يسألونه أن يدعو الله لهم كما في قصة الرجل الذي دخل يوم الجمعة والنبي يخطب ... وكما قال عكاشة بن محصن حين ذكر النبي ﷺ السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال عكاشة : ادع الله أن يجعلني منهم قال « اللهم اجعله منهم »<sup>(١)</sup> .

**الثامن والعشرون :** التوسل إلى الله - تعالى - باسم الرب عند الدعاء لقولهم : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [البقرة: ٦١] فكثيراً ما جاء في القرآن من الدعاء كان مصدراً باسم الرب ( ربنا ) ، فالدعاء بقولهم ( ربنا ) من أسباب إجابة الدعاء كما أشار إليه النبي ﷺ حين ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول : يا رب يا رب<sup>(٢)</sup> .

**التاسع والعشرون :** جواز تفضيل الأطعمة بعضها على بعض ، وأن الإنسان لا يلام إذا اختار الأطيب من الطعام ولا يعد هذا من باب الإسراف إذا كان يستطيع ذلك ؛ لأن هذا من باب التمتع بنعم الله<sup>(٣)</sup> ، أما إن كان يستدين ليأتي بالطعام الجيد أو يسأل الناس إلحافاً ويقف على أبوابهم فهذا لا يجوز ؛ بل إن صاحبه ممقوت وساقط من عين الله أولاً ثم من أعين الناس ثانياً .

**الثلاثون :** بيان حكمة موسى - عليه السلام - حيث قال لقومه حين سألوه الطعام الذي يريدونه ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمُ ﴾ [البقرة: ٦١] ولم يدع الله

(١) فتح الباري ، كتاب الرقاق - باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (١٩٩/٤) برقم [٦٥٤٢] . مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١٩٧/١) برقم [٢١٦] .

(٢) سبق تخريجه ، والحديث خرجه مسلم ، كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة الكسب الطيب برقم [١٠١٥] .

(٣) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٥٠" .

لهم ؛ لأن الدعاء بأقل مما هو موجود لدى الإنسان سفه ؛ ولكن يدعو الله - تعالى - ببقائه واستمراره وألا يرفعه عنه فتكون الدعوة في مكانها<sup>(١)</sup> .

**الحادي والثلاثون :** أن الله - تعالى - ضرب على بني إسرائيل الذلة والمسكنة ، فهم دائما في ذل ومسكنة حتى إن كانوا في غنى فقلوبهم فقيرة يحرصون على تحصيل المال من حلاله وحرامه ، فهم كما ذكر الله عنهم ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١] ولذا يجب على المسلمين مقاطعتهم اقتصاديا وسحب أموالهم من ( البنوك ) التي يسيطرون عليها ؛ لئلا ينتفعوا بفوائدها الربوية ومقاطعة الدول التي تعينهم وتستعين بهم ، وأخذ الحيلة والحذر منهم .

فهم شعب مغضوب عليهم ولا يرجى معهم سلام ولا أمن ولا أمان وإن حصل فسيجر وراءه الفساد كله قال تعالى ﴿ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦١] و [آل عمران: ١١٢] وقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠] وقال تعالى ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [المائدة: ٦٤] فأى خير يرجى من هؤلاء بإقامة مصالح معهم تقوم على أساس التبادل التجاري أو الاقتصادي ؟

**الثاني والثلاثون :** بيان عصيان بني إسرائيل واعتدائهم على الله أولا ثم على الأنبياء ثانيا بعصيانهم وتقتيلهم ثم على عباد الله باعتبارهم خدما لهم وعبيدا منقادين لا يجوز خروجهم عليهم أو عصيان أوامرهم .

**الثالث والثلاثون :** من قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ [البقرة: ٦٣] نأخذ بيان قدرة الله - تعالى - في رفع الطور تخويفا وإنذارا لبني

(١) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٥٠" .

(٢) فليحذر الذين يؤاخون النصارى واليهود باسم الوطن أو العروبة ويتعدون عن الإسلام أن يحملهم الله كفرهم لمولاتهم إياهم خصوصا إذا اعتبروا أن ما هم عليه دين الله والله بريء منه ليحذر المنخدعون بالأفكار الماسونية أن يحملهم كفر كل يهودي وكل نصراني وكل درزي وكل نصيري وملحد جعلوه أخوا في العروبة أو الوطنية . صفوة الآثار (٢/ ١٦١ ، ١٦٢) .

إسرائيل حين عصوا أمر الله - ، أما أمة محمد ﷺ فلم يكن فيها مثل هذا ، إنما إنذارهم وتخويفهم بكسوف الشمس والقمر<sup>(١)</sup> ، ولذا شرع للناس إذا رأوا ذلك أن يفرعوا للصلاة والاستغفار والصدقة والعق وغيرها من الأعمال الصالحة حتى ينكشف ما بهم<sup>(٢)</sup> .

الرابع والثلاثون : وجوب أخذ أوامر الله - تعالى - والالتزام بشريعته على وجه القوة بلا توان أو ضعف أو تسويف أو انتظار لتحسن الظروف ؛ لأن فعل ذلك يجعل للشيطان مدخلا يستولي فيه على القلب فيكون ممن قال الله فيهم ﴿ أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> [ المجادلة: ١٩ ] .

الخامس والثلاثون : ومن الفوائد : أن بني إسرائيل بعد هذا الإنذار الشديد لم ينتفعوا بما أُنذروا به ؛ بل تولوا من بعده ، وهذا يدل على قسوة قلوبهم وسوء طباعهم وخبث سريرتهم وأنهم من أشد الناس طغيانا وضلالا<sup>(٤)</sup> .

السادس والثلاثون : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبُّحُوا بِقَرَّةٍ ﴾ [ البقرة: ٦٧ ] نأخذ أن الرجوع إلى أهل العلم من أنبياء في حياتهم أو سنتهم بعد مماتهم إذا أشكل عليهم شيء من أمور دينهم واجب مثل ما فعل بنو إسرائيل حين قتل منهم قتيل ، أما في شريعتنا فإن فيها حلا لكل مشكل لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [ النساء: ٥٢ ] أي : إلى كتاب الله وإلى الرسول ﷺ في حياته وإلى سنته بعد مماته ، ولم يأمرنا الله بذلك إلا لأننا سنجد الحل الكافي الشافي ، ولو أن الأمة فعلت ذلك لانتهدت جميع مشكلاتهم وكانوا أمة يشار إليها بالبنان وكانوا قدوة لغيرهم وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [ الأعراف: ٩٦ ] .

(١) والزلازل والبراكين وكثرة السيول .

(٢) انظر : (أحكام من القرآن) ، ص "٢٦٢، ٢٦٣" .

(٣) انظر : (أحكام من القرآن) ، ص "٢٦٢، ٢٦٣" .

(٤) انظر : المصدر السابق ص (٢٦٦) .



**السابع والثلاثون :** أن التنطع في الدين وكثرة الأسئلة مضرّة فعلا محرمة شرعا ؛ لكونها تقضي إلى تشديد قد يؤول أمره إلى التعطيل ، فيكفر صاحبه كما قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُم ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢] ومن المعلوم أن الأمر إذا جاء مطلقا في زمن الوحي فإنه لا ينبغي أن يستفصل فيه ؛ لأن الاستفصال قد يؤدي إلى إضافة شروط ثقيلة ، أما بعد انقطاع الوحي فإنه لا حرج على الإنسان إذا ورد الأمر مطلقا أن يبحث عن شيء مقيد له ؛ لأن الشريعة قد تمت ولا يمكن زيادة إضافات إليها<sup>(١)</sup> .

**الثامن والثلاثون :** بيان ما كان عليه بنو إسرائيل من سوء الظن بنبيهم واستهزائهم بأوامره حيث قالوا له : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] وهذا من قلب الحقائق ورمي البريء بما الرامي به ألصق<sup>(٢)</sup> .

**التاسع والثلاثون :** أن الله أمرهم بذبح بقرة دون غيرها من سائر الحيوان ليقتلع من نفوسهم كل تقديس للبقر ، لأنها من جنس ما عبده وهو العجل ، فينقلب التقديس إلى إهانة واحتقار بدلا من الحب والتعظيم ، فلما امتحنوا بهذا قضى على ما تبقى في نفوسهم من تقديس لها قضاء مبرما<sup>(٣)</sup> .

**الأربعون :** أنه يجب على المأمور أن يمثل ما أمر به ، على الوجه الذي أمر به لقوله تعالى : ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨] و ( ما ) هذه موصولة تشمل عين المأمور ووصف المأمور ، وما أمر به شرعا فإن الامتثال لا يحصل فيه إلا إذا فعله الإنسان على وجه ليس فيه زيادة ولا نقص ؛ لأن الزيادة غلو والنقص تفريط<sup>(٤)</sup> .

**الحادي والأربعون :** أن بني إسرائيل عندهم من التهاون والتباطؤ في الاستجابة وانتحال المعاذير من التنفيذ ؛ فهم حين طلب منهم أن يفعلوا ما أمروا به ازدادوا تعنتا وتصلبا وقالوا ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩] فانظر ما علاقة

(١) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٨٢" ؛ وانظر : (صفوة الآثار) (١٨٣/٢) .

(٢) انظر : (صفوة الآثار) (١٧٥/٢) .

(٣) انظر : (صفوة الآثار) (١٧٤/٢) .

(٤) أحكام القرآن ص "٢٨٥" .

اللون بالنسبة للفرض المقصود ، ولعل سؤالهم ذلك حكمة من الله - تعالى - في التشديد عليهم فإنهم لما شددوا شدد الله عليهم<sup>(١)</sup> .

**الثاني والأربعون :** أنهم قالوا ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٧٠] فلما قالوها وفقهم الله - سبحانه وتعالى - للهدى في النهاية ، ولذا على المسلم أن يقرن الخير المستقبلي بالمشيئة فإن ذلك مما يسهل أموره ؛ لما فيها من الاستعانة بالله وتفويض الأمر إليه ، وتحديد الاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته .

ورد أن سيدنا سليمان - عليه السلام - قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله ، فقال له صاحبه أو الملك : قل : إن شاء الله ، فلم يقل . ونسي ، فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام » فقال رسول الله ﷺ : « ولو قال : إن شاء الله لم يحنث ، وكان دركا له في حاجته »<sup>(٢)</sup> .

وليس هذا من باب الخبر عن أمر واقع ؛ لأنه لا يحتاج إلى ذلك إلا على سبيل التبرك أو التعليل ، ولهذا كان القول الراجح في قول الإنسان : أنا مؤمن إن شاء الله إذا كان الغرض الإخبار عن الأمر الواقع فإنه لا يحتاج إلى قول ذلك إلا أن يريد أن إيمانه حصل بمشيئة الله ، أو أنه يريد التبرك بإضافة إيمانه إلى مشيئة الله - عز وجل - وبرأته من حوله وقوته إلى مشيئة الله - عز وجل - وحوله وقوته فإن هذا حسبه ، أما إن كان الحامل عليه الشك في وجود الإيمان فهذا حرام لا يجوز ، لأن الإنسان يجب أن يؤمن إيمانا جازما لا شك فيه<sup>(٣)</sup> .

**الثالث والأربعون :** في قوله تعالى عنهم ﴿ أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٧١] يتبين لنا ما عليه بنو إسرائيل من التعاضم والترفع والاستعلاء فكأنهم هم الذين يحكمون موسى - عليه الصلاة والسلام - وكأنهم هم الذين يحكمون على ما جاء به موسى من كونه حقا أو باطلا لقولهم ﴿ أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ ومن المعلوم أن موسى - عليه الصلاة والسلام - قد جاء بالحق في ذلك الآن وقبله<sup>(٤)</sup> - وللمفسرين شروح وتفاريع

(١) انظر : أحكام القرآن ص "٢٨٥" ؛ صفوة الآثار (١٧٥/٢) .

(٢) رواه البخاري - كتاب كفارات الأيمان - باب الاستثناء في الأيمان (٢٣٣/٤) برقم [٦٧٢٠] . مسلم - كتاب الأيمان - باب الاستثناء - (١٢٧٥/٣) برقم [١٦٥٤] .

(٣) انظر : (أحكام القرآن) ص "٢٨٧" .

(٤) أحكام القرآن ص "٢٩٠" .

حول هذه الجملة ؛ أعد لهم من قال : يعنون بينت لنا الحق فاتضح وعرفنا أي بقرة عنيت ، ومنهم من قال : إن قولهم هذا يوجب الكفر والردة عن الدين لاقتضائه أن موسى لم يأتهم بالحق قبل ذلك ، ولكن إذعانهم وانقيادهم للتنفيذ يبطل هذا القول ، ولا يكون كفرا إلا إذا اعتقدوا أن ما تقدم من الأوامر لم يكن حقا<sup>(١)</sup> .

**الرابع والأربعون :** أنه يجوز حرث الأرض بالبقر وسقيه بها لقوله ﴿لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ [البقرة: ٧١] وفيها إشارة أيضا تبين لنا أنه ينبغي ألا نستعمل من الحيوانات في حرث الأرض وسقيها إلا ما كان طيعا ذلولا ، ومنها أيضا نأخذ أنه ينبغي لنا ألا نستعمل من الأشياء إلا ما دلت عليه التجارب على أنه صالح فيها حتى لا نقع في الخطأ والزلل<sup>(٢)</sup> .

**الخامس والأربعون :** أن في قوله تعالى عنهم ﴿فَذَبْجُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] بيانا لسوء نيتهم وخبث طويتهم ؛ حيث ذكر أنهم بعد التعت والاستفصال أنهم ذبحوها ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لكونهم متصفين بالعلو والاستكبار .

**السادس والأربعون :** أنه يجوز ذكر المسبب قبل ذكر السبب ؛ فإن الذبح كان سببه الاختلاف الذي وقع بين بني إسرائيل بشأن القتل ، ومع ذلك ذكر قبل أن يذكر السبب لأنه هو محل العبرة<sup>(٣)</sup> .

**السابع والأربعون :** إظهار عجائب قدرة الله - عز وجل - في اختراع الأشياء من أضدادها ؛ حيث أحيا الله القتل بمجرد ضربة يجرء من لحمها فكان سببا لحياته ، ولعل سائلا يسأل فيقول :

ما الفائدة في ضربه ببعض البقرة مع أن الله - سبحانه - قادر على إحيائه ابتداء ؟  
الجواب : لتأكيد الحجة على الناظرين وقطع دابر تهمة الحيلة على الشاكين المجادلين لئلا يقولوا هذا ضرب من السحر ، ولذلك لم يباشر موسى - عليه السلام - الفعل بنفسه خشية القيل والقال ، وإنما أجرى الله على أيديهم ذلك ليدلل على

(١) انظر : (صفوة الآثار) (١٧٦/٢) .

(٢) مثل أن تستعمل البقر في الركوب لأن الله - تعالى - جعل لها عملا تستطيعه وغير ذلك . وانظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٩٠" .

(٣) أحكام من القرآن ص "٢٩١" .

أن المعجزات لا تكون إلا من الله دون تمويه من الناس ، وأن الأنبياء كغيرهم لا تأثير لهم فيها<sup>(١)</sup> .

الثامن والأربعون : أن القاتل لا بد أن يخرج به الله ويبينه مهما طال زمنه ، فإن اقتصر منه في الدنيا وإلا فسوف يكون القصاص في الآخرة لا محالة .

التاسع والأربعون : أن الله - سبحانه وتعالى - أرى عباده من آياته ما يكون به العقل والرشد لقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣] وآيات الله - سبحانه وتعالى - تنقسم إلى قسمين : آيات كونية ، وآيات شرعية .

فالكونية : ما يحصل بخلقه وتقديره من سموات وأرض وشمس وقمر ...<sup>(٢)</sup> .

والشرعية : ما جاءت به الرسل من الأوامر والنواهي وغيرها من أقسام الوحي .

الخمسون : أن تدبر الآيات سبب للعقل لقوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣] والعقل عقلان : عقل إدراك وعقل تصرف .

فعقل الإدراك : هو ما يترتب عليه التكليف في المؤمن والكافر .

وعقل التصرف : هو ما يحصل به الرشd من أفعال الإنسان وأقواله ، وهذا خاص بمن آتاه الله الحكمة كما في قوله تعالى ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

وعلى هذا لو سأل وقال : هل الكفار عقلاء ؟ والجواب : أنهم عقلاء من حيث عقل الإدراك الذي يحصل به التكليف وليسوا عقلاء من حيث عقل التصرف الذي يحصل به الرشd ؛ ولذا ينفي الله عنهم العقل في آيات كثيرة من القرآن مثل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٢] وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣] .

إذا فالكفار ليس لهم عقل تصرف يوصلهم إلى الرشd ومع هذا هم مكلفون ومؤخذون<sup>(٣)</sup> .

(١) صفوة الآثار (٢/ ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤) .

(٢) أحكام من القرآن ص (٢٩٤) ، انظر : (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص "٢٧٦" ط دار طويق ، شرح العقيدة الطحاوية ص "٨٠" ط مؤسسة الرسالة .

(٣) انظر : أحكام القرآن ص "٢٩٤ ، ٢٩٥" .

الحادي والخمسون : أن ما حصل لبني إسرائيل بعدما رأوا إحياء الميت وإخباره بمن قتله ، وبما حصل لهم من آيات عظيمة قبلها قست قلوبهم ، ولم يزدادوا بها لينا للحق وقبولاً له . لذا يجب على المؤمن كلما رأى آية من آيات الله - تعالى - أن يلين بها قلبه ويتذكر بها ما حصل لبني إسرائيل ؛ لئلا يتشبه بما كانوا عليه أو يسند ما يقع من أمور في الكون كسقوط النجوم أو كسوف الشمس ، وخسوف القمر أو الزلازل والبراكين والعواصف الشديدة إلى الطبيعة وأنها هكذا تقع ، وإنما عليه أن يأخذ العبرة والعظة من وقوعها فيرجع إلى الله - تعالى - رجوعاً حقيقياً حتى لا يؤخذ الإنسان بها على غرة أو قد تأتي على نحو أكبر مما جاءت ولا يكون ممن قال الله فيهم ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٧) ﴿ (١) [يوسف: ١٠٥-١٠٧] .

الثاني والخمسون : ثناء الله تعالى على صلحاء بني إسرائيل قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩] أي : ومن قوم موسى جماعة يهدون بالحق الذي جاءهم به من عند الله ، وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون .

والآية سيقّت لدفع ما عسى أن يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بمتبعي رسول الله ﷺ من حرمان أسلاف قوم موسى - عليه السلام - من كل خير ، وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم (٢) .

والمقصود أن قوله تعالى ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ [الأعراف: ١٥٩] جماعة قليلة كما يدل عليه التبعية الدال على التعريض بأكثرهم الذين كانوا يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون ، وليس المقصود صلحاء بني إسرائيل في عهد موسى - عليه السلام - فقط ؛ بل المقصود صلحاء بني إسرائيل من عهده - عليه السلام - إلى عهد نبينا محمد ﷺ ، ولا تعارض بين ما ذكر من التبعية في قوله ( ومن ) وبين قوله ( أمة ) لأن الأمة تطلق على الجماعة الكثيرة ، وتطلق على القليلة إذا كانت ذات شأن ، وقد يسمى الواحد أمة لما فيه من خصال الخير كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (٣) [النحل: ١٢٠] .

(١) انظر : المصدر السابق ص "٢٩٧" .

(٢) انظر : (تفسير القاسمي) (٢٨١/٧) ؛ تفسير المنار (٣٦٣/٩) .

(٣) انظر : (تفسير الرازي) (٣١/١٥) .

## المبحث الثالث

## عقوبة قارون

## المطلب الأول : الآيات التي ذكرت ذلك :

أولاً : سورة القصص :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٦-٨٣] .

لطائف الآيات :

أولاً : لم تذكر هذه القصة في القرآن إلا مرة واحدة .

ثانياً : في قوله تعالى ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ... ﴾ [القصص: ٨١] الآية .

دلت (الفاء) على الترتيب والتعقيب ؛ حيث خسف به يوم خروجه في زينته وما جرى فيها من تمني قوم أن يكونوا مثله وما أنكر عليه علماءهم من غفلتهم عن التنافس في ثواب الآخرة بتعجيل عقابه في الدنيا بمراى من الذين تمنوا أن يكونوا مثله ، وما حصل لقارون من خسف خارق للعادة ؛ لأنه لم يتناول غير قارون ومن ظاهرة ولم يتعد

الخسف غير داره<sup>(١)</sup> .

ثالثاً : لم تذكر كلمة ( ويكأن ) إلا هنا في القرآن كله ، وقد ذكر في معناها أقوال كثيرة<sup>(٢)</sup> ، وأحسن ما قيل في معناها : أنها مركبة من (وي) وهو اسم فعل بمعنى أعجب ، والكاف للتعليل ، و ( أن ) وما في حيزها مجرورة بها . ومعنى الكلام : أعجب لأن الله ييسط الرزق لمن يشاء . والشاهد في قوله : (ويك) قول عنزة :

ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم<sup>(٣)</sup> وذهب من رأى أن أصل (ويك) : ويك اعلم أنه كذا ، فحذفت اللام والفعل فصارت ويك .

رابعاً : في قوله تعالى ﴿ وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [ القصص: ٨٠ ] الضمير في قوله ﴿ وَلَا يُلْقَاهَا ﴾ يراد به الجنة ؛ لأنها المعنية بقوله تعالى ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> [ القصص: ٨٠ ] والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

وقد ذكر الله مذمة قارون في غير ما آية فقال سبحانه بعد ذكر عاد وثمود : ﴿ وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ [ القصص: ٢٨ ] فكلأ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ [ العنكبوت: ٣٩-٤٠ ] والذي خسف به الأرض هو قارون ، وقال سبحانه في سورة غافر : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [ غافر: ٢٣-٢٤ ] .

(١) انظر : (التحرير والتنوير) (١٨٥/٢٠) مجلد (١٠) .

(٢) التفسير الكبير (١٩/٢٥) ؛ انظر : (التحرير والتنوير) (١٨٧/٢٠) مجلد (١٠) ؛ تفسير القاسمي (١٢٨/١٣) .

(٣) شرح المعلقات العشر - معلقة عنزة بن شداد - ص (١١٣) أحمد بن الأمين الشنقيطي ط دار الكتاب العربي سنة ١٤١٣ هـ . ومعناه : إن الذي شفى نفسه وأذهب سقمها قول الفوارس له ويك يا عنزة أقدم نحو العدو واحمل عليه فتغويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غمه .

(٤) انظر : (التفسير الكبير) (١٧/٢٥) ؛ معاني القرآن للزجاج (١٥٦/٤) .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

قارون هو ابن يصفد بن يصهر (ابن عم موسى) فقد روى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان ابن عم موسى<sup>(١)</sup> .

ولم تذكر قصته في القرآن إلا مرة واحدة ، أشارت فيه إلى أن سبب بغى قارون كان الثراء مع الكبر والاستطالة وجحود نعمة الخالق لما غلب عليه الحرص ، ومحبة الدنيا المؤديان إلى الانحراف عن جادة الصواب ، بل عن الإيمان بالله ... ومثل هذا الانحراف ولو كان بمقدار ذرة واحدة لا بد وأن ينتهي بالإنسان إلى ما انتهى إليه قارون الذي كان يظن أنه المتصرف الوحيد بإغرائه السوقة من الناس في ملك الله عز وجل ، وأن موسى - عليه السلام - الفقير المعدم لا يمكن أن يجمع هذا المال الوفير ليصل إلى ما نحن فيه من الغنى والذكر في الناس .

والغريب من الناس حين يرون صاحب الجاه والسلطان إلا من رحم الله يتمنون لو كان لهم مثل ما عنده إما حسداً له أو غبطة ، وأن المال هو كل شيء ، وأنه هو السعادة الحقيقية .

إن قارون آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة غير أنه طغى وبغى عليهم بهذا المال ، ولم تحدد الآيات فيم كان البغى ليدعه مجهولاً يشمل شتى الصور ، فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم ومتاعهم كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان ، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال ، وربما بغى ذلك<sup>(٢)</sup> ، نصحه أهل الوعظ والإرشاد من قومه بالبعد عن البطر والتجبر والإفساد في الأرض وأن يستعمل ماله في مرضاة الله مع الانتفاع ببعضه في مصالح الدنيا ، وألا ينفقه فيما يغضب الله - تعالى - حتى لا يتعرض لزوال النعمة . لكنه أعرض ونأى بجانبه وقال ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨] بطرق التجارة .

إنه القول المغرور الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها ويفتنه المال ويعميه الثراء ومن ثم جاء التهديد قبل تمام الآية رداً على قوله الفاجرة المغرورة ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ

(١) فتح الباري (٥٥٣/٦) .

(٢) انظر في ظلال القرآن (٢٧١١/٥) .



عَلَى عِلْمٍ عِنْدِيَّ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ [القصص: ٧٨]

كان عليه أن يعلم هذا لأنه هو وأمثاله من المجرمين أهون على الله - عز وجل - من أن يسألهم عن ذنوبهم ، فمتى حق عليهم القول أهلكتهم بغتة بلا معاتبة وطلب عذر<sup>(١)</sup> .

بعد النصيح والإعذار إلى الله لا يبقى للداعي إلى الله - تعالى - إلا أن يكل الأمر إلى الله تعالى . ولما أراد الله به من المقت خرج يوماً في زينته في موكب مهيب وزينة فاخرة باهرة فافتتن بعض الناس بمظاهره فاتجهت إليه قلوبهم واشترأت إليه نفوسهم وتمنوا أن يؤتوا مثله ، والبعض الآخر لم يلتفتوا إلى ذلك بل نظروا إلى ما عند الله مما هو خير وأبقى فقالوا لهم ناصحين منكرين لمقالمهم ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٨٠]

فمن آمن وعمل صالحاً فثواب الله وجزاؤه أكثر وأفضل من هذه الزينة ﴿وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠] على فتنة الحياة وإغرائها ، الصابرون على الحرمان الذي يتشناه الكثيرون<sup>(٢)</sup> ، الراضون بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار المترفعون عن محبة الدنيا ، كما جاء في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر واقراءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] »<sup>(٣)</sup> .

وإذا كانت هذه هي ظواهر الدنيا ومتعها التي لا تدوم فما بالك ببواطن وملذات الآخرة التي لا تنتهي !!! .

ومن الأسباب في عقوبته ما ذكره ابن حجر في الفتح ما أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : « كان موسى يقول لبني إسرائيل : إن الله يأمركم بكذا حتى دخل عليهم في أموالهم فشق ذلك على قارون فقال لبني إسرائيل : إن

(١) انظر : (تفسير القاسمي) (١٢٧/١٣) ؛ في ظلال القرآن (٢٧١٢/٥) .

(٢) انظر : (في ظلال القرآن) (٢٧١٣/٥) .

(٣) والحديث رواه البخاري - كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤٣٢/٢)

برقم [٣٢٤٤] . ورواه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - الباب نفسه - (٢١٧٤/٤)

برقم [٨٢٤] .

موسى يقول : من زنى رجم ، فتعالوا نجعل لبغي شيئاً حتى تقول : إن موسى فعل بها فيرجم فنستريح منه ، ففعلوا ذلك ، فلما خطبهم موسى قالوا له : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا ! فقال : فقد زنيت ، فأرسلوا إلى المرأة ، فلما جاءت عظم عليها موسى ، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل إلا صدقت ، فأقرت بالحق ، فخر موسى ساجداً ييكى ، فأوحى الله إليه ، أني أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت ، فأمرها فحسفت بقارون ومن معه «<sup>(١)</sup> ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾﴾<sup>(٢)</sup> أن رءاهُ أَسْتَغْنَى ﴿٧﴾ ﴿٢﴾ [العلق: ٦-٧] .

(١) انظر : (فتح الباري) (٥٥٤/٦) وقد وردت آثار أخرى قال عنها الرازي : إن أكثرها متعارضة مضطربة ، والأولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن ، وتفويض سائر التفاصيل إلى عالم الغيب ، انظر : (التفسير الكبير) (١٨/٢٥) .

(٢) سورة العلق آية (٧، ٦) هذا هو الجزاء حين أعطي المال طغى ، وكان الأولى به التواضع والشكر ورد تلك النعم إلى بارئها - لا شدة الحرص والتباهي . وفي الحديث قال النبي - صلى الله عليه وسلم : « إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي بماله ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأحسن المنازل عند الله ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته وهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخط في ماله لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً ، فهذا بأسوأ المنازل عند الله ، ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته ، وهما في الوزر سواء » الحديث رواه أحمد (٢٣٠/٤ ، ٢٣١) ورواه الترمذي - كتاب الزهد - باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة (٥٦٢/٤) برقم [٢٣٢٥] وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه ابن ماجة كتاب الزهد - باب النية (١٤١٣/٢) برقم [٤٢٢٨] .

## المطلب الثالث : نوع العقوبة

قال تعالى ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١] وقال سبحانه ﴿... حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦] .

وهكذا بعدما خرج قارون في زينته مختالا مفتخرا بها على قومه فحذب القلوب والنفوس إلى حب الدنيا ولسان حاله يقول : أموسى الفقير خير أم أنا ؟ أهذا الذي لا يملك الذهب والفضة والخيول والخدم والحاشية أفضل أم أنا ؟ يقول صاحب الظلال : « وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها ، وتهافت النفوس وتهاوى ، تتدخل يد القدرة لتضع حدا للفتنة ، وترحم الناس من إغرائها وتحطم الغرور والكبرياء تحطيمًا . ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْأَمْتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١] هكذا في جملة قصيرة وفي لحظة خاطفة ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ فابتلغته وابتلعت داره وهوى في بطن الأرض التي علا فيها ، واستطال فوقها جزاء وفاقا . وذهب ضعيفا عاجزا ، لا ينصره أحد ولا ينتصر بحاجه أو مال ، وهوت معه الفتنة الطاغية التي جرفت بعض الناس ؛ وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال »<sup>(١)</sup> وكان لهذا الخسف أبلغ الأثر في النفوس ممن تمنى أن يكون له مثل قارون ، فالآن يحمدون الله أنه لم يستجب لهم ما تمنوه بالأمس ، فقد رأوا المصير الذي آل إليه أمر قارون بين عشية وضحاها ، فإذا هم يقولون : إن الله يوسع الرزق على من يشاء ويقدر أن يقتر على من يشاء ، ولولا أن من الله علينا لحسف بنا كما فعل بقارون وبطانته ، فمالنا لا نفرع إلى الله نطلب رضاه ولا نتمنى ما تمنيناه ، وهكذا كانت نتيجة الكبرياء والاستبداد وكفران النعمة فصار عبرة للمعتبرين وعظة للمتعطين .

قال تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص: ٨٣] .

تلك الدار التي تحدث عنها أولو العلم الدار التي لا يحول نعيمها ولا يزول ولا عناء فيها ولا مشقة ؛ بل راحة واطمئنان وفوق ذلك رضا الرحمن ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] الذين يناون بأنفسهم عن الكبر والاستعلاء وحب الفخر والخيلاء ، فالعاقبة

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧١٣) .

المحمودة لهم ؛ لأنهم لا إرادة لهم في العلو في الأرض ولا الفساد ، وإنما قصدهم الدار الآخرة وحالهم التواضع لعباد الله والانقياد للحق والعمل الصالح ، فعاقبتهم الفلاح والنجاح ، أما غيرهم وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة - فإنه لا يطول وقته ويزول عن قريب . وانظر للحصر في الآية الدال على أن الذين يريدون العلو في الأرض أو الفساد ، ليس لهم في الدار الآخرة نصيب ، ولا لهم فيها حظ<sup>(١)</sup> .

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٤/٤٤) .

## المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبة قارون :

أولاً : البغي مرتعه وخيم ، والظلم مؤذن بخراب الديار ، والغالب أن الظالم حسب سنة الله - تعالى - يعاقب في الدنيا قبل الآخرة ، يدل على ذلك حديث النبي ﷺ « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله - تعالى - لصاحبه العقوبة مع ما يؤجل من العقوبة له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم » وجاء في شرحه : ما من ذنب أحق وأولى لصاحبه أن يعجل الله له العقوبة مع ما يؤجل له في الآخرة مثل ( البغي ) أي : بغي الباغي وهو الظلم والخروج على السلطان أو الكبير وقطيعة الرحم<sup>(١)</sup> ، وأغلب هذه الأمور توفرت في قارون إضافة إلى كفره فعجل الله له العقوبة في الدنيا .

ثانياً : المال الكثير والمنصب العالي محنة وبلاء وعرضة للفساد والطغيان إلا من رحم الله ، فكم من أناس جمعوا المال وتزوجوا أجمل النساء وأكلوا ما لذ وطاب في الحياة ؛ ولكنهم فقدوا الطمأنينة ولذة الحياة الروحية ، بل فقدوا نعمة الإيمان والتقوى لأن المعاصي والذنوب كدرت صفو حياتهم ، والمعاصي يجرب بعضها بعضاً حتى يألفها فاعلها فلا يطمئن بها وصدق الله إذ يقول ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] .

وإن انطبقت على الفرد في المجتمع فرمما ينتشر فعل المعصية حتى تعم المجتمع كله ، فتتغير القلوب ويعلوها الران ، وهناك تتغير الأعمال وتسوء الحال ويلتحق المجتمع بركب الفجار ؛ وذلك لأن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي كما هو مذهب أهل السنة قاطبة<sup>(٢)</sup> .

وخذ مثلاً على ذلك من مجتمعاتنا المعاصرة ؛ حيث انتشرت فيها آلات اللهو انتشاراً عظيماً حتى لا تكاد تجد أحداً ينكر ذلك ؛ بل لو أنكر على أحد لقال كل

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في النهي عن البغي (٢٤٤/١٣) برقم [٤٨٨١] ط مكتبة ابن تيمية . قال المنذري : وأخرجه الترمذي - كتاب صفة القيامة - باب ٥٧ (٦٦٤/٤) برقم [٢٥١١] وابن ماجه - كتاب الزهد - باب البغي (١٤٠٨/٢) برقم [٤٢١١] وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) انظر : (كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية) من ص ٢٩٣-٢٩٥ .

الناس عندهم ذلك ، وكل الناس يشاهدون ويستمعون .

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد<sup>(١)</sup>

ثالثا : حرمة الفرع بالمال والإمارة إذا كان الفرع بطرا وفخرا واعتزازا وكبرا وخيلاء<sup>(٢)</sup> لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [ القصص: ٧٦ ] .

رابعا : الكبر من كبائر الذنوب التي حرمها الله ورسوله ، ففي الحديث « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له : بولس ، تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال »<sup>(٣)</sup> .

وقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال : « إن الله جميل يحب الجمال »<sup>(٤)</sup> .

خامسا : من فضل الله - تعالى - على الأمة وجود علماء مصلحين يعلمون الناس ويرشدونهم ويوجهونهم إلى الحق كلما خفي عليهم شيء أو ادلهم بهم خطب أو أشكل عليهم أمر ؛ فيعلمون الجاهل وينصحون العاصي ويرشدون الحائر ويردون الضائع عن طريق الحق إلى الحق ، فمن تكبر وعتى فما على الرسول إلا البلاغ ، فلا إله إلا الله ! كم من صاحب مال كان ماله وبالا عليه في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا

(١) سبق تخريجه ص ١٨٧ .

(٢) أيسر التفاسير (١٠٠/٤) .

(٣) رواه أحمد (١٧٩/٢) برقم [٦٦٧٧] ؛ رواه الترمذي كتاب صفة القيامة (٦٥٥/٤) برقم [٢٤٩٢] وقال : حديث حسن صحيح وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٤/٢) برقم [٢٠٢٥] وانظر الحديث في جامع الأصول في أحاديث الرسول (محمد بن الأثير الجزري) (٦١٦/١٠) برقم [٨٢١٢] ط الثانية ١٤٠٣ ، المكتبة التجارية . بولس : قال في (المجمع) هو بفتح الباء وسكون واو وفتح لام ، وقال في القاموس : بولس بضم الباء وفتح اللام (سجن جهنم) ونار الأنيار : معناه (نار النيران) فجمع النار على أنيار ، وإنما جمعها على أنيار لأنها يشتبه بجمع النور . وطينة الخبال : هي عصارة أهل النار ، والخبال بفتح الخاء هو في الأصل الفساد ، انظر : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (للمبارك فوري / محمد بن عبد الرحمن (٧/١٩٣، ١٩٤) برقم [٢٦١٠] ؛ وانظر : (النهاية في غريب الحديث) (٨/٢) .

(٤) سبق تخريجه ص "٤١" .

فتراه يحرص عليه ويخاف عليه السراق واللصوص والجوائح إضافة إلى بخله الشديد فيه ، وأما في الآخرة ففي الحديث قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » قيل : يا رسول الله ، فالإبل؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ، ومن حقها حلبها يوم وردّها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » قيل : يا رسول الله ، فالبقر والغنم؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلداء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ... » الحديث<sup>(١)</sup> .

وقوله ﷺ وفيه « ... ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه . إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحاه ، فإذا أتاه فر منه فيناديه : خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني ، فإذا رأى أن لا بد منه ، سلك يده فيه فيقضمها قضم الفحل »<sup>(٢)</sup> ففي هذين الحديثين من الترهيب والتخويف من منع الزكاة ما فيه لمن كان له قلب ،

(١) الحديث رواه مسلم - كتاب الزكاة - باب إثم مانع الزكاة (٦٨٠/٢ ، ٦٨١) برقم [٩٨٧] .  
 قرقر : أي : المستوى من الأرض الواسعة ، الفصيل : أي ولد الناقة إذا فصل عن أمه . والقصعاء والعضباء ، والجلحاء : قال أهل اللغة : القصعاء : ملتوية القرنين ، والعضباء : الذي انكسر قرنهما من الداخل ، والجلحاء : التي لا قرن لها ، صحيح مسلم (٦٨١/٢) وفي صحيح البخاري قريب منه - كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٤٣٢/١) برقم [١٤٠٢] .

(٢) الحديث رواه مسلم - كتاب الزكاة - باب إثم مانع الزكاة (٦٨٤/٢) والشجاع الأقرع هو الذكر من الحيات . والأقرع : الذي سقط شعره لكثرة سمه ، وفي البخاري - كتاب الزكاة - باب مانع الزكاة (٤٣٣/١) برقم [١٤٠٣] .

فعلى المسلم أن يبادر إلى اتقاء ذلك بدفع ما عليه من حقوق قبل فوات الأوان فيتمنى أن لو أنفق أو وهب قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٦﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] وقوله سبحانه ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠] .

**سادسا :** المسلم يستطيع أن يجمع بين إرادة الدنيا والآخرة وأن يوازن بين مطالب الدنيا بالوسائل المشروعة ، بل يسعى ويجد في طلب الحلال حيث كان ، فإذا حصل على مراده فعليه أن يستعمل ما أعطاه الله - تعالى - من نعم فيما ينفعه في الآخرة كالتصدق في سبيل الله وأداء ما أوجبه الله عليه فيما أنعم به عليه ، وأن يحسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليه ، وله أن يتمتع بما أباحه الله له من الطيبات بما شاء كيف شاء من غير إسراف ولا مخيلة ، وهكذا يتحقق الجمع بين إرادة الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup> كما ذكر الله من قوله ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الْدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧] .

**سابعا :** الله وحده هو رازق الخلق كلهم وما العبد إلا وسيلة ، فينبغي عليه أن يمشي في الأرض لكسب الرزق ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [الملك: ١٥] فالذي يسر الرزق وهياً له أسبابه هو الله ، فإذا قدر أن حصل الثراء والغنى فمن الجهل أن ينسب الإنسان ذلك الفضل لنفسه وذكائه أو يغره الشيطان بأن ما أعطيه من خير وفضل دليل على محبة الله له ورضاه عنه ، ولا يدري أنه ربما يكون فتنة له واستدراجاً<sup>(٢)</sup> لحديث عقبة<sup>(٣)</sup> بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج ثم قرأ النبي ﷺ

(١) انظر : (السنن الإلهية) د/ عبدالكريم زيدان ، ص "٢٥٩، ٢٦٠" .

(٢) انظر : (التفسير المنير) (١٦٣/٢٠) .

(٣) عقبة بن عامر : صحابي مشهور ، اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أنه أبو حماد ، ولي إمرة مصر لمعاوية ، وكان فقيها فاضلا - مات قرب الستين ، انظر : (التقريب) ص "٣٩٥" باب العين مع القاف . والحديث رواه الإمام أحمد (١٤٥/٤) برقم [١٧٣٤٩] ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٣٠/١٧) برقم [٩١٣، ٩١٤] ، وعزاه الهيثمي في المجمع إلى أحمد والطبراني (٢٠/٧) . وصححه الشيخ الألباني بمتابعاته في السلسلة الصحيحة (٧٠٠/١) برقم [٤١٣] .



﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [ الأنعام: ٤٤ ] .

ثامنا : نهاية البغاة والظلمة أليمة ؛ فقد ظنوا أن سلطانهم أو أموالهم تمنعهم من عقاب الله ؛ لذا كان الاغترار بالأموال والأوصاف التي تتبعها نذير سوء يعقبه وهذا ما حصل لقارون حيث خسف به وبداره الأرض فأصبح كأن لم يكن ، ضعيفا عاجزا لا ينصره أحد من جاه أو مال ، فكان في ذلك عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين لمن رآه في حينه ممن تمنى أن يكون له مثله ؛ حيث ندموا في الحال وحمدوا الله أنه لم يستجب لهم ؛ حيث أدركوا أن سعة الرزق ليست دليلا على رضوان الله ، كما أن تقتير الرزق ليس علامة على سخط الله ؛ لذا كانت القناعة أحسن البضاعة .

وفي المثل (خير الغنى القنوع ، وشر الفقر الخضوع) <sup>(١)</sup> .

قال الشاعر <sup>(٢)</sup> :

هي القناعة لا تبغي بها بدلا      فيها النعيم وفيها راحة البدن

(١) لسان العرب (٣٢١/١١) .

(٢) لم أجده : انظر : الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي د/ عبد العال سالم مكرم (١٣١/٢)

ط: الأولى ، عالم الكتب .



---

## الفصل الرابع

### عقوبات بني إسرائيل

من بعد موسى - عليه السلام -

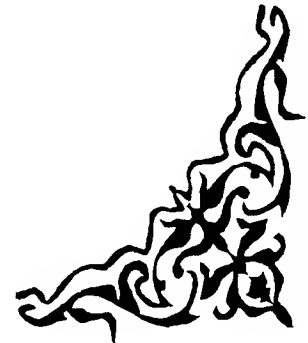

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عقوبة قوم منهم خرجوا حذراً  
من الموت .

المبحث الثاني : عقوبة قوم طالوت .

المبحث الثالث : عقوبة أصحاب السبت .

المبحث الرابع : عقوبة بني إسرائيل في أول  
سورة الإسراء .



---

## المبحث الأول

## عقوبة قوم منهم خرجوا حذراً من الموت

## المطلب الأول : لآيات النبي تناولت تلك العقوبة :

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] .  
لطائف الآية :

أولاً : أنها لم تذكر إلا مرة واحدة في القرآن .

ثانياً : الجمال الذي رسمه التعبير بقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ وأي لفظ آخر ما كان ليرسم أمام المخيلة مثل هذا الأسلوب كما رسمته هاتان الكلمتان القصيرتان في موضعها المختار<sup>(١)</sup> .

ثالثاً : الآية غني بها قومٌ كثيرو العدد خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم ، وفي ذلك حثٌ للمسلمين على الجهاد في سبيل الله - فكأن هذه الآية ذكرت ممهدة للأمر بالقتال بعدها في قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٤] .

ومعلوم أن سورة البقرة مما نزل في المدينة إثر الهجرة وكان العدو في مكة وما حولها في كثرة وقوة ومنعة ، فأمر المسلمون المهاجرون ومن آواهم أن يقاتلوا في سبيل الله ، وقص لهم من الأنباء ما فيه بعث على الجهاد وتبشير لهم بالفوز والعاقبة الحسنة ؛ وإن كانوا في قلة وضعف<sup>(٢)</sup> . ما داموا مستمسكين بجبل الله مطيعين لأوامره قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] .

رابعاً : في قوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] كيف يجمع بينها وبين ما في سورة الدخان من قوله تعالى ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ الآية [الدخان: ٥٦] .

(١) في ظلال القرآن (١/٢٦٥) .

(٢) انظر : (تفسير الكشاف) (١/٢٩٠) ؛ تفسير القاسمي (٣/٢٩٦ ، ٢٩٧) .

فالجواب : أن إماتتهم كانت عقوبة لهم مع بقاء أجلهم ، وفي الآية الثانية الإماتة بانتهاء الأجل<sup>(١)</sup> .

خامساً : في قوله تعالى ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] أنهم ذاقوا الموت الذي فرّوا منه فلم يغن خوفهم عنهم شيئاً ، وأنهم ذاقوا الحياة بعد الموت ، ليعلموا أن الموت والحياة بيد الله<sup>(٢)</sup> .

سادساً : أتى بهذه القصة بأسلوب الأمر الذي قد تقرر عند المخاطبين لما فيها من العبرة بأنه سبحانه على كل شيء قدير ، ولما فيها من الآية المحسوسة على البعث ، فإن هذه القصة معروفة منقولة ، نقلاً متواتراً عند بني إسرائيل ومن اتصل بهم<sup>(٣)</sup> .

سابعاً : في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٤٣] واقعة موقع التعليم بجملة (ثم أحياهم) والمقصود منها بث خلق الاعتماد على الله في نفوس المسلمين في كل أمورهم ، وأنهم إن شكروا الله على نعمه زادهم من فضله ويسّر لهم كل عسير<sup>(٤)</sup> .

ثامناً : تشير الآية إلى أن موت الأمم غالباً له سببان :

السبب الأول : الجبن وضعف العزيمة .

السبب الثاني : البخل وعدم الإنفاق .

ولذلك قرن الله سبحانه وتعالى الآية السابقة بقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] حيث عبّر عن الإنفاق بالقرض ليحث عباده على الإنفاق في سبيل الله<sup>(٥)</sup> .

(١) تفسير الرازي المسمى «أمّودج جليل» ص ٤١ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (٤٠٨/٢) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (١٩٥/١) .

(٤) انظر : التحرير والتنوير (٤٠٨/٢) .

(٥) انظر : (التفسير الواضح) (١٥٤/٢) مجلد ١ ؛ التفسير المنير (٤١٤/٢) ؛ وقريب من هذا لسيد

قطب في الظلال (٢٦٥/١) .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

- الفرار من الموت - كما ذكر الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا<sup>(١)</sup> مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ<sup>(٢)</sup> حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] إما من خوف وباء انتشر أو عدو . وهم أهل مدينة من مدن بني إسرائيل فرّوا هاربين من الموت ، فإن كان هروبهم من الوباء أو العدو فهذا يدل على ضعف العزيمة والجن والخوف ، وعدم الإيمان بالله ورسوله ، مع أن كثرتهم تدعو إلى الثبات والشجاعة والدفاع عن النفس حتى الموت لنيل الشهادة أو النصر أو الصبر على قدر الله - تعالى - حتى يأتي وعد الله ، لما ثبت في الصحيح أن عبد الرحمن بن عوف سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم به ( أي الطاعون ) بأرض ، فلا تقدموا عليه . وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه »<sup>(٣)</sup> الحديث .

(١) يقول صاحب الظلال : « لا أحب أن نذهب في تيه التأويلات عن هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلُوف حذر الموت ... من هم؟ وفي أي أرض كانوا؟ وفي أي زمان خرجوا؟ ... فلو كان الله يريد بياناً عنهم لبين ، إلى أن قال - وتحديد الأماكن والأزمان لا يزيد هنا شيئاً على عبرة القصة ومغزاها » (٢٦٤/١) .

(٢) وهم أُلُوف : ذكر المفسرون لذلك معاني كثيرة نختار ما ذهب إليه أبو جعفر الطبري (٢٧٦/٥) حيث قال « وأولى الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين وصف الله خروجهم من ديارهم بالصواب .. قول من حد عددهم بزيادة عن عشرة آلاف ، دون من حده بأربعة آلاف وثلاثة آلاف وثمانية آلاف . وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنهم كانوا أُلُوفاً ، وما دون العشرة آلاف ، ولا يقال لهم : أُلُوف ، وغير جائز أن يقال : هم خمسة أُلُوف ، أو عشرة أُلُوف ، ورجح ذلك البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٩٣/١) البغوي ، (١٧٦/١) الخازن ، والقرطبي (٢٣١/١) ، والرازي في تفسيره (١٦٣/٦) ، ورد ذلك أبو حيان في البحر وقال : هذا ليس مما ذكر ، فقد يستعار أحد الجمعين للآخر وإن كان الأصل استعمال كل واحد منهما في موضوعه ، وهذه التقديرات كلها لا دليل عليها ، ولفظ القرآن ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ لم ينص على عدد معين . ويحتمل أن لا يراد ظاهر جمع ألف ؛ بل يكون ذلك المراد منه التكاثر كأنه قيل : خرجوا من ديارهم وهم عالم كثيرون لا يكاد يحصيهم عاد فعبّر عن هذا المعنى بقوله ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ (٢٥٩/٢) .

والقولان كما ترى قويان ولا أستطيع ترجيح أحدهما على الآخر إلا أنني أميل لقول الجمهور ؛ لأنهم لم يحددوا عدداً ؛ وإنما قالوا : زيادة على عشرة آلاف ، فيكون فيه نوع موافقة لما ذهب إليه أبو حيان والله أعلم .

(٣) رواه مسلم - كتاب السلام - باب الطاعون والطيرة والكهانة (١٧٤٠/٤) برقم [٢٢١٩] .

### المطلب الثالث : نوع العقوبة

#### الموت الجماعي

أخبر الله - عز وجل - أنه عاقب هؤلاء القوم بأن قال لهم : ( موتوا ) ، قال  
الزمنخري : « معناه : فأماتهم ، وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا  
ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته ، وتلك ميتة خارجة عن العادة قال تعالى ﴿ إِنَّمَا  
أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] »<sup>(١)</sup> . ﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ  
اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] بابتلائهم بالعدو والشدائد التي تصهرهم  
وتميز الخبيث من الطيب ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] الله  
على ذلك ؛ بل يعدونه نقمة عليهم<sup>(٢)</sup> .

(١) تفسير الكشاف (١/٢٩٠) .

(٢) انظر : (التفسير الواضح) (١٥٤/٢) .

### المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبتهم :

**أولاً :** الحذر من الموت لا يجدي ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨] وفي هذه الآية يصور الله مشهد هذه الألوف الحذرة من الموت الملتفتة من الذعر خائفين من أن يلحق بهم وإذا هم يؤتون من حيث خافوا ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ [الجمعة: ٨] أطبق عليهم في لحظة ، وإذا كل هذا الحذر وكل هذا التجمع وكل هذه المحاولة ذهبت هباءً في كلمة واحدة : ( موتوا ) ليلقي ذلك في الحس عبث المحاولة، وضلالة المنهج ، كما يلقي صرامة القضاء ، وسرعة الفصل عند الله!!<sup>(١)</sup>.

**ثانياً :** ذهب القرطبي إلى أن أصح الأقوال وأبينها وأشهرها أنهم خرجوا فراراً من الوباء كما روى ذلك سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> : خرجوا فراراً من الطاعون فماتوا ، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم .

**ثالثاً :** من أركان الإيمان كما هو معلوم من حديث جبريل « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره »<sup>(٣)</sup> فالواجب على المسلم الإيمان بأن الأعمار والأقدار والبلايا والأمراض بيد الله - عز وجل - وأنه مهما أتى الإنسان من قدرة للاحتماء منها فإنه لا يستطيع ردها إذا نزلت إلا أنه يجوز للإنسان اتخاذ أسباب الوقاية من المكاره لتجنب المخاوف والمكاه قبل وقوعها لقوله تعالى ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١] وقوله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] فإذا نزل أمر الله فعليه أن يصبر وأن يحتسب كما في حديث عبد الرحمن بن عوف الذي نهى فيه النبي ﷺ من أصيب بالطاعون أن يخرج ، ومن كان خارجاً أن لا يدخل . وقس على ذلك أي أمر مباح يكون ضرره أكبر من نفعه ومفسدته أكبر من مصلحته .

(١) انظر : (في ظلال القرآن) (١/٢٦٥) .

(٢) وسنده عند ابن جرير (٥/٢٦٦، ٢٦٧) قال : حدثنا سفيان ، عن ميسرة النهدي ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - والسند كما تراه كلهم ثقات ، وكلام شعبة في المنهال بن عمرو غير مؤثر - انظر : تفسير ابن كثير بتحقيق مقبل الوادعي (١/٥٢٩) وقال الشيخ محمود شاكر : أخرجه الحاكم في المستدرک وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . انظره (٥/٢٦٧) .

(٣) رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... (١/٣٦) برقم [٨] .

رابعاً : في الآية تشجيع للمؤمنين للقتال والجهاد في سبيل الله ، وإذا كان لابد من الموت ولا يغني عنه الحذر فالأفضل للإنسان أن يكون في سبيل الله ليظفر بالشهادة والفوز بالجنة<sup>(١)</sup> .

خامساً : في الآية بيان لقدرة الله - تعالى - حيث أماتهم جميعاً في وقت واحد ؛ حيث قال لهم : ( موتوا ) ثم أحياهم جميعاً ، وفي هذا دليل على كمال قدرة الله تعالى في إحياء الناس بعد الموت يوم القيامة وأنهم جميعاً كنفس واحدة قال تعالى ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] .

خامساً : وجوب شكر النعم ، والشكر يكون بخضوع الشاكر لله ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثنائه عليه بها ، وألا يستعملها فيما يكره .

فهذه الخمس هي أساس الشكر ، وبناءؤه عليها ، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة<sup>(٢)</sup> قال تعالى ﴿ لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال سبحانه : ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: ١٣] .

(١) انظر : (تفسير الكشاف) (٢٩٠/١) ؛ تيسير الكريم الرحمن (١٩٦/٢) .

(٢) تهذيب مدارج السالكين - ابن القيم ، تهذيب - عبد المنعم العزي ص "٣٨٤" .



## المبحث الثاني

## عقوبة قوم طالوت

## المطلب الأول : الآيات التي تناولت عقوبتهم :

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ  
 أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا  
 تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ  
 عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢١٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ  
 اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ  
 مِنْهُ وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ  
 وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ  
 ءَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ  
 مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢١٨﴾  
 فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي  
 وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا  
 جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ  
 الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢١٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا  
 وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ  
 دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ  
 بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفُسِدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٢١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ  
 اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢٢﴾ [ البقرة: ٢٤٦-٢٥٢ ] .

## لطائف الآيات :

أولاً : لم تذكر هذه القصة إلا مرة واحدة في القرآن .

ثانياً : كانت نبوة موسى - عليه السلام - قبل داود بزمان طويل ، ولكثرة

القصص عن موسى وقومه قد يظن أنه قريب العهد ، والفصل في ذلك قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ إلى أن قال ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ

جَالُوتَ وَءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴿١﴾ الآية .

ثالثاً : جملة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ استئناف ثان بعد جملة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] وفيها زيادة تأكيد لفظاً على حال التقاعس عن القتال بعد التهيؤ له في سبيل الله ، والتكرير في مثله يفيد مزيد تحذير وتعريض بالتوبيخ ، وهنا يرد سؤال : لم قدم أحدهما وأخر الآخر ؟

والجواب : ليقع التحريض على القتال بينهما كما مر من قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٤] الآية ومناسبة تقديم الأولى : أنها تشنع حال الذين استسلموا واستضعفوا أنفسهم فخرجوا من ديارهم مع كثرتهم ، وهذه الحالة أنسب بأن تقدم بين يدي الأمر بالقتال ، لأن الأمر بذلك بعدها يقع موقع القبول من السامعين لا محالة ، ومناسبة تأخير الثانية أنها تمثل حال الذين عرفوا فائدة القتال في سبيل الله لقولهم ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فسألوه دون أن يفرض عليهم ، فلما فرض عليهم نكصوا على أعقابهم ، والعبرة التحذير من الوقوع في مثل حالهم بعد الشروع في القتال أو بعد كتبه عليهم<sup>(١)</sup> .

رابعاً : لم يرد ذكر اسم النبي الذي بعثه الله لهم ، وذكره هنا كما قال سيد قطب : لا يزيد شيئاً في إحياء القصة ، وقد كان لبني إسرائيل كثرة من الأنبياء يتتابعون في تاريخهم الطويل<sup>(٢)</sup> .

خامساً : في قوله تعالى ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ [البقرة: ٢٤٦] يرد سؤال هو / لم استفهم النبي منهم مع أنهم هم الذين طلبوا منه الجهاد ؟  
والجواب : كأن سائلاً سأل فقال : فماذا قال لهم نبينهم ؟  
أو أن النبي ظن منهم الجبن والفشل في القتال لما عهد منهم ؛ فلذلك استفهم وليبين أن ما ظنه وتوقعه من ذلك يكون منهم وكان كما توقع<sup>(٣)</sup> .

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٤) .

(٢) انظر : (في ظلال القرآن) (١/ ٢٦٦) ، وقد اختلف المفسرون في اسم ذلك النبي فمنهم من قال : إن اسمه شمويل ، وهذا أقوى أقوال المفسرين ، وهو معرب صمويل أو صموئيل ، وقيل : يوشع ، وهذا ضعيف لأنه فتى موسى ؛ ولأن القصة حدثت في زمن داود وبينهما زمن طويل - انظر : (تفسير المنار) (٢/ ٤٧٥) .

(٣) انظر : (تفسير البحر المحيط) (٢/ ٢٦٤) .

سادساً : في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] يرد سؤال : كيف يؤتي الله ملكه من يشاء والله تعالى لا يؤتي ملكه أحداً ؟

والجواب : المراد بهذا الملك السلطة والرياسة التي أنكروا إعطاءها لطالوت ، وليس المراد أنه يؤتي كل ملكه لأحد ؛ لأن سياق الآية يمنعه .

سابعاً : في تقديم العلم على الجسم إشارة إلى أن إمامة الجاهل لا خير فيها<sup>(١)</sup> .

ثامناً : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] هنا وضع الاسم الظاهر موضع الضمير حيث قال ﴿ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ولم يقل بهم ، فلم ؟

والجواب : لتسجيل صفة الظلم عليهم ، وبيان أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بسؤالهم البلاء ، وكان الواجب عليهم سؤال العافية ، فلما أجيئوا أعرضوا ، فجمعوا بين عار الإخلاف وفضيحة العصيان - ولو قال : ( بهم ) لما أدى الغرض الذي يؤديه لفظ ( بالظالمين )<sup>(٢)</sup> .

تاسعاً : المعجزة التي صدق بها القوم هي رجوع التابوت إليهم بعد أن سلبه الأعداء منهم ، فكانت معجزة أجراها الله لنبيهم تصديقاً لما أخبر به من شأن طالوت .  
عاشراً : كان داود - عليه السلام - في صفوف جيش طالوت ولم يكن قد بُعث بعد ، ثم حصل العكس بعد الانتصار على جالوت وجنوده - فسبحان من يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء<sup>(٣)</sup> .

الحادي عشر : كيف قال في الماء ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ولم يقل : ومن لم يشربه ، والماء مشروب لا مأكول ؟

والجواب : أن طعم بمعنى أكل ؛ وبمعنى ذاق . والذوق هو المراد هنا<sup>(٤)</sup> .  
زاد القرطبي : لأن من عادة العرب إذا كرروا شيئاً أن يكرروه بلفظ آخر ، ولغة القرآن أفصح اللغات فلا عبرة بقدرح من يقول : لا يقال طعمت الماء<sup>(٥)</sup> .

(١) أيسر التفاسير (٢٣٥/١) .

(٢) انظر : (نظم الدر) (٤١٣/٣) ؛ التحرير والتنوير (٤٨٧/٢) .

(٣) تهذيب التفسير وتجريد التأويل - عبد القادر شيبه الحمد (١٥٥/٢) ، ط مكتبة المعارف الرياض .

(٤) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل) ص "٤٢" ؛ وانظر : (البحر المحيط) (٢٧٣/٢) .

(٥) وانظر : (تفسير القرطبي) (٢٥٢/٣) .

الحادي عشر : طالوت وجالوت اسمان أعجميان معربان ، ولذلك لم ينصرفا وكذلك داود ، والجمع طواليت وجواليت ودواويد<sup>(١)</sup> .

الثاني عشر : في قوله تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٥١] متروك ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر منه عليه ، وتقديره فاستجاب لهم ربهم فأفرغ عليهم صبره وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين فهزمهم بإذن الله<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : (تفسير الكشاف) (٢٩٢/١) ؛ وانظر : تفسير القرطبي : (٢٤٥/٣ ، ٢٤٦) ، وطالوت : الملك المؤمن هل كان نبياً ؟ - الله أعلم وعلى كل فهو عبد صالح انظر : (البحر المحيط) (٢٧٨/٢) ؛ انظر : أيسر التفاسير (٢٣٧/١) ؛ وداود هو النبي المعروف كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وجالوت : ملك العمالقة ، قال أبو حيان : يقال إن البربر من نسله قتله داود عليه السلام يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] الآية ، انظر : تفسير البحر المحيط (٢٦٩/٢) .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٣٥٤/٥ ، ٣٥٥) ، يقول صاحب صفوة الآثار (٤٣٥/٣) : هذا ، وقد استدل بعضهم بمعجزة التابوت على أن طالوت كان نبياً ؛ لأن المعجزة لا تنزل إلا على نبي ؛ ولكن لفظ القرآن يأباه ، لأن القوم نبههم داود ، وأما طالوت فهو رجل اختاره ملكاً فلما تلوأوا عليه ولم يقنعوا بما آتاه من بسطة في العلم والجسم أخضعهم له بهذه المعجزة - اللهم إلا أن يكون نبياً غير رسول فالله أعلم .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

١ - اعتراضهم على نبيهم في تنصيب طالوت ملكاً .

٢ - مخالفة أمر طالوت عند نهيه عن الشرب من النهر .

ذكر الله - تعالى - لنا قصة أخرى من قصص بني إسرائيل تكشف لنا تعنتهم مع أنبيائهم ونكوصهم عن الجهاد في سبيل الله حتى ولو كانوا هم الملحين في طلب القتال - ولا غرو فالقوم هم سلالة أصحاب البقرة الذين قالوا لموسى عليه السلام ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] وهنا يطلبون الجهاد في سبيل الله<sup>(١)</sup> تحت إمرة ملك لا تحت إمرة نبي<sup>(٢)</sup> ، فاستوثق النبي منهم ومما يقولون فقالوا ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَيْنَا ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فأخبرهم نبيهم أن الله - تعالى - قد بعث لهم طالوت ملكاً ، فاعترضوا على هذا التعيين مباشرة وجادلوا في اختيار الله لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه بالوراثه ؛ لأنه لم يكن من نسل الملوك فيهم ! ولأنه لم يؤت سعة من المال تبرر أحقيته بها - فأجابهم نبيهم - عليه السلام - بأن الله - عز وجل - قد اختاره ، فهذه واحدة ، وزاده بسطة في العلم والجسم وهذه أخرى - ، فهو أعلم منكم بشؤون الحرب وتدبير الأمور ، وأشد منكم قوة وصبراً وجلداً لملاقاة الأعداء<sup>(٣)</sup> . بمعنى أنه ذو استعداد فطري وطبيعة كريمة ، وذو خبرة في فنون الحرب ، وعنده العلم الكافي ليضع الأمور في مواضعها ، وذو قوة جسمية ، وفوق كل هذه الأمور أن الله اصطفاه عليكم ، والله يؤتي ملكه من يشاء فلا اعتراض لأحد عليه في فعله ، والله واسع عليم - يفتح باب الرزق والسعة في المال على من يشاء ولا راد لفضله<sup>(٤)</sup> .

(١) يقول صاحب الظلال « ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] يشي بانتفاضة العقيدة في قلوبهم وبقظة الإيمان في نفوسهم ، وشعورهم بأنهم أهل دين وعقيدة وحق ، وأن أعداءهم على ضلالة وكفر وباطل (٢٦٦/١) » ، وقال ابن كثير : « والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الأعداء » .

(٢) والظاهر أن لو كان فيهم ملك لقالوا نريد نبيا يخبرنا عن الله .

(٣) انظر : (التفسير الكبير) (١٧٣/٦ ، ١٧٤) ؛ وانظر : في ظلال القرآن (٢٦٧/١) ؛ تهذيب التفسير وتجريد التأويل (١٥٢/٢ ، ١٥٣) .

(٤) قال الرازي في تفسير ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] والتقدير : أنتم طعنتم في طالوت لكونه فقيراً والله تعالى واسع الفضل والرحمة ، فإذا فوض الملك إليه ، فإن علم أن الملك لا يتمشى إلا بالمال فالله تعالى يفتح عليه باب الرزق والسعة في المال (١٧٤/٦) .

ورأى نبيهم أنهم لم يقتنعوا بذلك فأراد أن يبين لهم أن هذا الأمر خارج عن إرادته ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وهو رجوع الصندوق الذي يشتمل على بعض آثار موسى وهارون وقد عجزتم عن إرجاعه من يد مغتصبه ، ولن يطلب منكم بذل أي مجهود في استرجاعه ؛ بل ستأتي به الملائكة تحمله حتى تضعه بين أيديكم وسيكون فيه الطمأنينة لكم ودلالة ظاهرة على أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . فعند ذلك أذعنوا وانقادوا لطالوت ورضوا به ملكاً عليهم<sup>(١)</sup> .

وماذا في هذا التابوت الذي أتى به الله من مكان بعيد ؟  
إن فيه أمرين مهمين لهؤلاء الجبناء عن القتال الذين يقتنعون بالآيات  
المادية المحسوسة :

الأول : معنوي .

الثاني : مادي .

**فالمعنوي :** هو السكينة المقترنة بوجود ذلك التابوت ؛ لأنهم قد ألفوا حياة الدعة واللهو والتزف ، فنزولها عليهم خير مسعف لهم فيذهب القلق والخوف عنهم فهم على وشك خوض معركة أزف وقتها .

**أما الثاني :** وهو المادي المقوي للسكينة ، ترى ما هو ؟ إنه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، والذي يهمننا منه أثر هذه البقية في رفع الروح المعنوية لدى المأ من بني إسرائيل<sup>(٢)</sup> - فكأن هذا التابوت بمثابة الراية يقاتلون تحتها فلا يزالون يقاتلون ما بقي لم يغلبهم عليه عدوهم فما زالوا كذلك كلما أخذ منهم رده الله عليهم حتى سلب منهم بالكلية<sup>(٣)</sup> .

الأمر الثاني : من أسباب العقوبة مخالفة أوامر القائد :

قال تعالى ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

(١) انظر تفسير الطبري (٣٣٦/٥) .

(٢) تأملات في سورة البقرة - حسن محمد باجودة (١٤٨١/٣ ، ١٤٨٢) ط مكتبة مصر .

(٣) في تفسير المنار : أنه لما أحرق البابليون هيكل سليمان فقدت التوراة وتابوت العهد معاً ؛ لأنهما قد أحرقا فيه (٤٨٤/٢) . وسنفرد له بحثاً بعنوان : (عقوبة بني إسرائيل في أول سورة الإسراء) .

الالتزام بأوامر القائد من طاعة الله - تعالى - وطاعة رسوله ﷺ سواء قلنا : إن ذلك الأمر كان وحيا إلى نبي ذلك الزمان أو إلهاما ألهم الله به الملك طالوت ليختبر به قوة جيشه ؛ لأن الله وصفه ( بالعلم ) فلا يبعد أن يكون ذلك إلهاما من الله له ، فقال لهم : إن الله يختبركم ، وهو الأعلم بكم بنهر يعترض سبيلكم ، فمن شرب منه فليس من أتباعي ، ومن لم يتذوقه فإنه من حزبي وأنصاري .

إنه اختبار تنقية وتصفية ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ [الرعد: ١٧] وهنا يتجلى مصداق حكمة الله في اصطفاء هذا الرجل ... إنه مقدم على معركة ، ومعه جيش من أمة مغلوبة ، عرفت الهزيمة فلا بد إذن من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة ، هذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة . الإرادة التي تضبط الشهوات والنزوات ، وتصمد للحرمان والمشاق ، وتستعلي على الضرورات والحاجات ، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها ، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء ... فلا بد للقائد المختار إذن أن يملأ إرادة جيشه ، وصموده وصبره ، صموده أولا للربغبات والشهوات ، وصبره ثانيا على الحرمان والمتاعب ، واختار هذه التجربة وهم عطاش . ليعلم من يصبر معه ممن ينقلب على عقبيه ، ويؤثر العافية<sup>(١)</sup> .

وصدقت فراسته فيهم فشربوا منه جميعا إلا قليلا منهم ، وهكذا أخرج معه من يحكم عقله في هواه ويصبر مع حبه في إشباع رغبته ويؤمن بالله إيمانا حقيقيا، فئة قليلة جازت معه النهر كما ذكر الله فكانت مراتبهم في طاعة قائدهم على ثلاث :

الأولى : شربت وعبت منه عبا .

الثانية : غرفت منه غرفة كما أذن لها لتبل ريقها ويذهب عنها الظمأ .

الثالثة : لم تتذوقه أصلا .

فأما من شرب منه وارتوى فخلدت نفسه للراحة وانفصلت بمجرد استسلامهم أمام رغبة وشهوة دنيوية ، فهؤلاء لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقهم ، ومن الخير للجيش أن ينفصلوا من الآن ؛ لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة ، فالجيوش ليست بالعدد الضخم ولكن بالقلب الصامد القوي والروح الإيمانية المحبة للموت ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] جاوزوا النهر وهم قلة قليلة وما اجتاز إلا مؤمن كما روى البخاري بسنده عن البراء بن عازب « كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة

(١) في ظلال القرآن (١/٢٦٨) .

أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، ولم يجاوز معه إلا مؤمن «<sup>(١)</sup> ومع هذه الغلبة الشديدة لجيش طالوت قالت فئة منهم ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا آلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٢٤٩] لما رأوا من كثرة عدوهم وقتلهم وضعفهم أمام هذا الكم الهائل من الجنود ، ونسوا أن القوة الحقيقية هي قوة الإيمان وشراء ما عند الله بقليل من الصبر والمصابرة . هنا برزت الفئة المؤمنة القوية الإيمان لتقول لهم ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] هذه هي قاعدة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر في أن النصر الحقيقي من عند الله ؛ وليس بكثرة العدد وقوة العدد ، فاصبروا واحتسبوا واستعينوا بالله إن الله مع الصابرين ولا غالب لمن كان الله معه .

ولما ظهر لقتالهم وتضافوا دعوا الله والتجأوا إليه وقالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠] .

أي : اصعب ربنا علينا صبراً واحبس أنفسنا عن الجزع وثبت أقدامنا في أرض المعركة كي لا ننهزم ، وأعنا على هذا العدو حتى تكون الغلبة لنا عليه ، واهزم الكافرين وزلزل أقدامهم واملاً قلوبهم رعباً حتى تتمكن من سحقهم<sup>(٣)</sup> .

وكانت النتيجة هي التي ترقبوها واستيقنوها ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٥١] وحده فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وقتل داود الفتى جالوت الملك ليرى الناس عجائب قدرة الله في الجبابرة وأنهم مهما أخافوهم فهم ضعاف ، ضعاف يغلبهم الفتية الصغار حين يشاء الله أن يقتلهم .

وهناك حكمة أخرى من وراء ذلك أيضاً هي : أن يكون داود هو الذي يستلم الملك بعد طالوت ويرثه من بعده ابنه سليمان ؛ لبدأ عهد جديد لبني إسرائيل في تاريخهم الطويل جزاء تأكيد العقيدة في نفوسهم بعد الضلال والانتكاس والشرود<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه البخاري وغيره ، كتاب المغازي ، باب عدة أصحاب بدر (٨٣/٣) برقم [٣٩٥٧] .

(٢) يقول صاحب تهذيب التفسير : وفي قولهم ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا آلْيَوْمَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] يشعر برغبتهم في تأجيل لقاء العدو يومئذٍ ، لا أنهم أرادوا ترك قتال العدو والنكول مثل الذين لم يجاوزوا النهر (١٦١/٢) .

(٣) انظر : (تهذيب التفسير) (١٦١/٢) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن (٢٧٠/١) .



## المطلب الثالث : نوع العقوبة :

حرمان من عصي أوامر القائد من الجهاد . وكفى بهذا الحرمان عقوبة يرجعون بها إلى طيب مجالسهم وملذات أجسادهم . وألم الحرمان لا يزال يعتصر قلوبهم .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

وضمير قال راجع إلى طالوت ، ولا يصح رجوعه إلى نبيهم ؛ لأنه لم يخرج معهم وإنما أخبر طالوت عن الله - تعالى - بأنه مبتليهم مع أنه لم يكن نبياً يوحى إليه : إما استناداً لإخبار نبيهم له ، وإما لأنه اجتهد أن يختبرهم بالشرب من النهر لمصلحة رآها في ذلك ، فأخبر عن اجتهداده إذ هو حكم الله في شرعهم فأسنده إلى الله ، وهذا من معنى قول العلماء : إن المجتهد يصح له أن يقول فيما ظهر له باجتهاده « إنه دين الله » ، أو لأنه في شرعهم أن الله أوجب على الجيش طاعة أميرهم فيما يأمرهم به ، وطاعة الملك فيما يراه من مصالحهم ، وكان طالوت قد رأى أن يختبر طاعتهم ومقدار صبرهم وتحملهم ؛ لعلمه أن الذين خرجوا لا يصلحون جميعاً للقتال ؛ لأن منهم المثبطين ومثيري الفتن ، فلو خرجوا فيهم ما زادوهم إلا خبالاً ولأوضاعوا خللهم ييغونهم الفتنة ، وعدوهم الذي أمامهم كثير العدد قوي العدد ، فلا بد من اختبار يعرف به قوة يقينهم في نصره الدين ومخاطرتهم بأنفسهم ، وتحملهم المتاعب ، فكان من اختبارهم ما قد علمت ورخص لهم في غرفة واحدة بيده ، وهذه غاية ما يختبر به طاعة الجيش ؛ فإن السير في الحرب يعطش الجيش ، فإذا وردوا الماء توافرت دواعيهم إلى الشرب منه عطشا وشهوة ، ويحتمل أنه أراد إبقاء نشاطهم : لأن المحارب إذا شرب ماء كثيراً بعد التعب انحلت عراه ومال إلى الراحة ، وأثقله الماء ، والعرب تعرف ذلك قال الشاعر يذكر خيلهم :

فلما شارفت أعلام طيء      وطيء في المغار وفي الشعاب

سقيناهن من سهل الأداوى      فمصطحح على عجل وآبي

يريد أن الذي مارس الحرب مرارا لم يشرب ؛ لأنه لا يسأم من الركض والجهد ، فإذا كان يستطيع منع نفسه كان أخف له وأسرع ، والجاهل منهم يشرب لما يراه منه ، ولأجل هذا رخص لهم في اغتراف غرفة واحدة<sup>(١)</sup> ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(١) انظر التحرير والتنوير (٢/ ٤٩٦) . وذكر أن البيت لطيف الغنوي ولم أجده .

﴿ مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] شربوا حتى امتلأت بطونهم من غير رواء فثقلوا عن الجهاد ، قال ابن جريج : قال ابن عباس : من اغترف منه بيده روي ، ومن شرب منه لم يرو (١) .  
وعند الطبري بسنده عن قتادة « ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ... ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فشرب القوم على قدر يقينهم ، وأما الكفار فجعلوا يشربون فلا يروون ، وأما المؤمنون فجعل الرجل يغترف غرفة بيده فتجزيه وترويه » (٢) .

وعند ابن أبي حاتم بسنده عن قتادة في قوله ﴿ إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قال « كان الكفار يشربون فلا يروون ، وكان المسلمون يغترفون غرفة فيجزيهم » (٣) .

وقد دلت هذه التجربة على أمرين هامين :

**الأول :** أن الحماس وحده لا يكفي كالنار تشتعل في الهشيم أو الحصير لا تفيد شيئاً ، وارتفاع الأصوات وصخب الاجتماعات كلها لا تكفي ، إنما لا بد من الاختبار العملي لمدى صمود الإنسان أمام عدوه .

**الثاني :** مدى صلابة عود القائد ؛ حيث لم يتأثر ولم يهتز من تخلف الأكرية ؛ بل مضى في طريقه لأمر ربه .

(١) قال ابن كثير : وكذا رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ، وكذا قال قتادة وابن شاذب . انظره : (٣١٠/١) .

(٢) سنده : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة . وبشر بن معاذ العقدي ثقه معروف ، ويزيد هو ابن زريع ، وثقة ابن حجر فقال : ثقة ثبت ، وسعيد هو ابن أبي عروبة أثبت الناس في قتادة ، وصفه الذهبي بأنه ثقة ثبت عن قتادة بن دعامة السدوسي ، وثقة ابن حجر ، فالسند صحيح . انظر : (تفسير ابن جرير) (٣٤٣/٥) ، ومثله قال : حدثنا الحسن بن يحيى (شيخ الطبري) صدوق وقد وثق ، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة ؛ وعبد الرزاق ابن همام الحميري ثقة حافظ ، ومعمر بن راشد ثقة صدوق . انظر : التقريب ص "١٢٤، ٦٠١، ٢٣٩، ٤٣٥، ٥٤١" ، انظر : الدر المنثور (٥٦٤/١) بمثله .

(٣) سنده : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، أنبا عبد الرزاق أنبا معمر عن قتادة . « الحسن بن يحيى بن أبي الربيع » صدوق حافظ ، وهذا السند وصله الطبري أيضاً (١٦٤/٣) برقم [٢٢١٣] إذاً السند كلهم ثقات إلا الحسن بن يحيى صدوق حافظ ، إذاً فالحديث حسن ؛ انظر : التقريب ص "١٦٤، ٥٤١" ، وعند البغوي : أن الذين شربوا وخالفوا أمر الله أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح . تفسير البغوي (٣٠٢/١) ؛ وانظر : (تفسير السمعاني) (٢٥٣/١) .

وهذا الموقف يشبه موقف ابن أبيّ بن سلول يوم أحد حين رجع بثلاث الجيش<sup>(١)</sup> فلم يتأثر رسول الله ﷺ ، بل مضى لأمر ربه .

وفي قصة طالوت - انكشف حال من لا يريدون الجهاد ، وميز الصف جهادي منهم ومضى لسبيله حتى هزم عدوه وقتل داود جالوت ، فما أكبر عقوبة من يتخلى عن المؤمنين حين يعلم بهزيمة العدو! عندها يتمنى من شدة التحسر أن لو أطاع الأمر وظفر بالخير ولكن صدق فيهم وفي أمثالهم قول الله تعالى :

﴿...وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧] .

(١) انظر : (التفسير الكبير) (٨٥/٩) ؛ القرطبي (٢٦٦/٤) ؛ البحر المحيط (١١٤/٣) .

## المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبتهم :

أولاً : الأمم إذا شعرت بالظلم والذل واعتدي عليها وانتزعت حقوقها فإنه لا سبيل أمامها إذا كانت مؤمنة إلا الجهاد لإعلاء كلمة الله ، ومن ثم تطهير أرضها واسترجاع حقوقها وذلك بالانضواء تحت قيادة قائد رباني عادل يقودها إلى النصر كما فعل بنو إسرائيل حين تغلب عليهم الأعداء<sup>(١)</sup> .

ثانياً : الاختلاف في اختيار الرئيس أو القائد شيء وارد ، فإن كان هناك نبي فالشأن شأنه ؛ لأنه المبلغ عن الله ، وإن لم يكن فإن الإسلام يجعل الاختيار لأهل الحل والعقد<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : من الجهل الظن أن الملك والرياسة لا تكون إلا لأهل الجاه والثروة كما دل عليه قول المنكرين لملك طالوت حيث قالوا : ﴿ وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

والصحيح أن الأجدر بذلك هم أهل العلم والفضل والمعرفة وذوو الأخلاق الفاضلة والنفوس الكريمة والأبدان السليمة والأذهان الواعية الناضجة ، فإذا انضم لذلك قوة العصبية والقبيلة والنفوذ كان أولى لقوله ﷺ « الأئمة من قريش »<sup>(٣)</sup> .

(١) والأمة الإسلامية اليوم لا سبيل إلى استرداد عزتها وانتصارها على أعدائها إلا الرجوع إلى كتاب ربها وسنة نبيها والانضواء تحت قيادة قائد واحد عادل نابذ لجميع الشعارات القومية والوطنية والبعثية ... حتى يكون العمل الجهادي كله لله - قال صلى الله عليه وسلم « ... من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » . وأما عمل جهادي خلا من إمامة شرعية فعاقبته خسر ، وشاهد هذا حال المسلمين اليوم فقد قاتلوا الاستعمار تحت شعار الأحزاب فلما انتصروا خسروا كل شيء حتى دينهم - أيسر التفاسير (٢٣٤/١) .

(٢) هم العلماء وأصحاب المكانة في الأمة ، انظر : (التفسير المنير) (٤٩٢/٢) .

(٣) انظر : (تفسير المراغي) (٢٢٧/١) ؛ التفسير المنير (٤٣٤/٢ ، ٤٣٥) ، والحديث رواه أحمد (١٨٣/٣) من طريق وكيع عن أنس برقم [١٢٩٢٣] ، وأبو يعلى من رواية أنس (٣٢١/٦) برقم [٣٦٤٤] وإسناده صحيح ، [٤٠٣٣] والطبراني في الصغير - باب الحاء (من اسمه حفص) (١٨١/١) برقم [٤٢٦] ورواه الحاكم - كتاب معرفة الصحابة (٨٥/٤) - برقم [٦٩٦٢] وقال الهيثمي - : رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخ حفص بن عمر بن الصباح الرقي ، قال الحاكم : حدث بغير حديث لم يتابع عليه - بجمع الزوائد - باب الخلافة في قريش والناس تبع لهم (١٩٢/٥) وانظر تصحيح الشيخ شعيب الأرناؤوط له حيث قال : صحيح بطرقه وشواهده انظر : (مسند الإمام أحمد) (٣١٨/١٩) . ط : مؤسسة الرسالة .

رابعاً : دل قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] على أن التوفيق الإلهي في اختيار القائد قائم على العدل التام والسنة الحكيمة ورعاية المصلحة التامة<sup>(١)</sup>.

خامساً : دل قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] على جواز اختبار القائد لأفراد جيشه لمعرفة مدى استجابتهم ومدى استعدادهم للقتال وصبرهم عليه<sup>(٢)</sup>.

سادساً : على الدعاة إلى الله - تعالى - وقت الأزمات وظهور الفتن والملمات دعوة الناس وحثهم على الجهاد في سبيل الله من خلال آيات القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة ، وإعطاء نماذج من سير الصحابة والتابعين وصالح من سلف من المؤمنين ؛ لأن في ذلك تقوية عزيمة وزيادة إيمان وطردا لوساوس الشيطان .

سابعاً : مشروعية الدعاء وقت الشدة وفي أثناء المعركة وأنه مفيد ومحقق للغاية ومفرج للكرب ، وقد دعا رسول الله ﷺ في بدر حتى سقط رداؤه<sup>(٣)</sup> ، وكان إذا لاقى عدوا قال « اللهم بك أصول وبك أجول »<sup>(٤)</sup> ، ويقول « اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأجعلك في نحورهم »<sup>(٥)</sup>.

ثامناً : أن النصر أولا وأخيراً من عند الله للقوى الروحية المستعلية على جميع الشهوات والملذات ، لا للقوة المادية الكثيرة العدد والعدد .

ألا فليعتبر المسلمون بحال الذين هزموا أمام شربة ماء فأصبحوا في لحظة لا يصلحون للجهاد أمام العدو ، فكيف بالذين تهزمهم أنفسهم في شرب الدخان

(١) التفسير المنير (٢/٤٣٥) .

(٢) انظر : (أيسر التفاسير) (١/٢٤٠) .

(٣) انظر : (فتح الباري) (٧/٣٦٧) .

(٤) حديث « اللهم بك أصول وبك أجول » رواه الإمام أحمد (١/٩٠ ، ١٥١) برقم [١٢٩٥، ٦٩١] قال عنه الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٥) رواه أحمد (٤/٤١٥) برقم [١٩٧٣٥] ، ورواه أبو داود - كتاب الصلاة - باب ما يقول إذا خاف قوما (٢/١٨٧) برقم [١٥٣٧] ، والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة - باب ما يقول إذا خاف قوما (٦/١٥٤) برقم [١٠٤٣٧] ، ورواه الحاكم - كتاب قسم الفيء (٢/١٥٤) برقم [٢٦٢٩] وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . وأكبر ظني أنهما لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

أو الخمر واقتراف الفواحش<sup>(١)</sup> .

ونحن اليوم أمام حرب ثقافية إعلامية يعجز السلاح عن هزيمتها دخلت البيوت وتدخلت في شعور ورأي المجتمع ؛ بل في ثقافتهم ولباسهم ، فإذا هزم المسلمون أمام هذه الحرب فكريا وهو الظاهر من أمرهم فإنهم لا شك سيهزمون قبل أن يدخلوا المعركة .

تاسعا : الحكمة من مشروعية الجهاد في سبيل الله هو إعلاء كلمة الله في الأرض وعبادة الله وحده دون سواه ، لا للسلب وأخذ المغنم ، ولا للزهو والاستعلاء ولا بناء مجد أمة على ذل أخرى - ، فالجهاد أعلى من كل هذه التصورات ، فهو إصلاح لأهل الأرض<sup>(٢)</sup> وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، تحكمهم شريعة السماء ، يخضعون لسلطان واحد هو سلطان الله ، كتابهم واحد ودينهم واحد ونبیهم واحد وقبلتهم جميعا واحدة .

(١) انظر : (صفوة الآثار) (٤٣٩/٣) .

(٢) المرجع السابق (٤٣٩/٣ ، ٤٤٠) .

## المبحث الثالث

### عقوبة أصحاب السبت

#### المطلب الأول : الآيات التي تناولت تلك العقوبة :

أولاً : السور التي أشارت لعقوبتهم :

سورة البقرة :

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] .

تحدثت الآية عن إعجاز عظيم لنبوة محمد ﷺ في إخبارهم ( أي : اليهود ) بما يكرهون سماعه ولا يعلمه غيرهم<sup>(١)</sup> .

الآية حددت سبب العقوبة - وهو الاعتداء يوم السبت لانتهاك ما حرم الله عليهم فيه .

حددت الآية نوع عقوبتهم وهو - أن الله صيرهم قردة صاغرين مبعدين .

سورة النساء :

قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْل أَن نَّظْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧] .

أشارت الآية إلى عقوبتهم فقط ؛ حيث أهلكهم بسبب اعتدائهم يوم السبت وتجاوزهم حدود الله .

سورة النحل :

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل: ١٢٤] .

أي : أن الله شدد عليهم في أمره انتقاماً منهم ، فكان ذلك وبالأعلى عليهم ، حيث أرشدهم إلى عبادة الله يوم الجمعة فأبوا إلا السبت وزعموا أن الله استراح فيه بعد خلق

(١) انظر لطائف آيات أصحاب السبت من سورة الأعراف .

السموات والأرض<sup>(١)</sup> .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له . فهم لنا فيه تبع ، فاليهود غدا ، والنصارى بعد غد »<sup>(٢)</sup> .

ثانيا : السور التي فصلت عقوبتهم هي سورة واحدة سورة الأعراف :

والآيات هي : قوله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(٧)</sup> [ الأعراف: ١٦٣-١٦٧ ] .

لطائف الآيات :

أولا : في قوله ﴿ وَسَأَلَهُمْ ﴾ هذا السؤال معناه التقرير والتوبيخ على فعل من سلف من آبائهم ، فقد يتبححون أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم من سلالة الأنبياء فهذا تاريخهم يشهد عليهم .

السؤال في كلام العرب على نوعين : أشهرها أن يسأل السائل عما لا يعلمه ليعلمه ، والآخر : أن يسأل على وجه التقرير حين يكون السائل يعلم حصول المسؤل عنه ، ويعلم المسؤل أن السائل عالم وأنه إنما سأله ليقرره<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : (نظم الدرر) (٢٧٦/١١ ، ٢٧٧) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الجمعة - باب فرض الجمعة - (٢٨٠/١) برقم [٨٧٦] . ورواه مسلم :

كتاب الجمعة - باب هداية الأمة ليوم الجمعة - (٥٨٥/٢) برقم [٨٥٥] .

(٣) التحرير والتنوير (١٤٧/٩) مجلد (٥) ونوع ثالث : السؤال للإنكار .



ثانياً : أطلقت القرية على أهلها بقرينة قوله ﴿ إِذْ يَعْدُونَ ﴾ أي : أهلها ، والتقدير واسألهم إذ يعدو أهل القرية في السبت .

ثالثاً : هذه القصة كانت مما يكتمها اليهود ولا يتحدثون بها إلا فيما بينهم ، يرويها أحبارهم دون ذكرها في كتبهم ، والأمر بالسؤال عنها لإشعار يهود العصر النبوي بأن الله أطلع نبيه - عليه الصلاة والسلام - عليها<sup>(١)</sup> .

رابعاً : لم يحدد القرآن الكريم القرية المعذبة فهي معروفة لدى المخاطبين وقد قيل : إن اسمها أيلة والمسماة اليوم بالعقبة - على ساحل البحر الأحمر ، وهذا قول الأكثرين<sup>(٢)</sup> .

خامساً : انقسم الناس في القرية إلى ثلاث فرق :

- فرقة عصت الله واحتالت .

- وفرقة أنكرت عليهم فعلهم ذلك .

- وفرقة اكتفت بإنكار من أنكر عليهم وسكتت .

فهلكت فرقته ونجت فرقته<sup>(٣)</sup> .

سادساً : فإن قيل : كيف قال ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] وهذا ليس

في وسعهم ؟

فالجواب هذا أمر إيجاب لا أمر إيجاب فهو من باب قول الله تعالى ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(٤)</sup> [البقرة: ١١٧] .

سابعاً : في قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَبَلَّوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] أصل

البلوى : الاختبار ، والإشارة إليها بقوله ﴿ نَبَلَّوْهُمْ ﴾ أي : مثل هذا الابتلاء العظيم نبلوهم .

(١) انظر : (التحرير والتنوير) (١٤٦/٩) مجلد (٥) .

(٢) وقيل : إن اسمها مدين ، وقيل : طبرية ، وقيل : مقنى ، لكن قال الطبري : الصواب أن يقال : هي قرية حاضرة البحر ، انظر : تفسيره (١٨٢/١٣) .

(٣) هلكت الفرقة المعتدية العاصية المحتالة : ونجت الفرقتان اللتان لم تعص ولم تشارك في الفعل (عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : يا ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا : لم تعظون قوماً ؟ قال عكرمة : فقلت : جعلني الله فداك ، ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا : لم تعظون قوماً الله مهلكهم ، فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا) انظر : تفسير ابن جرير (١٨٧/١٣) وسنده حدثنا محمد بن مثنى قال حدثنا معاذ بن هاني قال حدثنا حماد بن يزيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس . والسند مما يصححه أحمد شاكر لكن اختلف في داود بن الحصين والراجح ما ذكره أحمد بن عدي أنه صالح الحديث إذا روى عنه ثقة وهو كذلك إلا أن يروي عنه ضعيف . وحماد بن زيد ثقة ثبت . انظر : تهذيب الكمال (٣٨١/٨) ، وللأثر شواهد أخرى يتقوى بها ، انظر : تفسير الطبري (١٨٧/١٣) ، وانظر : تفسير ابن كثير (٢٦٨/٢، ٢٦٩) ، وانظر : تفسير الكشاف (١٧٢/٢) .

(٤) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ، ص "٢٦" .

والبلى إذا أسندت إلى الله - تعالى - كانت مجازاً عقلياً أي : ليلو الناس تمسكهم بشرائع دينهم<sup>(١)</sup> .

ثامناً : في قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الأعراف: ١٦٤] إن الآية أجملت ما قالت الفرقة الثانية إيجازاً في الكلام . اعتماداً على قرينة ﴿ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ ﴾ وهذا يدل على أنهم منكرون على العصاة غير راضين والا فكيف عرفوا أن الله مهلكهم أو معذبهم إلا بعد أن عرفوا أن الموعظه لا تنفع معهم ، ثم أيضاً بقرينة ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥] فعلمنا أن القائلين من الفريق الناجي<sup>(٢)</sup> .

تاسعاً : في آية ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥] .

ترى أن العذاب الذي حل بالعصاة المحتالين جزاء إمعانهم في المعصية ؛ حيث اعتبرها النص هي الكفر الذي يعبر عنه بالظلم مرة وبالفسق مرة كما هو الغالب في التعبير القرآني عن الكفر والشرك بالظلم والفسق<sup>(٣)</sup> .

عاشراً : في آية ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧] دليل على أن اليهود كلما انتعشوا وعلا شأنهم وطغوا وبغوا في الأرض سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب .

وقد تكرر هذا الوعيد من عهد موسى - عليه السلام - إلى العصر الحديث ، ولا يخفى ما حصل لهم من تسلط الألمان عليهم في عهد قائدهم ( هتلر ) ، وفي العصر الحاضر عز سلطانهم وكثر شرهم ، وعم فسادهم ، ونسأل الله أن ينتقم منهم ، روى البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله »<sup>(٤)</sup> .

(١) التحرير والتنوير (١٤٧/٩) مجلد (٥) .

(٢) التحرير والتنوير (١٤٧/٩) مجلد (٥) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن (١٣٨٥/٣) .

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد - باب قتال اليهود (٣٣٩/٢) برقم (٢٩٢٥) وبرقم (٢٩٢٦) .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

الحيلة على الله - تعالى - والاعتداء على حرماته .  
وقد سماهم الله في القرآن الكريم أصحاب السبت<sup>(١)</sup> وهو اليوم الذي كانوا يعظمونه ، وكان الله - سبحانه - قد حرم عليهم الصيد في هذا اليوم ابتلاء لهم ؛ حيث كانت تأتيهم الحيتان في هذا اليوم شرعاً طافية على ظهر الماء كثيرة يسهل أخذها ، وفي الأيام الأخرى تدخل عمق البحر فلا يستطيعون صيدها فطال عليهم الأمد واشتدت شهوتهم له وقالوا : لا يمكن أن ندع هذه الحيتان تأتي وترجع دون أن نصيدها ، فعملوا لذلك حيلة ووضعوا لها حياضاً وشباكاً في يوم الجمعة ، فإذا جاءت الحيتان يوم السبت وقعت فيه ولم تستطع الخروج حتى إذا كان يوم الأحد أتو فأخذوها وانتشر فعلهم ذلك ولم يعجل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالأسواق .

لقد هاجت مطاعم القوم المحتالين أمام هذا الإغراء فتهاوت عزائمهم ونسوا عهدهم مع ربهم فاحتالوا احتيال الغبي ظناً منهم أن الله لا يراهم ، احتالوا على طريقتهن طائنين أن الله سيعفو عنهم ويغفر ﴿ وَيَقُولُونَ سَيَعْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٤] فاحتالوا وما أكثر الحيل حين يلتوي القلب وتقل التقوى ؛ إن المنهج الصحيح لا تحرسه نصوصه ولا حراسه . إنما تحرسه القلوب التقية التي تستقر تقوى الله فيها وخشيته ، فتحرس هي القانون و تحميه ولن تستطيع الدولة أن تضع على رأس كل فرد حارساً يلاحقه لتنفيذ القانون وصيانه ما لم تكن خشية الله في قلوب الناس ، ومراقبتهم له في السر والعلن<sup>(٢)</sup> .  
إنهم ظلموا أنفسهم باحتيالهم و مخادعتهم لها ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩٠] ؛ لأن الله تعالى لا يخادع ولا يُحتال عليه عز وجل .

وبعد ظلمهم جاء الناصحون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر فوعظوهم ،

(١) والسبت : هو أول أيام الأسبوع ، تعظمه اليهود زاعمة أن الله استراح فيه بعد خلقه السموات والأرض فكذبهم الله بقوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] أي : تعب .

(٢) انظر : (في ظلال القرآن) (٣/١٣٨٤) .

وذكروهم ميثاق الله وعهده عليهم ، وأيست فرقة منهم بعد نصحتهم فسكتوا وقالوا :  
لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ؟ فرد الناصحون ﴿ قَالُوا مَعَذَرَةٌ  
إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] .

ذلك أن الناس انقسموا في أمرهم ثلاثة أقسام :

- فريق منهم أيس من نجاح الموعظة وتحقق وقوع الوعيد بالقوم لتوغلهم  
في المعاصي .

- وفريق لم ينقطع رجائهم من حصول أثر الموعظة بزيادة التكرار .

- وفريق عصى واستمر في عصيانه .

وهنا يعلم أن الفريق الأول ما سكت إلا بعد الموعظة ، وإلا فمن أين عرف أن الله  
سيهلكهم؟ ثم إنكاره على الناصحين يدل على يأسه منهم بعد الموعظة .  
يقول صاحب التحرير والتنوير :

« إن صلحاء القوم كانوا فريقين : فريق أيس من نجاح الموعظة وتحقق حلول الهلاك  
بهم ، وفريق لم ينقطع رجائهم من حصول أثر الموعظة بزيادة التكرار ، فأنكر الفريق  
الأول على الفريق الثاني استمرارهم على كلفة الموعظة ، واعتذر الفريق الثاني بقولهم  
﴿ مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] فالفريق الأول أخذوا بالطرف  
الراجح الموجب للظن ، والفريق الثاني أخذوا بالطرف المرجوح جمعاً بينه وبين الراجح  
لقصد الاحتياط ؛ ليكون لهم عذرٌ عند الله إن سألهم لماذا أقلعتهم عن الموعظة ؟ ولما  
عسى أن يحصل من تقوى الموعظين بزيادة الموعظة »<sup>(١)</sup> .

(١) التحرير والتنوير (٩/١٥٢) .

## المطلب الثالث نوع العقوبة

مسخهم الله قردة صورة ومعنى<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥-١٦٦].

أخبر الله - تعالى - أن أهل القرية تمردوا وعصوا ربهم واحتالوا على شرعه ، فذكرهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بما فعلوا ونهوههم عن ذلك فلم ينتهوا ، فعاقبهم أولا بالبؤس والشقاء في المعيشة ، لأن من الناس من لا يصلحه إلا الفقر والشدة ولو اغتنى لفسد ، ومنهم من لا يصلحه إلا الرخاء والنعمة ، وبكل يتلى الله عباده ويمتحنهم كما قال ﴿ وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْوَاقِ وَالْخَيْرِ فَتَنَّاكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] . وقال في بني إسرائيل ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ولكن هؤلاء القوم لم يزدتهم البؤس والسوء إلا إصرارا على الفسق والظلم فمسخهم الله قردة بالفعل بعد أن كانوا بشرا سويا ، وهذه العقوبة الشنيعة مناسبة لحبث نفوسهم ، وسوء طريقتهم الملتوية ، واستخفافهم بحساب الله لهم وكأنه - تعالى - وتمجد - لا يعلم فعلهم ويجوز أن تجري عليه الحيل قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨] ، وقال ﴿ وَرَثَكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص: ٦٩] فكانهم قالوا بلسان الحال

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١١٠ ، ١١١) وفيه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦] قال : مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه الله ﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥] ورواه ابن جرير بسنده به قال الحافظ ابن كثير وهو غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠] ، ثم ذكر مجموعة كبيرة من الآثار ، سنذكر بعضها . وقال في آخر ذلك قلت : والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد - رحمه الله - من أن مسخهم إنما كان معنويا لا صوريا ؛ بل الصحيح أنه معنوي صوري . والله تعالى أعلم . وقد ذكر صاحب صفوة الآثار مجموعة من الردود على قول مجاهد تركتها للإطالة . انظرها (٢/ ١٦٨ ، ١٦٩) .

أو المقال : إننا أمهر من الله وأحكم ، إنه لا يعلم بجيلتنا وليس خبيرا بغايتنا ولا محيطا بكل ما نعمل ، وليس يبصر ما نفعله بالحيتان من اصطيادها واحتباسها يوم السبت ثم صيده يوم الأحد ، فجمعوا في خطيئتهم النكول عن عهد الله ، والنكوص عن مقام الإنسانية ، والنزول بشرفها إلى مستوى البهائم التي لا ترتفع عن حاجة البطون وشهوات النفوس ثم الانتقاص لله بالإلحاد في أسمائه ؛ حيث ارتكبوها بوسيلة الحيلة التي فيها هدم للعقيدة والضمير ، فلما وصلت بهم طبيعتهم اليهودية إلى هذا الحد استحقوا من الله تلك العقوبة الشنيعة<sup>(١)</sup> . إذ نصت الآيات على نجاة الناهين ، وهلاك الظالمين .

قال ابن كثير : وسكتت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل ، فهم لا يستحقون مدحا فيمدحون ، ولا ارتكبوا عظيما فيذمون ، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين ؟ على قولين ، وقد علمنا من قبل أن ابن عباس كان قد توقف ثم رجع إلى القول بنجاتهم لما قال له غلامه عكرمة : ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم ؟ فكساه حلة<sup>(٢)</sup> . وهذا هو الراجح من الأقوال لدلالة النص عليه منطوقا ؛ لأن الله خص الهلاك بالظالمين ولم يذكر أنهم ظالمون ، فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت ؛ ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فرض كفاية إذا قام به البعض ، سقط عن الآخرين ، فاكتموا بإنكار أولئك<sup>(٣)</sup> .

وهكذا مسخ الله صورة الظالمين عن الصورة الآدمية إلى الصورة الحيوانية ، لقد تنازلوا هم عن آدميتهم ، حين تنازلوا عن أخص خصائصها - وهو الإرادة فليلهم :

(١) انظر : (تفسير المنار) (٣٧٩/٩) ؛ صفوة الآثار (١٦٦/٢ ، ١٦٧) ؛ أحكام من القرآن ص "٢٦٨" .

(٢) انظر : (تفسير القاسمي) (٢٨٨/٧) . أما الأثر فسنده عند ابن كثير : قال حماد بن زيد : عن دواد بن الحصين ، عن عكرمة (٢٦٨/١) وروي أيضا عن عكرمة من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين وقال في آخر الرواية : قال ابن عباس : كانوا أثلاثا ، ثلث نهوا وثلث قالوا ﴿ لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] ، وثلث أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم . وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا ، لأنه تبين حالهم بعد ذلك . والله أعلم (٢٦٩/٢) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١٦٦/٢) .

كونوا حيث أردتم لأنفسكم من الانتكاس والهوان .

ثم كانت اللعنة الأبدية على الجميع إلا المؤمنين بالله ورسوله قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٧] ، فهو إذن إلى الأبد يبعث الله عليهم بين كل آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب ، فكلما انتعشوا وطمغوا في الأرض جاءتهم الضربة المربعة لهم ، وكلما خف عنهم عذاب الله رجع عليهم إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup> عقابا على ظلمهم وفسادهم .

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٨٥ ، ١٣٨٦) .

## المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبتهم :

أولا : الإخبار بهذه القصة علامة صدق نبي الله ﷺ ؛ إذ مثل هذا القصص لا يأتي إلا عن طريق الوحي ؛ لأن الله تعالى أطلع نبيه على تلك الأمور من غير تعلم وقد مضى عليها زمن طويل . وكانوا يقولون بتكبر ﴿لَحْنُ أَبْنَوْا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ﴾ [المائدة: ١٨] فقال الله لنبيه : سلهم يا محمد عن هذه القرية أما عذبتم بذنوبهم وفي ذلك تذكير لهم بخزي من سلف منهم لعلمهم يتخذوا منه عبرة .

ثانيا : التحيل على محارم الله لا يحولها إلى حلال ؛ بل إنه يزيد لها قبحا ؛ لأن المحتال يكون جامعا بين فعل المعصية المنهي عنها وخيانة الله - تعالى - وخداعه قال تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ولذلك كان المنافقون أعظم ذنوبا وأكبر جرما من الكافرين الصرحاء قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] ولذلك كانوا أي : المنافقين هم العدو الحقيقي الأكبر للمؤمنين قال تعالى ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أُنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] ومن هنا نعلم أن الذين يتحيلون على الربا بالطرق الملتوية أشد إثما ممن يأتيه صراحة ، لما في ذلك من الوقوع في الربا أولا ثم مخادعة الله تعالى ثانيا . ثم إن المخادع لله - تعالى - يظن أنه على صواب ، وأنه لم ينتهك المحرم فيستمر عليه ولا يحدث نفسه بالتوبة ولهذا لعن الرجل الذي يتزوج امرأة لتحليلها لزوجها الأول كما جاء في الحديث « لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له »<sup>(١)</sup> وعلى ذلك يقاس كل أمر يحتال به على أوامر الشرع من بيع أو شراء أو نكاح أو طلاق أو غير ذلك ، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ « لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود ، وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل »<sup>(٢)</sup> إذا فجميع الحيل محرمة في دين الله تحريما شديدا قاطعا ، وقد عقد الشيخ موفق الدين

(١) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٦٨ : ٢٧١" بتصرف ، والحديث رواه أبو داود - كتاب النكاح - باب في التحليل (٥٦٢/٢) برقم [٢٠٧٦] ، ورواه الترمذي - كتاب النكاح - باب ما جاء في المحلل والمحلل له (٤١٩/٣) برقم [١١٢٠] وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه النسائي - كتاب الطلاق - باب المطلقة ثلاثا وما فيه من التغليظ - (١٤٩/٦) برقم [٣٤١٦] ، ورواه ابن ماجه - كتاب النكاح - باب المحلل والمحلل له (٦٢٢/١) برقم [١٩٣٤، ١٩٣٥] ، ورواه الدارمي - باب في النهي عن التحليل (١٥٨/٢) .

(٢) رواه أبو عبد الله ابن بطه في كتابه (إبطال الحيل) ص "١١٢" ط مؤسسة الرسالة ، قال عنه ابن كثير في تفسيره (١١١/١) : إسناده جيد ، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (إقامة الدليل على إبطال التحليل) ص "٣٣" ط دار الكتب العلمية : هذا إسناده جيد يصحح مثله الترمذي وغيره تارة ويحسنه تارة ، انظر : إرواء الغليل (٣٧٥/٥) ، وانظر : حاشية ابن القيم (٢٤٤/٩) ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ١٤١٥ هـ .



أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي في كتابه ( المغني ) بابا طويلا شافيا في تحريم جميع الحيل والتمثيل لها ، سواء في النكاح أو الطلاق أو أكل الربا وسائر المعاملات ، وذكر عقوبة الله لأصحاب السب من الفاعلين وغيرهم<sup>(١)</sup> .

ثالثا : القول بسد الذرائع أي : تحريم كل وسيلة تؤدي إلى المنوع أو المحظور شرعا ، فما أدى إلى الحرام فهو حرام كما أن الطريق إلى المباح مباح<sup>(٢)</sup> .

رابعا : الجزء من جنس العمل كما قال تبارك وتعالى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] فهم لما تحيلوا على فعل المحرم بما ظاهره الإباحة من نصب الشباك يوم الجمعة ، وأخذ ما فيها يوم الأحد ، وظاهر هذا الفعل الحل في نظرهم ، فصورهم الله إلى أقرب الحيوانات شَبها بالإنسان وهي القردة<sup>(٣)</sup> .

خامسا : بيان قدرة الله - تعالى - حيث صور هؤلاء البشر إلى صنف القردة بقوله ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] فكانوا قردة ، وهنا يرد سؤال مهم هو : هل هذه القردة الموجودة الآن من نسل بني إسرائيل أم هذه جنس من المخلوقات منفرد ؟ والجواب على ذلك : أن هذه القردة جنس منفرد بذاته من مخلوقات الله - عز وجل - ، أما من قلب من بني إسرائيل فإنهم هلكوا ولم يبق لهم نسل كما قرر ذلك أهل العلم ، وذلك أن بني آدم من آدم ، وآدم خلقه الله من تراب ثم قال له : كن فيكون قال تعالى ﴿ إِبْرَاهِيمَ مَثَلٌ لِّعِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(٤)</sup> [ آل عمران: ٥٩] .

سادسا : بيان كذب من زعم أن أصل البشر قردة ثم تطور حتى صار بشرا ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - جعل الإنسان قردا حينما أراد أن يعاقبه لمخالفة أمره ، وقد دلت الآيات من كتاب الله - تعالى - والأحاديث الصحيحة الصريحة على أن آدم خلق من تراب وأجمع على ذلك المسلمون ، فمن اعتقد أن أصل البشر قردة فإنه يكفر ؛ لأنه مكذب بالقرآن والسنة وإجماع المسلمين ؛ إلا أن يكون جاهلا فإنه يعلم

(١) انظر : (المغني) (٦٤-٦٢/٤) لأبي محمد : عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ت ٦٢٠هـ ط مكتبة الرياض الحديثة ، وفي كتاب إعلام الموقعين لابن القيم عدد كبير من الحيل جرت في زمنه ، وأغلبها مستعمل في زماننا تراجع في محلها (٣/١٤٧، ١٥٢، ٢٠٦، ٢١٢) ط دار إحياء التراث .

(٢) انظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، للشوكانى (محمد بن على) ص "٢٨٣" ط الأولى ١٤١٣هـ المكتبة التجارية ، انظر : أصول الفقه - للشيخ محمد أبو زهرة ص "٢٦٨" ط دار الفكر .

(٣) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٧١" .

(٤) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٧٢، ٢٧٣" .

ويفهم فإن أصر فإنه يكون كافرا ؛ لأن هذا تكذيب صريح لما علم من الدين بالضرورة<sup>(١)</sup>.  
**سابعاً :** بيان أن كل من أراد علوا في الأرض أو فسادا فإن الله - سبحانه - لا يصلح عمله قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١] ومن تواضع رفعه ، ومن تعالى على الله وضعه ، وهؤلاء القوم لما تعالوا وتكبروا عن قبول الحق وضعهم الله فمسحهم قرده خاسئة ذليلة<sup>(٢)</sup> .

**ثامناً :** وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنه من أعظم المأمورات التي تعبدنا الله بفعلها مع التزام الحكمة والقول اللين في ذلك ، ومن ثم اعتزال أهل الفساد ومجانبتهم إذا لم يتوبوا ويرجعوا وينبئوا إن احتيج لذلك ؛ حتى لا يكون الإنسان مشاركا لهم في الإثم ، ولذا رأينا جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه القصة ؛ حيث نجى الله الناهين عن المنكر وأهلك الذين باشروه ولم ينتهوا عنه دون غيرهم .

**تاسعاً :** دل قوله تعالى ﴿ قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] على أن النهي عن المنكر لا يسقط ، ولو علم المنكر عدم الفائدة فيه ؛ إذ ليس من شرطه حصول الامتثال ، ولو لم يكن فيه إلا القيام بركن عظيم من أركان الدين والغيرة على حدود الله والاعتذار إلى الله - تعالى - لكفاه فائدة<sup>(٣)</sup> .

**عاشراً :** إثبات العقوبة ، وما لها من أثر في نفوس من رآها أو سمع بها قال تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ [البقرة: ٦٦] ؛ لأن كل من اطلع على حال هؤلاء فإنه يمتنع من الاستمرار في الإثم والعدوان سواء كان ذلك بترك الواجب ، أو انتهاك المحرم ، لما في ذلك من الموعظة العظيمة التي ينتفع بها المتقون الطائعون فقط ، أما غيرهم ممن ليس بمتق فإنهم لا ينتفع بالموعظة ؛ بل يستمر في معصيته ويمني نفسه بعفو الله ومغفرته وينسى عدل الله وعقابه .

**الحادي عشر :** الإعلام من الله - تعالى - لرسوله محمد ﷺ بأنه سيبعث على اليهود من يذلهم ويضطهدهم عقوبة منه تعالى لهم على خبث قلوبهم وسوء أفعالهم إلا من تاب منهم أو كان بجوار دولة قوية تحميه ، وهذا مفهوم قول الله تعالى ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٢] وهو الإسلام ، وحبل من الناس ؛ وهو ما ذكرناه ، وقد تحقق ذلك حيث سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب كلما عصوا الله وابتعدوا عن دينه - وهذا ما سنعرض له في المبحث التالي .

(١) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٣٧٣" .

(٢) انظر : (أحكام من القرآن) ص "٢٧٤" .

(٣) تفسير القاسمي (٢٨٨/٧) .

## المبحث الرابع

## عقوبة بني إسرائيل في أول سورة الإسراء

## المطلب الأول : الآيات التي تناولت ذلك :

سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِلُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ [الإسراء: ١-٨] .

لطائف الآيات :

أولاً : كثيراً ما يقرن الباري - عز وجل - بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى - عليه

السلام - فلم ذلك ؟

والجواب : لأن كتابيهما أفضل الكتب ، وشريعتيهما أكمل الشرائع ، ونبوتيهما

أعلى النبوات ، وأتباعهما أكثر المؤمنين <sup>(١)</sup> .

ثانياً : في هذه السورة وبعد ذكر نبوة محمد ﷺ وذكر نبوة موسى - عليه

السلام - ذكر بعدهما ثناء ومدحاً لنوح - عليه السلام - فهل لذلك من معنى ؟

(١) تيسير الكريم الرحمن (٩٦/٣) ؛ وانظر : (التفسير الكبير للرازي) (١٥٣/٢٠) ؛ تفسير

ابن كثير (٢٦/٣) .

والجواب : أن الآيات الثلاث تتحدث عن ثلاثة من أولي العزم الخمسة من الرسل .  
وذكرت العبودية في حق كل من محمد ﷺ ونوح - عليه السلام - فقال في حق  
محمد ﷺ في معرض المن ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ .

وقال في حق نوح - عليه السلام - في معرض الثناء ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا  
شَكُورًا﴾<sup>(١)</sup> [الإسراء: ٣] وحينما يكون الأب عبداً لله - تعالى - فمن باب أولى أن  
تتصف الذرية بهذه الصفة وفي مقدمتهم محمد ﷺ<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : لم خصّ بنو إسرائيل بالذكر في قوله ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾  
[الإسراء: ٢] دون غيرهم ؟

والجواب : لأنهم هم المخاطبون بشريعة التوراة دون غيرهم<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً : لم خصّ نوح بالذكر هنا من بين الأجداد الآخرين مثل إبراهيم وإسحاق  
ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ؟

والجواب : أن ذرية نوح - عليه السلام - كانوا شقين : شق بار مطيع وهم  
الذين حملهم معه في السفينة ، وشق متكبر كافر وهو ولده الذي غرق . فكان نوح -  
عليه السلام - مثلاً لأبي فريقين . فبنو إسرائيل من ذرية الفريق البار ، فإن اقتدوا به  
نجوا ، وإن حادوا فقد نزعوا إلى الفريق الآخر فيوشك أن يهلكوا<sup>(٤)</sup> .

رابعاً : قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] ما المراد  
بالكتاب هنا أهو التوراة التي ذكرها الله بقوله ﴿وَعَزَّزْنَا مُوسَىٰ بِالْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٢]  
أم غيرها ؟ والجواب :

أنه يجوز أن يكون المراد بالكتاب التوراة ، والتعريف للعهد ؛ لأنه ذكر آنفاً  
ويوجد في مواضع منها ما هو قريب مما في هذه الآية لكن بإجمال ، فيكون العدول عن

(١) وفي الحديث « كان نوح إذا طعم أو لبس حمد الله فسمي عبداً شكوراً » انظر : (فتح الباري)

برقم [٤٧١٢] ، وصححه ابن حبان من حديث سلمان وله شاهد عن ابن مردويه وأبي فاطمة

الليثي واسمه : أنيس ، وقيل : عبد الله بن أنيس . انظر : (تهذيب الكمال) (١٨٢/٣٤) .

(٢) التفسير الكبير (١٥٤/٢٠) ؛ التفسير البسيط للقرآن الكريم (٦٤/١٥) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/١٥) مجلد (٧) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٧/١٥) م ٧ .

الإظهار إلى لفظ الكتاب لمجرد الاهتمام .

ويجوز أن يكون « الكتاب » بعض كتبهم الدينية ، فيكون التعريف للجنس وليس للعهد الذكري ؛ إذ ليس هو الكتاب المذكور آنفاً ؛ لأنه لما أظهر اسم الكتاب أشعر بأنه كتاب آخر من كتبهم وهو الأسفار المسماة بكتب الأنبياء<sup>(١)</sup> .

ثم ليعلم أنه أي معنى « الكتاب » لا يمكن أن يراد به اللوح المحفوظ أو علمه ؛ لأن ضمائر الخطاب تمنع ذلك<sup>(٢)</sup> .

وأرجح أنه التوراة ؛ لأن التوراة ذكرت في القرآن بلفظ الكتاب أكثر من مرة منها : قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [ الأنعام : ٩١ ] .

وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ الأنعام : ١٥٤ ] .  
خامساً : أنه قال ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ [ الإسراء : ٥ ] ولم يقل : عبادي فلماذا ؟

والجواب : لأنهم أهل كفر وشرك وفسق فلم يشرفهم بالإضافه إليه ، ووصفهم بأنهم من ملكه فسخرهم لتأديب عباده الخارجين عن أمره وطاعته<sup>(٣)</sup> .  
سادساً : تعرض بنو إسرائيل لملاحم عديدة ابتلاءً وامتحاناً من الله لهم ، فكلما صلحوا مكن لهم ، وكلما خربوا وأفسدوا سلط الله عليهم عدوهم فقتلهم وأسرهم وهكذا<sup>(٤)</sup> .

سابعاً : إن قيل كيف قال تعالى ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [ الإسراء : ٧ ] ولم يقل : فعليها كما قال ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [ فصلت : ٤٦ ] ؟  
والجواب : أن اللام هنا بمعنى « على » كما في قوله تعالى ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾

(١) التحرير والتنوير (٢٨/١٥) م ٧ .

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/١٥) م ٧ .

(٣) أيسر التفاسير (١٧٥/٣) .

(٤) سنذكر تفصيل ذلك في سبب العقوبة ونوعها .

[الصفات: ١٠٣] وقوله ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٩] وقيل : معناه : فلها رجاء الرحمة ، أي : فلها مخلص بالتوبة والاستغفار ، والصحيح أن اللام هنا على بابها لأنها للاختصاص ، وكل عامل مختص بجزاء عمله حسنه - كان - أو سيئه<sup>(١)</sup> .

ثامناً : إن قيل : لم عزا الإساءة التي بمعنى الحزن في قوله ﴿لَيْسَتُوا وَجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] إلى الوجوه مع أنها تكون في القلب والنفس الداخلية ؟

والجواب : عزا الإساءة إلى الوجوه لأن آثار الأعراض النفسانية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه ، فإن حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة والإشراق في الوجه ، وإن حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة على الوجه<sup>(٢)</sup> .

تاسعاً : في قوله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] .

اجتمع عطف ﴿وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا﴾ وعطف ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ على قوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ .

والمعنى بعد أن يرحمكم ربكم ويؤمنكم في البلاد التي تلجأون إليها إن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى عقابكم .

والعطف الثاني أفاد أن ما ذكر قبله من عقاب إنما هو عقاب دنيوي وأن وراءه عقاب الآخرة<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل) ص "٢٧٥" .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٥٩/٢٠) .

(٣) التحرير والتنوير (٣٨/١٥ ، ٣٩) مجلد (٧) .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

إفساد اليهود في الأرض وقتل الأنبياء والصالحين .

قال تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤] في هذه الآية ذكر مجمل لتاريخ بني إسرائيل بدءاً من دولة يوشع بن نون بعد فتحه لبلاد القدس وطرده الجبارين منها وإقامة دولة فيها لأول مرة وختاماً بطردهم على أيدي الرومان بعد ميلاد عيسى عليه السلام<sup>(١)</sup> ، ففي المرة الأولى وقع كما أخبر الله - تعالى - حيث أفسدوا في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب والعلو في الأرض بالجرأة على الله - تعالى - وظلم الناس ومن ثم قتلوا أنبياء الله تعالى مثل أشعياء ، أرمياء ، زكريا ويحيى ، وقتل الأنبياء كفر ، فسلط الله عليهم من قهرهم إلى أن تابوا ورجعوا .

وأما المرة الثانية فإنهم عادوا للإفساد في الأرض وانغمسوا في الفجور والشر فسلط الله عليهم من قهرهم ، ثم رحمهم الله - تعالى - فصلحوا واستقاموا ، ثم عادوا إلى الفسق والفجور فعاد الله عليهم فسلط عليهم من قهرهم وقتلهم ، وهذا مصداق قول الله تعالى فيهم ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ وقوله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> [الأعراف: ١٦٧] وانظر إلى ما سنذكره في نوع العقوبة تاريخياً دون التعرض لما يذكر من إسرائيليات أو أسماء أو تواريخ ؛ لأن الغرض هو العبرة التي تتجلى في سياق الوقائع ولا يتعلق غرض من أغراض تفسير القرآن بمعرفة هؤلاء الأقوام<sup>(٣)</sup> .

## نوع العقوبة :

قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٢﴾ إِنْ

(١) التحرير والتنوير (٣٩/١٥) ؛ تفسير القاسمي (٢٠٥/١٠) .

(٢) نفس المصدر (٣٩/١٥) .

(٣) انظر : (التفسير الكبير) (١٥٩/٢٠) ؛ وانظر : تفسير القاسمي (٢٠٥/١٠ : ٢٠٦) حيث قال :

سلط عليهم البابليون سنة ٦٠٦ قبل المسيح ، ثم سلط عليهم (بختنصر) سنة ٥٥٨ قبل المسيح ، ثم

سلط عليهم الرومان سنة ١٣٥ بعد الميلاد - انظر : (التحرير والتنوير) (٢٩/١٥ ، ٣٨) ، وانظر :

من كتب التاريخ : الطبري (٥٣٢/١ : ٥٣٩) ؛ البداية والنهاية (٣٩ : ٣٤/٢) .

أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأَوْ  
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا  
تَتَبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ  
حَصِيرًا ﴿٨﴾ [الإسراء: ٥-٨] فهنا الآيات قسمت تاريخهم إلى قسمين كما في قوله تعالى  
﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤] : أما المرة الأولى فكانت البداية من زمن  
يوشع بن نون - عليه السلام - واستمرت زمناً طويلاً حتى عاثوا (أي : بني إسرائيل)  
في الأرض فساداً وكثر فيهم الفسق والفجور ، فسلط الله عليهم البابليين فأسقطوا  
دولتهم ومزقوا ملكهم ، حتى هبأ الله لهم ملكاً جديداً على يد طالوت فهزموا جالوت  
البابلي ، واستمر ملكهم في عهده وعهد داود وسليمان - عليهما السلام - قال تعالى  
﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ  
نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦] ثم فسقوا وفجروا وظلموا فسلط الله عليهم بختنصر البابلي أيضاً  
فقتلهم وأسر منهم وخرّب ديارهم وهذه هي المرة الآخرة ، ثم تابوا وأنابوا فجمع الله  
ملكهم ورحمهم وإلى ذلك تشير آية ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ [الإسراء: ٨]  
فاستمر ملكهم فترة من الزمن وعادوا بعدها إلى سابق عهدهم من الفسق والعصيان  
فعاد الله عليهم بعذابه فسلط عليهم الرومان بعد نبوة عيسى - عليه السلام - فقتلوهم  
وساموهم سوء العذاب وشردوهم في الأرض ، ثم تجمع فئات منهم في الجزيرة العربية  
وأفسدوا فيها فسلط الله عليهم نبيه محمداً ﷺ فأجلى بني قينقاع وبني النضير وقتل  
بني قريظة ، ثم عادوا للإفساد فسلط الله عليهم ملوك أوربا ، حيث سامهم (هتلر)  
سوء العذاب ، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) فأذاقت العرب  
(أصحاب الأرض) الويلات وذبحوا المسلمين في كثير من بقاع فلسطين حين غابوا عن  
الالتزام بالمنهج الإسلامي وتركوا الجهاد ، واليوم يطلبون منهم السلام ... وليسلمن الله  
عليهم من يسومهم سوء العذاب ، تصديقاً لوعده ﴿وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا﴾ [الإسراء: ٨]  
ووفقاً لسنة التي لا تتخلف .. وإن غداً لناظره قريب<sup>(١)</sup> .

(١) انظر لذلك : تفسير الطبري (١٧/٣٥٦ : ٣٥٨) ؛ التفسير الكبير (٢٠/١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨) ؛  
تفسير القاسمي (١٠/٢٠٥ : ٢٠٦) ؛ التحرير والتنوير (١٥/٢٩ ، ٣٢ ، ٣٨) ؛ في ظلال القرآن  
(٤/٢٢١٤) ؛ أيسر التفاسير (٣/١٧٥ : ١٧٨) ؛ التفسير البسيط للقرآن الكريم د/حسن باجودة  
(١٥/٢٧ : ٢٨) ؛ وانظر من كتب التاريخ : تاريخ الطبري (١/٥٣٢ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ،  
٥٣٨ ، ٥٣٩) ؛ البداية والنهاية (٢/٣٤ : ٣٩) .



### المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوباتهم :

أولاً : أخبرت الآيات عن حال بني إسرائيل حين يطيعون وحالهم حين يفسدون .  
ففي حال طاعتهم يعفو الله عنهم وينعم عليهم بالأموال والبنين . وفي حال عصيانهم يغضب الله عليهم فيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب . وفي ذلك درس ينبغي أن تعيه الأمة المسلمة وهو الشكر في حال الرخاء ، وبحفظ نعم الله علينا وأكبرها نعمة الاسلام والإيمان ، والتركيز على تحقيق ذلك في عالم الواقع من التواصي بالحق والتواصي بالصبر . وإظهار شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا تفسد الأمة فيكون فيها شبهاً من بني إسرائيل الملعونين على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [٧٨] ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٧٩] الآية [ المائدة: ٧٨-٧٩ ] .

الدرس الآخر : أن سبب تسلط الأعداء وتكالبهم علينا إنما يأتي من ابتعادنا عن المنهج الإسلامي الصحيح وترك فريضة الجهاد في سبيل الله قال ﷺ « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت »<sup>(١)</sup> .

ثانياً : في تكرار العذاب على بني إسرائيل مرتين والإنقاذ من الذل والعذاب مرتين أيضاً رحمة من الله بعباده ؛ لأن العقاب قد يكون سبيلاً للإصلاح والتربية والتهذيب ، ثم إن التخلص من أسباب ومسببات الذل والإهانة فيه تجديد للنفس وفتح باب الأمل في وجه كل مطرود يائس . فها هم قد عوقبوا على يد البابليين في أول الأمر وعوقبوا أخيراً على يد الروم لإفسادهم وقتلهم لأنبيائهم ، وكانت النجاة بأن أعاد الله لهم عزتهم ودولتهم وأمدهم بأموال وبنين فأصلحوا من حالهم وتابوا وأنابوا فكان ذلك إكراماً من الله لهم وجزاء حسناً على طاعتهم<sup>(٢)</sup> .

وفي ذلك درس عظيم لكل عاص انغمس في أحوال المعصية أو حاد الله ورسوله أو جاهر بما يفعل ، أن يتوب ويرجع ، فباب التوبة مفتوح والله - تعالى - يفرح بتوبة

(١) الحديث رواه أحمد - (٢٧٨/٥) برقم [٢٢٤٥٠] ؛ ورواه أبو داود - كتاب الملاحم - باب في تداعي على الإسلام (٤٨٣/٤٠) برقم [٤٢٩٧] ، وصححه الألباني (٦٨٤/٢) برقم [٩٥٨] .  
(٢) انظر : (التفسير المنير) (٢٥/١٥) .

عبدته كما ورد في الحديث « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة »<sup>(١)</sup>.

ثالثا : أن نفع الإحسان والاستقامة يعود عليه بالأجر والثواب في الآخرة وبالطمأنينة والحياه الطيبة في الدنيا قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

رابعا : تشير آية ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧] على أن رحمة الله - تعالى - غالبية على غضبه بدليل تكرار الإحسان ، ولما حكى عنهم الإساءة ذكرها مرة واحدة ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧] ولو لم يكن جانب الرحمة غالبا لما فرق<sup>(٢)</sup>.  
خامسا : يدل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء: ٨] على عدل الله - تعالى - في أن من عاد إلى المعصية عاد الله إليه بالعقاب ، ومن مقتضيات رحمته تعالى أن من عاد إلى التوبة والرشد والهداية عاد الله عليه بالرحمة والمغفرة<sup>(٣)</sup>.

سادسا : ما يحصل للعصاة الفاسقين من عذاب في الدنيا كقتل و تشريد وإهانة وإذلال على يد من هو أظلم منهم ما هو إلا شئ يسير مع ما ادخره الله لهم من عذاب في الآخرة يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨] أي : سجننا وفراشا ، والمعنى : إن عذاب الله لهم في الدنيا بما وصفنا وإن كان شديدا فإنه قد يتفقت منه بموت أو بطريق آخر ، وأما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصرا للإنسان محيطا به لا رجاء في الخلاص منه<sup>(٤)</sup>.

سابعا : إن عودة اليهود اليوم وتجمعهم في أرض فلسطين واستيلائهم على أولى القبلتين وثالث المسجدين الشريفين وتشريد وتقتيل أهلها وإفسادهم في الأرض ؛ ليدكرنا بماضيهم الغابر وتاريخهم الأسود ويعطينا الأمل في فتح باب الانتصار عليهم فقد كثر شرهم وزاد فجورهم وفشا ظلمهم ، وقد آن الأوان للمسلمين أن يعدوا العدة لاستعادة القدس الشريف وسائر المقدسات الإسلامية من أيدي اليهود وإذلالهم تحقيقا لما كتب عليهم من الذلة والصغار إلى يوم القيامة .

(١) رواه البخاري - كتاب الدعوات - باب التوبة (١٥٤/٤) برقم [٦٣٠٨ : ٦٣٠٩] ؛ ورواه

مسلم - كتاب التوبة - باب الحض على التوبة والفرح بها (٢١٠٥/٤) برقم [٢٧٤٧].

(٢) انظر : (تفسير الرازي) (١٥٨/٢٠).

(٣) انظر : (تفسير المنير) (٢٦/١٥).

(٤) انظر : (التفسير الكبير) (١٦٠/٢٠).

## الفصل الخامس

عقوبات بني إسرائيل في عهد

عيسى - عليه السلام - وبعده

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : عقوبة من كفر بالمائدة وأراد قتل

عيسى - عليه السلام - .

المبحث الثاني : عقوبة صاحب الجنتين .

المبحث الثالث : عقوبة أصحاب الجنة .

المبحث الرابع : عقوبة أصحاب الأخدود .

المبحث الخامس : عقوبة أهل سبا .

المبحث السادس : عقوبة أصحاب الرس .

المبحث السابع : عقوبة أصحاب الفيل .

تمهيد :

أرسل الله عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل على فترة من الرسل حين ساء حال بني إسرائيل وانتشر الضلال وعُبد غير الله ، فدعا الناس إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ، وأيده بعدد كثير من المعجزات كان منها : معجزة إنزال المائدة على بني إسرائيل ، وما أصاب من كفر بها من عذاب الله ، ثم آخرها معجزة رفعه إلى السماء حياً ، وما أصاب من أراد قتله من اختلاف في شأنه ، وسوف نتناول هذين الأمرين بالبحث والمناقشة لما فيهما من قصد العقوبة ، ثم نتناول ما قصه الله من عقوبات حدثت بعده إلى ما قبل رساله المحمدية .

## المبحث الأول

### عقوبة من كفر بالمائدة وأراد قتل عيسى عليه السلام

#### المطلب الأول : الآيات التي تناولت عقوبتهم من سورة المائدة :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدَ بِنَانَا مُسْلِمُونَ ﴾ [١] إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ [المائدة: ١١١-١١٥] .

#### لطائف الآيات من سورة المائدة :

أولاً : قصة مائدة حوارى عيسى - عليه السلام - لم تذكر إلا مرة واحدة في سورة المائدة المسماة باسمها .

ثانياً : أن معنى الإيحاء في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ الإلهام كما في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾ [القصص: ٧] وقوله ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨] .

ثالثاً : إن قيل : كيف قال الحواريون ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ؟ إنهم شكوا في قدرة الله على بعض الممكنات ووصفوه بالاستطاعة وهذا تشبيه والحواريون خلص أتباع عيسى لا يصح أن يصدر منهم مثل ذلك .

والجواب : إن هذا استفهام عن الفعل لا عن القدرة كما يُقال للغني : هل تقدر أن تعطي فلاناً شيئاً ؟ وهذه تسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة<sup>(١)</sup> .

وهذا يدل على التلطف والتأدب في السؤال وليس شكاً ، كما سأل إبراهيم ربه حين قال ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [البقرة: ٢٦٠] إنما أحبوا الانتقال من

(١) تفسير الرازي والمسمى أنموذج جليل ص "١٢٨" .

الدليل العقلي إلى الدليل الحسي الذي تأنس إليه القلوب أكثر<sup>(١)</sup>.

رابعاً : إن كان المراد ما سبق ذكره فلم أنكر عليهم عيسى - عليه السلام - بقوله ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢] ؟

فالجواب : إنكاره عليهم ؛ لأنهم أتوا بلفظ يحمل المعنى الذي لا يليق بالمؤمن المخلص وإن كانوا لم يريدوه<sup>(٢)</sup>.

خامساً : اشتمل قوله تعالى ﴿ اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ﴾<sup>(٣)</sup> [المائدة: ١١٤] على ندائين ، إذ قوله ﴿ رَبَّنَا ﴾ بتقدير حرف النداء مع ما سبقها من قوله ﴿ اَللّٰهُمَّ ﴾ فلم كرر النداء ؟

والجواب : كرهه مبالغة في الضراعة والاستعطاف لله - تعالى - ليجيب دعاءهم<sup>(٤)</sup>.  
سادساً : في قوله تعالى ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ [المائدة: ١١٤] أسند الكون للمائدة مع أن المقصود ﴿ اليوم ﴾ فكيف ؟

والجواب : أن إسناد الكون عيداً للمائدة إسناد مجازي ، والعيد هو اليوم الموافق ليوم نزولها ، وعلامة صحته أنه قال ﴿ لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ [المائدة: ١١٤] أي : لأول أمة النصراري وآخرها<sup>(٥)</sup>.

الآيات التي تحدثت عن رفع عيسى - عليه السلام - من سورة آل عمران والنساء .

أولاً : سورة آل عمران :

قال الله تعالى ﴿ اِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيسٰى اِنِّىْ مُتَوَفِّىْكَ وَرَافِعُكَ اِلَىْ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَجَاعِلُ الَّذِيْنَ اَتَّبَعُوْكَ فَوْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِلَىْ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ ثُمَّ اِلَىْ مَرْجِعُكُمْ فَاَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَيَمَّا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ ۝۵۶ فَاَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَاَعْذِبْهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ ۝۵۷ وَاَمَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ اُجُوْرَهُمْ وَاللّٰهُ لَا يَحِبُّ الظّٰلِمِيْنَ ۝۵۸ ﴾ [آل عمران: ٥٥-٥٧] .

(١) انظر : (التحرير والتنوير) (١٠٥/٧) م ٤ ، وهذا هو أحد الرأيين وهو الراجح ؛ لأنهم لو كانوا متعنتين كما قال بعض المفسرين لما طالب الله أصحاب النبي ﷺ أن يكونوا مثلهم في مناصرة الله - تعالى - وما جعلهم مثلاً صالحاً يتأسى بهم ويقتدي بعملهم ، انظر : (دعوة الرسل) ص "٣٦٨" .

(٢) انظر : (تفسير الرازي) المسمى « أنموذج جليل » ص "١٢٨" .

(٣) انظر : (التحرير والتنوير) (١٠٨/٧) م ٤ .

(٤) انظر : (التحرير والتنوير) (١٠٨/٧) .

(٥) انظر : (التحرير والتنوير) (١٠٨/٧) .

ثانياً : سورة النساء :

الآيات التي تحدثت عن عيسى - عليه السلام - وادعاء اليهود قتله وتكذيب الله لهم من سورة النساء .

قال الله تعالى ﴿ وَبَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [النساء: ١٥٧] بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٨] وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٥٩-١٥٦] .

لطائف آيات سورة آل عمران والنساء<sup>(١)</sup> .

أولاً : إن قيل : ما فائدة إعادة الكفر في الآية بقوله تعالى ﴿ وَبَكَفَرِهِمْ ﴾ بعد قوله تعالى ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٥٥] .

فالجواب : لأنه قد تكرر الكفر منهم ؛ فإنهم كفروا بموسى وعيسى ثم محمد ، فعطف بعض كفرهم على بعض<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : في قوله تعالى على لسان اليهود ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٥٧] يرد سؤال هو : أن اليهود - عليهم لعائن الله - كانوا كافرين بعيسى فكيف أقروا أنه رسول الله ؟ .

فالجواب : أنهم قالوه على طريق الاستهزاء كما قال فرعون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾<sup>(٣)</sup> [الشعراء: ٢٧] .

ثالثاً : قال هنا في سورة النساء ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال في سورة آل عمران ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] والله تعالى رفعه ولم يتوفه فكيف ؟ والجواب من وجوه : الأول : أن الله بشره بقبض روحه بالوفاة لا بالقتل ، والواو لاتفيد الترتيب حتى يلزم من الآية موته قبل رفعه .

الثاني : أن معناه متوفى نفسك بالنوم من قوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] فلا تستيقظ إلا وأنت في السماء آمن مقرب .

(١) ذكرتها مؤخرة لذكر خبر المائدة .

(٢) عند القرطبي : أنه كرر (بكفرهم) ليخبر أنهم كفروا كفرا بعد كفر . وقيل : المعنى وبكفرهم بالمسيح عليه السلام فحذف لدلالة ما بعده عليه . وانظر الرازي في تفسير «أنموذج جليل» ص ١٠٤ "كلهم عن الكشاف (١/٥٨٦) .

(٣) تفسير الرازي (أنموذج الجليل) ص ١٠٤ " .

الثالث : أن فيه تقديمًا وتأخيرًا ؛ تقديره : إني رافعك ومتوفيك<sup>(١)</sup> .

رابعاً : أنه وصفهم بالشك مرة بقوله ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ﴾ [النساء: ١٥٧] ثم وصفهم بالظن أخرى بقوله ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [النساء: ١٥٧] فكيف يكونون شاكّين ظانّين<sup>(٢)</sup> ؟ وكيف استثنى الظن من العلم ، وليس الظن فرداً من أفراد العلم بل هو قسيمه ؟

والجواب : استعمل الظن بمعنى الشك مجازاً ؛ لما بينهما من المشابهة في انتفاء الجزم .

وأما أنه استثنى الظن من العلم فهذا استثناء من غير الجنس كما في قوله تعالى ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾<sup>(٣)</sup> [مريم: ٦٢] .

خامساً : في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩] إشكال هو أن ﴿ وَإِنَّ ﴾ في الآية معناها ( ما ) النافية كقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فيكون التقدير : وما أحدٌ من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به ، ثم إننا لم نسمع أن يهودياً آمن بعيسى عند موته فكيف ؟

والجواب من وجهين :

الأول : إن روحه لا تخرج حتى يؤمن بعيسى .

فعن علي بن طلحة ، عن ابن عباس قوله ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩] قال : لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى<sup>(٤)</sup> .

الوجه الثاني : أن قوله ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أي : قبل موت عيسى ، أي : في زمان نزوله آخر الزمان ولا بد وأن يؤمنوا به<sup>(٥)</sup> .

(١) تفسير الرازي (أتمودج الجليل) ص "٦٣" .

(٢) الشك تساوي الطرفين والظن : رجحان أحدهما على الآخر ، انظر : الكتاب (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ص "٥٢٨" ط: الأولى . دار الرسالة .

(٣) انظر : (تفسير الرازي) (أتمودج جليل) ص "١٠٥" .

(٤) تفسير الطبري (٣٨٢/٩) ؛ انظر : (الدر المنثور) (٤٢٦/٢ ، ٤٢٧) والأثر صحيح .

(٥) رواه الطبري بسنده قال : حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قال : قبل موت عيسى ومثله عن الحسن والآثار بأسانيد صحيحة ، انظر : (تفسير الطبري) (٣٨٠/٩) .



## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

طلبهم المائدة ثم كفر من كفر منهم .

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُوتُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢] الآيات .  
قصة المائدة :

قد تقدم في النص القرآن أن الحواريين طلبوا من عيسى عليه السلام مائدة من السماء يأكلون منها . وهذه من طامّات بني إسرائيل الكثيرة . لكنها البشرية التي لا تزال تتطلع إلى كل غريب ، والحواريون بشر من خلق الله أكرمهم الله بأن جعلهم أنصار دينه ونبيه عيسى بن مريم عليه السلام .

فهذا النص القرآني يذكر أنهم دخلوا في محاورة ساخنة مع نبيهم يطلبون آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بما جاءهم على لسان نبيهم .

فذكرهم المسيح بتقوى الله الدال على توحيده المخلص من كل شائبة تؤدي إلى الشك في قدرة الله عز وجل ، فهم بسؤالهم هذا يعيدون إلى الأذهان الدعوة الأولى حين قال لهم المسيح - عليه السلام - ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

وكان الإيمان لم يرسخ بعد ، فلا بد من تذكيرهم بتقوى الله - تعالى - لعلمهم يكفون عن التكلف في طلب مالا يعني !

إلا أن القوم أصروا ؛ بل حددوا أغراضهم منها في أربع نقاط :

الأكل منها ، ولتطمئن قلوبهم ، وليعلموا صدق نبيهم فيما جاءهم به ، وليكونوا عليها عند بني إسرائيل من الشاهدين على صدق نزولها لتكون لهم آية .  
هنا توجه المسيح - عليه السلام - إلى ربه يدعو ويطلب منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم عيداً يعتاده بنو إسرائيل كل عام (الأولون والآخرين) .

ولتكون آية حية أخرى تضاف إلى الآيات السابقة منك للتدليل على كمال قدرتك وعظيم مشيئتك ، وارزقنا يا الله منها رزقاً يعيننا على طاعتك واتباع مرضاتك إنك خير من يرزق عباده ويتولاهم ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٥] .

فأخبر الله - عز وجل - عيسى - عليه السلام - بأنه منزل عليهم المائدة المطلوبة ، وعبر باسم الفاعل ﴿مُنْزِلُهَا﴾ لتحقيق الوعد بالإنزال وأن من يكفر بعد رؤيته لهذه الآية الباهرة والمعجزة القاهرة فإن الله سيعذبه عذاباً لم يعذب مثله في شدته أحداً من العالمين .

إذ اشترط الله للاستجابة شرطاً وهو أن من آمن بها نجا ومن كفر بها عذب عذاباً شديداً . فهل استجابوا للشرط أم وقفوا ؟ وهل نزلت المائدة أم لم تنزل ؟ .

هذا ما لم ينص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلا أن هناك إشارات قوية تدل على أنها نزلت بالفعل .

حيث أكد الله - تبارك وتعالى - تنزيلها عليهم بجملة تأكيدات منها أنه قال ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥] فأسند القول إلى نفسه المقدسة ثم أكد تنزيلها (بان) بأن قال ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> .

قال ابن جرير في ذلك « إن الله - تعالى ذكره - لا يخلف وعده ، ولا يقع في خبره الخلف ، وقد قال - تعالى ذكره - مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى عليه السلام حين سأله ما سأله من ذلك ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وغير جائز أن يقول الله - تعالى ذكره - ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا﴾ ثم لا ينزلها ، لأن ذلك منه - تعالى ذكره - خبر ، ولا يكون منه خلاف ما يخبر ، ولو جاز أن يقول ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول : فمن يكفر بعد منكم فإنني معذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه ، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة ، وغير جائز أن يوصف ربنا - تعالى ذكره - بذلك<sup>(٢)</sup> ، هذا ، وقد ذكر المفسرون لكيفية نزول المائدة أوصافاً معينة نزلت عليها ، وفيما احتوته من ألوان الطعام وأسمائه أقوالاً كثيرة لم يثبت شيء منها بخبر صحيح عن رسول الله ﷺ .

قال ابن جرير « وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل »<sup>(٣)</sup> .

(١) تهذيب التفسير (٤/ ٢٩٠ ، ٢٩١) .

(٢) تفسير ابن جرير (١١/ ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(٣) تفسير ابن جرير (١١/ ٢٣٢) .

### المطلب الثالث : نوع العقوبة

قال تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥] .

قال ابن جرير في تفسير ذلك « وهذا جواب من الله - تعالى ذكره - القوم فيما سألوهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم ... إني منزلها عليكم ... فمن يجحد بعد إنزالها عليكم ... وينكر نبوة عيسى عليه السلام ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته ﴿ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ... ففعل القوم ، فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم ... فعذبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير »<sup>(١)</sup> .

وروى أيضاً بسنده<sup>(٢)</sup> إلى قتادة قوله ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٥] الآية ، ذكر لنا أنهم حولوا خنازير .

هذا ما كان من أمرهم في الدنيا ، وأما في الآخرة فإن عذابهم أشد لما حصل من الكفر بعد نزولها . روى ابن جرير من حديث عبدالله بن عمرو قال : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون »<sup>(٣)</sup> وبعد كل هذا أخذ اليهود يناصرون عيسى - عليه السلام - العداء ، ويكيلون له ولأمه

(١) انظر : (تفسير ابن جرير) (٢٣٢/١١) .

(٢) سنده : حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة . وقد سبق أن ذكرنا صحة هذا السند ؛ وفي الدر : أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة مثله انظره (٢/٦١٤) ، وعند الترمذي بسند فيه ضعف عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ش « أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً ، وأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا لغد ، فخانوا وادخروا ورفعوا لغد ، فمسخوا قردة وخنازير » . انظر : سنن الترمذي كتاب التفسير باب (ومن سورة المائدة) (٥/٢٦٠) برقم [٣٠٦١] حيث قال : « هذا حديث غريب » ورواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاص بن عمرو عن عمار موقوفاً ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة ثم ذكر نحوه عن سعيد ولم يرفعه وقال « وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً » وكذا قال ابن كثير بعد ذكر حديث عمار : الموقوف أصح وهو الصواب انظر البداية والنهاية (٢/٨٦ - ٨٧) ، وانظر : ميزان الاعتدال في ترجمة خلاص بن عمرو (١/٦٥٨) .

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير (٤/٢٦٣) : إسناده صحيح ولكنه موقوف من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص .

الاتهامات . وإليك بعضا من ذلك :

عيسى عليه السلام ومكائد اليهود ونهايته :

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٤] .

لقد ناصب اليهود عيسى - عليه السلام - العداة ؛ لأنه جاءهم بما لا تهوى أنفسهم من دعوة التوحيد وترك ما لم يأمر به الله والرجوع إلى شرع الله الذي دعا إليه موسى - عليه السلام - والأنبياء من بعده .

فلما أدرك بعد كل دعوة لهم إدراكا قويا جري مجرى العيان بأن القوم يأتمرون به ليقتلوه مع إدراكه أيضا لكفرهم وعتوهم ومكابرتهم وأن أي وسيلة من وسائل اللين والدعوة الحسنة لن تجدي . أخذ يبحث عن أنصار ينصرونه في دعوته ويدفعون عنه كيد الكائدين ، فاستجاب له الحواريون ومكر به الكفرة اليهود بأن احتالوا لقتله خفية ، ولكن الله - عز وجل - مكر بهم وأخزاهم ورد كيدهم في نحورهم ورفع نبيه إليه وألقى شبهه على آخر فأخذوه وصلبوه وقتلوه .

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٥-٥٧] .

ففي هذه الآيات الكريمات بيان واضح لما آل إليه أمر المسيح - عليه السلام - في الدنيا ، حيث وعده الله بعود أربعة :

الوعد الأول : أن يتوفاه الله إليه فلا يقتل مصلوبا ولا غير مصلوب بعد أن يتم ما أمره الله به من دعوة بني إسرائيل .

الوعد الثاني : تطهيره من المشركين الكافرين ، من أن يلحقوا به أذى ، وقد

تحقق ذلك ؛ حيث لم يتمكنوا من الوصول إليه مطلقاً .

الوعد الثالث : أن يرفعه حياً من الأرض إلى السماء في موضع كريم .

الوعد الرابع : أن يجعل أتباعه المؤمنين برسالته فوق الذي كفروا إلى يوم القيامة .

وهذا صادق على أتباعه الحقيقيين الذين آمنوا به واتبعوا ما جاء به ، فلما

ظهر محمد ﷺ آمنوا به فجمع الله لهم الأجر مرتين كما صح ذلك عن الرسول ﷺ<sup>(١)</sup> .

وأما الذين بدلوا وغيروا وحرفوا في دين الله - عز وجل - فإن الموعد هو المرجع

إلى الله - عز وجل - فيحكم بينهم بالعدل فيما كانوا فيه يختلفون .

وما يحصل من عقاب دنيوي هو نتيجة ابتعادهم عن الإيمان الحقيقي بدين محمد ﷺ

الذي جمع الله به دين الأنبياء من قبله ؛ حيث يسلط الله عليهم القلق والخوف من

المستقبل واليأس والحسد والقنوط من رحمة الله وغير ذلك من الأمور التي يُعَذَّبُ

بها الكافر والمشرک .

حتى إذا ما جاء يوم القيامة لقي كل جزاءه ، فالكافر والمشرک مآله جهنم وساءت

مصيراً ! .

وأما من آمن بالله وعمل صالحاً فإن الله يوفيه أجره ويجزيه أحسن الجزاء ويضاعف

له حسناته ويدخله جنته ودار كرامته .

وأما عن نهاية المسيح - عليه السلام - على الأرض فقد قال الله - تعالى - فيها

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ

إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] .

تبين الآيات الكريمات أن اليهود قد أجمعوا أمرهم على التخلص من عيسى - عليه

السلام - ويزعمون في كتبهم أنهم وشوا به إلى ملكهم الروماني متهمينه بمحاولة

السطو على الملك وقلب نظام الحكم فهاجموا عليه وعلى أتباعه وأخذوه من بينهم

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾

[ مريم: ١٦ ] (٢/٤٩٠) برقم [ ٣٤٤٦ ] .

وصلبوه وقتلوه<sup>(١)</sup> فكذبهم الله بقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] وحفظ الله نبيه ورفعاه إلى السماء ، ثم اختلفوا في أمره اختلافاً كثيراً لم يجزموا برأي حول حقيقة المصلوب ، أكان المسيح أو غيره ؟ فإذا كان المسيح فأين صاحبنا الذي دلنا عليه ؟ وإذا كان صاحبنا فأين المسيح ؟ وكفى بها عقوبة يتحIRON فيها إلى يوم القيامة وصدق الله إذ يقول ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] إلى سمائه وكرامته ، وعيسى - عليه السلام - حي في السماء الثانية لما ثبت في الصحيح « أن النبي ﷺ رأى عيسى - عليه السلام - في السماء الثانية ، وهو هناك حتى ينزله الله إلى الأرض ، ويقتل الدجال كما جاءت بذلك الأخبار »<sup>(٢)</sup> .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شتم ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] ، وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم »<sup>(٣)</sup> .

وقد أخبر الله تعالى أن كل نبي سيكون يوم القيامة شاهداً على أمته ، قال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] .

(١) انظر : (تفسير الكشاف) (١/٥٨٧) .

(٢) انظر : (تفسير ابن عطية) (٤/٢٨٧) .

(٣) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب نزول عيسى ابن مريم (٢/٤٩٠ ، ٤٩١) برقم [٣٤٤٨ ، ٣٤٤٩] ، ورواه مسلم - كتاب الإيمان - باب نزول عيسى بن مريم - (١/١٣٥) ،

(١٣٧) برقم [١٥٥] .

### المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبتهم .

أولاً : من نعم الله - تعالى - على الدعاة إلى الله - تعالى - أن يهيئ لهم أعواناً على الدعوة وذلك بأن يستجيبوا لدعوتهم ثم يعملوا بها معهم .

وانظر لحواري عيسى حين ألهمهم الله الاستجابة لدعوته والعمل معه لديه قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١] وقوله ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوباً أَنْصَارُ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] وعلى هذا فمن هدى الله إنساناً على يده فعليه أن يشكر الله على ذلك ، ثم ليحرص على أن يتعاهده بين كل حين وآخر لأمرين :

الأول : لئلا يرجع إلى ما كان عليه .

والثاني : يفقهه في الدين ليكون عوناً له فيما بعد على الدعوة وعلى نصرته

دين الله . فإذا كثر الأنصار لدين الله فعلى الدعاة إلى الله - تعالى - أن يشكروا الله - تعالى - على هذا التآلف والترابط الإيماني والتعاون على نصرته دين الله والدعوة إليه ، بعد أن كان هؤلاء المستجيبون معارضين أو معرضين عنها ولكن الله هداهم إلى دعوته وألف بينهم فلولا ما كان ذلك قال تعالى ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ <sup>(١)</sup> [الأنفال: ٦٣] .

ثانياً : قصة المائدة نعمة من النعم التي عددها الله وامتن بها على عيسى - عليه السلام - وقومه ، والذي عليه الجمهور من العلماء أنها نزلت كما بينا ذلك ، والعبرة المستفادة منها : أن الله - تعالى - استجاب لعبده عيسى - عليه السلام - دعاءه ، وهي آية بينة على قدرته تعالى ، وآية تدل على أن يستجيب دعاء عباده المخلصين . وتدل أيضاً على أن عيسى - عليه السلام - عبد الله ورسوله ، ولو كان إلهاً كما زعم النصارى لما كان بحاجة إلى أن يطلب شيئاً ، ثم إن إجابة الدعاء فيها دليل على أن الكل محتاج إلى الله - عز وجل - حتى عيسى - عليه السلام - ، وأن الله ليس محتاجاً إلى أحد ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨] وقال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (١/٥٠٣-٥٠٤) .

(٢) وانظر : (التفسير المنير) (١١٧/٧) .

ثالثاً : مشروعية الدعاء ، وأن الإكثار منه والإلحاح فيه مع إخلاص النية من أسباب إجابته ، ومن هنا يُعَلَّم أن استجابة الله - تعالى - لعبده ورسوله عيسى - عليه السلام - كانت رحمة وفضلاً ومنة من الله عليه وعلى قومه ، وإلا فإنه يلاحظ أن القوم ألحوا على عيسى في الطلب ولم يكن البادئ بالدعاء ومن ثم كانت المسؤولية واقعة عليهم . ثم إن الشق الآخر من الآية الكريمة ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥] يبين أبعاد هذه المسؤولية ويقرر أن من يكفر بعد نزول المائدة فإن الله - سبحانه - وتعالى - سوف يعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من عالمي زمانهم<sup>(١)</sup> .

رابعاً : مشروعية الأعياد الدينية « لعبادة الله بالصلاة والذكر شكراً لله تعالى » ولا يوجد في الإسلام إلا عيدان : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وأن غيرهما من الأعياد المحدثه بدعة في الدين .

خامساً : تحريم تهنئة الكفار بأعيادهم كقول : عيدكم مبارك أو ليهنكم عيدكم ونحوه ، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات . فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه ، وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات ، وتهنئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء ؛ تجنباً لمقت الله وسقوطهم من عينه . وإن ابتلي الرجل فتعاطاه دفعاً لشر يتوقعه منهم فمشى إليهم ولم يقل إلا خيراً ودعا لهم بالتوفيق والتسديد فلا بأس بذلك<sup>(٢)</sup> .

سادساً : كفران نعمة المائدة وجحودها (كآية) من قبل بني إسرائيل شيء آخر يضاف إلى رصيدهم من قبل ، وفي الإسلام نهى الله عباده أن يسألوا عن أشياء غيبية أو خفية أو ما لا فائدة فيه أو عن تكاليف سكت عنها الشرع لئلا يشدد عليهم فيها - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال « ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه »<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : (تفسير الطبري) (٢٣٢/١١) ؛ وانظر : (تأملات في سورة المائدة) - حسن باجودة ، ط نادي مكة ص "٤٧٤" .

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢٠٥/١ - ٢٠٦) لشمس الدين ابن عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق الصالح .

(٣) رواه مسلم - كتاب الحج - باب فرض الحج مرة في العمر - (٩٧٥/٢) برقم [١٣٣٧] .



سابعاً : بيان جرائم اليهود وأنهم قالوا على مريم بهتاناً عظيماً ؛ حيث رموها بالفاحشة . لعنهم الله ! ثم ادعأوهم قتل المسيح - عليه السلام - فكذبهم الله في ذلك كله فقال ﴿ وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ وَقَوْلِهِمْ أَنَا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٧] .

ولذلك استحقوا غضب الله بتسليط أعدائهم عليهم بتقتيلهم وتشريدهم في الأرض<sup>(٢)</sup> ، فعلى المسلم أن يتنبه لمكائدهم فيما يثرونه في وسائل الإعلام من التعدي على مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ثامناً : بطلان عقيدة النصارى في أن عيسى - عليه السلام - صُلب وقتل ، أما اليهود فإنهم وإن لم يقتلوا عيسى - عليه السلام - فهم مؤاخذون على قصدهم ؛ حيث صلبوا وقتلوا من ظنوه عيسى عليه السلام<sup>(٣)</sup> .

تاسعاً : الحقيقة التي ستمر لا محالة على كل يهودي ونصراني حين الموت ووقت رؤية الملك عندها يؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله ؛ ولكن لا ينفعهم ذلك ؛ لأنه إيمان اليأس وقت الاحتضار .

روى البخاري عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ «... ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره لقاءه»<sup>(٤)</sup> .

وسيفاجأ النصارى يوم القيامة بشهادة عيسى - عليه السلام - المتضمنة تكذيب من كذبه وتصديق من صدقه ، وبرأته من ادعاء النصارى أنه ابن الله أو أنه هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً!!<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر ما كتب عنهم عند الحديث عن عقوبات بني إسرائيل في سورة الإسراء .

(٢) أيسر التفاسير (١/٥٧٢) .

(٣) أيسر التفاسير (١/٥٧٢) .

(٤) رواه البخاري - كتاب الرقاق - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٤/١٩٢ ، ١٩٣) برقم [٦٥٠٧] .

(٥) انظر : (التفسير المنير) (٦/٢٤) .

## المبحث الثاني

## عقوبة صاحب الجنيتين

## المطلب الأول : الآيات التي تناولت ذلك :

قال تعالى ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۝ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۝ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنَّا أَنَا أَقْلٌ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝ ﴾ [الكهف: ٣٢-٤٤] .

## لطائف الآيات :

أولاً : اختلف في القوم الذين ضرب لهم المثل ، والأقرب أنه مثل ضربه الله لجميع من آمن بالله وجميع من كفر<sup>(١)</sup> ، وأما الرجلان فقد روي عن عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنهما من بني إسرائيل وهو الظاهر<sup>(٢)</sup> ؛ لما علم من سياق قصتهما في سورة الصافات حين بين حالهما في الآخرة<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : (تفسير القرطبي) (٣٩٩/١٠) .

(٢) انظر : (تفسير الماوردي) (٣٠٥/٣ ، ٣٠٦) ؛ تفسير زاد المسير (٩٧/٥) ؛ تفسير البيضاوي

(١١/٢) ، وانظر : (التحرير والتنوير) (٣١٦/١٥) م ٧ .

(٣) عند قوله تعالى ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الصافات: ٥١] .

ثانياً : من سياق القصة قد يظن أن حال الرجلين المضروب بهما المثل حالاً مفروضاً ، والأظهر من سياق الكلام وصنع التراكيب مثل قوله ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الكهف: ٣٧] إلخ فقد جاء ( قال ) غير مقترن بفاء وذلك من شأن حكاية المحاورات الواقعة فيكون هذا المثل قصة معلومة ؛ لأن ذلك أوقع في العبرة والموعظة مثل المواعظ بمصير الأمم الخالية<sup>(١)</sup> .

ثالثاً : ﴿ كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْثَلَهَا ﴾ [الكهف: ٣٣] فهنا ترى أنه ثنى الجنتين وبعدها بقليل قال ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ [الكهف: ٣٥] فكيف أفرد بعد التثنية ؟ .

والجواب : أنه أفردا ليدل على الحصر ، ومعناه : ودخل ما هو جنته لاجنة له غيرها ولانصيب له في الجنة التي وعد المتقون ؛ بل ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ؛ ولم يقصد جنة معينة فيهما ؛ بل جنس ما كان له<sup>(٢)</sup> .

رابعاً : في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦] يرد سؤال هو : كيف ينكر البعث ويحكم أنه يعطى خيراً منهما ؟ .

والجواب : أن المعنى : ولئن رددت إلى ربي - على قولك<sup>(٣)</sup> - وقد أعطاني في الدنيا فهو يعطيني في الآخرة .

خامساً : في هذه السورة قال ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦] . وفي سورة فصلت قال ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠] لك أن تسأل : قوله في الآية الأولى ( رددت ) وفي الثانية ( رجعت ) وهل كان يجوز إحدى اللفظتين مكان الأخرى في الاختيار ؟

والجواب : أن في لفظ ( الرد ) من الكراهية للنفوس ما ليس في لفظ ( الرجوع ) ، فلما كان الأول الذي قال ( ولئن رددت ) يُنقل عن جنته على غير مايجب كان استعمال اللفظ الدال على الكراهة أولى .

أما الثاني الذي قال ( ولئن رجعت ) فإنه لم يتقدمها<sup>(٤)</sup> مثل ماتقدم في قوله ( ولئن

(١) تفسير الرازي ص (٢٩٩) المسمى « أمودج جليل » .

(٢) معاني القرآن الكريم للنحاس (٢٤١/٤) .

(٣) ومعنى على قولك : أي على سبيل الفرض والتقدير .

(٤) لأن ما قبلها قوله تعالى ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْ عَنْ قُنُوطٍ ﴾ [فصلت: ٤٩]

رددت ) من الكراهة ليقع في كل سورة ما يليق بها<sup>(١)</sup> .

سادساً : في قوله تعالى ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾

[الكهف: ٣٨] .

وهذا تعريض ، فإن أخاه مشرك وليس في كلام أخيه ما يقتضي الشرك بل الكفر

وهو قوله ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ ؟ [الكهف: ٣٦] .

والجواب : إشراك أخيه حين اعتقد أن جنته وزكائها بحوله هو وقوته لا بقوة أحد

غيره ، يدل على ذلك قوله أخيراً ﴿ يَلَيِّتَنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢]

فاعترف بالشرك<sup>(٢)</sup> .

سابعاً : في قوله تعالى ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ يرد بحث وسؤال هو :

أن ( لكننا ) أصله ( لكن أنا ) فحذف الهمزة وألقت حركتها على نون (لكن)

فاجتمعت النونان وادغمت نون (لكن) في النون التي بعدها . فإن قيل : (لكن)

استدراك لماذا ؟ قلنا لقوله ( أكفرت ) كأنه قال لأخيه أكفرت بالله لكني

مؤمن موحد<sup>(٣)</sup> .

ثامناً : في قوله تعالى ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا ﴾ [الكهف: ٣٩] ما فائدة أنا هنا ؟

والجواب : أن ( أنا ) في مثل هذا الموضع يفيد حصر الخبر في المخبر عنه ، ومنه

قوله تعالى ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١٢] وقوله ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ [طه: ١٤] .

تاسعاً : إن قيل : مامعنى قوله ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

[الكهف: ٤٣] .

فالجواب : أن ( دون ) تستعمل في كلام العرب بمعنى ( غير ) وبمعنى

( قبل ) ، فأما ما جاء بمعنى غير مثل ( لفلان مال دون هذا ) ، من دون هذا أي : غير

هذا ؛ ونظيره قوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾ [المؤمنون: ٦٣] أي : من غيره

وهي هنا بمعنى ( غير ) .

وما أتى بمعنى قبل مثل ( المدينة دون مكة ) . أي : قبلها .

(١) انظر : (درة التنزيل) ص"٢٢٦ ، ٢٢٧" ، البرهان في متشابه القرآن .

(٢) تفسير الرازي المسمى (أتمودج جليل) ص (٣٠٠) .

(٣) التفسير الكبير (١٢٦/٢١) ، وانظر : (التحرير والتنوير) (٣٢٢/١٥ ، ٣٢٣) .

لا أقوم من مجلسي دون أن تحيء . ولا يوجد في القرآن بمعنى ( قبل ) إنما بمعنى ( غير )<sup>(١)</sup> .

عاشراً : قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ [الكهف: ٤٤] أي : يوم القيامة ، والولاية : ( بكسر الواو ) الملك والسلطان ، وبفتح الواو : التولي والنصرة ، وكل ذلك لله - تعالى - في الدنيا والآخرة ، فما فائدة تخصيص يوم القيامة ؟

والجواب : فائدته أن دعاوى المجازية مثل صفة ( الملك والرحمة والرزق ) وغيره كثيرة في الدنيا ويوم القيامة تنقطع كلها ويسلم الملك لله - تعالى - عن كل منازع<sup>(٢)</sup> .  
الحادي عشر : في قوله تعالى ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٤٤] يرد سؤال هو :

أي عاقبة هي ؟ وغير الله لا يثيب ليكون الله - تعالى - خيراً منه ثواباً ؟  
والجواب : هذا على الفرض والتقدير ؛ معناه : لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل ، ولكانت طاعته أحمد عاقبة وخيراً من طاعة غيره<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل) ص "٣٠٠ ، ٣٠١" .

(٢) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل) ص "٣٠١" .

(٣) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٣٠١ ، ٣٠٢" .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

الشرك بالله والكبر واحتقار الفقراء وإنكار البعث والجزاء قال تعالى ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٨﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٩﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٠﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤١﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٣٢-٤١] .

هذا مثل ضربه الله للمشركين وأمثالهم من المستكبرين الذين أرادوا من النبي ﷺ أن يطرد فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، وهو للمؤمنين عبرة .

وهذان الرجلان أحدهما مؤمن معتز بإيمانه صادق في نصح إخوانه وأقرانه ، والثاني كافر مغرور بدينه آتاه الله خيراً كثيراً كان منه جنتان محفوفتان بنخل تتوسطهما الزروع ، ويتفجر بينهما نهر .. إنه منظر بهيج ، تراح لرؤيته النفوس .

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [الكهف: ٣٣] ولكن الرجل هو الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر ، وازدهى وتكبر - فقال يوماً لصاحبه وهو يحاوره شأن كل غني مغرور مع مؤمن فقير ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٤] ثم دخل جنته وهو ظالم لنفسه معجب بما أوتي مفتخر به كافر بالنعمة ، ظان أن هذه الجنة المثمرة لن تبيد أبداً منكر قيام الساعة أصلاً مقسم بأنه لو رجع إلى ربه على سبيل الفرض أو كما يزعم هذا الذي ينصحه فإنه سيجد الرعاية والعناية ، فصاحب الجنان في الدنيا كما يظن هو صاحبها في الآخرة - ولربما زلت من بعض

الجهلة كلمة فقالوا كما قال صاحب الجنتين أو كما قال قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨] أو قال غيره ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠] أو كما قال غيره ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] هذه حالة المغرورين المعجبين بما هم عليه من زخرف الدنيا ، وما علموا أن الدنيا لاتساوي عند الله جناح بعوضة ، وإلا لما سقى منها كافراً جرعة ماء<sup>(١)</sup> .

فما كان من المؤمن الفقير (صاحبه) إلا أن ذكره بمنشئه المهين من ماء وطن ، محذراً ومنذراً له عاقبة بطره وتكبره فما عند الله خير منها وأبقى ، وخير من أعراض الدنيا وزخارف الحياة وحيوية المال والمتاع ؛ فمن كان طامعاً فيما عند الله فليكن طائعاً قبل أن تحل نقمته بعد نعمته وعذابه بعد رحمته .

فما كان منه إلا أن عصى وتجبر وأدبر واستكبر فدعا عليه صاحبه بقوله ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف: ٤٠-٤١] لكونها أطعته وغرته واطمأن إليها فلعله يراجع رشده ويتبصر في أمره .

(١) انظر : (تفسير ابن كثير) (٤/ ١١٢ ، ١١٣) .

## المطلب الثالث : نوع العقوبة :

قال تعالى ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۖ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۖ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۖ ﴾ [الكهف: ٤٢-٤٤] .

وحدث ما توقعه الرجل المؤمن ؛ حيث تحقق ما كان يرجوه أحيط بشمره كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء ، إنه مشهد مؤثر ؛ الجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة لا تكاد ترى منها شيئاً يصلح .

يراها صاحبها فيتملكه الفزع والتحسر ، يقلب كفيه أسفاً وحزناً على ماله الضائع وجهده الذاهب بين عشية وضحاها ، الغني أصبح فقيراً ، القوي أصبح عاجزاً عن دفع ما حصل ، إنه نادم على إشراكه بالله يقول ﴿ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ وذلك أنه تذكر موعظة صاحبه المؤمن فعلم أن هلاك ثمر بستانه سببه شركه وكفره بربه ، ويتمنى الآن أنه لم يشرك بالله حتى تسلم له جنته ؛ ولكن فات وقت التمني ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [الكهف: ٤٣] إذ هو القادر وحده على دفع العذاب ، الذي لو اجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه لم يقدرُوا .

ولا يُستبعد من رحمة الله ولطفه أن صاحب هذه الجنة تحسنت حاله ورزقه الله الإنابة بدليل أنه أظهر الندم ، وذهب عنه ما يطغيه وعاقبه الله في دنياه ، وإذا أراد الله بعد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا ، وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول ولا ينكره إلا ظالم جهول<sup>(١)</sup> .

﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٤٤] لمن كان مؤمناً به تقياً كان له ولياً يكرمه بأنواع الكرامات ويدفع عنه الشرور والمثلات ، ومن لم يؤمن بربه فقد خسر دينه ودنياه ، وأغضب مولاه ، فيا لسوء عاقبته في أخراه!<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : (تيسير الكريم الرحمن) (١٦٠/٣) .

(٢) انظر : نفس المرجع (١٦٠/٣ ، ١٦١) .



## المطلب الرابع : الدروس المستفادة منها :

أولاً : قصة الرجلين ضربت مثلاً مع حقيقة وقوعها للوصول بمعانيها الخفية إلى الأذهان .

وذلك أن قصتهما تُضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية ، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينه الحياة ، والنفس المعتزة بالله ، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس ، فصاحب الجنيتين نموذج للرجل الثري تذهله الثروة وتبطره النعمة فينسى المالك الحقيقي لها وهو الله ، فيحسب أنها لا تفنى وإن رجع إلى الله كما هو غير متوقع عنده فسيجد أفضل مما هو فيه لأنه الأولى .

وأما صاحبه المعتز بإيمانه فهو النموذج الآخر الذاكرُ لربه يرى النعمة دليلً على المنعم موجهة للحمد والثناء لمسديها لا لكفرانه وجحوده<sup>(١)</sup> .

ومن هنا نأخذ أنه لا دلالة على أن كثرة مال الإنسان أو قلته دليلاً على إكرامه أو إهانته ؛ لأن الله يعطي المال الكثير للمؤمن والكافر ، وكل ذلك إنما هو للابتلاء والاختبار ، ثم إنه لا دلالة في هذا العطاء سواءً كان كثيراً أو قليلاً على الإهانته أو الإكرام<sup>(٢)</sup> ، إنما ليظهر مدى شكر العبد في حال غناه ومدى صبره في حال فقره ، وهذا ما لم يفقهه صاحب الجنيتين . فعلى الدعاة إلى الله - تعالى - الاستشهاد بمثل هذا القصص على تقريب المثل المعقول بالمحسوس وخاصة في مثل هذه الأيام التي طغت فيه المادة وكثر الأغنياء وبخلوا في إخراج زكاة أموالهم ووضعوه في غير محله إلا من رحم الله .

ثانياً : نعمة الإيمان والتقوى لا تقدر بثمن ، فمن أوتيها لا يتأثر بفقر ولا غنى ؛ لأنه يملك ما هو أعز وأفضل من المال والأولاد ، ولهذا لا يتزعزع إيمان المؤمن إذا افتقر هو واغتنى الكافر ؛ فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، ولأن الغنى والفقر مما يمتحن الله به عباده ، ولا يجوز للعبد أن يعترض على الاختبار الذي يتلي الله به عباده ؛ فعلى الدعاة إلى الله - تعالى - غرس مثل هذه الأمور في نفوس مدعويهم ؛ لئلا يظن أحد أن المال هو السعادة كلها وهو الحياة ، فكم من غني افتقر ، وكم من فقير اغتنى .

قال تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

(١) انظر : (في ظلال القرآن) (٣/٢٢٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٤٤) ؛ وانظر : (تفسير القرطبي) (٤/٣٠٥) .

الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] .

على هذا فإن الاعتبار بحال من أنعم الله عليهم نعمًا دنيوية فألهمهم عن آخرتهم وأطغتهم وعصوا الله كان مآلها الانقطاع والحرمان منها ، وأن من تمتع بها قليلا فإنه يجرمها طويلا<sup>(١)</sup> .

رابعاً : على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر ، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله ، والإقرار بوحدانيته ، وشكر نعمه وأفضاله عليه<sup>(٢)</sup> حتى وإن تعرض للأذى ؛ لأن المؤمن الداعية همه هداية الناس مهما كانت مناصبهم ووجاهتهم .

خامساً : في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] قال القرطبي<sup>(٣)</sup> « قال مالك : ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول هذا » . وقال ابن وهب<sup>(٤)</sup> : قال لي حفص بن ميسرة<sup>(٥)</sup> : رأيت على باب وهب بن منبه مكتوباً ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] وروى عن النبي ﷺ أنه قال لأبي هريرة : « ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة ، أو قال : كنز من كنوز الجنة ؟ » قلت : بلى ، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، إذا قالها العبد قال الله - عز وجل - : أسلم عبدي واستسلم »<sup>(٦)</sup> . أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي

(١) انظر : (تيسير الكريم الرحمن) (١٦١/٣) .

(٢) التفسير المنير (٢٥٧/١٥) .

(٣) تفسير القرطبي (٤٠٦/١٠) .

(٤) ابن وهب هو : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المصري الفقيه ، ثقة حافظ عابد ، قال عنه الإمام أحمد : ما أصح حديثه وأثبتته ، مات سنة سبع وتسعين (٩٧) - انظر : الجرح والتعديل (١٨٩/٥ ، ١٩٠) ؛ التقريب ص ٣٢٨ .

(٥) حفص بن ميسرة العقيلي أبو عمر الصنعاني ، نزيل عسقلان ، وثقه ابن أبي حاتم ، وقال عنه في التقريب : ثقة ربما وهم ، قال عنه الإمام أحمد : ليس به بأس ثقة ، مات سنة إحدى وثمانين (٨١) . انظر : (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم (١٨٧/٣) ؛ التقريب ص ١٧٤ .

(٦) تفسير القرطبي (٤٠٦/١٠) ، والحديث رواه أحمد (٣٣٣/٢) برقم [٨٣٨٧] ، ورواه الترمذي - كتاب الدعوات - باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله - (٥٨٠/٥) برقم [٣٦٠١] قال أبو عيسى : ليس إسناده بمتصل ؛ لأن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة - له شواهد من حديث سعد بن عباد برقم [٣٥٨١] ومن حديث أبي موسى الأشعري برقم [٣٤٦١] . وصححه الألباني لكثرة شواهد في الصحيحة برقم [١٥٢٨] .

موسى وفيه فقال : « يا أبا موسى ، أو يا عبد الله بن قيس ، ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة - في رواية - على كنز من كنوز الجنة ؟ » قلت : ماهى يا رسول الله ، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »<sup>(١)</sup> .

ومما يدفع الإصابة بالعين قول : ماشاء الله لا قوة إلا بالله كما في الآية ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] .

روى هشام بن عروة<sup>(٢)</sup> عن أبيه<sup>(٣)</sup> أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه ، أو دخل حائطاً من حيطانه ، قال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله<sup>(٤)</sup> .

سادساً : مشروعية الدعاء على الكفار إذا دُعوا فلم يستجيبوا كما في قوله ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يُوْتَيْنَ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا <sup>(٥)</sup> مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا... ﴾ [الكهف: ٤٠] الآيات .

سابعاً : على الدعاة إلى الله - تعالى - تبصير الناس بعاقبة من جعل ماله وثروته وسيلة إلى احتقار المؤمنين الفقراء ، ووسيلة لمحاربة الله ورسوله بالربا ، ووسيلة إلى إعانة الكفار بها بتخزينها في مصارفهم ومؤسساتهم ( وبنوكهم ) أو أي وسيلة أخرى لا ترضي الله - تعالى - أن عاقبتها الخسران إما في الدنيا بتلفها أو في الآخرة بالحساب عليها ، وإذا نزل البلاء فإنه لا مفر منه ولن تستطيع قوة في الأرض على دفعه أو رفعه ألا ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

(١) رواه البخاري - كتاب الدعوات - باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله - (١٧٤/٤) برقم [٦٤٠٩] ، ورواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء - (٢٠٧٦/٤) برقم [٢٧٠٤] .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، ثقة إمام في الحديث ، روى له الأئمة (الثوري ومالك وشعبة ..) وغيرهم ، مات سنة خمس أو ست وأربعين ، انظر : (الجرح والتعديل) (٦٣/٩-٦٤) .

(٣) الزبير بن العوام : الصحابي الجليل المعروف .

(٤) زاد المعاد (١٧٠/٤) .

(٥) عسى للرجاء وهو : طلب الأمر القريب الحصول ، وأراد به هنا الدعاء لنفسه وعلى صاحبه الكافر المشترك . انظر : (التحرير والتنوير) (٣٢٤/١٥) .

(٦) حسانا : أي : عذاباً من السماء - ﴿ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أي : أرضاً ملساء لا يثبت فيها قدم . انظر : تفسير ابن جرير (٢٥/١٨) ؛ تفسير ابن كثير (٨٩/٣) .

ثامناً : الدنيا جنة للكافر يتمتع فيها بما شاء من ملذات وشهوات ويجمع المال لذلك من حله وحرمة ليقتضي وطره ظاناً أن الحياة الدنيا هي المتعة ، فإذا مات انقطعت متعته كما قال الله عنهم ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الحاثية: ٢٤] ، وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »<sup>(١)</sup> .

قال الثوري في شرحه « معناه : أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ، فكلف فعل الطاعات الشاقة<sup>(٢)</sup> ، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله - تعالى - له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان ، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قتلته وتكديره بالمنغصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد »<sup>(٣)</sup> .

تاسعاً : يستفاد من ذكر صاحب في القصة جواز صحبة المؤمن للكافر ولكن يشترط أن لا يتأثر المؤمن بهذه الصحبة ، وأن يبقى ثابتاً على إيمانه ، وأن ينكر على صاحبه الكافر إذا نطق أو عمل ما يستوجب الإنكار ، وأن يكون قصده العمل على إصلاحه وهدايته قدر طاقته ، أما إذا كان المؤمن لا يقوى على صحبة الكافر وخاف على إيمانه بسبب هذه الصحبة وبسبب ما يراه من مغريات وفتن ؛ فإنه لا يجوز له أن يستمر في صحبته . فعلى الدعاة أن يلاحظوا ذلك جيداً لتكون صحبتهم في الأصل للمؤمنين ؛ حيث يُتقوى بهم ويُطمأن إليهم ، أما الكفار فلا يصاحبون إلا بمقدار ما ذكرنا من حب هدايتهم وإنكاره عليهم إذا صدر منهم ما يدعو إلى ذلك<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه مسلم - كتاب الزهد والرقائق - (٢٢٧٢/٤) - برقم [٢٩٥٦] .

(٢) الشاقة : ليست من باب تكليف مالا يطاق - وإنما من باب حديث «... وإسباغ الوضوء على المكاره» ومن باب حفت الجنة بالمكاره : ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره - مسلم (٢١٧٤/٤) .

(٣) شرح النووي على مسلم (٩٣/١٨) .

(٤) انظر : (المستفاد من قصص القرآن) (٦١٠/١) .

## المبحث الثالث

## عقوبة أصحاب الجنة

## المطلب الأول : الآيات التي تناولت عقوبتهم :

قال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝ أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ۝ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۝ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَلْدِيرِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۝ بَلْ لَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۝ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [القلم: ١٧-٣٣] .

## لطائف الآيات :

أولاً : المال والبنون نعمة عظيمة امتن الله بها على عباده ، فمن أعطيها وجب عليه شكرها وصرفها فيما يرضي الله - عز وجل - فإن لم يفعل فإن الله يقطع عنه تلك النعم ، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات إما عاجلاً أو آجلاً ، والآية الأولى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ [القلم: ١٧] مستأنفة استئنافاً ابتدائياً دعت مناسبة قوله قبلها ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ إِذَا تَتَلَّىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٤-١٥] وفي الآية ضرب الله للمشركين مثلاً بحال أصحاب هذه الجنة لعلهم ينتبهون من غفلتهم وغرورهم . كما ضرب المثل بما ذكرناه سابقاً في سورة الكهف ، وضرب مثلاً بقارون في سورة القصص<sup>(١)</sup> .

ثانياً : في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ [القلم: ١٨] أي : ولا يقولون إن شاء الله ،

فسمى الشرط استثناء فكيف ؟

والجواب : إنما سماه استثناءً لأنه في معناه<sup>(١)</sup> .

والتعبير بالفعل المضارع لاستحضار حالتهم العجيبة من بخلهم على الفقراء والأيتام<sup>(٢)</sup> .

وقال عكرمة : المراد به حقيقة الاستثناء أي : أنهم لا يستثنون حق المساكين ، والجمهور على الأول<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً : في قوله تعالى ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩] أن الطائف لا يكون إلا بالليل ، يدل عليه قوله بعده وهم نائمون وهو تأكيد لوقت الطائف ، وفائدته : تصوير الحالة .

ثم إنه أسند فعل ( طاف ) إلى ( طائف ) ليكون بمنزلة إسناد الفعل المبني للمجهول كأنه قيل : فطيفَ عليها وهم نائمون<sup>(٤)</sup> .

رابعاً : في قوله تعالى ﴿ وَغَدَوُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ [القلم: ٢٥] إن كلمة ( حرد ) تطلق على عدة معان :

١ - تطلق على المنع .

٢ - تطلق على السرعة .

٣ - تطلق على الغضب .

وفي إثارة كلمة ( حرد ) على غيرها نكتة من نكت الإعجاز وهو : أن كلمة ( حرد ) يكون لها معنى (المنع) إذا تعلق بـ قادرين ، فيكون المعنى أي : قادرين على المنع ، أي : منع الخير أو منع ثمر جنتهم .

ويكون معناها (السرعة) إذا تعلق بـ ( غدوا ) مبيناً لنوع الغدو ، أي : غدواً غدوً سرعة واعتناء ، فتكون ( على ) بمعنى المصاحبة والمعنى : غدوا بسرعة ونشاط .

ويكون معناها (الغضب) والحنق إذا قيل ( حرد ) بالتحريك وحرْد بسكون الراء . إذا تعلق بالجرور بـ ( قادرين ) وتقديمه للحصر .

(١) تفسير الرازي أنموذج جليل ص "٥٢٣" .

(٢) التحرير والتنوير (٨١/٢٩) .

(٣) تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص "٥٢٣" .

(٤) التحرير والتنوير (٨١/٢٩) .

فيكون المعنى : غدوا لا قدرة لهم إلا على الحق والغضب على المساكين ؛ لأنهم يقتحمون عليهم جنتهم كل يوم فتحيلوا عليهم بالتبكير إلى جذاذها ، أي : لم يقدرُوا إلا على الغضب والحق ولم يقدرُوا على ما أرادوا من اجتناء ثمر الجنة<sup>(١)</sup> .

خامساً : في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨] أي : لولا تستثنون ، فكيف سمى أوسطهم الاستثناء تسييحاً ؟

والجواب : إنما سماه تسييحاً لاشتراكهما في معنى التعظيم . هذا أولاً .

ثانياً : أن استثناءهم هو قول سبحانه الله .

ثالثاً : أن معناه : لو تنزهون أنفسكم وأموالكم عن حق الفقراء<sup>(٢)</sup> .

و ( أوسطهم ) أفضلهم وأقربهم إلى الخير ، والوسط يطلق على الأخير الأفضل

لقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

سادساً : إن في قوله لهم ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ... ﴾ [القلم: ٢٨] إشارة إلى أنه وعظهم

فعصوه وأجبروه على أن يقسم معهم على صرمها مصبحين ، والدليل أنهم سبحوا

وندموا على الأخذ بنصيحته فقالوا ﴿ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [القلم: ٢٩]

فيكون التسييح على ظاهره<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : (التحرير والتنوير) (٨٤/ ٢٩ : ٨٥) .

(٢) تفسير الرازي أنموذج جليل ص "٥٢٣" .

(٣) فيكون المعنى الثاني أقوى المعاني الثلاث السابق ذكرها عليه .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

العزم على حرمان المساكين حقهم .

القصة باختصار :

اعتاد المساكين أيام والد أصحاب الجنة أن يكون لهم حظ في ثمرها حين حصادها ، وها هو قد مات وقد ضاق الورثة ذرعا بهؤلاء المساكين وآن الأوان في وضع حد يقطع مجيئهم . فأقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون شيئا للمساكين ، ولا يقولون : إن شاء الله ، فنصحهم ناصح منهم فأبوا النصيحة ، فنزل على إرادتهم مكرها وعقدوا العزم على تبئيت نيتهم السيئة ليصرمنها بدون علم المساكين ، وظنوا أنهم قادرون على منعهم ، وناموا ولكن الله لا ينام يدبر غير ما يدبرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ، أنها دمرت بعذاب ليلي ذهب بكل ثمرها فأصبحت كالليل الأسود لاحتراقها ، فلما أصبحوا نادى بعضهم بعضا ﴿ أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرَمِينَ ﴾ [القلم: ٢٢] فانطلقوا يوصي بعضهم بعضا ويحمس بعضهم بعضا يتحدثون ؛ ولكن في خفية ليجتاحوا الثمر كله ، ويأتي المساكين فلا يجدون شيئا ، ويمضون في سرعة ويصلون ولكن كانت المفاجأة رأوها ولكن ياليتهم ما رأوها ﴿ قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴾ [القلم: ٢٦] الطريق ، ما هذه جنتنا! الطريق هي الطريق ولكن الجنة ليست هي! ويعودون فيوقنون أنهم محرومون من ثمارها ومن أجرها ، هنا يعود الناصح الأول ويقول لهم ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨] هنا تستيقظ فطرتهم فيقولون بعد فوات الأوان ﴿ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [القلم: ٢٩] لسوء نيتنا وتدبيرنا لكن من الذى بدأ وأشار بهذا القول ومن سمع له وأصغى ؟ إنهم هم جميعا ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ ﴾ [القلم: ٣٠] ثم يرجعون إلى صوابهم فيعترفون بالخطيئة أمام العاقبة الرديئة ﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [القلم: ٣١] لكن عسى الله أن يغفر لنا ويعوضنا ما هو خير منها ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ [القلم: ٣٢] متجهون إليه بقلوبنا عاقدون العزم على ذلك بصلاح نياتنا ، وها نحن نطلب منه الخير ونرجو منه العفو عما فرط منا والتعويض عما فاتنا<sup>(١)</sup> .

(١) عند القرطبي : ذكر أن ابن مسعود قال : « إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم



## المطلب الثالث : نوع العقوبة :

قال تعالى ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢١﴾ [ القلم: ١٩-٢٠ ] أي : عذاب نزل عليها ليلاً ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ فأبادهما وأتلفها ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ أي : كالليل المظلم<sup>(١)</sup> مسودة محترقة قد ذهبت أشجارها وثمارها ، فلما رأوها علموا أن ذلك أصابهم دون غيرهم لعزمهم على قطع ما كان ينتفع به الضعفاء من قومهم عندها أظهرها ندمهم<sup>(٢)</sup> .

=

جنة يقال لها : « الحيوان » ، قال أبو خالدة اليماني : « دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم - انظر : (القرطبي) (٢٤٥/١٨) ؛ والنسفي (٢٨٢/٤) ؛ انظر : (اللباب في علوم الكتاب) لأبي حفص (عمر بن علي الدمشقي الحنبلي) (٢٩٣/١٩) توزيع مكتبة عباس أحمد الباز - دار الكتب العلمية ، الألوسي : (٣٣/٢٩) والتحرير والتنوير (٨٩/٢٩) .

(١) كما روى ذلك عن ابن عباس وقتادة - ذكره السيوطي في الدر (٣٩٥/٦) وقال : أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس . انظر : تفسير ابن جرير (٥٤٤/٢٣) .

(٢) انظر : (التحرير والتنوير) (٨٠/٢٩) .

## المطلب الرابع : الدروس المستفادة من ذلك :

أولاً : في القصة أدب رفيع سام وهو : أن من كان له من الزرع أو الثمر ما يجد ينبغي أن لا يجذه ليلاً حتى لا يحرم الفقراء من الأكل منه ، وعليه أن يواسي من حضر الجذاذ والقطع شيئاً يسيراً من ذلك كما ذكر الله تعالى ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ... ﴾ إلى قوله ﴿ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾<sup>(١)</sup> [النساء: ٨] .

ثانياً : المعاصي سبب لعقاب الله الدنيوي .

لأن من سنة الله أن المعاصي من أسباب حلول المصائب والنكبات التي يمكن اعتبارها من أنواع العقاب في الدنيا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب قال تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾<sup>(٢)</sup> [الشورى: ٣٠] .

قال ابن كثير : « أي : مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما عن سيئات تقدمت لكم ﴾ ﴿ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] أي : من السيئات ، فلا يجازيكم عليها ؛ بل يعفو عنها<sup>(٣)</sup> فلا يعاقبكم عليها عاجلاً ، قيل : وآجلاً .

ألا فليحذر الداعون إلى الله - تعالى - من ارتكاب المعاصي حتى يكون لدعوتهم نورٌ في قلوب مدعويهم ، وإذا أذنبوا فعليهم الإسراع بالتوبة والاستغفار .

ثالثاً : في قوله تعالى : ﴿ ...إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُّصْبِحِينَ ۚ وَلَا يَسْتَتِنُونَ ﴾ [القلم: ١٧-١٨] دليل على أن العزم الأكيد يؤخذ به الإنسان ؛ لأنهم عزموا على أن يحرموا الفقراء نصيبهم فعاقبهم الله على فعلهم .

وبذلك يتبين أن الإنسان إذا عزم على فعل الشر أو على منع الغير حقه أو نحو ذلك من المعاصي القلبية فإنه يؤخذ عليها .

ويؤيد ذلك ما ورد في الصحيح عن النبي ﷺ قال : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه »<sup>(٤)</sup> ومعناه هنا : العزم على قتل صاحبه .

(١) وانظر الكلام في ذلك في القرطبي (٢٣٩/١٨) .

(٢) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٣١ .

(٣) تفسير ابن كثير (١٢٥/٤) .

(٤) رواه البخاري - كتاب الديات - باب قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ [المائدة: ٣٢] -

وعند الترمذي وصححه مرفوعا « إنما الدنيا لأربعة نفر : رجل أعطاه الله مالا وعِلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل به رحمه ولا يعلم الله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء »<sup>(١)</sup> ...

قال القرطبي<sup>(٢)</sup> :

« ولا يلتفت إلى خلاف من زعم أن ما يهيم الإنسان به وإن وطن عليه لا يؤاخذ به ، ولا حجة له في قوله عليه السلام « من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة »<sup>(٣)</sup> لأن معنى ( فلم يعملها ) فلم يعزم على عملها بدليل حديث البخاري ( إذا التقى ) وحديث الترمذي ( إنما الدنيا .. ) ».

رابعاً : يستدل بهذه القصة على أن من تعمد نقص النصاب قبل الحول للفرار من الزكاة أو خالط غيره أو فارق قبل الخلطة أوفرق ماله فإن ذلك لا يسقط الزكاة عنه ، ووجه ذلك : أنهم قصدوا بقطع الثمار إسقاط حق المساكين فعاقبهم الله بإتلاف ثمارهم<sup>(٤)</sup> .

خامساً : مشروعية الاستثناء في اليمين وأنه تسبيح لله - تعالى - وأن تركه يوقع في الإثم ؛ ولذا إذا حنث الخالف ولم يستثن وقع في الإثم الذي لا يحصى إلا بالكفارة الشرعية التي حددها الشارع<sup>(٥)</sup> .

سادساً : صلاح الآباء ينفع الأبناء ؛ ولذا انتفع أصحاب الجنة بصلاح أبيهم الذي

=

(١) (٢٦٧/٤) برقم [٦٨٧٥] ، ورواه أيضا في كتاب الفتن - باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما -

(٢٢١٣/٤) برقم [٢٨٨٨] .

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . كتاب الزهد

- باب (١٧) ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (٣/٥٦٢ ، ٥٦٣) برقم [٢٣٢٥] .

(٢) تفسير القرطبي (٢١٥/٤) .

(٣) جزء من حديث رواه البخاري - كتاب الرقاق - باب من هم بحسنة أو بسيئة (٤/١٨٩)

برقم [٦٤٩١] ، ورواه مسلم - كتاب الإيمان - باب إذا هم العبد بحسنة وإذا هم بسيئة لم تكتب

(١١٧/١) برقم [١٢٨] .

(٤) تفسير القاسمي (٢٦١/١٦) ؛ التحرير و التنوير (٨٩/١٤) .

(٥) وهي أي الكفارة : إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ؛ فإن لم يقدر على واحدة

منها صام ثلاثة أيام - انظر : أيسر التفاسير (٥/٤١٣) .

كان يتصدق على المساكين ، وعلامة ذلك انتفاعهم بالتوبة<sup>(١)</sup> ، فمن أراد صلاح ذريته من بعده فما عليه إلا أن يتقى الله - تعالى - ويخشاه ، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩] .

وقوله تعالى في قصة الغلامين اليتيمين الذين بنى الخضر - عليه السلام - جدارهما قال تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] الآية ، فما أجمل أن يكون العبد صالحاً فيحفظه الله في نفسه ، وفي ذريته من بعده ! .

سابعاً : الثبات على الحق منة وتوفيق من الله يثبت بها أوليائه قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فإذا علم ذلك وجب على أهل الحق الثبات عليه وإن كثر المخالفون والمبطلون والمرجفون ، وعليه أن يدافع عن مبدئه بكل ما أوتي من وسيلة مع بيان الحق بالأدلة الدامغة من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح ، ولا يسكت حتى لا يظن أنه موافق لهم فإن رجعوا للحق فالحمد لله وإن استنكفوا عنه فإن عليه أن يعترضهم .

استفدنا ذلك من نصح أوسطهم لهم حين قال ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] الدال على أنه نصحهم لكنهم غلبوه فخرج معهم مكرهاً .

وعلى الدعاة إلى الله - تعالى - توحيد كلمتهم ومعتقدهم المبني على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة السلف الصالح والابتعاد عن التفرق والتحاسد والجدال بالباطل ، فإن اختلفوا في شيء ردوه إلى الله والرسول وإلى أولي الأمر منهم من علماء ومصلحين - قال تعالى ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وقال تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ الآية [النساء: ٨٣] .

## المبحث الرابع

## عقوبة أصحاب الأخدود

## المطلب الأول : الآيات التي تناولت ذلك :

قال تعالى ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قَتِيلَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ ﴾ [البروج: ١-١٠] .

## لطائف الآيات :

أولاً : على قول من قال : إن جواب القسم ﴿ قَتِيلَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ﴾ فيكون المعنى : أقسم الله - تعالى - بالسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود<sup>(١)</sup> .

ثانياً : السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان<sup>(٢)</sup> ، وإشعار المسلمين أن قوة الله عظيمة وسيلقى المشركون جزاء صنيعهم .

ثالثاً : في قوله تعالى ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ [البروج: ٧] جملة في موضع الحال من الضمير ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [البروج: ٦] كأنه قيل : قعود شاهدون على فعلهم بالمؤمنين ، وفائدة هذه الحال تفضيع ذلك القعود وتعظيم جرمه ؛ إذ كانوا يشاهدون تعذيب المؤمنين دون رحمة بهم<sup>(٣)</sup> .

رابعاً : في قوله تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ﴾ [البروج: ٨-٩] .

(١) انظر : (تفسير الكشاف) (٧٢٩/٤) ؛ التفسير الكبير (١١٦/٣١) .

(٢) تفسير الكشاف (٧٣٠/٤) ؛ انظر : (التحرير و التنوير) (٢٣٦/٣٠) .

(٣) انظر : (التحرير و التنوير) (٢٤٣/٣٠) .

إجراء الصفات الثلاث ( العزيز ، الحميد ، الذى له ملك السماوات والأرض ) على اسم الجلالة لزيادة تقرير أن ما نكموه منهم ليس من شأنه أن ينقم ؛ بل هو حقيق بأن يمدحوا به ؛ لأنهم آمنوا برب يحب الإيمان به ونبذ ما عداه ؛ لأنه ينصر مواليه ويشبههم ولأنه يملكهم ، وما عداه ضعيف العزة لا يضر ولا ينفع ولا يملك منهم شيئاً<sup>(١)</sup> .

خامساً : آية ﴿ إِنِّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [ المروج : ١٠ ] ليست خاصة بأصحاب الأخدود ولا بكفار قريش ، وإنما هى عامة فى كل من يفتن المؤمنين والمؤمنات فى دينهم إلا من تاب قبل موته .

(١) انظر : (التحرير والتنوير) (٢٤٤/٣٠) .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

فتنتهم للمؤمنين وتعذيبهم .

قال الله تعالى ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج: ٤-٩] .

هذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأضرموا فيها النيران وأعدوا لها كل ما يستطيعون من وقود ثم جاءوا بالمؤمنين وفتنوهم ؛ فمن لم يرجع عن دينه قذفوه فيها لقساوة قلوبهم ، وغلظ أكبادهم .

﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج: ٧-٨] ذنبهم أنهم قالوا : ربنا الله القادر على ما يريد ، الحميد المستحق للحمد ، الذي من لاذ بجانبه عز وإن كان قد قدر على عباده هذا الذي وقع بهم ، فهو العزيز الذي لا يقهر ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله ، وقدرة المالك لجميع ما في السموات والأرض وما بينهما ، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده ، الشهيد على ما كان من أمر المؤمنين وأصحاب الأخدود ينتقم منه عاجلاً أو آجلاً <sup>(١)</sup> .

هذا ، وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ؟

والروايات كلها تقتضي أن المفتونين بالأخدود قوم اتبعوا النصرانية في بلاد اليمن على أكثر الروايات ، أو في بلاد الحبشة على بعض الروايات ، وذكرت فيها روايات متقاربة تختلف بالإجمال والتفصيل ، والترتيب والزيادة والتعيين ، وأصحها ما رواه مسلم والترمذي عن صهيب « أن النبي ﷺ قص هذه القصة على أصحابه » <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : (تفسير ابن كثير) (٤/٥٢٦) .

(٢) التحرير و التنوير (٣٠/٢٤١) ، ذكرها الترمذي في تفسير سورة البروج (٥/٤٣٧) كتاب التفسير - باب ومن سورة البروج برقم [٣٣٤٠] . ولولا خشية الإطالة لذكرت جميع الروايات ؛ ولكن نكتفي بما رود في الصحيح .

روى مسلم عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال « كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان في طريقه إذا سلك راهب ، ففقد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حسبي أهلى ، وإذا خشيت أهلك ، فقل : حسبي الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم ! الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل عليّ ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمى ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ها هنالك أجمع إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : ولك رب غيري ؟ قال : ربي ربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بني ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل . فقال : إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجئ بالراهب فقبل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقة حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقبل له : ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقبل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل . فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا



فاقدفوه ، فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله : فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كناتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : باسم الله ربّ الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهماً من كناته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، فأتى الملك ف قيل له : رأييت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرک قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فحُدت ، وأضرَم النيران . وقال : من لم يرجع عن دينه فأحْموه فيها أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعهما صبي فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام يا أمه ، اصبري فإنك على الحق <sup>(١)</sup> .

(١) رواه مسلم - كتاب الزهد - باب قصة أصحاب الأخدود و الساحر و الراهب و الغلام

المطلب الثالث : نوع العقوبة <sup>(١)</sup> :

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] .

أي : نالوا بالأذى وحرقوهم بالنار لثباتهم على إيمانهم ورفضهم العودة إلى ما كانوا عليه من الكفر ، ثم لم يتب أولئك الكفرة عما فعلوه بالمؤمنين والمؤمنات فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق في نار جهنم ، وبنفس اللفظ الذى يدل على الحدث ، ولكن أين حريق من حريق ؟ في شدته أو في مدته ! وحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق . وحريق بنار الآخرة بنار يوقدها الخالق ! وحريق الدنيا لحظات وتنتهي ، وحريق الآخرة أبداً لا يعلمها إلا الله ! ومع حريق الدنيا رضى الله عن المؤمنين ، وانتصار لذلك المعنى الإنساني الكريم ، ومع حريق الآخرة غضب الله .

فكان الجزاء من جنس العمل - قال الحسن البصرى : « انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة » <sup>(٢)</sup> .

(١) لم ينص على العقوبة الدنيوية لا من كتاب ولا سنة صحيحة صريحة غير أن ابن جرير - رحمه الله - روى بعد ذكر الحديث الصحيح السابق ذكره أثراً يذكر فيه أن أصحاب الأخدود عذبوا بالنار في الدنيا حيث قال : حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : « كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة ، وإن جباراً من عبدة الأوثان أرسل إليهم ، فعرض عليهم الدخول في دينه ، فأبوا ، فخذ أخدوداً وأوقد فيه ناراً ، ثم خيرهم بين الدخول في دينه ، وبين إلقاءهم في النار ، فاختاروا إلقاءهم في النار على الرجوع عن دينهم ، فألقوا في النار فنجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق بأن قبض الله أرواحهم قبل أن تمسهم النار ، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم فذلك قول الله تعالى ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ، ولهم عذاب الحريق في الدنيا - تفسير ابن جرير (٣٤١/٢٤) ؛ التفسير الكبير (١٣١/٣١) وللأثر متابعة عند ابن أبي حاتم فقد تابع عماراً أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي به (٣٤١٣/١٠) .

وهذا الاستدلال يعترض عليه بأن في الآية قرينة وهي : أن الضمائر راجعة إلى الكفار الذين قتلوا المؤمنين وأحرقوهم ، وهي : ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ حيث رتب العذاب المذكور على عدم التوبة ، وجاء بـ (ثم) التي هي للتراخي ، مما يدل على أنهم لم تحرقهم نارهم انتقاماً منهم حالاً ؛ بل أمهلوا ليتوبوا من فعلتهم الشنيعة ، وإلا فلهم العذاب المذكور في الآخرة . والله أعلم . انظر : (أضواء البيان) (١٤٥/٩) .

(٢) انظر : (تفسير ابن كثير) (٥٢٩/٤ ، ٥٣٠) ؛ في ظلال القرآن (٣٨٧٤/٦) .

**المطلب الرابع : الدروس المستفادة منها :**

أولاً : أعلم الله - تعالى - عباده المؤمنين من هذه الأمة ما حصل لأصحاب الأخدود من عذاب في الدنيا على أيدي الطغاة يؤنسهم بذلك ، ويذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها ، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق . وتمسكه وبذل نفسه في حق إظهار دعوته ، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره ، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار<sup>(١)</sup> .

**ثانياً : حكم إفشاء السر تحت وطأة التعذيب .**

رأينا في القصة أن الرجل الأعمى الذي رد الله عليه بصره قد أفشى السر تحت التعذيب حين دل على الغلام ، والغلام كذلك دل على الراهب فقتل الراهب وقتل الأعمى ثم قتل الغلام حين دلهم على طريقة قتله ، فما حكم فعلهم ذلك ؟ والجواب : أنه لا يجوز للمكره أن يدفع عن نفسه القتل بقتل غيره ؛ لأن التسبب في قتل الغير عمداً كبيرة من الكبائر . فعلى الدعاة إلى الله - تعالى - كتمان سرهم وعدم البوح به للطغاة المفسدين مهما كانت النتائج ، ما دام يعلم أن مصيرهم القتل ، ولقد ضرب الصحابة - رضي الله عنهم - أروع الأمثلة في الصبر على التعذيب حتى فارقوا الحياة دون أن يتنازلوا قيد أنملة لأعداء الله ، أمثال خبيب بن عدي حين عذبه أهل مكة حتى قتل ، وخبيب بن زيد حين عذبه مسيلمة الكذاب ثم قتله وغيرهم . قال القرطبي : أجمع العلماء على أن من أكره على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمة مجلد أو غيره ، ويصبر على البلاء الذي نزل به ، ولا يحل له أن يفدي نفسه بغيره ، ويسأل الله العافية ، أما من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان<sup>(٢)</sup> لقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] .

ثالثاً : في قصة الغلام عدد من العبر نلخصها فيما يلي<sup>(٣)</sup> :

(١) تفسير القرطبي (٢٩٣/١٩) .

(٢) المصدر نفسه (١٨٢/١٠) .

(٣) انظر أضواء البيان (١٤١/٩ : ١٤٢) .

١ - أن السحر بالتعلم ، وتعلمه كفر كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] وحده في الاسلام القتل كما في الحديث « حد الساحر ضربه بالسيف »<sup>(١)</sup> ، وكما جاء في كتاب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - « اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال الراوي : فقتلنا ثلاث سواحر »<sup>(٢)</sup> .

٢ - إمكان اجتماع الخير مع الشر ، إذا كان الشخص جاهلاً بحال الشر ، كاجتماع الإيمان مع الراهب مع تعلم السحر من الساحر .

٣ - إمكان حدوث خوارق العادات على أيدي دعاة الخير . لبيان الحق والتثبيت في الأمر ، كما قال الغلام « اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر » ؟

٤ - أنه كان أميل بقلبه إلى أمر الراهب ، إذ قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك ، فسأل عن أمر الراهب ولم يسأل عن أمر الساحر .

٥ - اعتراف العالم بالفضل لمن هو أفضل منه كاعتراف الراهب للغلام .

٦ - إسناد الفعل كله لله « إنما يشفي الله » .

٧ - غباوة الملك المشترك بالله ؛ حيث ظن في نفسه أنه هو الذي شفى جلسه الأعمى وهو لم يفعل شيئاً وكيف يكون وهو لا يعلم ؟

٨ - اللجوء إلى البطش والانتقام عند العجز عن الإقناع والإفهام أسلوب الجهلة والجبابة .

٩ - غلظ قلوب الجبابة وشدة قساوتها ؛ حيث نشروا الرجلين المؤمنين وشقوهما نصفين بدون أدنى رحمة .

(١) رواه الترمذي - كتاب الأخدود - باب ما جاء في حد الساحر - (٦٠/٤) برقم [١٤٦٠] قال الترمذي : والصحيح أن هذا الحديث موقوف على رواية (جندب) والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ، ورواه الدارقطني (علي بن عمر) في سننه (١١٤/٣) برقم [١١٢] ط دار إحياء التراث العربي . ورواه الطبراني (١٦١/٢) برقم [١٦٦٥] ، ورواه البيهقي - كتاب القسامة - باب تكفير الساحر وقلته - (١٣٦/٨) .

(٢) مسند الإمام الشافعي (محمد بن إدريس) ص "٣٨٣" ط دار الريان للتراث ، ورواه أحمد (١٩٠/١) - (١٩١) برقم [١٦٥٧] ، وسنده صحيح ، صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٢٣/٣) ، وشعيب الأرناؤوط وآخرون في تعليقه على المسند (١٩٧/٣) .

١٠ - منتهى الصبر الذى التزم به كل من الرجلين المؤمنين حتى فارقا الحياة ،  
وبيان فضل الله على هذه الأمة إذ جاز لها التلفظ بما يخالف عقيدتها وقلبها  
مطمئن بالإيمان .

١١ - إجابة دعوة الغلام ونصرة الله لعباده المؤمنين حيث قال « اللهم اكفنيهم  
بما شئت » .

١٢ - التضحية بالنفس في سبيل نشر دعوة الله ؛ حيث دل الغلام الملك على  
الطريقة التى يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان بالله ولو كان الوصول لذلك  
على حياته ، وعلى هذا يجوز للمسلم أن يعرض نفسه للموت إذا غلب على ظنه أن في  
فعله مصلحة للمسلمين ، وقد كان الصحابة ينغمسون في العدو بحضرة النبي ﷺ  
ولا ينكر عليهم<sup>(١)</sup> .

رابعاً : عظم منة الله على عباده ؛ حيث يدعوهم بعد فعل الذنب إلى التوبة  
والرجوع إليه حيث قال ﴿ إِنِّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾  
[البروج: ١٠] وفي هذا تصريح بأن التوبة تسقط أثر الذنب وترفع العقوبة<sup>(٢)</sup> .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧٩/٢٥) .

(٢) التفسير المنير (١٦٣/٣٠) .

## المبحث الخامس

### عقوبة أهل سبأ

#### المطلب الأول : الآيات التي تحدثت عن عقوبتهم :

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٥-١٩] .

لطائف الآيات :

- ١ - إن قصة أهل سبأ لم تذكر في القرآن إلا مرة واحدة .
- ٢ - سبأ : اسم رجل ، لما روى ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو ، أرجل أم امرأة أم أرض ؟
- قال ﷺ « بل هو رجل ، ولد له عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، والشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون : فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمير ، وأما الشامية : فلخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان »<sup>(١)</sup> .

(١) رواه أحمد - (١/ ٣١٦) - برقم [٢٩٠٠] ، وذكره الطبري (٢/ ٣٧٥) ورواه الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب (ومن سورة سبأ) (٥/ ٣١٦) برقم [٢٣٢٢] وقال : حسن غريب ، وله طرق متعددة يقوى بعضها بعضاً ، قال عنه ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٣٨) : وهذا حديث حسن ، وقال ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٨٦) قلت : حديث ابن عباس وفروة صححهما الحاكم - وفروة هو ابن مسيك عند الترمذي . وانظر : تهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٨) .

- مذحج : اسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، سمي مذحج لأنه ولد على أكمة باليمن يقال لها مذحج انظر : (عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب) للحازمي الهمداني (أبو بكر بن أبي عثمان) ص "١١١" .

- كندة : اسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد (وذكره) وسمي كندة لأنه كند أباه نعمته أي : كفرها - المرجع السابق ص "١٠٧" .

- الأزد : هم بنو دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

انظر : نفس المصدر ص "١٠" .

٣ - قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق :

اسم سبأ : عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وسمي سبأ لأنه أول سبأ في العرب ، وكان يقال له الرائش ؛ لأنه أول من غنم فأعطى قومه فسمى الرائش ، والعرب تسمى المال ريشاً ورياشاً<sup>(١)</sup> .

٤ - قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ ﴾ [سبأ: ١٥] ولم يقل آيتان جنتان ، وكل جنة كانت آية فلم ؟

والجواب : لما تماثلتا في الدلالة ، واتحدت جهتها فيهما جعله آية واحدة ، ونظيره قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾<sup>(٢)</sup> [المؤمنون: ٥٠] .

٥ - في قوله تعالى ﴿ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا... ﴾ [سبأ: ١٨] قدمت الليالي على الأيام للاهتمام بها في مقام الامتنان ؛ لأن المسافرين أحوج إلى الأمن في الليل منهم إليه في النهار ؛ لأن الليل تعترضهم فيه القطاع والسباع<sup>(٣)</sup> .

٦ - أشارت آية ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ: ١٩] إلى التفرق الشهير الذي أصيبت به قبيلة سبأ حتى ضرب بهم المثل في قولهم ( تفرقوا أيدي سبأ )<sup>(٤)</sup> .

٧ - جمع كلمة الآيات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٩] .

=

- الأشعريون : نسبة إلى الأشعر واسمه أنبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . انظر نفس المرجع ص "١٦" .

- وحمير : هو حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ الأصغر بن لهيعة بن حمير بن سبأ بن يشجب وهو حمير الأكبر - وإلى حمير بن الغوث تنسب اللغة الحميرية - معجم البلدان (٣٥٢/٢) - برقم [٣٩٣٣] .

- لحم : مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب ، سمي لحما لأنه لطم ، واللحمة هي اللطمة : نفس المرجع ص "١٠٩" .

- جذام : هي أمه ، واسمه عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد .. نفس المرجع ص "٣٩" .

- عاملة : اسمه الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب . نفس المرجع ص "٨٣" .

- غسان : هو مازن بن الأزد بن الغوث ... انظر نفس المرجع ص "٩٨" .

(١) انظر : (تاريخ الطبري) (٢١١/١) ؛ البداية والنهاية (١٥٨/٢) ؛ تاريخ ابن خلدون (٥٢/٢) .

(٢) تفسير الرازي المسمى (أنموذج جليل) ص "٤١٨ ، ٤١٩" .

(٣) التحرير والتنوير (١٧٦/٢٢) .

(٤) انظر : (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (١٠٥/١٣) ط الدار المصرية، لسان

العرب (١٣٦/٦) .

لأنه في القصه عدة آيات وعبر ، ففي مساكنهم آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه ، وفيه آية على أنه الواحد بالتصرف ، وفي إرساله سيل العرم آية على انفراده بالتصرف ، وعلى أنه المنتقم وعلى أنه واحد ، فلذلك عاقبهم على الشرك.

وفي تبدل حالهم من الرفاهة إلى الفقر آية على تقلب الأحوال وتغير العالم ، وآية على صفات الأفعال لله - تعالى - من خلق ورزق وإحياء وإماتة .

وكان من عمران إقليمهم واتساع قراهم إلى بلاد الشام آية على مبلغ العمران وعظم السلطان من آيات التصرفات ، وآية على أن الأمن أساس العمران ، وفي تمنيههم زوال ذلك آية على ما قد تبلغه العقول من الانحطاط المفضي إلى اختلال أمور الأمة وذهاب عظمتها ، و فيما صاروا إليه من التروح عن الأوطان والتشتت في الأرض آية ما يلجئ الاضطراب إليه الناس من ارتكاب الأخطار والمكاره<sup>(١)</sup> .

٨ - ما سر الجمع بين صبار وشكور في الوصف ؟

والجواب : لإفادة أن واجب المؤمن التخلق بالخلقين وهما : الصبر على المكاره ، والشكر على النعم<sup>(٢)</sup> .

(١) التحرير والتنوير (١٨٠/٢٢) .

(٢) التحرير والتنوير (١٨٠/٢٢) .



## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

## كفران النعمة .

بعد ما ذكر الله من حال الشاكرين لنعم الله المنيين إليه وهما داود وسليمان - عليهما السلام - بين تعالى حال الكافرين بأنعمه ، بذكر قصة أهل سبأ تذكيراً وتحذيراً لقريش ووعيداً لكل من يكفر بنعم الله - تعالى - عليه .

وبداية كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التابعة منهم ، وبلقيس صاحبة سليمان - عليه الصلاة والسلام - من جعلتهم ، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم ، وأمروا بأن يأكلوا من رزق الله ويشكروه ويوحدوه ويعبدوه فكانوا كذلك ما شاء الله - تعالى - ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد .

وكان من خبرهم ما قصه الله علينا في سورة سبأ ؛ حيث أنعم الله عليهم ببساتين عن يمين واديهم وشماله ، وكانت مساكنهم في الوادي ، وكان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه سيول أمطارهم وأوديتهم ، فبنوا بينهما سداً عظيماً حتى ارتفع الماء ، فخصبت أرضهم ، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ [سبأ: ١٥] هذا الإنعام بتوحيده وعبادته وطاعته واجتناب معاصيه ( بلدة طيبة ) لكثرة أشجارها وطيب ثمارها ، واعتدال هوائها ، وطيب مناخها ، والله - تعالى - المنعم عليكم بهذه النعم رب غفور لذنوبكم متى أذنبتهم واستغفرتهم ، وقد ذكر غير واحد من السلف<sup>(١)</sup> أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل ، وهو الذي تخترف فيه الثمار ، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف ؛ لكثرته ونضجه واستوائه . وذكروا أنه لم يكن فيها شيء مؤذٍ لطيب هوائها<sup>(٢)</sup> ، ومن مظاهر نعم الله عليهم أيضاً : أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض

(١) منهم قتادة والسدي وابن زيد وغيرهم ، انظر : (الدر المنثور) (٤٣٤/٥ ، ٤٣٥) ؛ تفسير ابن أبي حاتم (٣١٦٥/١٠ ، ٣١٦٧) .

(٢) انظر : (تفسير ابن جرير) (٣٧٦/٢٢) وسنده حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله لقد كان لسبأ في مسكنهم آية... الخ .

المباركة هيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها ، بغاية السهولة ، من الأمن ، وعدم الخوف ، وتواصل القرى بينهم وبينها حتى لا يحصل لهم مشقة بحمل الزاد ، وهذا من تمام نعمة الله عليهم .

فأعرضوا عن المنعم وعن عبادته ويطروا النعمة وملّوها ، حتى إنهم دعوا على أنفسهم فطلبوا وتمنوا ، أن تتباعد أسفارهم ﴿ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [سبأ: ١٩] بكفرهم بالله وبنعمته .

## المطلب الثالث : نوع العقوبة :

قال الله تعالى ﴿ فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ <sup>(١)</sup> وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٦-١٧] .

وقال سبحانه : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٩] هذا هو كفر الإعراض عن توحيد الله وعبادته وطاعته وشكره على ما أنعم به عليهم ، فأرسل الله عليهم سيل العرم بأن تحطم سد مأرب ، فملاً الماء الوادي وأغرق البساتين الخضراء ثم يبست ودفنت البيوت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة ، والأشجار المثمرة إلى أشجار لانفع فيها ، فكان ذلك جزاء لهم ، والجزاء من جنس العمل ، فكما بدلوا الشكر الحسن بالكفر القبيح ، بدلوا بالنعمة ففارقوا وتمزقوا ، بعد ما كانوا مجتمعين ، وجعلهم الله أسماراً للناس يتحدث بهم من يتحدث ، ويشمت بهم من يشمت ، ويتعظ من يتعظ ، فكان يُضرب بهم المثل في التفرق فيقال ( تفرقوا أيدي سبأ ) ولكن لا ينتفع بالعبرة إلا من قال الله فيهم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٩] صبار على المكاره والشدائد يتحملها لوجه الله ، ولا يتسخطها بل يصبر عليها ، شكور لنعمة الله تعالى يُقرُّ بها ويعترف ، ويشني على من أولاهها ويصرفها في طاعته <sup>(٢)</sup> ويعتبر بما أصاب غيره من نقمة وعذاب ؛ فيكون صباراً على المصائب والمكاره شكوراً على النعم والعطايا . وهكذا كان من أكبر أسباب زوال النعمة كفرانها .

ولهذا قيل ( من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقلها ) <sup>(٣)</sup> .

(١) العرم : جمع عَرَمَة - بفتح الراء وكسرهما - وهي السد الذي يجبس الماء وعن ابن عباس : الشديد . وقال ابن الأعرابي : السيل الذي لا يطاق - وقال قتادة ومقاتل : إنه اسم الوادي . انظر : (لسان العرب) (١٧٢/٩) ؛ معجم البلدان (١٢٣/٣) . وانظر : (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) (٤٩١/٣) . وقد وصفه الهمداني في كتابه (وصف جزيرة العرب ص (١٤٧ ، ٢٢١) ط دار الإمامة سنة (١٣٩٧هـ) وانظر : (تفسير المراغي) (٧١/٨) ، وياقوت في معجمه (٤١/٥) باب الميم مع الألف ؛ التحرير والتنوير (١٦٩/٢٢ ، ١٧٠) .

(٢) انظر : (تفسير ابن كثير) (٥٤٠/٣ : ٥٤١) ؛ انظر : تيسير الكريم الرحمن (١٨٤/٤ ، ١٨٥) ؛ انظر : تفسير المراغي (٧٠/٨) ؛ تفسير القاسمي (١٤/١٤ ، ١٥) ، أيسر التفاسير (٣١٣/٤ ، ٣١٤) .

(٣) التحرير والتنوير (١٧٦/٢٢) .

## المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبتهم :

أولاً : التحذير من الإعراض عن دين الله ، فإنه متى حصل لأمة نزلت بها النقم وسلبها الله النعم ، وحاسبها عليها لتهلك في الآخرة .

قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [١٧٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٧٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٧٦﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] .

ألا فليقت الله أناس يتعمدون الإعراض عن دين الله لا يتعلمونه ولا يريدون تعلمه ولا يعملون به . وقد حقق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة فجعلها من كفر الإعراض<sup>(١)</sup> بدليل قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢] .

ثانياً : قال القرطبي في قوله تعالى ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧] في هذه الآية سؤال ليس في السورة أشد منه ، وهو أن يقال : لم خص الله - تعالى - المجازاة بالكفور ، ولم يذكر أصحاب المعاصي ؟ فتكلم العلماء في هذا فقال قوم : ليس يجازى بهذا الجزاء الذي هو الإستئصال والإهلاك إلا من كفر . قال مجاهد : يجازى بمعنى : يعاقب ؛ وذلك أن المؤمن يُكْفَرُ الله - تعالى - عنه سيئاته ، والكافر يجازى بكل سوءٍ عَمِلَهُ ؛ فالمؤمن يُجْزَى ولا يُجْزَى ؛ لأنه يثاب . وقال طاووس : هو المناقشة في الحساب ، وأما المؤمن فلا يناقش الحساب . وقال قطرب<sup>(٢)</sup> خلاف هذا حيث جعلها في أهل المعاصي غير الكفار وقال : المعنى على من كفر بالنعم وعمل بالكبائر .

وقال النحاس<sup>(٣)</sup> : وأولى ما قيل في هذه الآية وأجل ما روي فيها : أن الحسن

(١) كتاب مجموعة التوحيد - لأحمد بن تيمية الحراني ، محمد بن عبد الوهاب النجدي ص "٣٣" ط دار اليقين .

(٢) محمد بن مستنير أبو علي النحوي لقبه استاذة سيويه بقطرب ، له تصانيف الكثير منها : إعراب القرآن ومجازه ، والعلل في النحو ، والنوادر ، وغيرها . انظر : (بغية الوعاة) (١/٢٤٢، ٢٤٣) .

(٣) النحاس : هو الإمام أبو جعفر : أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المفسر النحوي المعروف بالنحاس أو بابن النحاس ، ولد بمصر وتوفي بها ، إمام محقق صاحب التصانيف التي تربو على

قال : مثلاً بمثل . وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حوسب هلك » فقلت : يا نبي الله ، فأين قوله جل وعز : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٨] ؟ قال : « إنما ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك »<sup>(١)</sup> وهذا إسناد صحيح ، وشرحه : أن الكافر يجازى على أعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ؛ ويبيّن هذا قوله تعالى في الأول ﴿ ذَلِكْ جَزَايَنَّهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾ [سبأ: ١٧] فأما المؤمن فيجزى ؛ لأنه يزداد ويتفضل عليه ولا يجازى ، ألا ترى أنه قال ﴿ ذَلِكْ جَزَايَنَّهُمْ ﴾ ولم يقل ( جازيناهم )<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : الشكر موجب للمزيد<sup>(٣)</sup> ، والإجحاف في إيفائها حقها من الشكر يعرض بها للزوال ، فعلى العبد الحذر من كفر النعم بالاسراف فيها وصرفها في غير مرضاة الله ؛ بل على العبد شكر الله - تعالى - بقلبه ولسانه وجوارحه ، فأما شكر القلب فبأن يعتقد الإنسان بقلبه أن هذه النعمة من فضل الله وليست بحول أحد وقوته ، وأما شكر اللسان فالتحدث بهذه النعمة لقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] .

وأما شكر الجوارح فبأن يقوم الإنسان بالعمل الصالح بجوارحه<sup>(٤)</sup> . قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] .

=

الخمسین ، رحل إلى بغداد لطلب العلم ، ثم عاد إلى مصر إلى أن مات بها سنة (٣٣٨ هجرية) - الأنساب للسمعاني (٤٤/١٣) ؛ اللباب ، ابن الأثير (٣٠٠/٣) .  
(١) رواه البخاري - كتاب العلم - باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه (٥٤/١) برقم [١٠٣] وأطرافه في (٤٩٣٩ ، ٦٥٣٦ ، ٦٥٣٧) ، ورواه مسلم - كتاب الجنة وصفه نعيمها - باب إثبات الحساب (٢٢٠٤/٤) برقم [٢٨٧٦] .  
(٢) انظر : معاني القرآن (للفراء) يحيى بن زياد (٣٥٩/٢) ، ط دار السرور ؛ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٤) .

(٣) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب - ابن القيم ص (١٤٤) ط مكتبة المؤيد .  
(٤) انظر : (الأحكام من القرآن) ص "٢٢٥" ، وفي كتاب عدة الصابرين لابن القيم (فصل شكر الله تعالى) ص "١٤٠" ط دار الكتب العلمية .

رابعاً : قوله تعالى ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ﴾ الآية [ سبأ: ١٩ ] أنهم دعوا على أنفسهم وظلموها فوافقت من الله الإجابة على ما هم عليه من كفران بالله ونعمته ؛ فعلى ذلك ينبغي للمسلم الحذر من الدعاء على نفسه وعلى أولاده وأهله في وقت شدة أو ساعة غضب ، فلربما وافقت من الله ساعة يستجاب فيها الدعاء .

وفي الحديث « ... لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة سئل فيها عطاء فيستجيب لكم »<sup>(١)</sup> .

خامساً : في الآية دلالة واضحة على تأمين الطريق وتيسير المواصلات لتيسر تبادل المنافع واجتلاب الأرزاق ، من أجل ذلك كان حقا على ولاة أمور المسلمين أن يسعوا جهدهم في تأمين البلاد وحراسة السبل وتيسير الأسفار وإقرار الأمن في سائر نواحي البلاد ، فهو من أهم ما تنفق فيه أموال المسلمين وما تبذل فيه أموال أهل الخير من الموسرين<sup>(٢)</sup> لقوله ﷺ « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »<sup>(٣)</sup> .

سادساً : عاقبة من بدل وغير بعد أن بلغ التدمير الشامل أو بعضه وتغير نمط الحياة من رفاه ونعومة إلى تعب وكد وشظف وخشونة عيش ، وإن فيها لعبرة ودلالة لكل صبار عن المعاصي شكور لنعم الله تعالى .

(١) رواه مسلم - كتاب الزهد - باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (٢٣٠١/٤) برقم [٣٠٠٩] .

(٢) انظر : (التحرير والتنوير) (١٨١/٢٢) .

(٣) رواه البيهقي في سننه - باب ما على الوالي من أمر الجيش (٤١/٩) وبسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ورواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب (١٦) ما جاء في رحمة المسلمين (٣٢٣/٤) برقم [١٩٣٤] وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم (١٧٥/٤) ورقمه [٧٢٧٤] لما له من الشواهد ووافقه الذهبي . وانظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (١٠٩) ، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٩٢٥] . ورواه البخاري في الأدب المفرد بلفظ « ارحموا ترحموا » - باب رحمة البهائم ص "١٥١" برقم [٢٩٣] صحيح الأدب المفرد .

## المبحث السادس

### عقوبة أصحاب الرس<sup>(١)</sup>

#### تمهيد :

أصحاب الرس أممٌ عَجِبَ في التعدي على الأنبياء من كذب قبلهم من الأمم ، حيث اكتفى بعضهم بالتهديد قولاً وآخرون جادلوا أنبياءهم وأمهلوهم حتى بلغوا دعوة الله ثم أرادوا قتلهم فأبناهم الله منهم . كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب .

أما أصحاب الرس فقد كذبوا من أول وهلة وأخذوا نبيهم ورموه في بئر لهم أو حفرة عميقة حفروها ، وتركوه فيها حتى مات ، فجاءهم عذاب الله بغتة دون إمهال ؛ حيث قطع الله دابرهم . وسوف ترى أيها القارئ أن سياق الآيات في الحديث عنهم لا يطيل ذكرهم ولا يعدد أفعالهم السيئة ، وهذا والله أعلم يؤيد ما ذكرنا أنهم قتلوا نبيهم بسرعة ، فكان الجزاء من جنس العمل .

#### زمنهم الذي عاشوا فيه :

الحقيقة أنه ليس في التعرف على أصحاب الرس وفي الكشف عن موطنهم وزمنهم ورسلمهم ما يزيد في حجم أو أثر العبرة والعظة من مهلكهم<sup>(٢)</sup> .

أما ما قصدناه من وضعهم هنا بعد زمن عيسى - عليه السلام - فبناءً على ما يلي :

أولاً : أن في قوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ

(١) الرّسّ : (بفتح أوله والتشديد) وهي البئر المطوية بالحجارة ، انظر : (تاج العروس) (٤/١٦١) .

وفي اللسان : أهل الرس الذين يتدنّون الكذب ويوقعونه في أفواه الناس ، والرس : الإفساد وإثبات العداوة ، وكل ذلك صادق فيهم . انظر : (لسان العرب) (٥/٢٠٩) .

وانظر : (بجاز القرآن) ، لأبي عبيدة (معمر بن المثنى التيمي) (٢/٧٥) تحقيق د/ محمد فؤاد سزكين ، ط مؤسسة الرسالة ؛ وانظر : (تفسير الطبري) (١٩/٢٧٠) ؛ وانظر : فتح الباري (٨/٦٣٠) .

(٢) انظر : (التفسير القرآني للقرآن) عبدالكريم الخطيب (٢٠/٢٦) .

كثيراً ﴿ [الفرقان: ٣٨] بيان أنهم كانوا متأخرين جداً عن عاد وعن ثمود بدليل ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> فهناك كثير من الرسل بعثهم الله تعالى إلى أقوام عديدين في تلك الحقبة بين نوح ، وبين عادٍ و ثمود وأصحاب الرس أهلكهم الله .

ثانياً : ذكر كثير من السلف أن نبي أصحاب الرس هو (حنظلة بن صفوان) - عليه السلام - وقد جاء ترتيبه تحت أسماء من ولد مختوناً بعد عيسى - عليه السلام - قال محمد بن حبيب الهاشمي <sup>(٢)</sup> : من ولد مختوناً من الأنبياء أربعة عشر آدم ، شيث ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى ، وسليمان ، وزكريا ، وعيسى ، وحنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس <sup>(٣)</sup> .

وقد ذكر القرطبي بعد تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَلَمَةً ﴾ [الأنبياء: ١١] أن أهل التفسير والأخبار قالوا : إنه أراد أهل حضور وكان بعث نبي اسمه (شعيب بن مهْدَم) وقبره بجبل يقال له : (ضنن) كثير الثلج ، وليس بشعيب صاحب مدين ؛ لأن قصة حضور قبل مدة عيسى - عليه السلام - وبعد مئتين من السنين من مدة سليمان - عليه السلام - ، وأنهم قتلوا نبيهم ، وقتل أصحاب الرس في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه (حنظلة بن صفوان) <sup>(٤)</sup> والشاهد معنا قوله (وقتل أصحاب الرس...) وهذا يقتضي أنهم بعد عاد و ثمود بدهور طويلة جداً .

وفي الإكمال <sup>(٥)</sup> حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس .

(١) أي : وأهلكنا قروناً كثيرة بين عاد وأصحاب الرس - انظر : (تفسير البغوي) (١٧٩/٦) ، الباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي (٥٣٤/١٤) ط دار الكتب العلمية .

(٢) محمد بن حبيب الهاشمي : علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر كان عالماً لا يُملُّ مجلسه صاحب مصنفات كثيرة ، مات بسامراء سنة خمس وأربعين ومائتين ، انظر : بغية الوعاة (٧٣/١) ، الأعلام (٧٨/٦) .

(٣) تفسير القرطبي (١٠٠/٢) .

(٤) تفسير القرطبي (٢٧٤/١١) .

(٥) انظر : (الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، للأmir الحافظ علي بن هبة الله أبي نصر بن ماکولا (٥٧/٧) ط دار الكتب العلمية ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٥/٢) .



وفي مسائل الإمام أحمد<sup>(١)</sup> حنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس حيث ذكره تحت أسماء من خلُق مختوناً منهم حنظلة بن صفوان .

وعند ابن حجر<sup>(٢)</sup> أن نبي أصحاب الرس خالد بن سنان - بعث مبشراً بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وردت ابنة له عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير ، وأكرمها وقال لها : « مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه »<sup>(٣)</sup> .

وعن سعيد بن جبير قال : جاءت ابنة خالد بن سنان العبسي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « مرحبا بابنة نبي ضيعة قومه » .

ثم ذكر أنه لم يكن في بني إسماعيل نبي غيره ، قبل محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> . والمقصود أنه إن كان نبي أصحاب الرس خالد بن سنان أو حنظلة بن صفوان فما يهمنا هنا إلا إثبات أن أصحاب الرس كانوا بعد عيسى - عليه السلام - .

ولا يمنع ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦] للفرق بين الرسول والنبي<sup>(٥)</sup> ، ثم لما ثبت من وجود أنبياء بشروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قبل وبعد عيسى عليه السلام .

أما ماجاء عند الطبري<sup>(٦)</sup> من أن أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود فسنده ضعيف<sup>(٧)</sup> هذا أولاً .

(١) مسائل الإمام أحمد (١٣/١) بتحقيق : د/فضل الرحمن دين محمد .

(٢) الإصابة (١٧٨/٣-١٨١) وقال رجاله ثقات إلا أنه مرسل .

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (١٤٩/١٢) برقم [٣٤٤٢٩] وقال : ذكره في أماليه عن سعيد بن جبير مرسلًا ورجاله ثقات ، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٩٩/٢) وأورده الهيثمي في الزوائد (٢١٤/٨) عن خالد بن سنان ، وقال رواه الطبراني وفيه قيس بن الربيع وثقة شعبة والثوري وضعفه أحمد مع ورعه وابن معين .

(٤) الإصابة (١٧٩/٣) .

(٥) انظر : (شرح العقيدة الطحاوية) ص "١٥٤" ، ولا يرد عليه بقوله ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي » ، قال المناوي : أي من أولي العزم ، فلا يرد خالد بن سنان بفرض تسليم كونه بينهما . انظر : فيض القدير (٤٧/٣) .

(٦) تفسير الطبري (٢٦٩/١٩) وسنده حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ، قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس .

(٧) وضعفه الشيخ محمود شاكر لضعف الحسين بن داود (سنيد) ثم إن هذه الرواية جاءت من طريق ابن جريج عن ابن عباس ، وتوثيقها يحتاج إلى دقة في البحث ؛ فإن ابن جريج لم يقصد الصحة في كل ما جمع ، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم . انظر : (التفسير والمفسرون) (٧٩/١) .

ثانياً : أن ابن كثير<sup>(١)</sup> رد ذلك وذكر أن الحافظ بن عساكر<sup>(٢)</sup> ذكر في أول تاريخه أن أصحاب الرس كانوا بحضور<sup>(٣)</sup> فبعث الله إليهم نبياً يقال له : (حنظلة بن صفوان) فكذبوه ، وقتلوه ، فسار عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرس فنزل الأحقاف ، وأهلك الله أصحاب الرس ، وانتشروا في اليمن كلها ، وفشوا في الأرض كلها... فبعث الله هوداً إلى عاد فكذبوه ، فأهلكهم الله ، فهذا يقتضي أن أصحاب الرس قبل عاد بدهور متطاولة - فالله أعلم - .

وهذا اجتهاد منه يرده ما ذكرناه سابقاً من أن حنظلة بن صفوان أو خالد بن سنان نبيا أصحاب الرس ، وقد جاء ذكرهما بعد عيسى - عليه السلام - . إلا إذا كان ابن كثير على إمامته وفضله في هذا العلم ارتضى هذا بناءً على أن أصحاب الرس بُعث إليهم أكثر من نبي كما أرسل إلى نبي إسرائيل أنبياء كثيرون ، فذكروا مرة قبل عاد وثمود وذكروا أخرى بعد عيسى - عليه السلام - ، ولا مانع أن تتعدد العقوبة عليهم كما تعددت على بني إسرائيل .

ثالثاً : أن الله تعالى قال : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨] أي : أهلك الله أمماً كثيرة ما بين عاد وأصحاب الرس ، وهذا يقتضي أن أصحاب الرس بعد عاد بدهور طويلة .

رابعاً : لا يوجد نص قاطع يبين زمن أصحاب الرس ، وكل ذلك اجتهاد يحتاج إلى دليل .

(١) البداية والنهاية (٢٢٧/١) .

(٢) الحافظ ابن عساكر هو : (علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، أبو القاسم الدمشقي الشافعي) عاش في بيت علم وسمع من كثير من العلماء وكان معروفاً بالفطنة والذكاء عرف بعد ذلك بمؤرخ الشام وحافظ العصر له مؤلفات كثيرة منها : (تاريخ مدينة دمشق) وت سنة (٥٧١هـ) ، انظر : (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي (عبد الوهاب بن علي) (٢١٥/٧) ط دار إحياء الكتب العربية .

(٣) حضور : بلدة باليمن من أعمال زبيد . انظر : (معجم البلدان) (٣١٤/٢) .

## المطلب الأول : الآيات التي تحدثت عنهم

أولاً : سورة الفرقان .

قال تعالى : ﴿ وَقَوْمِ نُوحٍ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٢٧) وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ (٢٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ (٢٩) [ الفرقان: ٣٧-٣٩ ] .

ثانياً : سورة ق .

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرِّسِّ وَثَمُودُ ﴾ (٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ (٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ (٤) [ ق: ١٢-١٤ ] .

لطائف الآيات :

أولاً : آخر ثمود هنا في الآية للفاصلة .

ثانياً : جاء ذكر أصحاب الرس في معرض ذكر الأقوام المكذبين مما يدل على أن كل قوم منهم خصهم الله ببعثة رسول .

هذا وقد اختلف أهل التفسير في ما ذكره الله من شأن أصحاب الرس وأحسن من جمع الأقوال في ذلك صاحب زاد المسير<sup>(١)</sup> حيث قال :

إن في تسميتها بالرس قولين :

أحدها : أنهم رسوا نبيهم في البئر ، قاله عكرمة ، قال الزجاج : رسوه ، أي : دسوه فيها .

الثاني : أن كل بئر لم تطوف فهي رس ، قاله ابن قتيبة<sup>(٢)</sup> .

(١) زاد المسير (١٥/٦) ؛ وانظر : (المحرر الوجيز) (٤٠/١١) ؛ تفسير البغوي (٨٤/٦) ؛ تفسير

أبي حبان (٤٥٧/٦) ؛ والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحضية ، سليمان بن

عمر العجلي الشافعي الشهير بالجمال (٢٥٧/٣) ، ط الباي الحلبي ؛ تاريخ القضاء ص "٨٨" .

(٢) عبدالله بن مسلم كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس ثقة دين فاضلاً ، قال عنه

الذهبي : ما علمت أحداً اتهم القتيبي في نقله له مصنفات كثيرة منها : إعراب القرآن . انظر : (بغية

الوعاة) (٦٤، ٦٣/٢) ط المكتبة العصرية .

ثم اختلفوا في أصحاب الرس على خمسة أقوال :  
أحدها : أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة ، فبعث الله إليهم نبياً من ولد يهوذا ابن يعقوب فحفروا له بئراً وألقوه فيها ، فهلكوا ، قاله علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup> .  
الثاني : أنهم قوم كان لهم نبي يقال له : حنظلة بن صفوان ، فقتلوه فأهلكهم الله ، قاله سعيد بن جبیر .

الثالث : أنهم كانوا أهل بئر ينزلون عليها وكانت لهم مواشٍ ، وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعبياً فتمادوا في طغيانهم ، فانهارت البئر ، فحسف بهم وبمنازلهم ، قاله وهب بن منبه<sup>(٢)</sup> .

الرابع : أنهم الذين قتلوا حبيباً النجار ، قتلوه في بئر لهم ، وهو الذي قال : ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠] قاله السدي .  
الخامس : أنهم قوم قتلوا نبيهم وأكلوه ، وأول من عمل السحر نساؤهم ، قاله ابن السائب الكلبي .

نلاحظ ما يلي : اجتماع الأقوال في أنهم قتلوا نبيهم هذا أولاً .  
ثانياً : أكثر الأقوال تذكر أنهم رموا نبيهم في بئر .  
ثالثاً : اختلفوا في تحديد مكان البئر ، فمنهم من قال : إنها بئر بأذربيجان .

(١) ومثله أنهم قوم أخذوا نبيهم فرموه في بئر وأطبقوا عليه صخرة ، روى ذلك عن عكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي . ذكره صاحب المحرر في الحاشية ، وقال : أخرجه ابن إسحاق وابن جرير ، عن محمد بن كعب ونصه «روى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ» «أن أهل الرس قوم أخذوا نبيهم فرموه في بئر وأطبقوا عليه بصخرة ، فكان عبداً أسود قد آمن به يجيء بطعام إلى ذلك البئر فيعينه الله على تلك الصخرة فيقلعها ، وهو مؤمن بذلك النبي ، فيعطيه ما يغذيه ، ثم يرد تلك الصخرة ، إلى أن ضرب الله على أذن ذلك الأسود نوماً أربع عشرة سنة ، وأخرج أهل القرية نبيهم فآمنوا به» . اهـ قال الطبري (٢٧١، ٢٧٠/١٩) : فيمكن أنهم كفروا به بعد ذلك فذكرهم الله تعالى في هذه الآية ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] وفي الحاشية أخرجه ابن إسحاق ، وابن جرير مطولاً ، عن محمد بن كعب القرظي اهـ . وذكره السيوطي في الدر (٢٥٧/٦) ؛ وابن كثير في البداية والنهاية (٢٢٨/١) وضعفه بقوله : «إنه حديث مرسل ومثله فيه نظر» ولعل بسط قصته من كلام محمد بن كعب القرظي والله أعلم .

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني ، أبو عبد الله الأبنائي ، ثقة من الثالثة . انظر : (التقريب) (٥٨٥) .

روي ذلك عن ابن عباس<sup>(١)</sup> .

ومنهم من قال : إنهم كانوا أهل فلج<sup>(٢)</sup> وآبار كانوا عليها ، روي ذلك عن قتادة<sup>(٣)</sup> . ولم يرد ذكر لمكانهم .

ومنهم من قال : الرس ماء ونخل لبني أسد ، وقيل : نهر من بلاد المشرق ، بعث الله إليهم نبياً من أولاد يهوذا بن يعقوب فكذبوه<sup>(٤)</sup> .

ومنهم من قال : إن أصحابها كانوا بقرية باليمامة قتلوا نبيهم<sup>(٥)</sup> .  
نلاحظ ما يلي :

١ - الاختلاف في مكان البئر ، بل إن بعضهم قال عنه : نهر ، ومعنى ذلك أنه لم يصح عنده قول من قال : إنها بئر .

٢ - بعد دراسة سند كل منها رأيت أن أصح الأسانيد السند الذي روي عن قتادة<sup>(٦)</sup> ، ويجتمع مع ما قاله جعفر بن محمد ( الصادق ) فيقوي بعضها بعضاً .

٣ - والصواب - والله أعلم - أنهم كانوا أهل فلج وآبار كانوا عليها ، ومكانهم باليمامة كما فسره الواحدي السمرقندي بقوله : قال قتادة : حدثنا أن أصحاب الرس كانوا أهل فلج باليمامة<sup>(٧)</sup> .

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٥/٨) ؛ وذكره ابن حجر في فتح الباري (٦٣٠/٨) كتاب التفسير سورة الفرقان ، وقال : رواه شبيب عن عكرمة عن ابن عباس . اهـ ، وعند صاحب زاد المسير (١٥/٦) عن عكرمة عن ابن عباس ؛ وعند السيوطي (١٢٩/٥) عن ابن عباس ؛ والشوكاني (٧٨/٤) عن ابن عباس ونسباه إلى ابن أبي حاتم ؛ والقرطبي (٣٢/١٣) عن ابن عباس ، وسنده : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل ، حدثني أبي ، أنبأ شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وشبيب هذا قال عنه ابن حجر : صدوق يخطيء . ص "٢٦٣" التقریب .

(٢) فلج : اسم بلد . وقال ياقوت : (بفتح وسكون) اسم بلد ، ويقال : بطن فلج أول الدهناء .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٥/٨) ؛ وقد أخرجه ابن جرير (١٠/١٩) من طريق ابن وهب ، عن جرير بن حازم ، عن قتادة . وذكره ابن حجر في فتح الباري (٦٣٠/٨) عن قتادة ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم ؛ وذكره ابن كثير (١١٩/٦) عن قتادة .

وسنده عن ابن أبي حاتم قال : حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأ العباس بن الوليد ، ثنا يزيد بن زريع ، ثنا سعيد عن قتادة (وهو صحيح) لأن محمد بن يحيى ثقة ، العباس ثقة ، يزيد بن زريع ثقة ثبت .

(٤) تفسير أبي حيان (٤٥٧/٦) ، وهذا القول قاله قتادة أيضاً .

(٥) انظر : (تفسير الماوردي) ، وانظر : (تفسير الوسيط) (٣٤١/٣) ؛ في ظلال القرآن (٥/٢٥٦٤) .

(٦) انظر السند حاشية رقم (١) وكذلك ذكره الماوردي في تفسيره (١٤٥/٤) عن قتادة . وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة كما في الدر (١٢٩/٥) .

(٧) اليمامة : كان اسمها قديماً (جوت) فسميت باليمامة بنت سهم بن طسم أحد الملوك ، وبين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام للراكب على الجمال . معجم البلدان (٤٤٢/٥) .

## المطلب الثاني : سبب عقوبتهم

تكذيبهم لنبيهم ثم قتله .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [ الفرقان : ٣٨-٣٩ ] .

ذكر الله - تعالى - أصحاب الرس ضمن الأقوام المكذبين ، حيث بعث الله إليهم نبياً لم يرد في القرآن ذكرٌ لاسمه<sup>(١)</sup> ، فكذبوه وقتلوه .

فعند ابن جرير بسنده<sup>(٢)</sup> عن عكرمة قال : كان الرس بئراً رسوا فيها نبيهم ، ثم قال بعد ذلك : « ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله ﴿ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾ فإننا سنذكر خبرهم بعد ذلك ، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً إلا ما جاء عنهم أنهم رسوا نبيهم في حفرة »<sup>(٣)</sup> .

من كل ما سبق يتبين لنا أن هذا طرف مما ذكره المفسرون مما يوافق ظاهر القرآن ، وفيها آثار منكورة لا تصح ، نبه عليها الحافظ ابن كثير رحمه الله<sup>(٤)</sup> .

قال صاحب محاسن التأويل : ويروي هنا بعضهم آثاراً منكورة لا تصح ، ولا يحل الجراءة على روايتها ، ولا تنزيل الآية عليها ؛ لأنه من قفوا ما ليس للمرء به علم . ومثله يحظر الخوض فيه »<sup>(٥)</sup> .

(١) ذكر في تفسير الخازن (٣/٣١٤) . وانظر : (تفسير أبي حيان) (٦/٤٥٧) .

(٢) حدثنا ابن بشار (محمد بن بشار) قال : ثنا عبد الرحمن هو (ابن مهدي) ، قال : ثنا سفيان (الثوري) ، عن أبي بكر (الهذلي) عن عكرمة ، وأبو بكر هذا ضعفه العلماء إلا أن الأثر يتقوى بغيره . انظر : (تفسير الطبري) (١٩/٢٧٠) ، وزار المسير (٦/١٥) .

(٣) تفسير ابن جرير (١٩/٢٧٠) ؛ ومثله الأثر الذي أخرجه ابن كثير عن عكرمة وسكت عنه (٣/٣٣١) ؛ وأخرجه السيوطي في الدر (٥/١٢٩) من رواية ابن أبي شيبه ؛ وابن المنذر عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن أصحاب الرس قال : هو صاحب البئر الذي قال لقومه ﴿ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [ يس : ٢٠ ] فرسه قومه أي : دفنوه في بئر بالأحجار . اهـ

قلت : وقد قال ابن عباس قبلها : إنها قرية من قرى ثمود ، وقد هلكوا جميعاً بالصيحة ، ونجى الله صالحاً ولم يقتل . فالله أعلم .

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٣٣١) ؛ وانظر : (البداية والنهاية) (١/١٢٨) .

(٥) تفسير القاسمي (١٢/٢٦٢) .

## المطلب الثالث : نوع العقوبة

ذكرت عقوبة أصحاب الرس بمجملتها ضمن عقوبة الأقوام المكذبين دون تفصيل ، وحسبنا ما ذكره الله - تعالى - من أنه أهلكهم بقوله : ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٩] أي : وكل هؤلاء أوضحنا لهم حججنا وبينا لهم أدلتنا ، وأزحنا عنهم الأعذار ، وأجبناهم على كل الشبه والاعتراضات ، فتمادوا في كفرهم وطغيانهم فأهلكناهم هلاكاً تاماً<sup>(١)</sup> . قال أبو حيان بعد ذكره للأقوال : « وملخص هذه الأقوال أنهم قومٌ أهلكهم الله بتكذيب من أرسل إليهم »<sup>(٢)</sup> .

(١) تفسير المراغي (١٧/٧) ؛ التفسير الواضح (٢٠/٢) . هذا ، وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أن أبا بكر : محمد بن الحسن النقاش قال : إن أصحاب الرس كانت لهم بئر ترويههم وتكفي أرضهم جميعاً ، وكان لهم ملك عادل حسن السيرة ، فلما مات وجدوا عليه جداً عظيماً ، فلما كان بعد أيام تصور لهم الشيطان في صورته ، وقال : إني لم أمت ولكن تغيت عنكم حتى أرى صنعكم ، ففرحوا أشد الفرح ، وأمر بضرب حجاب بينهم وبينه ، وأخبرهم أنه لا يموت أبداً ، فصدق به أكثرهم وافتتنوا به وعبدوه ، فبعث الله فيهم نبياً ، وأخبرهم أن هذا شيطان يخاطبهم من وراء الحجاب ، ونهاهم عن عبادته ، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له .

قال السهيلي : وكان يوحى إليه في النوم وكان اسمه (حنظلة بن صفوان) فعدوا عليه فقتلوه وألقوه في البئر فغار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ، ويست أشجارهم ، وانقطعت ثمارهم وخرت ديارهم ، وبدلوا بعد الأنس بالوحشة ، وبعد الاجتماع بالفرقة ، وهلكوا عن آخرهم ، وسكن مساكنهم الجن والوحوش ، فلا يسمع ببقاعهم إلا عزيف الجن وزئير الأسد ، وصوت الضباع . فالله أعلم .

انظر : (البداية والنهاية) (٢٢٨/١) .

هذا ، وقد ترجم ابن كثير لأبي بكر : محمد بن الحسن النقاش (٢٤٢/١١) في البداية والنهاية ، وقال عنه : كان رجلاً صالحاً في نفسه عابداً ناسكاً . ووثقه الدارقطني ثم رجع وصرح بعضهم بتكذيبه .

قلت : فإن صح ما ذكره السهيلي فيكون ذلك عقوبة بتدرج حتى هلكوا .

وقال وهب بن منبه : كان أهل بئر الرس نزولاً عليها ، وكانوا أصحاب مواش يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم شعبياً يدعوهم إلى الإسلام ، فتمادوا في طغيانهم وآذوا شعبياً ، فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر وحسف بهم وبديارهم ورباعهم . تفسير الخازن (٣١٤/٣) ، ط دار الكتب العلمية .

وعند أبي حيان : أنهم بعد رمي نبيهم وموته أظلمتهم سحابة سوداء أذابتهم كما يذوب الرصاص . قلت : إذاً هذه ثلاثة آثار مختلفة تؤيد ما قاله القاسمي - رحمه الله - من أنها آثار لا تصح ويحظر الخوض فيها . فالله أعلم .

(٢) تفسير أبي حيان (٤٥٨/٦) .

### المطلب الرابع : الدروس المستفادة من عقوبة أصحاب الرس

١ - بيان سنة الله - تعالى - في إهلاك الأمم أمة ، بعد أمة ولكن بعد الإنذار والإعذار لها .

٢ - بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم من دمار وعذاب عاجل لينتقلوا إلى العذاب الآجل .

٣ - بيان أن آيات الله وعبره في الأمم السابقة إنما يستفيد ويستنير منها المؤمنون . أما المكذبون المعاندون فلا ينفعهم ذلك ولو جاءتهم كل آية ، كما ذكر الله في قوله تعالى في شأن كفار قريش : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [ الأنعام : ١١١ ] .



## المبحث السابع

### عقوبة أصحاب الفيل

#### المطلب الأول : الآيات التي تحدثت عن ذلك :

سورة الفيل : قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (١) ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴿ [ الفيل: ١-٥ ] .

#### لطائف الآيات :

أولاً : لم تذكر قصتهم إلا مرة واحدة فقط ، ولم تتكرر خلافاً لقصص غيرهم من الأمم لوجهين :

أحدهما : أن إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله .

ثانيهما : أن لا يتخذ المشركون من تكراره غروراً بمكانة لهم عند الله (١) .

ثانياً : لم قال ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ مع أن هذه الواقعة وقعت قبل بعثة النبي ﷺ ؟

والجواب : المراد العلم والتذكير ، وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر ، فكان العلم الحاصل به ضرورياً مساوياً في القوة والجلالة للرؤية (٢) .

ثالثاً : لم قال ( كيف ) دون غيره من أسماء الاستفهام أو الموصول ؟ فلم يقل : ألم تر ما فعل ربك ، أو الذي فعل ربك .

والجواب : للدلالة على حالة عجيبة يستحضرها من يعلم بتفصيل القصة (٣) .

رابعاً : لم قال ( فعل ) دون غيرها من جعل أو خلق أو عمل ؟

والجواب : لأن مدلول هذا الفعل يعم أعمالاً كثيرة لا يدل عليها غيره ؛ حيث ذكر لفظاً واحداً يشمل الكل (٤) .

خامساً : جئ في تعريف الله - سبحانه - بوصف رب مضافاً إلى ضمير النبي ﷺ إيماءً إلى أن المقصود من التذكير بهذه القصة تكريم النبي ﷺ لنبوءته ؛ إذ كان ذلك عام مولده (٥) .

(١) التحرير والتنوير (٥٤٤/٣٠) م (١٥) .

(٢) التفسير الكبير (٩٧/٣١) .

(٣) التحرير والتنوير (٥٤٥/٣٠) م (١٥) .

(٤) لأن خلق يستعمل لابتداء الفعل ، وجعل للكيفيات مثل ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [ الأنعام: ١ ] ، وعمل بعد الطلب ، وفعل عام ، فكان أولى ؛ لأنه تعالى (خلق) الطيور وجعل طبع الفيل على خلاف ما كانت عليه ، وسأله أن يحفظ البيت ولعله كان فيهم من يستحق الإجابة فلو ذكر الألفاظ الثلاثة لطال الكلام . التفسير الكبير (٩٨/٣١) .

(٥) التحرير والتنوير (٥٤٦/٣٠) .

سادساً : في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل: ١] مذكور في معرض التعجب فما حكمته ؟

والجواب : أن الكعبة قبله صلاتك ، وقلبك قبله معرفتك ، فإذا حفظ الله قبله عملك عن الأعداء أفلا يحفظ قبله دينك عن الآثام والمعاصي <sup>(١)</sup> ؟

سابعاً : لم قال ﴿ أَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ولم يقل أرباب أو ملاك الفيل ؟

والجواب : أن صاحب يكون من الجنس فقوله ﴿ أَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس الفيل في البهيمة ؛ بل فيه دققة وهي : أنه إذا حصلت المصاحبة بين شخصين ، فيقال للأدون : إنه صاحب الأعلى ولا يقال العكس ، ولذلك يقال لمن صحب الرسول - عليه الصلاة والسلام - إنهم الصحابة ، فقوله ﴿ أَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ يدل على أن أولئك الأقوام كانوا أقل حالاً وأدون منزلة من الفيل وهو المراد من قوله تعالى ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤] ومما يؤكد ذلك كما سيأتي أنهم كلما وجهوا الفيل إلى جهة الكعبة كان يتحول عنه ويفر كأنه يقول : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، عزمي حميد فلا أتركه ، وهم ما كانوا يتركون تلك العزيمة السيئة ، فدل ذلك على أن الفيل كان أحسن حالاً منهم <sup>(٢)</sup> .

تاسعاً : في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ [الفيل: ٢] والكيد : هو إرادة مضرة بالغير على وجه الخفية ، فلم سماه كيداً وأمره كان ظاهراً ؟ فإن أبرهة الأشرم كان يصرح أنه يريد هدم البيت ؟ .

والجواب : نعم كان يصرح بذلك لكن الذي كان في قلبه شر مما أظهره ، لأنه يضم الحسد للعرب ، وكان يريد صرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدهم ، إلى نفسه وإلى اليمن التي يحكمها <sup>(٣)</sup> .

(١) التفسير الكبير (٩٨/٣١) .

(٢) المصدر نفسه (٩٨/٣١) .

(٣) التفسير الكبير (٩٩/٣١) .

عاشراً : في قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل: ٣] فلم قال طيراً على التنكير ؟

والجواب : إما للتحقير ، فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر ، أو التفضيم كأنه يقول : طيراً وأي طير ترمي بحجارة صغيرة فلا تخطئ المقتل<sup>(١)</sup> .

الحادي عشر : في قوله تعالى ( أبابيل ) هل هو واحد أو جمع ؟

والجواب : معناها جماعات متفرقة ؛ أي : حلقة حلقة ، وقيل : هي التي يتبع بعضها بعضاً ، وقيل : الكثيرة ، وقيل : المختلفة الألوان ، فهي جمع لا واحد لها من لفظها مثل كلمة ( إبل ) وهي مؤنثة ؛ لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم<sup>(٢)</sup> .

الثاني عشر : في قوله تعالى ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الفيل: ٤] .

اختلف في معنى السجيل ، فقيل : معناها : النار وهو ( السجين ) أبدلت النون لاماً ، قيل : مأخوذة من السَّجَل ، كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار يعنى ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧] واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال ، ومنه السَّجْل : الدلو المملوء ماء ، وهي حجارة مرسله ، لقوله ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل: ٣] وقد رجح صاحب أضواء البيان أنها من طين شديد القوة ، وهذا ما يشهد له القرآن لما في سورة الذاريات ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۖ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۚ مُّسَوِّمَةً ۚ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۚ ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٤] فنص على أنها من طين<sup>(٣)</sup> .

(١) التفسير الكبير (٩٩/٣١) .

(٢) قال الفراء وأبو عبيدة : لا واحد لها ، وقيل : واحدها إبال وإبول ، وأبيل فأبابيل بمنزلة عبايد وشمايط و شعاليل ، وإبول وإبيل مثل عجول وعجاجيل . وأما إباله فهي من الحطب والحشيش ، وفي المثل : ضغت على إباله أي : زيادة على وقر . انظر : لسان العرب (٤٩/١ و ٥٠) . مادة (أبل) ، وانظر : معاني القرآن للفراء (٢٩٢/٣) ؛ مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣١٢/٢) ؛ معاني القرآن للزجاج (٣٦٣/٥) ومن التفاسير : تفسير الرازي (أنموذج جليل) ص"٥٧٨" ، التحرير والتنوير (٥٤٩/٣٠) .

(٣) انظر : (تفسير ابن جرير الطبري) (٦٠٩/٢٤) . أضواء البيان (٥٢١/٩ ، ٥٢٢) .

## المطلب الثاني : سبب العقوبة :

عزم ( أبرهة ) قائد جيش الحبشة على هدم بيت الله وكعبته .

و خلاصة ذلك :

أن الحبشة قد ملكوا اليمن بعد واقعة الأخدود<sup>(١)</sup> ، وصار أمير الحبشة على اليمن رجلاً يقال له ( أبرهة الأشرم ) فرأى حقداً منه على العرب أن يبني كنيسة يصرف بها الناس عن قصد مكة ، وليحول التجارة وطرقها ومكاسبها من مكة إلى اليمن ، وعرض ذلك على ملك الحبشة فوافق وسره ذلك ، ولما بنى ( الكنيسة )<sup>(٢)</sup> نادى بذلك في مملكته ؛ فكرهت العرب ذلك ، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً . فقصدها بعضهم ودخلها ليلاً فتغوط فيها ولطخ جدرانها بالعذرة ، وكر راجعاً من حيث أتى ، فلما رآها ( أبرهة ) استشاط غيظاً وأقسم ليذهبن إلى بيت مكة ( الكعبة ) وليخربنه حجراً حجراً ، وفعلاً جهز جيشاً كبيراً يتقدمهم فيل عظيم لم ير مثله ، وساروا ، ما يقف في وجههم حي من العرب إلا قاتلوه وغلبوه ؛ لما يريد الله بهم حتى وصلوا إلى الطائف فدلّه أهلها لطريق مكة وأرسلوا معه من يدهم حتى وصلوا إلى مكان يسمى ( المغمس )<sup>(٣)</sup> ، وجرت بينهم وبين شيخ مكة وسيدها عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ سفارات وانتهت بأن يرد ( أبرهة ) إبل عبد المطلب التي أخذها جيشه ويخلي بينه وبين الكعبة ، ففعل ورجع عبد المطلب إلى مكة وأمر رجال مكة أن يخلوا البلد ويلتحقوا برؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم خشية المعرة التي قد تلحقهم من الجيش الظالم الذي لا يستطيع أحد من البشر ردّه ، ثم قام فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٨٧) .

(٢) سماها القليس . انظر : (تفسير ابن جرير الطبري) (٢٤ م ٦٠٩) ؛ البداية والنهاية (٢/١٧٠) .

(٣) موضع فسيح يقع بعد عرفة قليلاً من جهة الشرق على طريق الطائف السيل ، وبقي على اسمه إلى

اليوم . انظر : معجم البلدان (٥/١٨٨) برقم [١١٤٢٨] .

نفر من قریش یدعون الله ویستنصرونه وکان مما قال فیما اشتهر عنه<sup>(۱)</sup> :

لاَهُمْ إِنْ الْعَبْدِ يَمُـــــــ

لايغلبن صليبهم ومحاكمهم غدواً محالك<sup>(٢)</sup>

إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ— لَتَنَّا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

وهنا تتدخل قوة الله التي لا تقهر ، لحماية بيته وحرمة . فتحول القوة إلى ضعف ، والنصر إلى هزيمة فكيف كان ذلك ؟ .

(١) انظر : سيرة ابن إسحاق المسماة : المبتدأ و المبعث والمغازي - محمد بن إسحاق بن يسار ص "٣٩" ؛ سيرة ابن هشام (١/٥١) ؛ الروض الأنف للسهيلى (١/٢٦٢) ؛ البداية و النهاية (٢/١٧٢، ١٧٣) .

(٢) مِحَالْكَ : المحال بكسر الميم هو الكيد ومَجَلَّ به يَمْجُلُ مَجَلًّا : كاده بسعاية إلى السلطان ومنه قوله تعالى ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] وقال الأزهري المحال القوة والشدة ، وما حلت فلاناً أي قاويته حتى يتبين أننا أشد وقال أبو عبيدة : (المحال) العقوبة والمكروه . انظر : (لسان العرب) (٤٠/١٣) مادة محل .

## المطلب الثالث : نوع العقوبة :

قال تعالى ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٣﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٤﴾ ﴾ [الفيل: ٣-٥] .

فلما أصبح هياً جيشه لدخول مكة ووجه فيه الكبير إليها ، ولكن الفيل لم يعد الفيل المعروف لقد برك ، والقوم في أول أمرهم لم ينالوا خيراً ، وهذه الحادثة ثابتة بقول رسول الله ﷺ يوم الحديبية حين بركت ناقته القصواء دون مكة فقالوا : خلأت<sup>(١)</sup> القصواء .

فقال النبي ﷺ « ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل »<sup>(٢)</sup> ، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب »<sup>(٣)</sup> فهي حادثة ثابتة بنص الحديثين السابقين .

ثم كان ما أَرَادَهُ اللهُ - عز وجل - من إهلاك أبرهة وجيشه ؛ حيث أرسل الله عليهم جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين ، ما يسقط الحجر على الواحد منهم إلا ذاب وتناثر لحمه ، وهلك منهم من هلك وهرب من هرب ولحمه يتناثر ، منهم ( أبرهة ) خرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وهلك وهلك جيشه ؛ حيث جعلهم الله كورق أكلته الدواب وداسته بأرجلها ، فكانت آية عظيمة من آيات الله وإرهاصا ينبئ عن قرب حدث عظيم آن لمكة أن تنهياً لاستقباله وتستعد لرؤية أنواره ألا وهو ولادة خير البرية ومنقذ البشرية محمد ﷺ<sup>(٤)</sup> . وهكذا كانت حادثة الفيل نصرة من الله لسكان حرمه وحماة بيته<sup>(٥)</sup> .

(١) خلأت : أي تركت السير .

(٢) رواه البخاري - كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد - (٢/٢٧٩) برقم [٢٧٣١] ، [٢٧٣٢] .

(٣) رواه البخاري - كتاب اللقطة - باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ، ورواه مسلم - كتاب الحج - باب تحريم مكة وصيدها - (٢/٩٨٨) برقم [١٣٥٥] .

(٤) يذكر المؤرخون أن النبي ﷺ حين حادثة الفيل كان حملاً في بطن أمه ، وولد بعد حادثة الفيل بخمسين يوماً ، وهو أشهر الأقوال . انظر : (البداية والنهاية) (٢/٢٦٢) .

(٥) انظر القصة في سيرة ابن إسحاق ص ٣٨-٤٢ ؛ تهذيب سيرة ابن هشام ص (٢٦-٢٩) ؛ البداية والنهاية (٢/١٧٠-١٧٦) .

**المطلب الرابع : الدروس المستفادة منها :**

أولاً : دلت حادثة الفيل على عظيم قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ، ودلت على شرف محمد ﷺ ؛ لأنه يجوز تقديم خوارق العادات على زمان البعثة تأسيساً وإرهاصاً<sup>(١)</sup> كما في تظليل الغمامة له ﷺ<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : العبرة من هزيمة جيش أبرهة لأهل مكة هي كون القصة قريبة العهد ، فذكرهم الله بها ليخافوا من أن يعاقبهم الله بمثلها إذا استمروا في تكذيب النبي ﷺ .

ثالثاً : دلت القصة وما حصل فيها من عقوبة لأولئك البغاة على تكريم الله لكعبته وحرمة وإنعامه على أهله بدفع العدو عنهم ، فكان يجب عليهم المبادرة إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ وعبادة الله وشكره على نعمائه<sup>(٣)</sup> .

رابعاً : من سنة الله - تعالى - دفع العذاب الدنيوي عن قوم لأجل غيرهم ، وقد يكون هذا ( الغير ) حرمة الكعبة وصيانتها من التخريب ، وقد يكون ( الغير ) الضعفاء في الأمة كالأطفال والشيخوخ كما جاء في الحديث « أبغوني الضعفاء ، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم »<sup>(٤)</sup> أي : يرد عنكم الأذى ، ويرد عنكم اعتداء العدو لا بقوتكم ، ولكن رحمة بالضعفاء منكم بأن لا يمسه أذى من العدو إذا استولى على البلاد فيردهم عنكم لهذا السبب ، وهذا تنبيه للناس بالعناية بالضعفاء وعدم إهمالهم ،

(١) كان إرسال الطير إرهاصاً للنبي ﷺ ، وأما بعد النبوة فلم يكن له حاجة لذا لم يُعذب الحجاج بن يوسف الثقفي بتخريب البيت لأنه لم يكن قاصداً ذلك ، وإنما أراد قتل ابن الزبير ثم أصلح بناء البيت بعد ذلك ، انظر : (البداية والنهاية) (٣٤١/٨) .

(٢) التفسير الكبير (٩٧/٣٢) .

(٣) التفسير المنير (٤٠٩/٣٠ ، ٤١٠) .

(٤) رواه أحمد (١٩٨/٥) برقم [٢١٧٧٩] .

وأبو دواد - كتاب الجهاد - باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة - (٧٣/٣) برقم [٢٥٩٤] .

النسائي - كتاب الجهاد - باب الاستنصار بالضعيف - (٤٦/٦) - برقم [٣١٧٩] .

الترمذي - كتاب الجهاد - باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين (٢٠٦/٤) برقم [١٧٠٢] وقال : حديث حسن صحيح .

ابن حبان - كتاب السير - باب ذكر استحباب الانتصار يضعفاء المسلمين - (٨٥/١١) برقم [٤٧٦٧] . الحاكم ، كتاب الجهاد (١١٦/٢) برقم [٢٥٠٩] ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي والألباني . انظر الصحيحة (٤٢٢/٢) برقم [٧٧٩] .

فعلى الدعاة أن يفقهوا ذلك ويعلموا الناس ألا يستهينوا بالضعفاء أو يحتقروهم<sup>(١)</sup> .  
 فرمما دعوة منهم ينصر الله بها المؤمنين على عدوهم ، أو يدفع الله بها نقمته  
 عن بلدهم ...

**خامساً :** على المسلم ألا يئأس أبداً من نصر الله - تعالى - لعباده المؤمنين ، مهما  
 طال الليل وادهمت الخطوب وكثرت الفتن ؛ لأن الله قد أخذ على نفسه أن ينصر  
 عباده والله لا يخلف الميعاد قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [غافر: ٥١] وقال سبحانه : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] ثم ليعلم المسلمون اليوم أن معركتنا مع اليهود تحتاج إلى قوة  
 إيمان وزيادة يقين أن الله حقاً هو الذي ينصر عباده ؛ بل ويعينهم على ذلك مع الأخذ  
 بالأسباب من إعداد القوة والالتزام بالمنهج الاسلامي الصحيح السليم الخالي من إقامة  
 الشعارات المعادية لشعار « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »<sup>(٢)</sup>  
 مع الابتغال والتضرع إلى الله تعالى .

فهذا عبد المطلب على كفره لما علم بجيش أبرهة وأنهم لا يستطيعون دفعه أخذ  
 بحلق الكعبة يدعو الله هو ومن كان معه ويستنصرونه على أبرهة وجيشه ، فحمى الله  
 بيته ومزق أبرهة وجيشه . فعلى الدعاة إلى الله - تعالى - توعية الناس ودعوتهم إلى أن  
 يثقوا بالله تعالى ، ويتوكلوا عليه مهما كانت قوة عدوهم ، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾  
 [يوسف: ٢١] - ونحن لو صدقنا الله - تعالى - لهياً لنا من أسباب النصر والعزة  
 ما لا يخطر لنا ببال وصدق الله عز وجل إذ يقول : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ  
 أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] .

(١) انظر : (تفسير القاسمي) (٩/١٥) ؛ القصص القرآني (١/٦١٦) .

(٢) سبق تخرجه ص "١٢٢" .





---

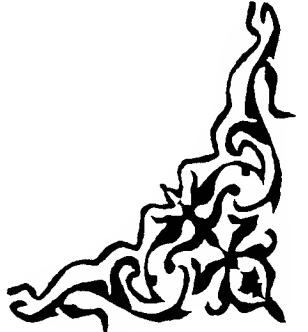

## الخاتمة

وفيها أهم نتائج البحث :

أولاً : الأسباب التي أهلك الله بها الأقوام المكذبين

أو حذر منها الأنبياء أقوامهم ثم وقعت .

ثانياً : التوصيات والمقترحات .



---

## الأسباب التي أهلك الله بها الأقوام

أهلك الله - تعالى - الأمم المكذبة بجمع من الأسباب حذر منها الرسل أقوامهم فانتهكوها وكذبوا رسلهم ، وإليكها متتالية حسب الأهم فالأهم لأن بعضها لا ينفصل عن بعض ، وإن كان عذاب كل أمة اختص بسبب معين إلا أنها قد تشترك أمة أخرى معها في نفس الذنب الذي هلك بسببه .

### أولاً : الكفر بالله تعالى :

الكفر بالله - تعالى - من الأسباب التي يعاقب الله عليها الأمم بعد الإعذار والإنذار .

والكفر في اللغة : الستر والتغطية .

وسمي الكافر كذلك لأنه يغطي بكفره ما يجب أن يكون عليه من الإيمان ، وسُمِّي الليل كافراً لستره الناس ، وسُمِّي الزراع كفاراً لسترهم الحبَّ وتغطيته قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ <sup>(١)</sup> [ الحديد: ٢٠ ] .  
وأما في الاصطلاح : فمعناه ستر الحق بالجهود <sup>(٢)</sup> .

والكفر ضد الإيمان الذي معناه التصديق والاعتقاد والإقرار بأركانه .

وقد يأتي الكفر بألفاظ أخرى مثل التكذيب والشرك والظلم وإن كان بينها عموم وخصوص <sup>(٣)</sup> ، ويتبين ذلك بذكر الآيات التي تبين أن سبب العقاب جاء بهذه المعاني كلها .  
فعن الكفر وأنه سبب للعقاب :

قال تعالى : ﴿ كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ <sup>(٤)</sup> [ الأنفال: ٥٢ ] .

وقال أيضاً : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشروا يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنيٌ حميدٌ <sup>(٦)</sup> [ التغابن: ٥-٦ ] .

وقد يأتي الكفر بمعنى نفي الإيمان قال تعالى : ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> [ الأنبياء: ٦ ] .

أما الشرك فقد ذكر الله - تعالى - أنه سبب للعقاب في قوله تعالى : ﴿ قُلْ

(١) وانظر : (مفردات الراغب) ص "٤٣٢" ، وانظر : (تفسير المنار) (١/١٤٠) .

(٢) تفسير النسفي (١/١٥) .

(٣) انظر : الفروق اللغوية - للعسكري ص "١٩٠" .

سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ [الروم: ٤٢] فكان سبب عقابهم أنهم كانوا مشركين .

وقوله تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥١] .  
فالشرك في هذا الموضع سبب للعقاب ، وعقوبته في الآية إلقاء الرعب في قلوب الكفرة<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ ﴾ [هود: ١٠١] .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ انْتِكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَم خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤] .  
فكان شركهم بالله - تعالى - سبباً في قتل أنفسهم ليتوب الله عليهم .

وأما عن الظلم<sup>(٢)</sup> وأنه سبب في العقاب فيقول تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِم نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠] .  
فهؤلاء الأقوام الذين ظلموا أنفسهم بعد قيام الحجة عليهم حل عليهم عقاب الله .  
كما هي سنته عز وجل في خلقه<sup>(٣)</sup> .

وأما التكذيب برسُل الله - تعالى - فيقول الله سبحانه : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴾ [ق: ١٢-١٤] .

(١) الشرك معناه : هو أن يجعل لله نداً يدعو ويرجوه ويخافه كما يخاف الله . فتح المحيد شرح كتاب التوحيد لـ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب ص "٣١٩" .

(٢) انظر : (تفسير القرطبي) (٤/٥٣٣) .

(٣) الظلم معناه : نقصان الحق أو بعضه . الفروق اللغوية ص "٩٢، ٩١" .

(٤) انظر : (تفسير القرطبي) (٨/٢٠٢) .

وعن التّكذيب بآيات الله يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] وهذا التّكذيب ( تكذيب الرسل والتّكذيب بآيات الله ) أكثر أسباب العقاب وروداً في القرآن .

قال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر: ٢٥] .

وفي الآية تسليّة لرسول الله ﷺ حيث يقول له : يا محمد ، إن يكذبك مشركوا مكة فاعلم أن الرسل قبلك كذبوا فاستأصل من استأصل وأهلك من أهلك بإنزال العذاب عليهم وفق سنته - تعالى - وفي ذلك تحذير للكافرين من قريش وغيرهم في كل زمان ومكان من إنزال عذاب الله الذي لا يرد عن القوم الظالمين<sup>(١)</sup> .

ومن صور التّكذيب أيضاً : إنكار البعث والجزاء يوم القيامة :

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الشعراء: ١٣٧-١٣٨] .  
وكما قال قوم هود : ﴿ إِن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [هود: ٦٦] وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿ [سبأ: ٣٤-٣٥] .

ففي الآية الأولى يحذر الله الكافرين الذين ينكرون البعث والجزاء من عقابه الذي أعدّه لمنكريه ، وأن أموالهم وأولادهم ليست هي التي تقربهم عند الله ، وليست هي التي تنجيهم من عذابه لظنهم أن من أحسن الله إليه في الدنيا فلن يعذبه ، فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبيه ﷺ ﴿ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾<sup>(٢)</sup> [سبأ: ٣٦] أي : يوسعه لمن يشاء ويقدر ، فهو الذي يفاضل بين عباده ابتلاءً واختباراً<sup>(٣)</sup> .

ومن صور التّكذيب : تكذيب الأمة بعد مجيء الآيات التي تطلبها :

(١) انظر تفسير القرطبي (٣٤١/١٤) ؛ تفسير ابن كثير (٥٦٠/٣) ؛ تفسير المراغي (١٥٧/٩) ؛ وتفسير القاسمي (١٥٦/١٥) .

(٢) مثل قوله تعالى عن صاحب الجنتين : ﴿ وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦] ، و ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي ﴾ [الفجر: ١٥-١٦] .  
(٣) تفسير القرطبي (٣٠٥/١٤) .

فعندها يحل بها العقاب كما جرت سنته تعالى بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ <sup>(١)</sup> [الإسراء: ٥٩] .

قال المفسرون : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم جبال مكة ، فأتاه جبريل فقال : إن شئت كان ما سأل قومك ، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يعلموا وإن شئت استأنيت بهم ، فأنزل الله هذه الآية <sup>(٢)</sup> .

والمعنى : وما يمنعنا من إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ، فإن أرسلناها وكذب بها هؤلاء عوجلوا ولم يعلموا كما هي سنة الله - سبحانه - في عباده <sup>(٣)</sup> .

### ثانياً : المعاصي والذنوب :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> [الأنعام: ٦٠] .

بيّن الله لنبيه في هذه الآية أن سبب انتقامه من أولئك الهالكين إنما كان بسبب الوقوع فيما حرم الله من ارتكاب الذنوب ؛ لأن كل مخالفة لأمر الله ذنب يعاقب الله عليه ، وإذا تجمعت الذنوب على أمة حل بها الهلاك وأنشأ الله أمة أخرى غيرها <sup>(٢)</sup> .

وهكذا كلما عصت أمة أجلها الله مدة من الزمن لعلمهم يتوبون ويذكرون فيرجعون ؛ فإن أبوا أغدق الله عليهم النعم ليستدرجهم من حيث لا يعلمون كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> [الأنعام: ٤٤] .

(١) فتح القدير (٢٣٧/٣) ، وانظر : (تفسير الطبري) (٤٧٦/١٧ ، ٤٧٧) .

(٢) فتح القدير (٢٣٧/٣) ، انظر : تفسير ابن جرير (٤٧٦/١٧) ، وانظر : أسباب النزول لـ (الواحدي النيسابوري) أبي الحسن علي بن أحمد ص (٢٣٧) ط دار الريان للتراث . وأصله حديث ، رواه الإمام أحمد (٢٥٨/١) برقم [٢٣٣٣] قال عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥٢/٣) : سنده جيد . ورواه الحاكم ، كتاب التفسير ، تفسير سورة بني إسرائيل (٣٩٤/٢) برقم [٣٣٧٩] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي . وقال الهيثمي في الجمع (٥٠/٧) : رجاله رجال الصحيح .

(٣) انظر : (تفسير ابن جرير) (٢٦٣/١١) .

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى : فإن قال قائل : وكيف قيل ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم ، وأبواب آخر غيرهما كثيرة ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه ، وإنما معنى ذلك : فتحنا عليهم استدراجاً منا لهم ، أبواب كل ما كنا سدنا عليهم بابه ، عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا إذا لم يتضرعوا وتركوا أمر الله تعالى لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله وذلك كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ ١٦ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٧ [الأعراف: ٩٤-٩٥] .

وهذا منه كما ذكرنا استدراج وإملاء لهم عياداً بالله من مكروه ، فإذا هم آيسون من كل خير! (٢) .

يقول صاحب المنار : والذنوب التي يهلك الله بها القرون ويعذب بها الأمم قسمان :

أحدهما : معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به .

ثانيهما : كفر النعم بالبطر والأشر ، وغمط الناس حقوقهم ، واحتقارهم ، وظلم الضعفاء منهم ، ومحابة الأقوياء ، والإسراف في الفسق والفجور والغرور بالغنى والثروة (٣) .

فما الذي أغرق قوم نوح وحصد قوم عاد بالريح وأهلك قوم ثمود بالصيحة وقلب قرى قوم لوط فجعل عاليها سافلها وحصبهم بحجارة من سجيل وأغرق قوم فرعون في البحر وغيرهم كثير إلا معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به ، وهذا مشترك بين الأمم ثم اختصاص كل أمة بظلم معين مما ذكرنا في القسم الثاني .

قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

(١) ومعنى عفوا : كثروا وكثرت أموالهم . معاني الزجاج (٣٥٩/٢) ؛ تفسير القرطبي (٢٥٢/٧) .

(٢) انظر : (تفسير ابن جرير) (٣٥٨/١١) ؛ تفسير ابن كثير (١٣٧/٢) .

(٣) تفسير المنار (٣٠٨/٧) .

وفي الحديث : « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم »<sup>(١)</sup> .

ومن آثار الذنوب والمعاصي على الفرد والمجتمع أنها سبب للانتقام وزوال النعم ، وأكبر هذه النعم نعمة الإيمان ؛ لأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي<sup>(٢)</sup> ، وتزِيلُ نعمة المال والرزق<sup>(٣)</sup> وفي الحديث « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »<sup>(٤)</sup> . كما أنه يزِيلُ نعمة الأمن في الأوطان قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] .

فبيّن هنا أنه بسبب الكفر بأنعم الله العديدة التي منها الأمن أذاقهم لباس الجوع والخوف بسبب ما حصل منهم . كما أنها تزيل نعمة العافية في الأبدان لقوله ﷺ من حديث طويل رواه ابن عمر « لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا »<sup>(٥)</sup> ، كما أنها تلقي الرعب في القلب ، وتمرض القلب وتعمي البصيرة ، وتُصَغِّرُ النفوس ، وتسقط الكرامة ، وتجلب الدم ، وتؤثر في العقل ، وتوجب القطيعة بين العبد والرب ، وتحقق البركة ، وتجعل صاحبها من السفلة ، وتجري الأعداء عليه ، وتضعف العبد أمام نفسه ، وتجلب له الهلاك إلى غير ذلك<sup>(٦)</sup> .

(١) رواه أحمد (٣١٩/٤) برقم [١٨٣١٩] ، (٢٤٥/٥) برقم [٢٢٥٦٧] .

ورواه أبو داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي (٥١٥/٤) برقم [٤٣٤٧] ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٢٠/٣) .

ومعنى (يعذروا) أي : تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبون العقوبة ، ويكون لمن يعذبهم العذر إذا علموا بعد ذلك . انظر : (النهاية في غريب الحديث والأثر) (١٩٧/٣) ؛ متخصر سنن أبي داود للحافظ المنذري (١٩١/٦) بتحقيق محمد حامد الفقي ورقم [٤١٨١] .

(٢) كما هو مذهب أهل السنة . انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص "٣٩٣" .

(٣) كما سبق ذكره من قصة صاحب الجنتين وأصحاب الجنة وأهل سبأ .

(٤) رواه أحمد (٢٧٧/٥ ، ٢٨٠) ، ورواه الحاكم (٦٧٠/١) برقم [١٨١٤] ووافقه الذهبي ورواه ابن ماجه (٣٥/١) برقم [٤٠٢٢ ، ٩٠] وقال في الزوائد سألت شيخنا أبا الفضل القرافي عن هذا الحديث فقال حسن ، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لشرح مشكل الآثار (٧٩/٨) .

(٥) رواه ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب العقوبات (١٣٣٢/٢) [٤٠١٩] ، ورواه الحاكم (٥٤٠/٤) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٨/١) برقم [١٠٦] .

(٦) انظر : (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي من ص ٧٤ - ١٤٨) .

وإذا كان فيها تلك الآثار وتلك العقوبات فحري بالمؤمن الابتعاد عنها والحذر من الوقوع فيها وخاصة في مثل هذه الأيام التي كثر فيها البلاء ، واشتد فيها الإغراء بالمنكر ، وقل الناصحون ، وكثر السامدون ، وشجع المبطلون ، وزكي المفسدون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

### ثالثاً : استعجال العذاب .

لقد طلب المكذبون من أنبيائهم العذاب فلبى الله لهم طلبهم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب فهلكوا جميعاً إلا من آمن ، وما كان من طلب قريش العذاب إلا من قبيل التحدي والاستكبار والعناد ؛ بل إن منهم من كان يطلب العذاب من الله حتى وإن كان النبي ﷺ على حق ليظهر لهم الحق سريعاً بزعمهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا آلَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢] وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨] فرد الله عليهم مهدداً لهم ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٥٠] فإنه إذا وقع فلن يرفع عنكم وحينها تؤمنون ولا ينفعكم إيمانكم وقد كنتم تستعجلونه<sup>(١)</sup> ﴿ أَتُمِرُّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَآلَئِنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [يونس: ٥١] وقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٥] فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥] .

ومع أن طلبهم العذاب كان تحدياً وتعجيزاً للأنبياء إلا أن سنة الله - تعالى - في خلقه ألا يعذب إلا الظالمين ولا ينتقم إلا من المجرمين المصرين .

وفي هذا تحذير قوي للمصرين من العصاة في أن يراجعوا دينهم ؛ لئلا يكونوا عرضة لعقاب الله وعذابه في الحياة قبل الممات ، وفي الحديث « بينما رجل يجرُّ إزاره إذ خُسِفَ به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة »<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : (تفسير الطبري) ١٥/١٠١ ؛ تفسير القرطبي (٣٥١/٨) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخلاء (٥٤/٤) برقم [٥٧٩٠] .



### رابعاً : ادعاء الألوهية والربوبية .

قال تعالى عن فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [ القصص: ٣٨ ] .

لقد نصّب فرعون نفسه آمراً ناهياً بحق وبغير حق ، وأوجب على الناس طاعته ، وطغى وبغى في الأرض ، وذبح أبناء بني إسرائيل واستحيا نساءهم ، وسخر رجالهم لخدمته في أشق الأعمال وأرذلها ، ونصّب نفسه إلهاً يُعبد ليلاً ونهاراً ، فدعاه موسى - عليه السلام - للإيمان بالله وترك عبادة ما سواه ، فأبى وتأبى ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ [ النازعات: ٢٥ ] وانتقم منه ، فكان عبرة لغيره في الدنيا ونكالا يُعذب عليه في الآخرة أشد العذاب<sup>(١)</sup> قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [ غافر: ٤٦ ] .

### خامساً : الاستكبار .

يقول تعالى مخبراً عن الأمم التي عاقبها وأن الكبر كان من جرائمها ﴿ وَعَادَا وَثمودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّنْ مَّسَلِكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [ القصص: ٢٨ ] وقُرُونُ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَلِينَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [ العنكبوت: ٢٨-٤٠ ] .

والاستكبار معناه : الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً<sup>(٢)</sup> ، وأعظم الكبر التكبر على الله عز وجل .

وقد بين سبحانه في آية أخرى أن العذاب لا يقتصر على تلك الأقوام فقط ؛ بل إن سنته مطردة في عقاب الأمم التي تستكبر عن عبادته وتتكبر على الحق ولا تقبله قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِّنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [ استكباراً في الأرض ]

(١) انظر : (تفسير ابن كثير ٤٠١/٣) .

(٢) لسان العرب (١٣/١٢) ، وانظر : الفروق اللغوية ص ٢٠٦ .

وَمَكَرَ السَّيِّئُ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ  
الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣].

وأعلم أن من علامتهم الاشتزاز عند ذكر الله والاستكبار عند سماع « لا إله إلا  
الله » ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ <sup>(١)</sup> قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] .

وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥].  
فكان جزاؤهم أن صرفهم الله عن الحق ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر .

قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ  
يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا  
غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

### سادساً : قتل الأنبياء وإيذاؤهم بشتى أنواع الإيذاء .

رأينا مما سبق في الحديث عن أصحاب الرس وعن محاولة النصارى قتل عيسى -  
عليه السلام - أن ذلك كان سبباً في عقوبتهم هم وغيرهم قال تعالى : ﴿  
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١] .

وقتل الأنبياء أعظم الذنوب عند الله وأقبحها ، وقد يكفر بعض الناس بالرسول  
ولكن أن يصل إلى قتل ذلك الرسول أو النبي فهذا يدل على الحقد والغیظ الشديدين  
للأنبياء وبما أتوا به من هداية للبشر .

وأشهر من وقع في ذلك بنو إسرائيل ؛ حيث قتلوا كثيراً من الأنبياء كزكريا ويحيى  
- عليهما السلام <sup>(٢)</sup> - وحاولوا قتل عيسى بن مريم - عليه السلام - فنجاه الله  
برفعه إليه ، ومع هذا فهم يزعمون إلى اليوم أنهم قتلوه ويتباهون به ، قبحهم الله  
ولعنهم .

(١) أي نفرت من توحيد الله . انظر معاني القرآن ، الزجاج (٣٥٦/٤) ؛ تفسير ابن جرير الطبري  
(٣٠٠/٢١) .

(٢) انظر : حاشية الجمل على الجلالين والمسمى (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق  
الخفية (٥٩/١) (سليمان عمر العجلي الشهير بالجمل) ، ط عيسى البابي الحلبي بمصر .

أخرج الإمام أحمد من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً ... الحديث »<sup>(١)</sup>.

وعند الطبري : كانوا يقتلون رُسُلَ الله بغير جناية جناها الرسل ، منكرين رسالتهم جاحدين نبوتهم ، وحى الله - عز وجل - من أراد حمايته من أنبيائه ورسله من القتل ؛ لتقوم الحجة على المعاندين والجاحدين ؛ ويؤمن من أراد الله به خيراً حكمة بالغة وقوة قاهرة ، ولا يظلم ربك أحداً! وحى الله نبيه محمداً ﷺ من كيد الأعداء ؛ وإلا فقد حدث له قريب مما حدث لأنبياء الله وأصفياه وأكثر بأن عصمه الله وتولى حمايته بنفسه قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يُحرس كما عند الإمام أحمد أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت : فقلت ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة! » قالت : فيينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال « من هذا ؟ » فقال : أنا سعد بن مالك ، فقال : « ما جاء بك ؟ » قال : جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت فسمعت غطيظ رسول الله ﷺ في نومه<sup>(٢)</sup> .

وعند الترمذي من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة ، فقال لهم : « يا أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمني الله »<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه أحمد (٤٠٧/١) برقم [٣٨٦٨] ، وأخرجه البزار (١٣٨/٥) برقم [١٧٢٨] ط مكتبة العلوم والحكمة ، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٣٦/٥) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢١١/١٠) برقم [١٠٤٩٧] وحكم عليه الألباني في صحيح الجامع الصغير بأنه حسن (٣٣٥/١) برقم [١٠١١] وكذلك شعيب الأرناؤوط وآخرون . انظر تحقيقه لمسند الإمام أحمد (٤١٣/٦ - ٤١٥) ط مؤسسة الرسالة .

(٢) رواه أحمد (١٤١/٦) برقم [٢٥١٣٦] . والحديث في الصحيحين . رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٣٢٧/٢) برقم [٢٨٨٥] . ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (١٨٧٥/٤) برقم [٢٤١٠] .

(٣) ورواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب (ومن سورة المائدة) (٢٥١/٥) برقم [٣٠٤٦] ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٤٦/٣) برقم [٢٤٤٠] .

ومن عصمة الله لرسوله ﷺ حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومتزفيها ؛ مع شدة العداوة له ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً بما يهيئه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته ، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش ؛ حيث أودع الله في قلبه محبة فطرية لرسوله ﷺ ، ولو أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر فهابوه واحترموه ، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون ، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم (وهي المدينة) فلما صار إليها منعه ، وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء له رد الله كيده عليه ؛ حيث حماه الله من اليهود حين سحروه وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء ، ولما وضعوا له السم في ذراع الشاة أخبره الله به وحماه ، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها<sup>(١)</sup> .

وأما إيذاؤهم له فما أكثر ما أوردوا به من استهزاء وازدراء وسب وشتم وتهديد مرة بالإخراج وأخرى بالرجم وتشاؤم وتطير ... الخ !

وفي هذا يقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد: ٣٢] وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَ الْأَوَّلِينَ ﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿ [الحجر: ١٠-١١] و [سورة الأنعام: ١٠] و [سورة الأنبياء: ٤١] .

وعن الإخراج يقول تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣] .

ويقول تعالى مخبراً عن كفار قريش ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الشعراء: ٧٦-٧٧] .

وعن التهديد بالرجم يقول تعالى عنهم ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس: ١٨] وقولهم لنوح عليه السلام ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦]

(١) انظر : (تفسير ابن كثير) (٢/ ٨١ ، ٨٢) .

وقولهم لشعيب ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١] الآية ، وغيرهم ...

فصدقت سنة الله فيهم فاستحقوا عذابه وأليم عقابه .

سابعاً : الإسراف والترف والبطر .

الإسراف : مجاوزة القصد .

وأما السرف الذي نهى الله عنه فهو ما انفق في غير طاعة الله قليلاً كان أو كثيراً .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] .

والإسراف هنا : أكل ما لا يحل أكله . وقيل : هو مجاوزة القصد في الأكل مما أحله الله<sup>(١)</sup> .

وأما كونه من أسباب العقاب الإلهي فلأنهم تجاوزوا الحد في الكفر والمعاصي قال تعالى : ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩] .

ويقول عن قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [٢٠] مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ [٢١] ﴿[الذاريات: ٣٣-٣٤] وقال عن فرعون : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣] وقال عن مجموعهم ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢] ونهى الله عن طاعتهم فقال : ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: ١٥١] .

وقد يأتي الإسراف بمعنى الشرك كما جاء في تفسير ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩] والمُسْرِفُونَ في الآية هم المشركون<sup>(٢)</sup> .

وعلى هذا فكل من تجاوز حد الاعتدال فإن عمله ذلك يكون سبباً في العقاب إلا أن يتوب .

(١) انظر : (لسان العرب) (٢٤٣/٦ ، ٢٤٤) مادة "سرف" .

(٢) انظر : (تفسير الطبري) (٤١٥/١٨) ؛ وفتح القدير (٣٩٩/٣) .

وأما الترف : فهو التنعم ، والمترف : الذي أطعته النعمة وسعة العيش<sup>(١)</sup> ، والمترف أيضاً : المتقلب في لين العيش يصنع ما يشاء لا يُمنع<sup>(٢)</sup> .

قال تعالى : ﴿...وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦] فهذه الآية تبين أن الترف والتنعم إذا أصاب أمة وانغمست في لذاتها كان ذلك سبباً في نزول العقاب بها .

وعند الطبري : أن الحسن البصري قال بعث الله هوداً إلى عاد فنجى الله هوداً والذين آمنوا معه ، وهلك المتمتعون ، وبعث الله صالحاً إلى ثمود ، فنجى الله صالحاً ، وهلك المتمتعون ، وذكر بقية الأمم .

ثم ذكر أن الذين ظلموا اتبعوا ما أسبغ عليهم ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها إشاراً على عمل الآخرة وما ينجيهم من عذاب الله .

أو واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك والعتو عن أمر الله .

ثم قال : وأولى الأقوال عندي بالصواب : أن يقال : إن الله أخير - تعالى ذكره - أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ، فكفروا بالله ، اتبعوا لذات الدنيا ، فاستكبروا وكفروا بالله وتجبروا وصدوا عن سبيله ، وذلك أن المترف في كلام العرب ، هو المنعم الذي قد غذي باللذات<sup>(٣)</sup> .

وسبب الانتقام منهم أن من عادتهم المسارعة في تكذيب الحق ورده ؛ لما يفعله فيهم الترف من بطر النعمة والانغماس في ملذات وشهوات الدنيا لأن الإيمان معناه في نظرهم<sup>(٤)</sup> : ترك ما هم عليه من النعيم ، ترك ما هم فيه من الجاه والسلطان وكثرة الاتباع وعلو منزلتهم عند الناس ، ترك ما هم فيه من حب التجبر والتسلط ، ترك ما هم عليه من حب الظهور والاستشراف وقمع حرية الآخرين ؛ وإلا لو أنهم آمنوا لانطوى في أيديهم خيري الدنيا والآخرة ؛ ولكنهم اهتموا بالتنعم والانغماس في الشهوات ورفضوا ما وراء ذلك مما ينفعهم في الآخرة ونبذوه وراء ظهورهم<sup>(٥)</sup> .

(١) لسان العرب (٣٠/٢) مادة "ترف" .

(٢) انظر : القاموس المحيط (١٠٦/٢) فصل التاء ؛ وانظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن (٥٣٧/١) ط دار الفكر العربي .

(٣) تفسير الطبري (٥٢٩/١٥) .

(٤) أي : لو آمنوا فإن معناه التنازل عن النعيم والوجاهة والسلطان

(٥) انظر : (تفسير الكشاف) (٤٣٧/٢) ؛ روح المعاني (١٦١/١٢) .

وأما تخصيص المترفين بالكذب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٥] لأنهم في الأغلب أول المكذبين للرسول - عليهم السلام - لما شغلوا به أنفسهم من زخرفة الدنيا وما غلب على قلوبهم منها<sup>(١)</sup> .

وأما طاعة سفلتهم فتبع لهم ؛ لأن الأغنياء المترفين هم الأصل في ذلك القول ، ألا ترى إلى قوله تعالى عنهم في محاجة بعضهم بعضاً : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [سبأ: ٣١] .

ولذا مضت سنة الله - تعالى - في المترفين الذين أبطرتهم النعمة كما رأينا من قارون ، وفرعون ، وهامان ، وغيرهم من قساة القلوب الذين كذبوا رسل الله وعادوا أوليائه فمسخت قلوبهم من كل خير ؛ لأن الترف كما يقول سيد قطب « يغلظ القلوب ويفقدها الحساسية ويفسد الفطرة ويغشيها ، فلا ترى دلائل الهداية فتستكبر على الهدى وتصر على الباطل ولا تفتح للنور »<sup>(٣)</sup> عندها يقصمها الله - تعالى - ويذيقها العذاب في الدنيا قبل الآخرة قال تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظِلْمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [١١] فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنِّهَا يَرْكُضُونَ ﴿ ١٢ ﴾ لَا تَرَ كُضُوءًا وَأَرَجُعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿ ١٣ ﴾ [الأنبياء: ١١-١٣] أي : يا من بطرتهم النعمة فردوا الحق الذي جاءهم به الرسل من عند ربهم ، فظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم فاستحقوا العذاب ، قيل لهم على وجه التهكم بهم لما رأوا مقدمات العذاب : لا تركضوا هارين من نزول العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة لعلكم أن تكونوا مقصودين في أمور الدنيا كما كنتم سابقاً مسئولين من مطالب الدنيا وهيئات ، لقد فات الأوان وحل بكم العقاب<sup>(٤)</sup> ! قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] .

(١) انظر : (روح المعاني) (١٤٧/٢٢) .

(٢) انظر : (التفسير الكبير) (٢٦١/٢٥) .

(٣) في ظلال القرآن (٢٩١٠/٥) ، وانظر نفس المصدر (٢٢١٧/٤ ، ٢٢١٨) .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير (١٨٣/٣) ؛ تيسير الكريم الرحمن (٢٧٠/٣) .

لأنهم أبوا الحق واستحقوا نعمة الله ؛ عندها يسلط الله شرارهم فيعصون فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم<sup>(١)</sup> .

وأما البطر : فمعناه الطغيان عند النعمة وعدم القيام بشكرها<sup>(٢)</sup> ، ويطلق أيضاً على كفران النعمة أي سترها بترك أداء شكرها<sup>(٣)</sup> .  
والحاصل أن البطر هو الطغيان وكفر النعم .

وسنة الله في البطر وأهله تخريب ديارهم وإهلاكهم ، كما رأينا في قصة أهل سبأ وصاحب الجنتين وأصحاب الجنة وغيرهم ، فكما أهلك أولئك أو مزقهم في الأرض عقوبة لهم فهو القادر - عز وجل - أن يجري سنته على من كان مثلهم في كل زمان ، وما يحصل في هذه الأزمان من دمار ، وحروب ، وزلازل ، وتشريد ، وجوع ، وخوف ... ماهو إلا من سنة الله - تعالى - التي لا تختلف عن موعدها إذا توفرت أسبابها .

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] .

وقال عن أهل سبأ ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧] وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] أي : لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية بأن يسلبها منهم حتى يغيروا ما بأنفسهم مما اتصفوا به من الطاعات إلى كثرة المعاصي واقتراف المناهي<sup>(٤)</sup> .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمَّا تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصاص: ٥٨] .

(١) انظر : (تفسير الطبري) (٤٠٦/١٧) ؛ وانظر : تفسير القرطبي (٢٣٢/١٠) ومعنى (أمرنا) في الآية أي : أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليها القول . انظر : نفس المصدر (٤٠٦/١٧) .

(٢) انظر : (لسان العرب) (٤٣٠/١) مادة " بطر " .

(٣) انظر : (مفردات) الراغب ص " ٤٥١ " .

(٤) انظر : (تفسير الكشاف) (٥١٧/٢) .



والأمم التي أهلكها الله بسبب بطورها كثيرة ، ولا زالت بعض آثارها إلى اليوم ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً ، وكان الوارث لها هو الله - عز وجل - فلم يكن لمساكنهم وارث . وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها ، لا مالك لها إلا الله الذي له ميراث السماوات والأرض<sup>(١)</sup> .

### ثامناً : المكر .

المكر : هو الاحتيال في خفية<sup>(٢)</sup> .

وفي تفسير المنار : هو في الأصل التدبير الخفي المفضي بالممكور به إلى مالا يحسب<sup>(٣)</sup> .

وما نقصده هنا : المكر الذي يصد عن سبيل الله وعن الدعوة إليه ، أو المكر بأنبياء الله أو إيدائهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [ الأنعام: ١٢٣ ] .

والمعنى : وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك<sup>(٤)</sup> .

وإنما خصهم بالذكر هنا لأنهم أقدر على الفساد وأقوى من غيرهم على حمل الناس على اتباعهم في باطلهم<sup>(٥)</sup> .

وقال سبحانه : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [ النحل: ٢٦ ] .

والمعنى : قد مكر الذين من قبلهم ( أي : مشركي مكة ) فدمر الله بنيانهم من أصولها وجاءهم العذاب من مأمنهم<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : (تفسير الطبري) (٦٠٢/١٩) .

(٢) لسان العرب (١٥٩/١٣) مادة "مكر" وانظر : (الفروق اللغوية) للعسكري ص (٢١٥) وانظر : (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (٥١٦/٤) بتحقيق : محمد علي النجار ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

(٣) تفسير المنار (٣١٥/٣) .

(٤) تفسير الكشاف (٤٨/٢) .

(٥) تفسير ابن كثير (١٧٢/٢) ؛ القرطبي (٧٠/٧) ؛ الألوسي (٢٢/٨) .

(٦) تفسير الطبري (٩٦/١٤) .

قال الشوكاني : أكثر المفسرين على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ في الآية هو ( النمرود بن كنعان ) عندما بنى بناءً عظيماً في بابل أراد به الصعود إلى السماء ومحاربة أهلها فدمّر الله بنيانه من القواعد<sup>(١)</sup> . ثم قال والأولى أن الآية عامّة في جميع المبطلين<sup>(٢)</sup> .

ومثل حال هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله بتبليغ شرعه حال من كان قبلهم حين دبّروا الحيل ونصبوا الحبال ليمكروا برسول الله ، كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بأعمدة فضعت ، فسقط عليهم سقفها فهلكوا تحته جميعاً . فما ظنوه سبب القوة والتحصين صار سبب هلاكهم ، فكذلك كانت عاقبة مكرهم وبالا عليهم<sup>(٣)</sup> .  
أمثلة :

رأينا مما سبق كيف مكر الكفرة برسولهم بقتله وقتل أهله ما قصه الله علينا من أخبار ثمود مع نبيهم صالح - عليه السلام - وكيف أن رهطاً منهم اتفقوا على قتله قال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> وَمَكْرُؤًا مَكَرًا مَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿<sup>(٨)</sup> [ النمل: ٤٨-٥١ ] .

ورأينا مدى مكر اليهود بعيسى - عليه السلام - وكيف أرادوا قتله غيلة<sup>(٩)</sup> ، فرفع الله نبيه إليه وألقى شبهه على آخر قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾<sup>(١٠)</sup> بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿ [ النساء: ١٥٧-١٥٨ ] .

ومكر كفار قريش برسول الله ﷺ وتنادوا فيما بينهم بقتله أو حبسه أو إخراجهم من مكة .

(١) فتح القدير (١٥٧/٣) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر : (تفسير المراغي) (٧٠/١٤ - ٧١) .

(٤) انظر : (تفسير الزمخشري) (٣٧٢/٢ ، ٣٧٣) .

(٥) تفسير الكشاف (٣٦٦/١) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] ونجى الله رسوله من مكرهم وحق بهم مكرهم يوم بدر وغيرها قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣] .

وعند ابن كثير في تفسيره والسيوطي في الدر<sup>(١)</sup> قال محمد بن كعب القرظي : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به : من مكر أو بغى أو نكت ، وتصديقها في كتاب الله ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ [يونس: ٢٣] ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [الفتح: ١٠] . والمقصود من كل هذا : أن سنة الله في المكر والماكرين ماضية إلى يوم القيامة يحق الله بها الباطل وأهله .

قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨] ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] .

### تاسعا : الصمد عن مساجد الله .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤] .

وهذه من المعاصي العظيمة التي يعاقب الله عليها ، وتكون سببا في انتقام الله تعالى ممن يفعل ذلك .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي : لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها . فالآية مشعرة بأن ظلمه من أعظم الظلم بعد الشرك بالله تعالى<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر المفسرون أسبابا لنزول هذه الآية لا يصح شيء منها<sup>(٣)</sup> ، والصحيح أن العبرة بعموم اللفظ كما قال الزمخشري : إن الآية وإن كانت في مسجد معين لكن الحكم عام في كل المساجد<sup>(٤)</sup> .

(١) تفسير ابن كثير (٥٦٩/٣) ؛ الدر المنثور (٤٨٠/٥) .

(٢) صفوة الآثار (٣١٤/٢) .

(٣) نفس المصدر (٣١٤/٢) .

(٤) تفسير الكشاف (١٧٩/١) .

والمقصود أن الآية تتناول كل من منع من مساجد الله شيئا أو حرب مدينة من مدن الإسلام ؛ لأنها مساجد وإن لم تكن موقوفة ؛ إذ الأرض كلها لهذه الأمة لحديث : « جعلت لي الأرض مسجدا »<sup>(١)</sup> .

وما أكثر من يخرب بيوت الله في بلاد المسلمين في هذه الأيام ؛ إما بمنع المصلين من الصلاة فيها كالمسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي في فلسطين أو بمنع خطباء مساجد الله من الصدع بكلمة الحق ، أو باتخاذها هدفا لتحصيل ما يريد حكامها وسلطانها<sup>(٢)</sup> ، أو بإغلاقها كلية بزعم اتخاذها غرضا تعادي به الدول ، أو تركها كما يقال آثارا تاريخية عفى عليها الزمن ، وكل هذا في نظري من الصد عن سبيل الله وعن مساجده التي قال الله عنها ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦] .

وقد توعد الله الذين يكتبون الدعاة ويمنعونهم من ذكره وتوحيده في مساجده ، ويسعون في خرابها حسيا ومعنويا ، توعدهم أعظم الوعيد بأن لا يدخلوها إلا خائفين سواء كانوا من المشركين أو من عصاة المسلمين أو المحسوين عليهم ، لا يدخلون المساجد إلا وهم خائفون محرومون من أمن المسجد الذي هو مكانه ؛ لأن ذنوبهم تخيفهم وتحرمهم من المكث فيه .

وأما خزي الدنيا فهو أن يكون الحاكم الظالم للمساجد ولأهلها مخذولا في حكمه ، والمحتل الظالم كاليهود وغيرهم غير آمن في احتلاله كما هي عاقبة العرب المشركين ثم الصليبيين حين احتلالهم لبيت المقدس ، وكما انقرض حزب القرامطة<sup>(٣)</sup> المجرمين بالخزي واللعة بعد تخريبهم في المسجد الحرام وإخافة أهله بسرقة الحجر الأسود كما هو مشهور في كتب التاريخ .

وأما عذاب الآخرة لهم فيكفيننا وصف الله بأنه عظيم ، عظيم الهول ، عظيم الإيلام ، عظيم الحسرة<sup>(٤)</sup> .

(١) المحرر والوجيز (٣٩٦/١) والحديث رواه البخاري ، كتاب التيمم ، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا (١٢٦/١) برقم [٣٣٥] . ورواه مسلم ، كتاب المساجد ، الباب نفسه (٣٧٠/١) برقم [٥٢١] .

(٢) انظر : (صفوة الآثار) (٣١٣ ، ٣١٤) .

(٣) القرامطة : حركة باطنية ، ظهرها التشيع لآل البيت ، وحقيقتها الإلحاد وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية ، تنسب إلى حمدان قرط بن الأشعث .

انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص (٣٩٥) ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ط الثانية ١٤٠٩ هـ ، أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن ، د/ سهيل زكار ص "١٨٧ - ٥٠٣ ، ٥٠٨" ط دار الكوثر الرياض سنة ١٤١٠ هـ .

(٤) انظر : (صفوة الآثار) (٣١٦/٢) .

## ثانيا : التوصيات والمقترحات .

١ - الالتزام بأوامر الله - عز وجل - والبعد عن معاصيه خير عمل ينحو به العبد من عقاب الله الدنيوي والأخروي ؛ لذا فإنني أوصي نفسي وإخواني المسلمين وخاصة الشباب منهم بالالتزام بالدين الإسلامي الالتزام الحق والبعد عن التقليد والتشبه بالكفار سواء كان ذلك في العادات أو اللباس أو الكلام أو غير ذلك ففي الحديث « من تشبه بقوم فهو منهم »<sup>(١)</sup> والناظر في حال شبابنا اليوم يجد ما يندى له الجبين من تغير الحال ، وسفاهة المقال ، وسهر الليالي الطوال ، نسأل الله - تعالى - صلاح الحال . وأقترح على هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيجاد حل لمثل هذه الأمور ففي يدها سلطات كثيرة تستطيع بإذن الله القضاء عليها إما بتوجيههم الوجهة الصحيحة أو دعوتهم أو استعماهم في مهامها أو غير ذلك .

٢ - أوصي كل داع إلى الله - تعالى - بما وصى الله به أنبياءه - عليهم الصلاة والسلام - في قوله سبحانه لموسى - عليه السلام - ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه:٤٤] وقوله لمحمد ﷺ ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] وقوله ﷺ « ما يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »<sup>(٢)</sup> .

وأقترح على وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف توجيه الدعاة وتدريبهم على كيفية الدعوة اللينة ، والموعظة الحسنة ، والاستفادة مما كتبه العلماء في ذلك ؛ فقد يكون الداعية إلى الله ذا علم لكن لا يستطيع إيصال ما يريد للناس بالطريقة الحسنة الشيقة .

٣ - سبق وأن ذكرنا أن دين الأنبياء جميعا هو الإسلام وأنهم جميعا يدعون إلى عبادة الله وحده كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥] .

وكما رأينا من أن كل رسول من الرسل جاء يقول لقومه ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف:٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] و [سورة هود: ٥٠، ٦١، ٨٤] و [سورة المؤمنون: ٢٣، ٣٢] لأنها حقيقة واحدة يقوم عليها دين الله كله .

(١) سبق تخريجه ص "٢٠٤" .

(٢) سبق تخريجه ص "١٣٦" .

وفي ضوء هذا التقرير يتبين مدى مفارقة منهج ( الأديان المقارنة ) مع المنهج القرآني ، وأنه لم يكن هناك تطور في مفهوم العقيدة الأساسي ، الذي جاءت به الرسل كلها من عند الله وأن الذين يتحدثون عن ذلك إنما يقولون غير ما يقوله الله سبحانه<sup>(١)</sup> ! ويفترون على الله الكذب . إنما جاءت الرسل رسولا بعد رسول بالتوحيد الخالص ، وما حصل من إنحراف في الأقوام إنما حصل حين اجتالتهم الشياطين ، وطال عليهم الأمد ، وكثرت المعتقدات الجاهلية ، وفتحت عليهم الدنيا وغيروا وبدلوا ، عندها يرسل الله رسولا آخر ليردهم إلى الإسلام إلى الدين الحق إلى الحنفية السمحة .

٤ - أوصي نفسي وإخواني طلاب العلم بالاستفادة من وقتهم وذلك بإعطاء الأولوية لكتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ ودراسة كتب السلف الصالح وخاصة في العقيدة والتوحيد .

وأقترح أن يلزم الإنسان نفسه ببرنامج معين يسير عليه مرة في دراسة كتاب الله - تعالى - وأخرى في سنة نبيه ﷺ ، وثالثة في كتب العقيدة الصحيحة ، وهكذا ليكون العلم نورا له في الدنيا يرفع به الجهل عن نفسه وعمن يريد إصلاحه ، ونورا له في قبره ونورا له في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »<sup>(٢)</sup> .

وأن ما يدعو إليه بعض الناس اليوم بما يسمى ( بزماله الأديان ) ، أو باسم التقريب بين الأديان ، وأحيانا باسم جمعيات الصداقة بين الأديان ؛ إنما هو إنحراف عن العقيدة وبعد عن الدين الحق ورد لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ورد لقوله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي

(١) انظر : ( في ظلال القرآن ) ٣/ ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ( ٣/ ١٢٥٥ )

برقم [١٦٣١] .

أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup> ولقد جاور النبي ﷺ يهود المدينة سنين طويلا قبل أن يجليهم عنها جادلوه خلالها وخاصموه ، ودعاهم بدوره إلى كلمة الإيمان والإسلام ، ولم يدعهم ولا مرة واحدة إلى التقريب بين الإسلام واليهودية ، وكذلك لما جاء وفد نجران إلى المدينة والتقى بالنبي ﷺ وحاجوه في النصرانية فدعاهم إلى المباهلة فخافوا وأبوا أن يياهلوا ، وأمره الله أن يقول لهم ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] ولو علم النبي ﷺ أن في القرب منهم خيرا لفعله .

إذا فالدعوة من هنا وهناك إلى ( زمالة الأديان ) دعوة خبيثة هدفها حب اليهود والنصارى وموالاتهم وتركهم يعيشون في الأرض الإسلامية فسادا ، بل دعوة أيضا إلى ترك الجهاد في سبيل الله والله تعالى قال عنهم : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ الآية [البقرة: ١٢٠] .

ولعل عذرنا في الحكم عليهم ما دهم العالم الإسلامي من الاستشراق والاستعمار في وقت من الأوقات ، وهذه آثاره تنضح علينا بين الفينة والأخرى ، لتشويه صورة الدين الإسلامي في أذهان وقلوب الناس الذين يفكرون في الخروج من الخواء الروحي الذي يعيشونه في ظل الماديات المقيتة والشهوات الرخيصة ؛ لتفقد الدعوة إلى العقيدة الصحيحة تميزها وصفاءها ونقاءها ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ [يوسف: ٢١] ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [الصف: ٨-٩] .

لذا أدعو نفسي وإخواني المسلمين إلى الالتزام بالدين والتمسك به والعض بالنواجذ على مثله وقيمه العليا ، والبعد عن سفاسف الأمور ، وأن يكون هناك فئة من علماء المسلمين تتولى الرد على ما يثار اليوم في الصحافة والإذاعة والبرق التلفزيوني وما يسمى ( بالإنترنت ) من زوبعة حول تطبيق الشريعة الإسلامية ، أو حول حدودها وأحكامها وإظهار الصورة الحقيقية للإسلام ، وأنه دين المحبة والسلام . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

٣٧٦



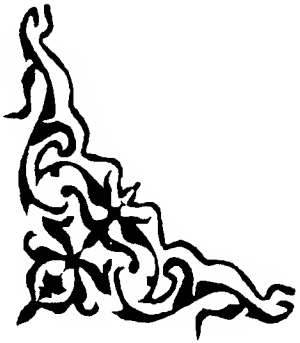
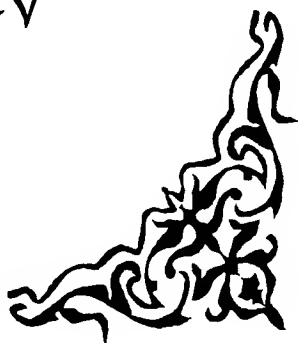
(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٣٤/١) برقم [١٥٣] .



---



## الفهارس

- 
- 
- ١- فهرس الآيات
  - ٢- فهرس الأحاديث
  - ٣- فهرس الآثار
  - ٤- فهرس الأعلام
  - ٥- فهرس الشواهد الشعرية
  - ٦- فهرس المصادر والمراجع
  - ٧- فهرس الموضوعات
- 
- 
- 



## فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة ( ١ )		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٢٢٧
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾	٦	٤٤٧
سورة البقرة ( ٢ )		
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾	٧	٣٥٢
﴿يُخَلِّدُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	٩	٥٥٧
﴿صُمْ بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	١٨	٣٠٦
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	١٤٠٨
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٨
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾	٣٨-٣٤	٣٧٠٩٠٨
﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾	٣٨-٣٥	٤٩٠٤٨٠٤٦٠١٠
﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا﴾	٣٦	٦٤٠٥٠٠٢٦٠١٤٠١٢
﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾	٣٦	٥٧٠٥٤٠١٤
﴿فَتَلَقَّى ءَادَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾	٣٧	٥٤٠١٣
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾	٣٨	٣١٠١٤
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ﴾	٤٤	٣٠٩٠١٢٨
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾	٤٥	٤٢٣
﴿يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾	٤٩	٣٤٠
﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَتَجَنَّبَكُمْ﴾	٥٠	٥٠٢٠٣٣٩٠٢٠٥
﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾	٥١	٤٩٣٠٤٥٨٠٤٥٧
﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾	٥٣	٤٦٠
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾	٥٤	٦٤٤٠٥٠٣٠٤٨٩٠٤٥٨
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ﴾	٥٦٠٥٥	٥٠٥٠٤٨٧٠٤٦٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾	٥٦	٤٨٩
﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٥٧	٥٠٧، ٤٦٧
﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾	٥٩، ٥٨	٤٧٤، ٤٧١، ٤٧٠، ٥٠٨، ٤٩٠
﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾	٦٠	٥٠٩، ٤٩١، ٤٦٨
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾	٦١	٦٥١، ٥١٢، ٤٩٥، ٤٦٩
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾	٦٤، ٦٣	٤٨٨، ٤٧٤
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾	٦٥	٥٦٣، ٥٥٥، ٥٥٣
﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾	٦٦	٥٦٤
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾	٦٧	٥١٤، ٤٩٧، ٤٧٦
﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾	٦٨	٥١٥
﴿ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ﴾	٦٩	٥١٥
﴿ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾	٧٠	٥١٦
﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ ﴾	٧١	٥١٦، ٤٩٧، ٤٨٢، ٤٧٧
﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾	٧٢	٤٩٧
﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾	٧٣	٥١٨
﴿ وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾	٧٤	٤٧٧
﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾	٩٣، ٩٢	٤٥٧، ٦٨
﴿ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا ﴾	١٠٢	٦١٤
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾	١١٤	٦٦٠
﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	١١٧	٥٥٥
﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ ﴾	١٢٠	٦٦٤
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٦٠١
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾	١٥٠	٣٧٢
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾	١٥٣	٤٢٦، ٤٢٣، ١٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾	١٦١	٣٤٠
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٦٤	٥٠٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾	١٧٠	١٨٧
﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾	١٩٥	٥٣٧، ٥٠٨
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ﴾	٢١٤	٣١٥
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴾	٢١٦	٤٣٥
﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾	٢٤٣	٥٤٠، ٥٣٥، ٥٣٣
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا ﴾	٢٤٤	٥٤٠، ٥٣٣
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	٢٤٥	٥٣٤
﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الْآلَمَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾	٢٥٢-٢٤٦	٥٤٠، ٥٣٩
﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾	٢٤٧	٥٥٠، ٥٤٣، ٥٤١
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ ﴾	٢٤٨	٥٤٤
﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾	٢٤٩	٥٤٥، ٥٤٤، ٥٤١ ٥٥١، ٥٤٩، ٥٤٨، ٥٤٧
﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾	٢٥٠	٥٤٦، ٤٤٧
﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾	٢٥١	٥٤٦، ٥٤٢
﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾	٢٥٦	٤٧٥
﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	٢٥٧	١٤٠، ٥
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾	٢٦٠	٥٧٥
﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾	٢٦٩	٥١٨، ٥١٦، ٣١٤
﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾	٢٧٥	٤٧٩، ٣١٠
﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾	٢٧٨	٤٧٩
﴿ وَإِنْ كَانَتْ دُورُ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾	٢٨٠	٤٥٠
﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾	٢٨٢	٣٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
سورة آل عمران ( ٣ )		
﴿ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾	١١	٣٣٩
﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾	١٩	٦٦٣
﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ ﴾	٢٦	٥٩٥
﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾	٢٨	١٢٨
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾	٣١	٣٢٨
﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾	٥٢	٥٨٢
﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ تَوَفَّيْكَ ﴾	٥٧،٥٥	٥٨٢،٥٧٦
﴿ إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾	٥٩	٥٦٣،١٠٦
﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ ﴾	٦٤	٦٦٤
﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾	٨٥	٦٦٣
﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾	١٠٢	(ب) مقدمة
﴿ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا ﴾	١١٢	٥٦٤،٥١٣
﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾	١١٨	١٥٠
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾	١٣٥	١٨٦
﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾	١٣٧	٢٢٨
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾	١٤٧	٥٠٩
﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾	١٥١	٦٤٤
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾	١٥٥	٣٣٣
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾	١٥٩	١٢٦
﴿ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ ﴾	١٦٥	٣٣٣
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾	١٧١،١٦٩	٣٣٤،٣٢٦
سورة النساء ( ٤ )		
﴿ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾	١	(ب) مقدمة، ١٠
﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ ﴾	٣	٣٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ﴾	٨	٦٠٤
﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا﴾	٩	٦٠٦
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾	١٤، ١٣	١٣٤
﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ﴾	١٨	٥٠٤
﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾	٢٧	٣١٠، ٢٦٥
﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٤٤٧، ٣٤٩
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾	٢٩	٥٠٨
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾	٤١	٥٨٤
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	٤٧	٥٥٣
﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾	٥٩	٦٠٦
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾	٦٥	١٨٤
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾	٧١	٥٣٧
﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾	٧٨	٥٣٧
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	٨٠	٢٨٢
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾	٨٣	٦٠٦
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾	٩٢	٤٣٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾	٩٩، ٩٧	١٤٩
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	١٣١	١٢٤
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾	١٤٢	٥٦٢
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	١٤٥	٥٦٢
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾	١٥٣	٤٩٠، ٤٦٨، ٤٦٠
﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ﴾	١٥٤	٤٧٦، ٤٧٥
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	١٥٥	٥٧٧
﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ﴾	١٥٦	٥٨٧، ٥٧٧
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى﴾	١٥٨، ١٥٧	٥٨٣، ٥٧٨، ٥٧٧
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾	١٥٩	٥٨٤، ٥٧٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾	١٦١، ١٦٠	٥١٣، ٥٠٨
﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾	١٦٤	٤٤٥
﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	١٦٥	٣٣٥
سورة المائدة ( ٥ )		
﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾	٤	٨١
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ ﴾	١٨	٥٦٢
﴿ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	٢٠-٢٦	٤٩٩، ٤٧٨
﴿ يَنْقُومِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾	٢١	٤٩٨، ٤٧٩، ٤٧١
﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾	٢٢	٤٩٩
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	٢٣	٤٧٩
﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ ﴾	٢٤	٥٤٣، ٥٠٠، ٤٩٥
﴿ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾	٢٥	٥٠٠، ٤٧٩
﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾	٢٦	٥٠٠، ٤٧٩
﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ ﴾	٢٧	٧٥٠، ٦٩، ٦٧، ٦٦
﴿ لَنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ ﴾	٢٨	٦٩، ٦٧، ٦٦
﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي ﴾	٢٩	٧٠، ٦٩، ٦٧، ٦٦
﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾	٣٠	٧٠، ٦٨، ٦٦
﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾	٣١	٨١، ٧٠، ٦٨، ٦٦
﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ ﴾	٥٠	٢٢٢
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	٥١	١٥٠، ١٤٨
﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥٤	٤٣
﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً ﴾	٦٠	٥٥٩، ٥١٣
﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	٦٤	٣٢
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا ﴾	٦٥، ٦٦	١٨٥
﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ ﴾	٦٧	٦٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾	٧٢	٥٧٩
﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	٧٩، ٧٨	٥٧١
﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٨١	١٤٨
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ﴾	١٠١	٥١٥، ٤٩٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾	١٠٤	١٨٧
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾	١٠٥	٤٤٠، ٢٣٠
﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾	١١١-١١٤	٥٨٥، ٥٧٥
﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾	١١٢	٥٧٩
﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾	١١٤	٥٧٦
﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾	١١٥	٥٨٦، ٥٨١، ٥٧٩
سورة الأنعام ( ٦ )		
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾	١	٦٣٥
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾	٦	٦٤٦، ٢١٨
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾	٩، ٨	١٣١
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾	١١	٢٢٨
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾	٣٣	٤٤٧، ٣٧٥
﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا﴾	٣٤	٣١٥
﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا﴾	٤٥، ٤٤	٥٢٥، ٣٠٦، ١١٤ ٦٤٦، ٥٣١
﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾	٧٣	٣٣
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾	٩٠	١٣٠
﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾	٩١	٥٦٧
﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾	٩٦	١٥٤
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾	٩٩	١٥٤
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾	١٠٠	٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ ﴾	١١١	٦٣٤
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا ﴾	١٢٣	٦٥٨، ١٣٩
﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾	١٥٤	٥٦٧
﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾	١٦٠	٣٨٦
﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾	١٦٢	٧٥
<b>سورة الأعراف ( ٧ )</b>		
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾	٢٥ : ١١	١٥
﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾	١٣، ١٢	٣٦، ٢٠، ١٧، ١٦ ٤٣، ٤٢، ٣٨
﴿ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾	١٣	٣٨، ٢٠
﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	١٥، ١٤	٣٨، ١٨
﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾	١٦	٣٩، ٢٠، ١٨
﴿ ثُمَّ لَا تَنتَهُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾	١٧	٢٠
﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾	١٨	٤٠، ٣٨، ٢٠
﴿ وَيَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾	١٩	٤٩، ٢٠، ١٢
﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ... وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا ... ﴾	٢٠	٥٠، ٣٠، ٢١
﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾	٢١	٥٢
﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا ﴾	٢٢	٥٤، ٥٣، ٥١، ٢٢
﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾	٢٢	٥٤
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾	٢٣	٥٤، ٥١، ٢٢، ١٤
﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾	٢٤	٣١
﴿ يَبْنِي عَادَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾	٣١	٦٦
﴿ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾	٤٤	٣٣
﴿ إِنْ رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٥٦	٢٣٨



الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا ﴾	٥٧	١٥٤
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾	٥٩	٩١، ٩٠، ٨٣ ١٥٨، ١٠٨
﴿ قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	٦٠	١٥٨
﴿ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾	٦١	١٨٦، ١٠٩، ١٠٨
﴿ أَبْلِغْكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ ﴾	٦٢	١٩٧، ١٥٩
﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	٦٣	١٦٠، ١٣٨
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ ﴾	٦٤	١٠٣، ٨٩، ٨٨
﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾	٦٥	١٨٣، ١٧٤، ١٥٧، ١٥٥
﴿ قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾	٦٦	١٨٦، ١٧٧، ١٥٨
﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾	٦٨	١٩٧، ١٨٦، ١٥٩
﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾	٦٩	١٦٥، ١٦٠، ١٥٥
﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ ﴾	٧١	١٨٦، ١٧٧، ١٦٠
﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾	٧٢	١٨٢
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمِ ﴾	٧٣-٧٩	٢٠٨، ١٩٥، ١٩٤
﴿ وَيَوَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٧٤	٢٠٩، ٢٠٥
﴿ قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا ﴾	٧٥	٢٢٤، ٢١١
﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا ﴾	٧٧	٢٢٩، ٢١٣
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا ﴾	٧٨	٢١٧، ١٩٦، ١٩٦ ٢١٩
﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي ﴾	٧٩	٢٣١، ٢١٩، ٢١٧، ١٩٧
﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾	٨٠	٢٤٩، ٢٣٤
﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾	٨١	٢٥٠، ٢٤٣، ٢٣٥
﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ ﴾	٨٢	٢٥٢، ٢٤٣، ٢٣٥ ٢٥٣
﴿ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾	٨٣	٢٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾	٨٤	٢٥٧، ٢٤٣
﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	٨٥-٩٣	٢٩٢، ٢٧٨
﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾	٨٥	٢٩٣، ٢٩٠، ٢٧٩، ٢٧٦
﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾	٨٦	٢٩٣، ٢٨٦، ٢٧٩، ٣١٠، ٢٩٦
﴿قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ﴾	٨٨	٣٠٣، ٢٧٩
﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾	٨٩	٣١٢، ٣٠٦، ٣٠٤
﴿وَقَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنِ اتَّبَعْتُمْ﴾	٩٠	٢٠٠
﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا﴾	٩٢	٣٠٧، ٢٨٠، ٢٠٠
﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ﴾	٩٣	٣١٥، ٣٠٨
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا﴾	٩٥، ٩٤	٦٤٧
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا﴾	٩٦	٥١٤، ١٨٥
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾	١٠٣-١٣٧	٣٤٧، ٣٤٦
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٠٤-١١٢	٣٩٧، ٣٩٥
﴿قَالَ أَمْلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾	١٠٩، ١١٠	٤٠٢، ٣٦٦، ٣٤٨
﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ﴾	١١١	٣٦٧
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ﴾	١١٢	٣٦٨
﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾	١١٣	٣٦٨
﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	١١٤	٣٦٨
﴿قَالُوا يَكْفُورُ بِإِيمَانِهِمَا أَن تُلْقَىٰ وَإِنَّا لَنَكُونُ نَحْنُ الْمُغْلَبِينَ﴾	١١٥	٤٠٨
﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾	١١٦	٤٠٨
﴿فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾	١١٩	٤٠٩، ٣٤٨
﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ﴾	١٢٠	
﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٢١، ١٢٢	٣٥٨، ٣٤٩
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾	١٢٣	٤٠٩، ٣٦٩، ٣٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾	١٢٤	٣٦٠
﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾	١٢٥	٣٧٠
﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا ﴾	١٢٦	٤٤٧، ٤١٠
﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ﴾	١٢٧	٤٤٨، ٤١١
﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾	١٢٨	٤٤٦، ٤٢٣
﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ﴾	١٢٩	٤٨١، ٤٢٤
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾	١٣٠	٤١٨
﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ ﴾	١٣١	٤١٩، ٣٢٣
﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ ﴾	١٣٢	٤١٩
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾	١٣٣	٤٢٠
﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾	١٣٥، ١٣٤	٤٢٢
﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا ﴾	١٣٧	٤٣٤، ٤٣٣
﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾	١٣٨	٤٨١، ٤٨٠، ٤٦٣
﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾	١٣٩	٤٨١
﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾	١٤٢	٤٨٢
﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا ﴾	١٤٣	٤٦٨، ٤٤٥
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ﴾	١٤٦	٦٥١
﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ ﴾	-١٤٨ ١٥٥	٤٦٥، ٤٦١
﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾	١٤٩	٤٨٥، ٤٦٣
﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾	١٥٠	٤٨٣، ٤٦٣، ١٠٣
﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾	١٥٢	٤٨٥، ٤٦٣
﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ ﴾	١٥٥	٤٨٨، ٤٨٧
﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فَتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ﴾	١٥٥	١٢
﴿ إِنَّا هُدْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾	١٥٦	٤٨٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾	١٥٩	٥١٩
﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾	١٦٠	٤٦٩
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ﴾	١٦٠	٤٩٢، ٤٦٩
﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾	١٦١	٤٩١، ٤٧٥، ٤٧٢، ٤٧١
﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا ﴾	١٦٢	٤٩١، ٤٧٤، ٤٧٢
﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾	١٦٣	٥٥٥، ٥٥٤، ٤٧٥
﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ ... قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾	١٦٤	٥٦٠، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٥٦
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ... وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ ﴾	١٦٥	٥٥٩، ٥٥٦
﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾	١٦٦	٥٥٩
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾	١٦٧	٥٦٩، ٥٦١، ٥٥٦
﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾	١٦٨	٥٥٩، ٤٧٤
﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾	١٧١	٤٧٥
﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾	١٨٢	٦٤٥
﴿ وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾	١٨٩	١٠

## سورة الأنفال ( ٨ )

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾	٢	(ج) مقدمة
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا ﴾	١٥	١٣
﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ ﴾	٢٣، ٢٢	٥١٨
﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾	٢٥	٥٠٧، ٢٣٠
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٢٩	١٢٣
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	٣٠	٦٦٠، ٥٦٢، ٢٥٤، ٢٠٤
﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ﴾	٣٢	٦٤٩، ٢١٣
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾	٣٦	٦٥٤
﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾	٥٤-٥٢	٦٤٣، ٣٣٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	٦٠	٤٣٨
﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٣	٥٨٥
سورة التوبة ( ٩ )		
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ﴾	٢٣	١٤٦
﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ﴾	٣١	١٨٧
﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾	٤٧، ٤٦	٥٤٩
﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾	٦٧	٣٠
﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾	٧٠	١٩٢، ١٥٦، ٨٤ ٦٤٤، ٢٧٧، ٢٣٣
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾	٧٨	٥٥٩
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾	١١٣	٩٤
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا﴾	١١٩	١٢٧
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	١٢٨	١٢٦
سورة يونس ( ١٠ )		
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾	٥	١٥٢
﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٢	٦٥٤
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	١٣	١١٣
﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾	٢٠	١٦٢
﴿إِنَّمَا بَعَيْكُم عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾	٢٣	٦٦٠
﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ﴾	٢٤	١٣٤
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٣٨٦
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ﴾	٤٤	٢١٨
﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾	٤٨	٦٤٩
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا﴾	٥٠	٦٤٩
﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾	٥١	٦٤٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿هُوَ الْعَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾	٦٨	٥٨٥
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾	٧١-٧٣	١١٠، ٨٨
﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ﴾	٧٣	٦٥٤، ٨٨
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ﴾	٧٥ : ٩٢	٣٩٥، ٣٥٠
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾	٧٦	٤٠٢، ٣٥١
﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾	٧٧	٣٥١
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾	٧٩	٤٠٤
﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾	٨١	٥٦٤، ٣٥١
﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ﴾	٨٣	٤٤٨، ٤٢٤
﴿يَلْقَوْمٍ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ﴾	٨٤	٤٢٤
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٨٥	٤٢٤، ٣٥١
﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	٨٦	٤٢٤، ٣٥١
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى وَأَخِيهِ﴾	٨٧	٤٢٦
﴿أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾	٨٧	٤٢٦، ٣٥٢
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ﴾	٨٨	٤٢٦
﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾	٨٩	٤٢٨، ٣٥٢
﴿وَجَلَّوْنَا بَيْنِيَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ ... ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي﴾	٩٠	٤٥٢، ٤٣٢، ٣٩٧
﴿ءَالَيْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾	٩١	٤٣٢، ٣٥٣
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾	٩٢	٤٣٣، ٣٢٦
﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	١٠٣	٣٠٨، ٨٣
سورة هود ( ١١ )		
﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾	٣، ٢	١٨٥
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾	١٢	٩١
﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ﴾	١٣	٩١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى ﴾	١٧	٩١
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾	٢٥-٤٨	٩١، ٩٠، ٨٩
﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾	٢٦	٩١
﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾	٢٧	١٥٨، ١٣٩، ١٣٧
﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ ﴾	٢٨	٢٩١، ١٩٨، ١٣٧، ٩٢
﴿ وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾	٢٩	١٤٠، ٩٩، ٩٢، ٩١
﴿ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ﴾	٣٠	١٤١
﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾	٣١	٩٢
﴿ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا ﴾	٣٢	١١١
﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾	٣٣	١١١
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ ﴾	٣٥	٩٢
﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ ﴾	٣٦	٣٥٢، ١١٢، ١٠٦، ٨٣
﴿ وَاصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	٣٧	١١٥
﴿ وَيَصْنَعِ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ ﴾	٣٨	١١٦
﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾	٣٩	١١٦
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ ﴾	٤٠	١١٧، ١١٦، ١٠١، ٩٢
﴿ وَقَالَ آرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ ﴾	٤١	١١٦
﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ أَبْنَاهُ ﴾	٤٢-٤٣	١١٨، ١١٧، ١١٦
﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾	٤٣	١٨٢، ١١٧، ٩٣
﴿ وَقِيلَ يَأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ﴾	٤٤	١١٨، ١١٣، ٩٣
﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ ﴾	٤٥-٤٧	١١٩، ١١٨
﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾	٤٥	٥٠٦، ١١٩، ٩٤
﴿ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾	٤٦	١٢٠، ١١٩، ٩١ ١٦١، ١٤٥
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾	٤٧	١٢٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾	٤٨	١٢١، ٩٥
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	٥٠ : ٦٠	١٨٣، ١٧٤، ١٦١، ١٥٥
﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	٥١	١٨٤، ١٧٤
﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	٥٢	١٨٤، ١٧٩، ١٧٥، ١٦٢
﴿قَالُوا يٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾	٥٣	١٦٥، ١٦٢
﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾	٥٤ : ٥٧	١٧٦
﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوْا﴾	٥٤	٢٩١، ١٨٨، ١٦٣
﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾	٥٥	١٨٨
﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾	٥٦	١٧٦
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَعْتُكُمْ﴾	٥٧	١٩٩، ١٨٢، ١٦٣
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾	٥٨	٢٨٣، ١٩٩، ١٦٣
﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾	٥٩	٣٤٣، ١٧٦
﴿أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾	٦٠	٣٤٠، ١٦٤
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾	٦١-٦٨	٢٠٩، ١٩٨
﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾	٦١	٢٠٨، ١٩٨
﴿قَالُوا يٰصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾	٦٢	٢٢٢، ٢١٠
﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتْلُو مِنْهُ رَحْمَةً﴾	٦٣	٢١٠، ١٩٩، ١٩٨ ٢٩١
﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾	٦٤	٢٩١، ٢١٢، ٢٠٠، ١٩٥
﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا﴾	٦٥	٢٠٠، ١٩٩، ١٩٥ ٢١٦، ٢١٥
﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾	٦٦-٦٧	٢٠٠، ١٩٩، ١٩٦ ٢٨٣، ٢١٩، ٢١٢
﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾	٦٧	٢٠٠، ١٩٦
﴿يٰإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾	٧٦-٨٣	٢٥٤، ٢٣٦
﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾	٧٧	٢٥٥، ٢٤٤



الآية	رقمها	الصفحة
﴿ هَتُولَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾	٧٨	٢٦٥، ٢٥١، ٢٣٧
﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾	٧٩	٢٥١
﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾	٨٠	٢٦٦، ٢٥٦، ٢٥١، ٢٥٠
﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾	٨١	٢٤٥، ٢٤٠، ٢٣٩، ١٩٩
﴿ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ ﴾	٨١	٢٦١، ٢٦٠، ٢٣٧
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا ﴾	٨٣، ٨٢	٢٥٩، ٢٥٧، ٢٤٠ ٢٨٣، ٢٦٨
﴿ وَالْإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾	٩٥-٨٤	٢٨٦، ٢٨١، ٢٨٠ ٢٩٦، ٢٩٢، ٢٨٩
﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾	٨٦	٣١٢، ٢٨١
﴿ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ﴾	٨٧	٣٠١، ٣٠٠، ٢٩٠، ٢٨١
﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ ﴾	٨٨	٢٩٨، ٢٩٠، ٢٨١، ١٢٨
﴿ وَيَقُومُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾	٩٠، ٨٩	٢٩٩، ٢٩٦
﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾	٩١	٢٩٩، ٢٨١، ٢٦٧
﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	٩٣	٢٩٧، ٢٨٢، ١٩٩
﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾	٩٤	٢٨٣، ١٩٩، ١٩٦ ٣٠٧، ٣٠٦
﴿ أَلَا بَعْدَ لِمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴾	٩٥	٣١٥
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾	٩٩-٩٦	٣٤٠
﴿ وَمَا أَمْرُ قِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾	٩٧	٤١٥، ٣٤٠، ٢٦٦
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾	٩٨	٤٥٣، ٣٤٠
﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾	١٠١	٦٤٤، ١٩٠
﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ ﴾	١٠٢	٦٤٤، ٤٠٣، ٢٢٢
﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	١١٣	٤٣٩
﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾	١١٦	٦٥٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾	١٢٣	٢٢٧
سورة يوسف ( ١٢ )		
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	٢	٢٨
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴾	٧	٣٨٨
﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾	٢١	٢٥٣، ٣٣٠، ٦٤٢، ٦٦٠، ٦٦٤
﴿ تَاللَّهِ تَفْتَوًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ ﴾	٨٥	٦٧
﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾	٩٦	٢٤٥
﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾	١٠٠	٣٥
﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾	-١٠٥ ١٠٧	٥١٩
﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾	١١٠	٤٣١، ٣٠٨
سورة الرعد ( ١٣ )		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ﴾	١١	(هـ) مقدمة
﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾	١١	١١٥، ٦٥٧
﴿ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾	١٣	٦٣٩
﴿ فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾	١٧	٥٤٥
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾	٢٨	٤٥
﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾	٣٢	٣، ٦٥٣
سورة إبراهيم ( ١٤ )		
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا ﴾	٦	٧٦، ٣٤٠
﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُم بِنِ شَكْرْتُمْ ﴾	٧	٥٠٩، ٥٣٨
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٩	٨٤، ١٥٦، ١٩٢
﴿ إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾	١٠	٧٦
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ ﴾	١٣	٦٥٣
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾	٢٢	١٢، ٤٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾	٢٧	٦٠٦
﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾	٣١	١٩٥
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾	٣٤، ٣٣	١٥٢
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾	٣٧	٢٣١
﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾	٤٥	٢٢٩
<b>سورة الحجر ( ١٥ )</b>		
﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾	٦	٤٨٥
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ﴾	١١، ١٠	٦٥٣
﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَرًا﴾	٢٠، ١٩	١٥٣
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ﴾	٢٧، ٢٦	٢٤، ٢٣
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾	٢٨ : ٤٢	٢٣
﴿فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	٣٠	٢٤
﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾	٣١	٣٢
﴿قَالَ يَبْإِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾	٣٢ : ٣٤	٢٥، ١٦
﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ﴾	٣٣	٣٧، ١٧، ١٦
﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾	٣٥، ٣٤	٣٨، ٢٦، ٢٤، ١٧، ١٦
﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾	٣٥	٣٨، ١٨
﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾	٣٦-٣٨	٣٩، ٢٥، ١٨
﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾	٣٩، ٣٩	٣٩، ٢٦، ١٨
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	٤٢	٢٦
﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾	٥٧ : ٧٧	٢٣٨
﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾	٦١	٢٣٩
﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْوَاعَهُمْ﴾	٦٥	٢٦٠
﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾	٦٧	٢٥٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي ﴾	٦٨	٢٥٥، ٢٥٣
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾	٦٩	٢٥٦، ٢٥١
﴿ قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَلَمِينَ ﴾	٧٠	٢٥٢
﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾	٧١	٢٣٧
﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	٧٢	٢٦٧، ٢٤١
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾	٧٣	٢٥٧، ٢٤٠، ٢٣٧
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾	٧٤	٢٤٠
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	٧٥	٢٦٨، ٢٤٠
﴿ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾	٧٦	٢٤٠
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٧٧	٢٤٠
﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾	٧٩، ٧٨	٢٧٧
﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ ﴾	٨٢، ٨٠	١٩٢، ١٩١
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾	٨٣	١٦٥
﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٨	١٢٧

## سورة النحل ( ١٦ )

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾	١	١٧٧
﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾	١٥	٧٤، ٦٧
﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الْذِّبِ يُضَلُّونَهُمْ ﴾	٢٥	٧٤
﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾	٢٦	٦٥٨، ٣٨٥
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾	٣٦	٦٦٢، ٣٨٥، ٢٠٨
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴾	٤٠	٩٣
﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾	٦٨	٥٧٥
﴿ هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾	٧٥	١١٥
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى ﴾	٩٧	٥٧٢، ١٣٣، ٧٥
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾	٩٨	٤٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٥	١٢٧
﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾	١٠٦	٦١٣
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً ﴾	١١٢	٦٥٧، ٦٤٨، ٦٢٣
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾	١٢٠	٥١٩
﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾	١٢٤	٥٥٣
﴿ آذِعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾	١٢٥	٦٦٢، ١٣٠
سورة الإسراء ( ١٧ )		
﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾	٨-١	٥٦٦، ٥٦٥
﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾	٢	٥٦٦
﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾	٣	٥٦٦، ٩٥
﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾	٤	٥٦٩، ٥٦٦
﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾	٥	٥٦٩، ٥٦٧
﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾	٦	٥٧٠
﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾	٧	٥٧٢، ٥٧٠، ٥٦٨، ٥٦٧
﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ ﴾	٨	٥٧٠، ٥٦٨، ١١٣
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾	٩	(ب) مقدمة
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ ﴾	١٥	٣٣٥
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ﴾	١٦	٦٥٦، ٣١١، ٢٦٥
﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا ﴾	٥٩	٦٤٦، ١٩٣، ١٧
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾	٦٢، ٦١	٣٩، ٣٧، ٢٧، ٢٦
﴿ لِّئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾	٦٢	٣٩، ٢٧
﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾	٦٣	٤٠، ٢٨
﴿ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾	٦٤	٢٨
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾	٦٥	٢٨
﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ ﴾	٧٧، ٧٦	٦٥٣

الصفحة	رقمها	الآية
٣٤	٧٨	﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ ﴾
٣٠٥	٩٢	﴿ أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا ﴾
٧٦	٩٤	﴿ أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾
٨٨	٩٧	﴿ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾
٤١٥، ٣٩٧	١٠٢	﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا ﴾
٣٤١	١٠٣	﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾
٥٦٨	١٠٩	﴿ وَيَخْرُونِ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾
<b>سورة الكهف ( ١٨ )</b>		
٥٨٨	٤٤-٣٢	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾
٥٩٢	٣٣-٣٢	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾
٥٩٢	٣٤	﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ ﴾
٥٨٩	٣٥	﴿ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ ﴾
٦٤٥، ٥٨٩	٣٦	﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾
٥٨٩	٣٧	﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ ﴾
٥٩٠	٣٨	﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾
٥٩٧، ٥٩٦، ٥٩٥، ٥٩٠	٣٩	﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ... إِنْ تَرَنِ ﴾
٥٩٧، ٥٩٣	٤١، ٤٠	﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي ﴾
٥٩٤، ٥٩٠	٤٢	﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾
٥٩٤	٤٣	﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةً ﴾
٥٩٤، ٥٩١	٤٤	﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾
٢	٤٤	﴿ هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾
٤٩، ٧	٥٠	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾
٢٨١	٥٧	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾
٦٠٦، ٥٠٧	٨٢	﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾
٢٩٥	١٠٦-١٠٣	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾	١١٠	١٢٢
سورة مريم ( ١٩ )		
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾	١٦	٥٨٣
﴿وَلَنَجْعَلَنَّهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾	٢١	١٩٩
﴿يَتَأْتٍ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾	٤٥-٤٢	٣٣١
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾	٥١	٤٤٥
﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾	٦٢	٥٧٨
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾	٧٧	٥٩٢
سورة طه ( ٢٠ )		
﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾	١٠	٣٧٩
﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾	١٢	٥٩٠
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾	١٤	٥٩٠، ٣٣٧
﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾	١٥	٣٣٧
﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾	٢٢	٣٨٠
﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي	٢٤-٣٦	٣٣٧، ٣٣٨
﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي	٢٤-٨٢	٣٥٣
﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	٤١	٣٥٦
﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٢٤﴾ فَقُولَا لَهُ	٤٣ : ٥٨	٣٩٥، ٣٩٦
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾	٤٤	٣٥٦، ٣٩٠، ٦٦٢
﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾	٤٦	٤٠٠
﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾	٤٧	٣٥٦، ٣٦٤
﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾	٤٨	٣٥٧
﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾	٥٠	٣٩٧، ٣٩٨
﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾	٥١	٣٩٨
﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾	٥٢	٣٥٩، ٣٩٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾	٥٤،٥٣	٣٩٩
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾	٥٥	٣٩٩
﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾	٥٦	٣٩١
﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا﴾	٥٧	٤٠٢،٣٥٩
﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾	٦٠-٥٨	٤٠٤
﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾	٥٩	٤٠٥
﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾	٦٠	٤٠٥،٣٩٣
﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾	٦٢	٤٠٧
﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾	٦٣	٤٠٧
﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾	٦٤	٤٠٧،٣٥٤
﴿قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾	٦٦،٦٥	٣٥٧،٣٥٤
﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾	٦٦	٤٠٨
﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾	٦٩	٤٠٩
﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾	٧٠	٤٠٩،٣٥٨
﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾	٧١	٤٠٩،٣٦٩،٣٦٠
﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾	٧٢	٤١٠،٣٦٠
﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا﴾	٧٣	٤١٠
﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾	٧٣	٤١١
﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾	٧٤	٤١١،٤١٠
﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾	٧٥	٤١٠
﴿جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	٧٦	٤١٠
﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾	٧٧	٤٣١
﴿فَعَشَاهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا عَشَاهُمْ﴾	٧٨	٤٣٢
﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾	٧٩	٤١٥،٣٦١
﴿يَلْبِسِي إِسْرَءِيلَ قَدَ أَجْنِينَكُمْ﴾	٨١،٨٠	٥٠٠



الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ ﴾	٨٣-٩٨	٤٦٤
﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي ﴾	٨٤	٤٦٤
﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ ﴾	٨٥	٤٦٤
﴿ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ ﴾	٨٦	٤٨٤
﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ ﴾	٨٧	٤٦٤
﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾	٨٨	٤٨٤، ٤٦٤
﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾	٨٩	٤٦٤
﴿ يَلْقَوهُمْ إِنَّمَا فَتِنْتُمْ بِهِ ﴾	٩٠	٥٠٣، ٤٦٤
﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾	٩١ : ٩٤	٤٦٤
﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي ﴾	٩٥	٤٨٥، ٤٨٤، ٤٦٦
﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾	٩٦	٤٨٤، ٤٦٤
﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ﴾	٩٧	٤٨٥، ٤٦٢
﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ ... ﴾	٩٨	٤٦٤
﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾	١٠٨	١٥
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ﴾	١١٥ : ١٢٣	٥٢، ٤٧، ٢٩، ١٤
﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾	١١٧	٥٠، ٤٩، ٣٠
﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾	١٢٠	٣١، ٣٠، ٢٧
﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ ﴾	١٢١	٥٣، ٤٧، ٢٩
﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾	١٢١	٥٤، ٣١، ٢٩، ١٤
﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾	١٢٢	٦١، ٥٤
﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾	١٢٣	٣١، ٢٩
﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ ﴾	١٢٣	٢٩، ١٤
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ ... ﴿ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾	١٢٤-١٢٦	٦٢٢، ٤٩٤، ١٣٤
سورة الأنبياء ( ٢١ )		
﴿ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ ﴾	٦	٦٤٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ ﴾	٩	٦٥٤
﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾	١١-١٥	٦٥٦، ٦٢٦
﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾	٢٣	١١٥، ٣٣
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا ﴾	٢٥	٦٦٢
﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾	٣٥	٥٥٩
﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾	٣٦	٢٧
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴾	٤٨	٤٦٠
﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً ﴾	٧٣	٣٨٢
﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾	٧٧، ٧٦	٨٥
﴿ فَفَقَّهَمْنَاهَا سُلَيْمَنَ ﴾	٧٩	٤٧٧
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	٩٤	٧٥
﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾	١٠٣	١٣
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٠٣
﴿ قَتَلَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ﴾	١١٢	٤٧٠
سورة الحج ( ٢٢ )		
﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾	١١	٧٢
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ﴾	٣٤	٧٥
﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٤١	٤٢٣
﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾	٤٢-٤٤	٢٣٣، ١٩٣، ١٥٦ ٣٤١، ٢٧٧
سورة المؤمنون ( ٢٣ )		
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾	١٧	٩١
﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾	٢٢	٩١
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾	٢٣-٣٠	٩٦، ٩٥، ٩٠
﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الْإِيمَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾	٢٤	١٤٢، ١٣٧، ٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا ﴾	٢٩	٩٥
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا ﴾	٣٠	٩٧
﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ﴾	٣١ : ٤١	١٦٦، ١٦٤
﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾	٣٢	١٦٥
﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	٣٣	١٦٥
﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ ﴾	٣٧	١٦٦
﴿ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	٤١	١٦٦
﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ﴾	٤٢	١٦٦
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا ﴾	٤٤	١٦٦
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ ﴾	٤٥ - ٤٩	٣٤٥
﴿ أَنْزَلْنَا مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾	٤٧	٧٦
﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾	٥٠	٦١٧
﴿ وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾	٦٣	٥٩٠
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ﴾	٩٩، ١٠٠	٥٣٠
سورة النور ( ٢٤ )		
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ ﴾	٢١	٥٧
﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾	٣٠	٢٧٥
﴿ فِي بُيُوتٍ إِذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ ﴾	٣٦	٦٦١
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾	٤٣	٥٠٧
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥١	٤٢
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴾	٥٥	٦٤٢
﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾	٦٣	٥٩٧
سورة الفرقان ( ٢٥ )		
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا ﴾	٢١	٤٩٠
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾	٣٥، ٣٦	٣٤١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقَوْمِ نُوحٍ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ ﴾	٣٧	٦٢٩، ٨٥
﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ ﴾	٣٩، ٣٨	٦٢٨، ٦٢٥، ١٩٣، ١٥٦، ٨٤ ٦٢٣، ٦٢٢، ٦٣٠، ٦٢٩
﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ ﴾	٤٠	٢٣٤
﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾	٤٤	٦٣٦، ٧١
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾	٦١	١٥٢
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾	٦٧	٦٥٤
﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾	٧٠	٥٠٥
سورة الشعراء ( ٢٦ )		
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ ﴾	٨	٢٦١
﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ ﴾	١٠-١٤	٣٦٣، ٣٦٢، ٣٥٥
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾	١٢ : ١٤	٣٣٨
﴿ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾	١٥ : ٣٧	٣٩٦
﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦	٣٦٤
﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾	١٨	٣٦٦، ٣٤٤
﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا ﴾	٢٠	٣٦٤
﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢٣	٤٠٠، ٣٩٧، ٣٦٥
﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٢٤	٤٠٠، ٣٦٥
﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾	٢٦	٤٦
﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ﴾	٢٧	٥٧٧، ٤٠١، ٣٦٥
﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾	٢٨	٤٠١، ٣٦٥
﴿ لَئِنْ آتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ ﴾	٢٩	٣٨٢، ٣٦٥، ٣٣٠ ٣٩٣
﴿ قَالَ أُولَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾	٣٠	٤٠٢
﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ ﴾	٣١-٣٣	٤٠٢
﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا ﴾	٣٤	٣٦٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾	٣٥	٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٤٠٢، ٤٠٣
﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ﴾	٣٦	٣٦٧
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾	٣٧	٣٦٨
﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾	٣٩-٤٠	٤٠٦
﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا﴾	٤١	٣٦٨
﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	٤٢	٣٦٨
﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾	٤٦-٤٨	٤٠٩
﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ﴾	٤٩	٣٥٩، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤٠٩
﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾	٥٠	٣٧٠
﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا﴾	٥١	٤١١
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾	٥٢	٤٢٩
﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ﴾	٥٣	٣٧٠، ٤٢٩
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾	٥٤-٥٦	٤١٢، ٤٢٩
﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	٥٧-٥٩	٤٣٤
﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	٥٩	٣٨٩
﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾	٦٠	٤٣٠
﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾	٦١	٤٣٠
﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢	٤٣٠، ٤٣١
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ﴾	٦٣	٤٣١
﴿وَأَزَلْفُنَا تَحْتَ الْآخِرِينَ﴾	٦٤	٤٣١
﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾	٦٥	٤٣٢
﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٠٥-١٢٢	٩٧، ٩٨، ٢٢١
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾	١٠٦	١٠٨
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	١٠٨-١١٠	٩٧، ٩٨، ٢٥١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ ﴾	١١١	١٣٩
﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	١١٥-١١٤	٩٩
﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ ﴾	١١٦	٦٥٣، ١١٠، ٩٩
﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾	١١٨	٨٣
﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ ﴾	١١٩	١٠١
﴿ كَذَبْتَ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٢٤، ١٢٣	٢٢١، ١٦٦، ١٥٥
﴿ أَتَسْبُحُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً ﴾	١٢٩، ١٢٨	٢٢١، ١٨٩
﴿ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾	١٣٠	١٧٧
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾	١٣١	١٦٧
﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴾	١٣٣	١٦٧
﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	١٣٥	١٧٧
﴿ أَوْعِظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾	١٣٦	١٦٧
﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾	١٣٨، ١٣٧	٦٤٥، ٢٨٨، ١٧٧
﴿ كَذَبْتَ ثَمُودَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٤١-١٥٩	٢٢١، ٢٠٢، ٢٠١
﴿ أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا ﴾	١٤٦-١٤٩	٢٠٩، ٢٠٥
﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَظِيمٌ ﴾	١٤٨	٢٢١
﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾	١٤٩	٢٢١
﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	١٥١	٦٥٤
﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾	١٥٣	٢١٠، ٢٠٨
﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾	١٥٤	٢٠٨
﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ ﴾	١٥٥	٢١٢، ٢٠٩
﴿ كَذَبْتَ قَوْمٌ لَوْطِ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٦٠-١٧٥	٢٤٩، ٢٤١
﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾	١٦٤	٢٥١، ٢٤٩
﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦٥	٢٥٠
﴿ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ ﴾	١٦٧	٢٥٣، ٢٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾	١٧١	٢٤٢
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾	١٧٣	٢٥٧
﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٧٧، ١٧٦	٢٨٤، ٢٨٣، ٢٢١ ٢٨٦، ٢٨٥
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾	١٧٧-١٨٠	٢٩٧
﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	١٨٣	٢٨٨
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾	١٨٥	٣٠٥، ٣٠١، ٢٨٨
﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾	١٨٦	٣٠١، ٢٨٨
﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾	١٨٧	٣٠٧
﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١٨٨	٣٠٥
﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾	١٨٩	٣٠٧، ٢٠٠
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾	٢٠٨	١١٣
﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾	٢١٥	١٢٧، ٤٣

## سورة النمل ( ٢٧ )

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾	١٤ : ٧	٣٧١
﴿سَنَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَآئِيكُمْ﴾	٧	٣٨٠، ٣٧١
﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾	١١ : ٨	٣٧٣، ٣٧١
﴿يَلْمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾	٩	٣٣٧
﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾	١١، ١٠	٣٧٢
﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ﴾	١٢	٣٧٤
﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً﴾	١٤، ١٣	٣٧٤
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا﴾	١٤	٣٧٥
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾	٤٩-٤٥	٢٠٣
﴿قَالَ يَنْقُومِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾	٤٦	٢٢٤، ٢١٣
﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾	٤٧	٢٤٣، ٢٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾	٤٨	٦٥٩، ٢١٦، ٢١٥
﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا ﴾	٤٩	٢١٥
﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا ﴾	٥١، ٥٠	٢٠٤
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ ﴾	٥٢	٢٠٤
﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	٥٣	٢٠٤
﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ﴾	٥٨-٥٤	٢٤٢
﴿ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ ﴾	٥٤	٢٥٠، ٢٤٣
﴿ أَبَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ﴾	٥٥	٢٥٠، ٢٣٥
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾	٥٦	٢٥٤، ٢٤٣، ٢٣٥
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾	٥٨	٢٤٣
﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾	٦٢	٥١٠

## سورة القصص ( ٢٨ )

﴿ طَسَمَ ۖ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ ﴾	١ : ٤٣	٣٧٧، ٣٧٦، ٣٧٥
﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ ﴾	٣	٤٣٦
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤	٣٩٤، ٣٩٢
﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا ﴾	٦، ٥	٤٣٣
﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾	٧	٥٧٥، ٤٣٥، ٣٧٧
﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ ﴾	٨	٤٣٩، ٤٢٧، ٣٩٥، ٢١
﴿ هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ ﴾	١٢	٤٥٤
﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾	١٦، ١٥	٣٧٨
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾	١٧	٤٣٧
﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ لَكُمُ الْيَأْتِمُرُونَ بِكَ ﴾	٢٠	٤١٣
﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	٢١	٤٤١
﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي ﴾	٢٢	٤٥٥، ٤٤١
﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾	٢٥	٣٧٩



الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى ﴾	٢٦	٤٤٣، ٤٤٢
﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ ﴾	٢٧	٤٤٤، ٤٤٣، ٣٧٩
﴿ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾	٢٨	٤٤٤
﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾	٢٩	٤٤٥، ٣٧٩، ٣٣٧
﴿ أَنْ يَمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾	٣٠	٣٧٣، ٣٣٧
﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾	٣١	٣٧٢
﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ ﴾	٣٢	٣٨٠، ٣٧٤، ٩٧
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ﴾	٣٥، ٣٣	٣٣٨
﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾	٣٥، ٣٤	٣٨١، ٣٢٩
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ ﴾	٣٨	٣٨٦، ٣٨١، ٣٧٤ ٦٥٠، ٣٩٣
﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ ﴾	٣٩	٣٩٤
﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾	٤٠	٤٣٤
﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾	٤١	٤٤٩، ٣٨٢
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا ﴾	٤٣	٣٤٥، ٣٢٢
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ ﴾	٥٨	٦٥٧
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى ﴾	٥٩	١١٣
﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾	٦٩	٥٥٩
﴿ إِنَّ قُرُونَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾	٨٣-٧٦	٥٨٠
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾	٧٦	٥٢٨
﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ﴾	٧٧	٥٣٠
﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾	٧٨	٥٩٢، ٥٢٢
﴿ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾	٨٠	٥٢٣، ٥٢١
﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾	٨١	٥٢٥، ٥٢٠
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا ﴾	٨٣	٥٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
سورة العنكبوت ( ٢٩ )		
﴿ اَلَمْۤ اَحْسِبِ النَّاسَ ﴾	٣-١	٣١٥
﴿ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلَىٰ قَوْمِهٖ فَلَبِثَ فِيهِمْ ﴾	١٤	١١٣، ١٠٠، ٩٩، ٨٣
﴿ فَاَنْجَيْنٰهُ وَاَصْحٰبَ السَّفِيْنَةِ ﴾	١٥	٩٩
﴿ وَلُوطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖ ﴾	٢٨ : ٣٥	٢٤٤، ٢٤٣
﴿ اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ اَلْفَحِشَةَ ﴾	٢٨	٢٣٥
﴿ اَنْتُمْ لَتَاْتُوْنَ اَلرِّجَالَ وَتَقْطَعُوْنَ السَّبِيْلَ ﴾	٢٩	٢٥٠، ٢٤٤، ٢٣٥ ٢٥١
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖۤ اِلَّا اَنْ قَالُوْا ﴾	٢٩	٢٥٧
﴿ قَالَ رَبِّ اَنْصُرْنِيْ عَلٰى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِيْنَ ﴾	٣٠	٢٥٧
﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَاَهْلَهُۥٓ اِلَّا اَمْرًاۢتُهُۥ ﴾	٣٢	٢٥٤، ٢٤٥
﴿ اِنَّا مُنْجُوْكَ وَاَهْلَكَ ﴾	٣٣	٢٤٥، ٢٤٤، ٢٣٥
﴿ اِنَّا مُنْزِلُوْكَ عَلٰى اَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾	٣٤	٢٥٧، ٢٣٥
﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةًۭ ﴾	٣٥	٢٦٨، ٢٤٦
﴿ فَقَالَ يَلْقَوْمِ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ وَاَرْجُوا الْيَوْمَ الْاٰخِرَ ﴾	٣٦	٢٩٠
﴿ فَكَذَّبُوْهُ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾	٣٧	٣٠٦
﴿ وَعَادًا وَثَمُوْدًا وَقَدْ تَبَيَّنَ ﴾	٣٨	٦٥٠، ١٩٣
﴿ وَقُرُوْثَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ﴾	٤٠، ٣٩	٦٥٠، ٥٢١
﴿ فَكُلًّا اَخَذْنَا بِذَنۢبِهٖۥ ﴾	٤٠	٣٤١، ٣٢٧، ٥ ٦٤٧، ٥٦٣
﴿ خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾	٤٤	٢٤٠
﴿ وَلَا تُجَدِّلُوْا اَهْلَ الْكِتٰبِ اِلَّا ﴾	٤٦	١٣٠، ١٠٠
﴿ وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِیۡنَا ﴾	٦٩	٤٣٦
سورة الروم ( ٣٠ )		
﴿ فِطَرَتَ اللّٰهِ اَلَّتِیْ فِطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا ﴾	٣٠	١٤٧
﴿ ظَهَرَ اَلْفَسَادُ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾	٤١	٤٩٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٢	٦٤٤
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	٦٤٢، ٣٠٨
سورة لقمان ( ٣١ )		
﴿ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾	١٣	٤٨٧، ١١٣
﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾	٢٥	١٦٢
﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا ﴾	٢٨	٥٣٨
﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾	٣٤	٥٠٧
سورة السجدة ( ٣٢ )		
﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾	١٤	٢٩
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ ﴾	١٧	٥٢٣، ٤٥١
﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ﴾	٢١	٣٣٣
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ ﴾	٢٢	٦٢٢
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾	٢٤	٤٤٩، ٣٨٢
سورة الأحزاب ( ٣٣ )		
﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ ﴾	٦٣	٢٣٨
﴿ وَأَطَعْنَا الرُّسُلَ ۖ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا ﴾	٦٧، ٦٦	٣٥٨
﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾	٦٩	٥١٠، ٤٤٥
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا ﴾	٧١، ٧٠	١٢٣، ١
سورة سبأ ( ٣٤ )		
﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾	١٣	٥٣٨
﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ ﴾	١٩-١٥	٦١٩، ٦١٧، ٦١٦
﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾	١٧، ١٦	٦٢١
﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾	١٧	٦٥٧، ٦٢٣، ٦٢٢
﴿ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي ﴾	١٨	٦١٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾	١٩	٦٢٤، ٦٢١
﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾	١٩	٦٢٤، ٦٢٠، ٦١٧
﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾	٣١	٦٥٦
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا ﴾	٣٥، ٣٤	٦٥٦، ٦٤٥
﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾	٣٦	٦٤٥
سورة فاطر ( ٣٥ )		
﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾	٦	٥٧، ٢٨، ١٣
﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾	١٥	٥٨٥
﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٢٥	٦٤٥
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	٢٨	٣٩١
﴿ لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾	٣٧، ٣٦	٤٠
﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾	٤٣، ٤٢	٦٦٠، ٦٥٠
سورة يس ( ٣٦ )		
﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾	١٥-١٣	٣٢٢، ٣١٦
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ... ﴾	١٦-١٤	٣٢٢
﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾	١٩، ١٨	٣٣٢، ٣٣٠، ٣٢٣
﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾	٢٥-٢٠	٣٢٤
﴿ قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾	٢٠	٦٣٠، ٣١٧
﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾	٢١	٣١٨
﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾	٢٢	٣٣١، ٣١٩
﴿ وَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾	٢٣	٣١٩
﴿ إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	٢٥، ٢٤	٣٢٥، ٣٢٤
﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾	٢٧، ٢٦	٣٣٤، ٣٣١، ٣٢٦
﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ ﴾	٢٨	٣٢٧، ٣٢٠
﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾	٢٩	٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾	٣٠	٣٢٨، ٣٢١
﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾	٣٩	٢٧٩
﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ﴾	٧٨	٢٣٨
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾	٨٢	٥٣٦
سورة الصافات ( ٣٧ )		
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾	٣٥	٦٥١
﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي﴾	٥١	٥٨٨
﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ﴾	٨٢-٧٥	١١٢، ١٠٠
﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	٧٦	١٠١
﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ﴾	٧٩	١٠١
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	٨١	١٠٢، ١٠١
﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾	٨٢	١٠٢
﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾	١٠٣	٥٦٧
﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾	١١٣	٣٧١
﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾	-١١٤ ١٢٢	٣٤٥
﴿وَإِنَّ لُوطًا لِّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٣٦-١٣٣	٢٤٦
﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾	١٣٨-١٣٧	٢٤٦، ٢٤٣، ٢٤١، ١٦٥
﴿فَالْتَقَمَهُ الْخَوْتُ﴾	١٤٢	٣٤٢
﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾	١٤٣	٤٥٣
﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٨١	١٠١
سورة ص ( ٣٨ )		
﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾	١١	٨٥
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾	١٢	٢٣٣، ١٩٣، ١٥٦، ٨٥ ٣٤٢، ٢٧٧، ٢٣٤
﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾	١٤، ١٣	٢٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾	٧٢، ٧١	٣٤، ٣١، ٢٥، ٩
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾	٧٢	٣٧، ٣٤، ٣١، ٢٥
﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ ﴾	٧٤	٣٢، ٣١، ٢٥
﴿ قَالَ يَبْنَطُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾	٧٥	٣٣، ٣٢، ٣٦، ١٦
﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾	٧٦	١٧
﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾	٧٨، ٧٧	٣٨، ٣٢، ١٧
﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾	٧٨	٣٨، ٣٣، ٣٢، ١٨
﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ ﴾	٨٣، ٨٢	٣٩، ٣٢
﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾	٨٤	٤٠، ٣٣، ٣٢
﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ ﴾	٨٥	٣٣، ٣٢

## سورة الزمر ( ٣٩ )

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾	٩	١٢٤
﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا ﴾	(٢٣)	مقدمة (ج)
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴾	٣٠	٢٤٥
﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾	٤٢	٥٧٧
﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾	٤٥	٦٥١

## سورة غافر ( ٤٠ )

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ ﴾	٥	٨٥، ٣
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	٢١	٣٣٥
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾	٢٣ : ٤٩	٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٢
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾	٢٤، ٢٣	٥٢١
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾	٢٦	٤٤٧، ٤١٢، ٣٨٦، ٣٨٤
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾	٢٧	٤١٣
﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ ﴾	٢٨	٤١٤، ٤١٣، ٣٨٤
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾	٢٨	٤١٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾	٢٩	٤١٥، ٣٦١
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُومِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾	٣١، ٣٠	٤١٥، ١٩٣، ١٥٦
﴿ وَيَنْقُومِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾	٣٣، ٣٢	٤١٦
﴿ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ ﴾	٣٣	٣٨٥
﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾	٣٤	٤١٦، ٣٨٥
﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ﴾	٣٧، ٣٦	٣٨٥
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُومِ أَتَبْعُونَ أَهْدِيكُمْ ﴾	٤٥، ٣٨	٤١٧، ٣١٨
﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾	٤٠	٤١٧، ٣٨٦
﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾	٤٦-٤٤	٣٨٦
﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا ﴾	٤٦	٦٥٠، ٤٣٩
﴿ وَإِذَا يَتَخَفَتُونَ فِي النَّارِ ﴾	٤٨، ٤٧	٤٤٦، ٤٠٤
﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ﴾	٥١	٦٤٢، ٨٣
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ ﴾	٦٠	٥٠٧، ٤٥٢
﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾	٦٧	٤٧٥
﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا... ﴾	٨٣	٥٥
﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾	٨٥، ٨٤	٦٤٩، ٤٣٢، ٣٥٣

## سورة فصلت ( ٤١ )

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۚ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾	٧، ٦	٣١١
﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا ﴾	١١	٩٣
﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾	١٥ : ١٦	١٧٨، ١٦٨، ١٥٥
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾	١٦	١٧١
﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾	١٧	٢١٨، ١٩٣
﴿ وَهَجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	١٨	٢٠٤
﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾	٣٦	٤٥
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ ﴾	٤٦	٥٦٧، ٤٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لَا يَسْمُ إِلَّا نَسْنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾	٤٩	٥٨٩
﴿ وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي ﴾	٥٠	٥٩٢، ٥٨٩
سورة الشورى ( ٤٢ )		
﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾	١٠	٢٢٧
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾	١١	٣٢
﴿ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ ﴾	٣٠	٦٠٤، ٤٩٢، ٣٣٣
﴿ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَّمْتُ ﴾	٤٨	٣٣٤
﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾	٥٢	(ج) مقدمة
سورة الزخرف ( ٤٣ )		
﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾	٢٣	٢٢٢، ١٨٧
﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾	٣٧	٢٩٥
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾	٤٦ : ٥٦	٣٨٧
﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾	٤٧	٣٨٧
﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ﴾	٥٤	٣٨٨، ٣٤٠
﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾	٥٦، ٥٥	٤٣٤
﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا ﴾	٧٦	٣٣٥
سورة الدخان ( ٤٤ )		
﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾	١٧-٢٩	٣٨٨
﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾	١٧-٢٠	٣١٤
﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾	٢٠	٤٤٨
﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴾	٢١	٤٤٨
﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴾	٢٢	٣٨٩
﴿ فَاسْرِ عِبَادِي لَيْلًا ﴾	٢٣	٤٢٩، ٣٨٩
﴿ وَاتْرِكِ الْبَحَرَ رَهْوًا ﴾	٢٤	٤٣٢
﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٢٥-٢٩	٤٣٣، ٣٨٩



الآية	رقمها	الصفحة
﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾	٢٨	٤٦٢
﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾	٢٩	٣٨٩
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ ﴾	٤٩	٢٤٨
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾	٥٦	٥٣٣
سورة الجاثية ( ٤٥ )		
﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾	٢١	٣٠٨
﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾	٢٤	٥٩٨
سورة الأحقاف ( ٤٦ )		
﴿ وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾	٢١	١٧٥، ١٦٩، ١٥٥
﴿ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ ﴾	٢٣، ٢٢	١٦٩
﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾	٢٤	١٨٠، ١٦٩
﴿ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾	٢٥	١٨٠، ١٧٠
﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا ﴾	٢٦	١٩٠، ١٧٠
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى ﴾	٢٧	١٩٠
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ ﴾	٣٥	١٢٥
سورة محمد ( ٤٧ )		
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾	٧	٥٣٣
﴿ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾	١٠	٢٨٠
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	١٩	٦٦٣
سورة الفتح ( ٤٨ )		
﴿ فَمَنْ نَكْتَفِئَنَّا يَنْكَثُ عَلَيَّ نَفْسِي ﴾	١٠	٦٦٠، ٢٨٢
سورة الحجرات ( ٤٩ )		
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾	٦	١٣٥
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	١٠	٨٠
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ ﴾	١٣	٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة ق ( ٥٠ )		
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾	١٢-١٤	٨٦، ١٥٧، ١٩٣، ٢٧٧، ٢٨٧، ٢٩٦، ٦٤٤
﴿ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾	١٧	٦٧
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ ﴾	٣٧	٢٢٢
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	٣٨	٥٥٧
سورة الذاريات ( ٥١ )		
﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ ﴾	٣٢-٣٤	٢٥٤، ٢٣٧، ٦٥٤
﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ ﴾	٣٥، ٣٦	٢٦١
﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً ﴾	٣٧	٢٦٨
﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ ﴾	٣٨-٤٠	٣٤٢
﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ ﴾	٤٠	٣٤٢
﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ... ﴾	٤٢	١٧٠
﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	٤٣ : ٤٥	٢٠٤، ٢٠٥
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ ﴾	٤٤	٢٠٥
﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾	٤٦	٨٦
﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ ﴾	٥٣	١٣٨، ٣٠١
﴿ وَذَكَرْنَا لَدِكْرٍ ﴾	٥٥	١٣٠
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٥٥، ١٧٤
سورة النجم ( ٥٢ )		
﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ ﴾	٣٢	٤٣
﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴾	٥٠، ٥١	١٥٧، ١٩٣
﴿ وَالْمُوتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾	٥٣، ٥٤	٢٣٣، ٢٥٨
سورة القمر ( ٥٤ )		
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾	٩ : ١٧	١٠٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَنْتِي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرِ ﴾	١٠	١٠٢، ٨٣
﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ﴾	١٢، ١١	١٠٣
﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ ﴾	١٣	١٠٣
﴿ جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾	١٤	١٠٣
﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً ﴾	١٥	١٠٤
﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسْرُنَا ﴾	١٧، ١٦	١٠٤
﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾	١٩	١٧١
﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَّنْقَعِرٍ ﴾	٢٠	١٧١
﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾	٢١	١٧١
﴿ كَذَبْتَ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ﴾	٢٣-٢٢	٢٠٥
﴿ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَّلٍ ﴾	٢٤	٢٠٥
﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾	٢٥	٢٠٦
﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾	٢٦	٢٠٦
﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ ﴾	٢٧	٢١٢، ٢٠٦
﴿ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ ﴾	٢٨	٢٥٦، ٢١٢، ٢٠٧ ٣٨٥،
﴿ كَذَبْتَ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴾	٣٣ : ٤٠	٢٤٧
﴿ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ ﴾	٣٤	٢٥٧، ٢٤٧، ٢٣٧
﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا ﴾	٣٦	٢٥١
﴿ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾	٣٧	٢٤٨
﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾	٣٧-٣٩	٢٤٨
﴿ وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴾	٤١، ٤٢	٣٤٣
﴿ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ ﴾	٤٥	٣٨٥
سورة الرحمن ( ٥٥ )		
﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾	٥	١٥٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾	٦٠	٥٠٩
سورة الحديد ( ٥٧ )		
﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ ﴾	١٠	٤٧٧
﴿ أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ﴾	٢٠	٦٤٣، ١٣٤
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾	٢٦	٨٦
سورة المجادلة ( ٥٨ )		
﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾	١٠	٢٢٥
﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴾	١١	١٢٤
﴿ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾	١٩	٥١٤
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ ﴾	٢٢	١٤٣
سورة الحشر ( ٥٩ )		
﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾	٩	٧٨
سورة الممتحنة ( ٦٠ )		
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ﴾	١	١٤٦
﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ﴾	٣	١٤٦
سورة الصف ( ٦١ )		
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٣، ٢	٣١٠، ١٢٨
﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾	٦	٦٢٧
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾	٨	٦٦٤، ٦٦٠
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ نَجْوَرَةٍ ﴾	١٠-١٣	١٣٣
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ ﴾	١٤	٥٨٥
سورة الجمعة ( ٦٢ )		
﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾	٥	٥٥٩
﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ ﴾	٨	٥٣٧
سورة المنافقون ( ٦٣ )		
﴿ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ ﴾	٤	٥٦٢، ١٠٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ﴾	١٠	٥٣٠
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا...﴾	١١	١٠٥
سورة التغابن ( ٦٤ )		
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾	٦٥	٦٤٣
سورة الطلاق ( ٦٥ )		
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	٤٢٥
سورة التحريم ( ٦٦ )		
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	١٠	٢٤٦
﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾	١١	٤٥٤، ٤٢٥
سورة الملك ( ٦٧ )		
﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾	٩، ٨	٣٣٥
﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ﴾	٢٩	٤٢٥
﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾	١٥	٥٣٠
سورة القلم ( ٦٨ )		
﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾	١٥، ١٤	٥٩٩
﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا﴾	٣٣-١٧	٥٩٩
﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا﴾	١٧	٥٩٩
﴿وَلَا يَسْتَشْنُونَ﴾	١٨	٥٩٩
﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾	١٩	٦٠٣، ٦٠٠
﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ﴾	٢٢	٦٠٢
﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ﴾	٢٥	٦٠٠
﴿إِنَّا لَضَالُونَ﴾	٢٦	٦٠٢
﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾	٢٨	٦٠٦، ٦٠٢، ٦٠١
﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾	٢٩	٦٠٢، ٦٠١
﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٣٠	٦٠٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾	٣١	٦٠٢
﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾	٣٢	٦٠٢
سورة الحاقة ( ٦٩ )		
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾	٥٤٤	١٩٣
﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾	٦	١٧٢
﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾	٧	١٨٠، ١٧٢، ١٧١
﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾	٨	١٨١
﴿ وَجَاءَ قَرَعُونَ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾	١٠٤٩	٣٤٣، ٢٣٣
﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾	١٧	٦٧
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾	٣٠-٣٦	٣١٢
سورة نوح ( ٧١ )		
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾	٢٨-١	١١٠، ١٠٥، ١٠٤
﴿ قَالَ يَقُومِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	٤-٢	١٠٩
﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	٤	١٠٩، ١٠٥
﴿ فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴾	٦	١٢
﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾	٧	١٤٢
﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ ﴾	١٢، ١١	١٠٩
﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾	١٦	١٥٢
﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾	١٧	١٥٣، ١٠٦
﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾	٢١	١٠٧
﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾	٢٣	١١٣
﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾	٢٤	١٠٧، ١٠٦
﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾	٢٥	٢٤٩
﴿ وَقَالَ نُوحُ رَبِّ لَا تَذَرْ ﴾	٢٦	١٠٧، ١٠٥، ٨٣ ٣٥٢، ٢٩٩، ١١٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ ﴾	٢٧	١١٢، ١٠٦
﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾	٢٨	١٠٧، ٦٤
سورة المزمل ( ٧٣ )		
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾	١٦، ١٥	٣٤٣
سورة المدثر ( ٧٤ )		
﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾	٣٨	٦١
﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾	٤٧-٤٢	٣١١
سورة القيامة ( ٧٥ )		
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾	١٩-١٧	١٣٥
﴿ وَجُودُهُ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾	٢٣، ٢٢	٥٠٥
سورة النبأ ( ٧٨ )		
﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾	١٣	١٥٢
سورة النازعات ( ٧٩ )		
﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾	٢٦-١٥	٣٩٦، ٣٩٠
﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾	١٩، ١٨	٣٩٦، ٣٩٠
﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾	٢١، ٢٠	٣٣٨
﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾	٢٣	٣٩٣
﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾	٢٤	٣٩٣
﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾	٢٥	٦٥٠
سورة المطففين ( ٨٣ )		
﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾	٣-١	٢٩٥
﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾	٧	٦٣٧
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾	١٤	٥٢٧
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾	١٥	٥٠٥

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإنشقاق ( ٨٤ )		
﴿ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾	٨	٦٢٣
سورة البروج ( ٨٥ )		
﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾	١٠-١	٦٠٧
﴿ قَتِيلَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ ﴾	٩-٤	٦٠٩
﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾	١٠	٦١٥، ٦١٢، ٦٠٨
﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾	١٩-١٧	٣٤٤، ١٩٣
سورة الطارق ( ٨٦ )		
﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾	٦	٩٣
سورة الأعلى ( ٨٧ )		
﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾	٩	١٣٢
سورة الفجر ( ٨٩ )		
﴿ إِرْمِ ذَاتَ الْعِمَادِ ﴾	٧	١٦٤
﴿ أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَدِ ﴾	٨	١٧٣
﴿ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ ﴾	٩	١٩٤، ١٩٢
﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾	١٤-١٠	٣٤٤
﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ﴾	١٦، ١٥	٦٤٥
سورة الشمس ( ٩١ )		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾	٩	٥٠٨
﴿ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾	١٥-١١	٢٠٧
﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾	١٤-١٢	٢١٤
﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾	١٥	٢٠٧، ١١٥
سورة الضحى ( ٩٣ )		
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	١١	٦٢٣



الآية	رقمها	الصفحة
سورة العلق ( ٩٦ )		
﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾	٧٠٦	٥٢٤
سورة البينة ( ٩٨ )		
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾	٥	١٢٢
سورة الفيل ( ١٠٥ )		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾	٥-١	٦٣٦، ٦٣٥
﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾	٣	٦٤٠، ٦٣٧
﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾	٤	٦٣٧
سورة الكافرون ( ١٠٩ )		
﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾	٣	٣٦٥

## فهرس الأحاديث

١

- الأئمة من قریش ..... ٥٥٠
- ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام ..... ٣٢٦
- أبغوني الضعفاء ، فإنما ترزقون ..... ٦٤١
- اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ..... ١٢٣
- احتج آدم وموسى ..... ١١
- احفظ الله يحفظك (حاشية) ..... ٤٥٣
- إذا أحب الله العبد نادى جبريل ..... ٤٣٥
- إذا قرأ ابن آدم السجدة ..... ٣٧
- إذا التقى المسلمان بسيفيهما ..... ٦٠٤
- إذا دخل أهل الجنة يقول الله ..... ٥٠٥
- إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ..... ٥٣٠
- إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان ..... ٢٧٠
- إذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه ..... ٥٣٥
- إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ..... ٦٦٣
- ارجع فلن نستعين بمشرك ..... ١٥٠
- ارحموا من في الأرض ..... ٦٤٤
- أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبي ..... ٦٥٢
- أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ..... ٥٢٣، ٤٥١
- أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ..... ٣٣١
- ألحقوا الفرائض بأهلها ..... ١٤٤
- اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ..... ٥٥١
- اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ..... ٤٥١

- ٢٢٧ ..... اللهم لا طير إلا طيرك.  
 ٢٦٢ ..... الذي يأتي امرأته في دبرها  
 ٢٧٣ ..... الذي يعمل عمل قوم لوط فارجعوا.  
 ٤٦٦ ..... أما إنه من أهل النار  
 ٥٨١ ..... أنزلت المائدة من السماء خبزاً  
 ٤٩٨ ..... إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً  
 ٦٤٨ ..... إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب  
 ٥٠٢ ..... أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود  
 ١٣٦ ..... إن الرفق لا يكون في شيء إلا  
 ١٢٧ ..... إن الصدق يهدي إلى البر  
 ٢٨٥ ..... إن قوم مدين وأصحاب الأيكة  
 ١٢٧ ..... إن الله أوصى إلي أن تواضعوا  
 ٦٤٠ ..... إن الله حبس عن مكة الفيل  
 ٢٦٨ ..... إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة  
 ٤٥٣، ٢٢٢ ..... إن الله ليملي للظالم  
 ١٢٢ ..... إن الله لا يقبل من العمل إلا  
 ٢٦٦ ..... إن الله يؤيد هذا الدين  
 ١٢٢ ..... إنما الأعمال بالنيات  
 ٦٠٥، ٥٢٤ ..... إنما الدنيا لأربعة نفر  
 ١٠ ..... إن المرأة خلقت من ضلع  
 ٤٤٠، ٢٣٠ ..... إن الناس إذا رأوا الظالم  
 ٧٢ ..... أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء  
 ٢١٤ ..... ألا أحدثكما بأشقى رجلين  
 ٥٩٦ ..... ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة  
 ٢٦٧ ..... ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم

## ب

- بلغوا عني ولو آية ..... (و) مقدمة  
 بل هو رجل ، ولد له عشرة ..... ٦١٦  
 بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به ..... ٦٤٩

## ت

- تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم ..... ٥٥٦  
 تهادوا تحابوا ..... ٧٩

## ث

- ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ..... ١٤٤

## ج

- جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ..... ٦٦١

## ح

- حد الساحر ضربه بالسيف ..... ٦١٤

## خ

- خلقت الملائكة من نور ..... ٧

## د

- دب إليكم داء الأمم قبلكم ..... ٧٥  
 دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب ..... ٥١٠  
 دخل عدي بن حاتم والنبي ﷺ يقرأ ..... ١٨٧  
 دعا رسول الله ﷺ في بدر ..... ٥٥١  
 دعوه وأريقوا على بوله ..... ١٢٦  
 الدنيا سجن المؤمن ..... ٥٩٨

## ذ

- ٢٩٧ ..... ذاك خطيب الأنبياء
- ٢٢٨ ..... ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه
- ٥٨٦ ..... ذروني ما تركتكم
- ٥١٢ ..... ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر

## ر

- ٢٩٣ ..... رأيت ليلة أسري بي
- ٢٧٤ ..... الرجل على دين خليله

## ز

- ٤٤٤ ..... زوجتكها بما معك من القرآن

## س

- ١٤٦ ..... سئل النبي ﷺ أي الناس أشد
- ١٢٣ ..... سئل النبي ﷺ من أكرم الناس
- ١٣٦ ..... السمت الحسن والتؤدة

## ص

- ٤٥٠ ..... صلوا في رحالكم

## ط

- ٤٩١ ..... الطاعون رجز عذاب
- ٤٩١ ..... الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل
- ٢٢٦ ..... الطيرة شرك

## ف

- ٣٣٤، ١٤٣ ..... فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً

## ق

قبل لبني إسرائيل : ادخلوا ..... ٤٩٠، ٤٧١

## ك

كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر ..... ٤٢٦

كان ملك فيمن كان قبلكم ..... ٦١٠

كان النبي ﷺ إذا غزا بنا ..... ١٣٦

كان النبي ﷺ يتخول بالوعظة ..... ١٣٣

كان النبي ﷺ يحرس حتى أنزلت ..... ٦٥٢

كان نوح إذا طعم أو لبس ..... ٥٦٦

كل ابن آدم خطاء ..... ٦٣

كل جسد نبت من سحت ..... ٢٩٨

كلكم راع ومسئول ..... ١٤٧

كن في الدنيا كأنك غريب ..... ٤٥٠

كيف أنتم إذا نزل ..... ٥٨٤

لأستغفرن لك ما لم أنه ..... ٩٤

لئن بقيت إلى قابل ..... ٥٠٢

لتتبعن سنن من كان قبلكم ..... (هـ) مقدمة

لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له ..... ٥٦٢

لله أفرح بتوبة عبده ..... ٥٧٢

لم تظهر الفاحشة في قوم حتى ..... ٦٤٨

لما أتى موسى ربه ..... ٤٨٢

لما نزل رسول الله ﷺ بالناس ..... ١٩١

لن ينجي أحداً منكم عمله ..... ١٨٢

لن يهلك الناس حتى يعذروا ..... ٦٤٨

لو كنت آمراً أحداً أن يسجد ..... ٣٥

- لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ..... ٤٩٦  
 ليت رجلاً صالحاً ..... ٦٥٢

م

- ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه ..... ٢٦٦  
 ما خلأت القصواء ..... ٦٤٠  
 ما ذنب أجدر أن يعجل ..... ٣٣٣، ٧٤  
 ما فتح الله على عاد من الريح ..... ١٨١  
 ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ..... ٤٩٨  
 ما من إمام يموت يوم يموت ..... ٤١٥  
 ما من الأنبياء إلا قد أعطي ..... ٢٩١، ١٦٣  
 ما من صاحب ذهب ولا فضة ..... ٥٢٩  
 ما من مولود إلا يولد ..... ١٤٦  
 ما يكون الرفق في شيء ..... ٦٦٢، ١٣٦  
 مثل الذي يذكر ربه ..... ٤٥  
 مثل المؤمنين في توادهم ..... ١٣٠  
 مرحباً بابنة نبي ضيعه ..... ٦٢٧  
 مروا أبابكر ..... ٤٥٠  
 من أتى حائضاً ..... ٢٦٣  
 من تشبه بقوم ..... ٦٦٢، ١٤٩  
 من تواضع لله ..... ٣٨  
 من حالت شفاعته ..... ٥  
 من حلف بغير الله ..... ٢٦٧  
 من حوسب هلك ..... ٦٢٣  
 من خاف أدلج ..... ٣٩١  
 من دعا إلى هدى ..... ٧٤

١٢٥ .....	من رأى من أميره .....
٣٠٩ .....	من رأى منكم منكرا .....
٤٥٤ .....	من سره أن يستجيب له .....
١٢٤ .....	من سلك طريقا يلتمس .....
٧٤ .....	من سن في الإسلام .....
٢٧٣ .....	من عمل عمل قوم لوط .....
١٢٢ .....	من قاتل لتكون كلمة الله .....
١٨٥ .....	من قال : استغفر الله .....
١٧٥ .....	من لزم الاستغفار .....
٤٣٨ .....	من مشى مع ظالم .....
٤٣٨ .....	من مشى مع مظلوم .....
٢٦٩ .....	من وجد قومه يعمل عمل قوم لوط .....
٦٠٥ .....	من هم بسيئة .....
١٢٦ .....	من لا يرحم .....
١٢٤ .....	من يرد الله به خيرا .....
٥١ .....	المؤمن غر كريم .....
١٣٠ .....	المؤمن للمؤمن .....

## ن

٥٥٤ .....	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة .....
٢٠٣ .....	الندم توبة .....
١٨١ .....	نصرت بالصبا .....

## و

٥٣٧ .....	وأن تؤمن بالقدر خيره .....
٢٧٤ .....	وفرقوا بينهم في المضاجع .....
٢٨٧ .....	وكان النبي يبعث إلى قومه .....



- ولكن المؤمن إذا حضره الموت ..... ٥٨٧
- والله إني لأستغفر الله ..... ١٨٥
- والذي نفسي بيده لا يكلم أحد ..... ٣٣٤
- والذي نفسي بيده ليوشكن ..... ٥٨٤
- ولو قال : إن شاء الله ..... ٥١٦
- وما وافد عاد ..... ١٧٩
- ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ..... ٢٦٥
- ويل للعرب من شر قد اقترب ..... ٢٣٠

## هـ

- هل تمارون في القمر ..... ٥٠٥
- هلك المستطعون ..... ١٣١

## ز

- لا تخيروني على موسى ..... ٤٤٥
- لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا ..... ٢٢٩
- لا تدعوا على أنفسكم ..... ٦٢٤
- لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود ..... ٥٦٢
- لا تسألوا الآيات ..... ٢٢٨، ٢١٧
- لا تقتل نفس ظلماً إلا ..... ٧٣
- لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ..... ٥٠٤
- لا طيرة ..... ٢٢٦
- لا عدوى ولا طيرة ..... ٢٢٥
- لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ..... ٥٢٨، ٤١
- لا يزال المؤمن معنقا ..... ٧٢

## ي

- يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله ..... ٢٩٤
- يا فاطمة بنت محمد ..... ١٤٥
- يا فلان بن فلان ..... ٢٣١، ٢٢٠
- يجمع الله تبارك وتعالى الناس ..... ١١
- يحشر المتكبرون يوم القيامة ..... ٥٢٨، ٤١
- يرحم الله لوطا ..... ٢٦٦
- يرحم الله موسى قد أودى ..... ١٢٥
- يرحم الله موسى ليس ..... ٤٨٣
- يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ..... ٤٣٦
- يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ..... ١٢٨
- يوشك الأمم أن تداعى عليكم ..... (هـ) مقدمة، ٥٧١

## فهرس آثار الصحابة

الأثر	اسم الصحابي	رقم الصفحة
ا		
أتى ابن الزبير بسبعة في لواطه	-	٢٧١
أحب في الله وأبغض في الله	ابن عمر	١٤٥
أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق	ابن مسعود	٣٢٦
إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح	ابن عمر	٤٥٠
إذا قلت أشهد أن محمدا رسول الله	ابن عباس	٤٥٠
أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء	ابن عباس	٤١١
أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد	الحارث بن حسان البكري	١٧٩
أغلق لوط باباه والملائكة معه في الدار	ابن عباس	٢٥٦
اقتلوا كل ساحر وساحرة	عمر بن الخطاب	٦١٤
ألك مسكن تسكنه	عبدالله بن عمرو	٧٤
أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما	عمار بن ياسر	٥٨١
إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم	عبدالله بن عمرو	٧٤
إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة	عبدالله بن عمرو	٥٨١
إن القوم أخلصوا	ابن مسعود	٦٠٢
إن لي عشرة من الولد	الأقرع بن حابس	١٢٦
إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط	ابن عباس	٢٨٦
إن هذا القرآن مأدبة الله	ابن مسعود	(د) مقدمة
إنه رجم لوطيا	علي بن أبي طالب	٢٦٩
إنه يرجم (اللوطي)	ابن عباس	٢٧٠
أوبلغت ذلك	ابن عباس	٣٠٩
ج		
جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها	عمر بن الخطاب	٤٥٥
جاء غراب إلى غراب ميت	ابن عباس	٧١

الأثر	اسم الصحابي	رقم الصفحة
ح		
حدث الناس بما يعرفون	علي بن أبي طالب	١٣٢
خ		
خرجوا فرارا من الطاعون فماتوا	ابن عباس	٥٣٧
ص		
صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح	ابن عباس	١١٣
ع		
عثمان أتى برجل قد فجر بغلام	-	٢٧١
العذاب الأدنى : مصائب الدنيا	ابن عباس وغيره	٣٣٣
ق		
قال موسى لقومه (توبوا إلى بارئكم)	ابن عباس	٤٨٦
قضى أكثرهما وأطيبهما	ابن عباس	٤٤٤
قلت لعمر : لي كاتب نصراني	أبوموسى الأشعري	١٥٠
ك		
كان ابن مسعود يذكر الناس في كل خميس	-	١٣٣
كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة	ابن عباس	٤٧٨
كان موسى يقول لبني إسرائيل	ابن عباس	٥٢٣
كان النبي ﷺ يتخول بالموعظة	ابن مسعود	١٣٣
كانوا أثلاثا ، ثلث نهوا	ابن عباس	٥٦٠
كانوا يجلسون في الطريق فيخبرون	ابن عباس	٢٩٤
كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث	البراء بن عازب	٥٤٥
ل		
لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشا	ابن مسعود وابن عباس	١٠
لما تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة	ابن عمر	٤٤٣
لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل	ابن عباس	٤١٣
لو رأوا الملك على صورته لماتوا	ابن عباس	١٣٩

الأثر	اسم الصحابي	رقم الصفحة
م		
ما أرسل الله على عاد من الريح إلا قدر خاتمي	ابن عباس	١٨١
ما أنت بمحدث قوما حديثا	علي بن أبي طالب وابن مسعود	١٣٢
من اغترف منه بيده روي	ابن عباس	٥٤٨
ن		
نصح قومه في حياته وبعد مماته	ابن عباس	٣٢٦
و		
وهل يفعل ذلك إلا كافر	أبو الدرداء	٢٦٣
ز		
لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى	ابن عباس	٥٧٨
ي		
يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية	أبو بكر	٤٤٠، ٢٣٠
يا ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا : لم تعظون	ابن عباس	٥٥٥
يقولون : إنك لست بحليم ولا رشيد	ابن عباس	٣٠١

## فهرس الأعلام

أ

الحسين بن داود المصيبي ..... ٧٣  
حفص بن ميسرة العقيلي ..... ٥٩٦  
حمير بن الغوث بن سعد ..... ٦١٧

د

دريد بن الصمة بن الحارث ..... ١٨٧

ز

الزبير بن العوام ..... ٥٩٧

س

سعيد بن أبي عروة ..... ٥٤٨  
سعيد بن جبير ..... ٥٣٧  
سفيان بن سعيد الثوري ..... ٤٤٠  
سفيان بن عيينة ..... ٤٨٦

ش

شبيب بن بشر ..... ٦٣١  
شقيق بن سلمة (أبوءائل) ..... ١٨٠

ع

العباس بن الوليد ..... ٦٣١  
عبدالرحمن بن سلمة الرازي ..... ٢١٦  
عبدالرزاق بن همام ..... ٥٤٨  
عبدشمس بن يشجب بن يعرب (سبأ) ..... ٦١٧  
عبدالصمد بن معقل ..... ٢٥٨

إبراهيم بن إسحاق الحربي ..... ٢٧٤

إبراهيم بن بشار الرمادي ..... ٤٨٦

أحمد بن اسماعيل بن يونس المرادي .... ٦٢٢

أسباط بن نصر ..... ٢٥٨

إسحاق بن راهويه ..... ٢٥٨

إسماعيل بن عبدالكريم ..... ٢٥٨

إسماعيل بن القاسم (أبوالعتاهية) ..... ٢٢

الأسود بن المطلب القرشي (أبوزمعة) ..... ٢١٥

أنبت بن أدد بن سعد (الأشعر) ..... ٦١٧

ب

بشر بن الفضل البجلي ..... ٢٧١

بشر بن معاذ العقدي ..... ٥٤٨

ث

ثور بن عفير بن عدي ..... ٦١٦

ج

جابر الجعفي ..... ٢٧١

ح

الحارث بن حسان البكري ..... ١٧٩

الحارث بن عدي بن الحارث (عاملة) ..... ٦١٧

الحسن بن يحيى ..... ٥٤٨

الحسن بن يسار البصري ..... ٤٤٠

- عبدالكريم بن مالك الجزري (أبوسعيد) ٤٨٦  
عبدالكريم بن الهيثم ..... ٤٨٦  
عبدالله بن إسماعيل بن عبدالرحمن السدي  
(ابن السدي) ..... ٢٨٥  
عبدالله بن سرجس ..... ١٣٦  
عبدالله بن عباس ..... ٥٣٧  
عبدالله بن مسلم (ابن قتيبة) ..... ٦٢٩  
عبدالله بن وهب بن مسلم ..... ٥٩٦  
عبدالمالك بن عبدالعزيز (ابن جريج) .. ٣٧٩  
عثمان بن علي الحنفي (الزيلعي) ..... ٤  
عطاء بن أبي رباح ..... ٤٣٨  
عقبة بن عامر ..... ٥٣٠  
عقبة بن وساج ..... ٢٦٣  
عكرمة مولى ابن عباس ..... ٤٨٦  
علي بن الحسين بن هبة الله (ابن عساكر) ٦٢٨  
علي بن محمد بن علي الجرجاني ..... ٤  
عمر بن حماد ..... ٢٥٨  
عويمر بن زيد (أبوالدرداء) ..... ٢٦٣
- ق
- القاسم بن الحسين ..... ٧٣  
قتادة بن دعامة البصري ..... ٣٧
- م
- مازن بن الأزد بن الغوث ..... ٦١٧  
مالك بن أدد بن زيد (مذحج) ..... ٦١٦  
مالك بن عدي بن الحارث ..... ٦١٧  
المنثي بن إبراهيم الأملي ..... ٢٥٨  
محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ..... ٧
- محمد بن أحمد الشريفي ..... ٤  
محمد بن أحمد الفتوح الجنبلي (ابن النجار) ٤  
محمد بن حبيب الهاشمي ..... ٦٢٦  
محمد بن الحسن النقاش ..... ٦٣٣  
محمد بن الحسين الموصللي (أبو الفتح الأزدي) ٢٧١  
محمد بن السائب بن بشر الكوفي (الكلبي) ٢٩٣  
محمد بن العباس ..... ٢١٦  
محمد بن عبدالرحمن القشيري ..... ٢٧١  
محمد بن عبدالله ..... ٤٢٦  
محمد بن عمر التميمي البكري (فخر الدين  
الرازي) ..... ٨  
محمد بن المستنير (قطرب) ..... ٦٢٢  
محمد بن يحيى ..... ٦٣١  
معاوية بن بكر ..... ١٧٩  
معاوية بن الحكم السلمي ..... ٢٢٧  
معمر بن راشد ..... ٥٤٨  
مقاتل بن سليمان ..... ٧٣  
المنهال بن عمرو ..... ٥٣٧  
موسى بن هارون الهمداني ..... ٢٥٨  
ميسرة النهدي ..... ٥٣٧
- و
- وهب بن منبه ..... ٢٥٨
- هـ
- هشام بن عروة بن الزبير ..... ٥٩٧  
همام بن منبه بن كامل الصنعاني ..... ٤٩٠

ي

- أبوبكر الهذلي ..... ٦٣٢
- أبوالدرداء : عويمر بن زيد ..... ٢٦٣
- أبوزمعة : الأسود بن المطلب ..... ٢١٥
- أبوالعتاهية : إسماعيل بن القاسم ..... ٢٢
- أبوالفتح الأزدي : محمد بن الحسين بن أحمد ..... ٢٧١
- أبو وائل : شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي ..... ١٨٠
- يحيى بن زياد الديلمي (الفراء) ..... ١٦٢
- يزيد بن زريع ..... ٥٤٨
- يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي  
(السكاكي) ..... ٩٤

الكنى

- أبوبكر الأصم ..... ١٨٤



## فهرس الشواهد الشعرية

البيت	رقم الصفحة
<b>ب</b>	
فلمما شارفت أعلام طي	٥٤٧
سقيناهن من سهل الأداوي	
لدوا للموت وابنوا للخراب	٢٢
<b>ت</b>	
يا أيها الراكب المزجي مطيته	٢٠٠
سائل بني أسد ما هذه الصوت	
<b>د</b>	
سبحانه ثم سبحاناً يعود له	١١٨
وقبلنا سبح الجودي والجمد	
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	١٤٨
فكل قرين بالمقارن يقتدي	
وما أنا إلا من غزية إن غوت	٥٢٨، ١٨٧
غويت وإن ترشد غزية أرشد	
<b>ع</b>	
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	٣٢٨
يحور رماداً بعد إذ هو ساطع	
<b>هـ</b>	
لا هم إن العبد يـ	٦٣٩
نع رحله فامنع حلالك	
لا يغلب بن صليهم	٦٣٩
ومحالمهم غدواً محالك	
إن كنت تاركهم وقبهم	٦٣٩
للتنا فامر ما بدالك	
<b>ز</b>	
فقلت يمين الله أبرح قاعداً	٦٧
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصال	
لعل عتبك محمود عواقبه	٦٣
وربما صحت الأجسام بالعلل	
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم	٣٦٤
بسر ولا أرسلتهم برسول	
<b>م</b>	
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله	٨٨
ولكنني عن علم ما في غد عم	

البيت	رقم الصفحة
ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها يا أيها الرجل المعلم غيره تصف الدواء لذي السقام من الضنى	٥٢١
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فهناك يقبل ما تقول ويقتدي	١٢٩
ن	
سكران سكر هوى وسكر مدامة هي القناعة لا تبغي بها بدلا	٢٤١
هـ	
اصبر على كيد الحسو فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله	٧٩
فإن كنت تشكو من خليل مخافة فتلك الجوازي عقبها ونصورها	٣
ي	
أقول لداعي الحب والحجر بيننا ووادي القرى لبيك لما دعانيا	١٩٢

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- إبطال الحيل ، لابن بطة (أبو عبدالله عبيد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي) ، تحقيق/سليمان بن عبدالله العمير ، ط الأولى ١٤١٧هـ ، مؤسسة الرسالة .
- ٣- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) ، ط دار التراث ، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٤- أحكام أهل الذمة ، لابن القيم (شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية) ، تحقيق د/صحي الصالح .
- ٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، لأبي الحسن علي بن محمد البصري ، ط دار الكتب العلمية .
- ٦- أحكام القرآن ، لابن العربي (أبوبكر محمد بن عبدالله) ، ط دار الفكر ، تحقيق/علي محمد البجاوي .
- ٧- أحكام من القرآن الكريم ، محمد بن صالح العثيمين ، ط دار طويق .
- ٨- أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن ، د/سهيل ذكار ، ط دار الكوثر ، الرياض ١٤١٠هـ .
- ٩- الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن الميداني ، ط دار القلم .
- ١٠- أدب الدنيا والدين ، للماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري) ، ط دار ابن كثير .
- ١١- الأدب المفرد ، للبخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل) ترتيب كمال يوسف الحوت . ط الثانية ١٤٠٥هـ ، عالم الكتب .
- ١٢- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، للشوكاني (محمد بن علي) ، ط الأولى ١٤١٣هـ ، المكتبة التجارية ، ت - د/شعبان محمد إسماعيل .
- ١٣- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط دار السلامة .
- ١٤- أسباب النزول ، للواحدي النيسابوري (أبي الحسن علي بن أحمد) . ط دار الريان ، ت - د/السيد الجميلي .
- ١٥- أسباب هلاك الأمم وسنة الله في القوم المجرمين والمنحرفين ، عبدالله التليدي ، ط دار البشائر الإسلامية .
- ١٦- الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ، عبدالقادر عودة ، ط دار القرآن الكريم ١٤٠٠هـ .

- ١٧- أصول الدعوة ، د/عبدالكريم زيدان ، ط مؤسسة الرسالة .
- ١٨- أصول الفقه ، محمد أبوزهرة ، ط دار الفكر .
- ١٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط عالم الكتب .
- ٢٠- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، محمد كامل عبدالصمد ، ط الدار المصرية اللبنانية .
- ٢١- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين .
- ٢٢- إعلام الموقعين ، لابن القيم ، ط دار إحياء التراث .
- ٢٣- أفغانستان الجريحة ، محمد محمد توفيق ، ط مؤسسة الجزيرة .
- ٢٤- إقامة الدليل على إبطال التحليل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط دار الكتب العلمية .
- ٢٥- الاكتساب في الرزق المستطاب ، محمد بن الحسن الشيباني ، ط دار الكتب العلمية . تحقيق محمد عرنوس .
- ٢٦- اقتضاء الصراط المستقيم ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، دار مصر .
- ٢٧- اقتضاء العلم والعمل ، للخطيب البغدادي ، ت محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتب الإسلامي .
- ٢٨- الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف في الأسماء والكنى والأنساب ، لابن ماكولا (علي بن هبة الله) ، ط الأولى دار الكتب العلمية ١٤١١هـ .
- ٢٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت د/محمد السيد الجنيد ، ط دار المجتمع .
- ٣٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د/ محمد عبدالقادر ، دار الفرقان .
- ٣١- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان) ط مكتبة السنة المحمدية - توزيع مكتبة ابن تيمية ، ت/ محمد حامد الفقي .
- ٣٢- الأنبياء في القرآن ، سعيد صادق محمد ، ط دار اللواء .
- ٣٣- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ط دار الفكر المعاصر ، دار الفكر دمشق .
- ٣٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي (القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر) ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لأبي بكر : جابر الجزائري ، ط مكتبة العلوم والحكم .
- ٣٦- الإيمان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، خرج أحاديثه الألباني ، ط المكتب الإسلامي .

## ب

- ٣٧- البحر المحيط ، وبهامشه (النهرالماد) ، لأبي حيان (محمد بن يوسف) ط دار المؤيد .
- ٣٨- البحر المحيط ، لأبي حيان ، ط دار الكتب العلمية .
- ٣٩- بدائع الصنائع ، للكاساني (علاء الدين أبي بكر بن مسعود) ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٤٠- البرهان في متشابه القرآن ، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ، ط دار الوفاء .
- ٤١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، ط المكتبة العصرية ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، صيدا لبنان .

## ت

- ٤٢- تاريخ ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون) ، ط الأولى ١٤٠١هـ ، دار الفكر .
- ٤٣- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي الخطيب) .
- ٤٤- تاريخ الطبري ، لابن جرير الطبري ، ط الثانية ، دار المعارف - مصر .
- ٤٥- التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، ط دار الكتب العلمية ، ط أخرى مؤسسة الكتب الثقافية .
- ٤٦- تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسين ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي) ، ط دار الفكر .
- ٤٧- تأملات في سورة المائدة ، حسن باجودة ، ط نادي مكة .
- ٤٨- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (عثمان بن علي فخر الدين) ، ط دار المعرفة .
- ٤٩- التبيين في أنساب القرشيين ، لابن قدامة المقدسي ؛ (موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد) ، ط عالم الكتب .
- ٥٠- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ط مكتبة ابن تيمية - القاهرة .
- ٥١- تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، أبو الفرج بن الجوزي ، ط الأولى ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ الرياض ، تحقيق : د/ علي حسن البواب .
- ٥٢- تذكرة الحفاظ للذهبي ، (أبو عبدالله شمس الدين) ، ط أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٥٣- الترغيب والترهيب ، للمنذري (عبدالعظيم بن عبدالقوي) ، ط مؤسسة التاريخ العربي .
- ٥٤- التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي الكلبي ، ط دار الكتاب العربي .

٥٥- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ، عبد القادر عودة ، ط مؤسسة الرسالة .

٥٦- التعريفات ، للجرجاني ، (علي بن محمد بن علي) ، ط دار الكتاب العربي ، بتحقيق إبراهيم الأبياري .

٥٧- تفسير ابن عطية ، المسمى الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (لأبي محمد عبدالحق بن غالب) ، ط أمير قطر بتحقيق عبدالله الانصاري والسيد عبدالعال .

٥٨- تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي ، ط دار المعرفة ، بيروت .

٥٩- تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادى ، ط دار الكتب العلمية .

٦٠- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، لنظام الدين الحسن ، دار الباز .

٦١- تفسير القرآن ، لأبي المظفر السمعاني ، (منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي) ، ط دار الوطن .

٦٢- تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم (عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي - ت أسعد الطيب ، ط مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الرياض .

٦٣- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي) ، ط دار المعرفة ، ١٤١٣ هـ .

٦٤- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر .

٦٥- تفسير معاني القرآن الكريم ، للإمام أبي جعفر النحاس ، ت/محمد علي الصابوني ، ط معهد البحوث العلمية .

٦٦- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ط دار الفكر .

٦٧- التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج ، د/ وهبه الزحيلي ، ط دار الفكر المعاصر .

٦٨- التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي ، ط العاشرة مكتبة دار التفسير بالزقازيق .

٦٩- التفسير والمفسرون ، د/محمد بن حسين الذهبي ، ط دار إحياء التراث العربي .

٧٠- تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني (أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد) ط دار الرشيد .

٧١- تلخيص الخبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لابن حجر العسقلاني ، بتحقيق د/شعبان محمد إسماعيل ، نشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

٧٢- التمهيد لابن عبدالبر (أبي عمر يوسف عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري الأندلسي) ، ط وزارة الأوقاف بالمغرب .

٧٣- تهذيب التفسير وتجريد التأويل ، عبد القادر شيبه الحمد ، ط مكتبة المعارف ، الرياض .

٧٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ، ط دار المدني - جدة .

٧٥- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط دار طيبة .

٧٦- تيسير المنان في قصص القرآن ، أحمد فريد ، ط دار ابن الجوزي .

## ج

٧٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، محمد بن الأثير الجزري ، ط الثانية ١٤٠٣ هـ ، المكتبة التجارية .

٧٨- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، ت/أبي الأشبال الزهيري .

٧٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري) ، ط الثانية ، دار المعارف ، ت/محمود شاكر .

٨٠- الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم (عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي) ، ط دار الفكر .

٨١- جبهة الأمثال ، للنيسابوري الميداني (أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد) ، ط الأولى ، دار الكتب العلمية .

٨٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت/محمدي قاسم ، توزيع مكتبة البلد الأمين .

٨٣- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، لأبي محمد عبدالقادر بن محمد القرشي الحنفي ، ط مؤسسة الرسالة .

٨٤- الجهاد ضد الإلحاد ، أحمد الحصين ، نشر مكتبة البخاري .

## ح

٨٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصفهاني (أحمد بن عبدالله) ، ط دار الكتاب العربي .

٨٦- الحماسة ، لأبي تمام الطائي ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود .

## خ

٨٧- خطبة الحاجة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتب الإسلامي .

## د

- ٨٨- الداء والدواء ، لابن القيم ، ط دار الحديث .
- ٨٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية .
- ٩٠- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، لأبي عبد الله الإسكافي ، ط دار السعادة ، بجوار محافظة مصر .
- ٩١- دعوة الرسل إلى الله تعالى ، محمد أحمد العدوي ، ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٤ هـ .
- ٩٢- ديوان امرئ القيس ، ط دار صادر .
- ٩٣- ديوان زهير بن أبي سلمى ، ط دار صادر .
- ٩٤- ديوان طرفة بن العبد ، ط دار صادر .
- ٩٥- ديوان كثير عزة ، ط دار صادر .
- ٩٦- ديوان لبيد ، ط دار صادر .

## ذ

- ٩٧- ذم الهوى ، لابن الجوزي (أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي) ، ت/مصطفى عبدالواحد .

## ر

- ٩٨- الرؤية ، للحافظ أبي الحسن الدارقطني ، ط مكتبة المنار .
- ٩٩- رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ، د/أحمد بن ناصر الحمد ، ط معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى .
- ١٠٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (أبي الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي) ، ط دار إحياء التراث الإسلامي .

## ز

- ١٠١- زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي (أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي) ط دار الفكر .
- ١٠٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، ط مؤسسة الرسالة .



## س

- ١٠٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، ط المكتب الإسلامي .
- ١٠٤- سنن ابن ماجه ، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، ت/محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار البيان .
- ١٠٥- سنن أبي داود ، (سليمان بن الأشعث السجستاني) ، ط دار الحديث ، تحقيق عزت الدعاس .
- ١٠٦- سنن الترمذي ، ت/كمال يوسف الخوت ، المكتبة التجارية .
- ١٠٧- سنن الدار قطني ، ط دار إحياء التراث العربي .
- ١٠٨- سنن الدارمي ، (أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن بهرام الدارمي) ط دار الكتاب العربي .
- ١٠٩- السنن الكبرى ، للبيهقي ، (أبي بكر أحمد بن الحسين) ، ط دار المعرفة .
- ١١٠- السنن الكبرى للنسائي ، ط دار الكتب العلمية .
- ١١١- سنن النسائي بشرح السيوطي ، ط دار المعرفة .
- ١١٢- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ط مؤسسة الرسالة .
- ١١٣- سيرة ابن هشام ، ط دار التراث .

## ش

- ١١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي (عبدالحفي) ، ط دار ابن كثير .
- ١١٥- شذرات الذهب ، لابن هشام النحوي ، ط المكتبة العصرية ، توزيع دار الفكر - صيدا بيروت .
- ١١٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ط المكتبة العصرية - صيدا بيروت .
- ١١٧- شرح ديوان جميل بثينة ، جميل بن معمر ، ط دار صادر - بيروت .
- ١١٨- شرح السنة للإمام البغوي (الحسين بن مسعود البغوي) تحقيق : شعيب الأرناؤوط ط المكتب الإسلامي .
- ١١٩- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، ت/عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط ، ط الثانية ، مؤسسة الرسالة .
- ١٢٠- الشرح الكبير على متن المقنع ، لابن قدامة المقدسي ، ط دار الفكر .
- ١٢١- شرح مشكل الآثار ، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، ت/شعيب الأرناؤوط .

- ١٢٢- شرح المعلقات العشر ، أحمد بن الأمين الشنقيطي ، ط دار الكتاب العربي ١٤١٣ هـ .  
 ١٢٣- شرح النووي على مسلم ، ط دار الكتاب العربي .  
 ١٢٤- شعب الإيمان ، للبيهقي ، ط دار الكتب العلمية .  
 ١٢٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن القيم ، مكتبة السوادي للتوزيع .  
 ١٢٦- الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي ، د/عبدالعال سالم مكرم ، ط الأولى عالم الكتب .

ص

- ١٢٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، للقلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي) ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة .  
 ١٢٨- صحيح الأدب المفرد ، للألباني ، ط دار الصديق .  
 ١٢٩- صحيح البخاري المسمى (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) . المطبعة السلفية .  
 ١٣٠- صحيح الجامع الصغير للألباني ، ط المكتب الإسلامي .  
 ١٣١- صحيح سنن ابن ماجة للألباني ، ط مكتبة التربية العربية لدول الخليج .  
 ١٣٢- صحيح أبي داود للألباني ، ط مكتبة التربية العربية لدول الخليج .  
 ١٣٣- صحيح سنن الترمذي للألباني ، ط مكتبة التربية العربية لدول الخليج .  
 ١٣٤- صحيح سنن النسائي للألباني ، ط مكتبة التربية العربية لدول الخليج .  
 ١٣٥- صحيح القصص النبوي د/عمر سليمان الأشقر ، ط دار النفائس .  
 ١٣٦- صحيح مسلم بشرح النووي ، ط دار الكتاب العربي .  
 ١٣٧- صحيفة علي بن طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن العظيم ، اعتنى بها راشد عبدالمنعم الرجال ، ط مكتبة السنة .  
 ١٣٨- صفة جزيرة العرب ، للهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب) بتحقيق محمد بن علي الحوالي ط دار اليمامة . الرياض ، سنة ١٣٩٧ هـ .  
 ١٣٩- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ، عبدالرحمن بن محمد الدوسري ، ط الأولى مكتبة دار الأرقم .

## ط

- ١٤٠- طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، ط دار إحياء الكتب العربي .  
١٤١- طريق المهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم ، ط دار الكتب العلمية .

## ع

- ١٤٢- العبرة من قصة موسى ، محمد خير عدوي ، رسالة ماجستير .  
١٤٣- العجائب في بيان الأسباب ، لابن حجر العسقلاني ، ط دار ابن الجوزي .  
١٤٤- عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب ، للحازمي الهمداني ، ط القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ١٣٨٤هـ .  
١٤٥- عدة الصابرين ، لابن القيم ، ط دار الكتب العلمية .  
١٤٦- العظمة ، لأبي الشيخ الأصبهاني (أبي محمد عبدالله ابن محمد بن جعفر بن حيان) ، ط دار العاصمة - الرياض ، ت/رجاء الله المباركفوري . تحقيق/رضاء الله بن محمد المباركفوري .  
١٤٧- العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم ، لابن أبي الدنيا (أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد) ط/دار ابن حزم .  
١٤٨- علل الترمذي الكبير ، بترتيب أبي طالب القاضي تحقيق - حمزة ديب مصطفى - ط مكتبة الأقصى .  
١٤٩- العلمانية : نشأتها ، تطورها ، آثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، ط مؤسسة قرطبة .  
١٥٠- (علم المعاني ، البيان البديع) ، د/عبدالعزیز عتيق ، ط دار النهضة العربية .  
١٥١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني ، ط دار المعرفة .  
١٥٢- عمل اليوم والليلة للنسائي ، (أحمد بن شعيب) ، ط دار الفكر .  
١٥٣- عمل اليوم والليلة ، لابن السني (أبوبكر أحمد بن محمد بن إسحاق) ، ط دار الجيل ، بيروت ١٤٠٤هـ .  
١٥٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، ط مكتبة ابن تيمية سنة ١٤١٢هـ .

## ف

- ١٥٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط دار الكتب العلمية .
- ١٥٦- فتح القدير ، لكمال الدين محمد بن الواحد ، ط دار إحياء التراث العربي .
- ١٥٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني ، ط أم القرى .
- ١٥٨- الفتن ، لأبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي ، ط دار التوحيد .
- ١٥٩- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر العجلي الشافعي الشهير بالجميل ، ط البابي الحلبي .
- ١٦٠- الفردوس بمأثور الخطاب ، للديلمى الهمداني (أبي شجاع شيرويه بن شهردار) ، ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، سنة ١٩٨٦هـ ، بيروت ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول .
- ١٦١- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط الرابعة ، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ .
- ١٦٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد ابن حزم الظاهري ، ط دار الجيل .
- ١٦٣- الفوائد ، لابن القيم ، ط دار مصر للطباعة .
- ١٦٤- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، لأبي الحسنات الكنوي الهندي ، ط مكتبة خير كثير .
- ١٦٥- الفهرست ، لابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق) ط الثالثة - دار المسيرة .
- ١٦٦- فيض القدير بشرح الجامع الصغير ، للمناوي (محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي) ، ط دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ١٦٧- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط دار الشروق .

## ق

- ١٦٨- القاموس المحيط ، فيروز آبادي ، ط إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي .
- ١٦٩- قصص الأنبياء (( عرائس المجالس )) ، لأحمد بن محمد الثعلبي ، ط مصطفى البابي الحلبي .
- ١٧٠- القصص في القرآن بين الآباء والأبناء ، عماد زهير حافظ ، ط دار القلم - دمشق .

- ١٧١- قضية البوسنة والمهرسك ، الأرقم الزعبي ، ط دار النفائس .  
١٧٢- القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين ، ط دار العاصمة .

### ك

- ١٧٣- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير (محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني) تحقيق/عبدالله القاضي ط دار الكتب العلمية .  
١٧٤- الكامل في ضعفاء الرجال ، لابن عدي ، ط دار الفكر .  
١٧٥- كتاب التوحيد ، عبد المجيد الزنداني ، ط دار المجتمع للنشر والتوزيع .  
١٧٦- الكشاف ، للزمخشري ، ط دار التراث .  
١٧٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلوني (إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي) ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .  
١٧٨- كشف المعاني في التشابه من المثاني ، بدر الدين بن جماعة ، ط دار الوفاء - المنصورة .  
١٧٩- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكنوي ، ط الأولى ، دار الرسالة .  
١٨٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي البرهان فوري ، ط مؤسسة الرسالة .  
١٨١- الكيد الأحمر : عبدالرحمن الميداني ، ط دار القلم ، دمشق .

### ل

- ١٨٢- لسان العرب ، لابن منظور (محمد بن مكرم) ط دار إحياء التراث الإسلامي .  
١٨٣- اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي ، ط دار الكتب العلمية .

### م

- ١٨٤- المبسوط ، للسرخسي (شمس الدين أبوبكر محمد بن أبي سهل السرخسي) ، ط دار المعرفة ١٤١٤هـ ، بيروت - لبنان .  
١٨٥- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة : معمر بن المثنى ، ت د/محمد فؤاد سزكين ، ط مؤسسة الرسالة .

- ١٨٦- مجلة رابطة العالم الإسلامي لشهر ذي القعدة ١٤٠٢ هـ .
- ١٨٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط دار الفكر .
- ١٨٨- مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .
- ١٨٩- مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط (( ق )) بمبائي ، الهند ١٣٧٤ هـ .
- ١٩٠- مجموعة التوحيد ، لابن تيمية الحراني ، ومحمد بن عبد الوهاب النجدي ، ط دار اليقين .
- ١٩١- محاسن التأويل ، للقاسمي (محمد جمال الدين) ، ط دار الفكر - بيروت .
- ١٩٢- المحلى ، لابن حزم الظاهري ، تصحيح/حسن زين طلبة ، ط مكتبة الجمهورية العربية .
- ١٩٣- محيط المحيط ، بطرس البستاني ، ط مكتبة لبنان .
- ١٩٤- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، المكتبة التجارية .
- ١٩٥- مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك الحاكم ، ط دار العاصمة ، ت/سعد آل حميد .
- ١٩٦- مختصر طبقات الحنابلة ، محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن الشطي ، ط دار الكتاب العربي .
- ١٩٧- مدارج السالكين ، لابن القيم ، ت/محمد حامد الفقي ، ط دار الكتاب العربي - بيروت .
- ١٩٨- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ط دار الشروق .
- ١٩٩- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة ، عبدالله بن سليمان الأحمد ، ط دار طيبة .
- ٢٠٠- مستدرك الحاكم (أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري) ، ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، ١٤١١ هـ .
- ٢٠١- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، د/عبدالكريم زيدان ، ط مؤسسة الرسالة .
- ٢٠٢- مسند أحمد ، ط مؤسسة قرطبة .
- ٢٠٣- مسند البزار (البحر الزخار) لأبي بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي البزار ، بتحقيق د/محفوظ الرحمن زين الدين ، ط الأولى ، ١٤١٨ هـ .
- ٢٠٤- مسند الشاميين ، للطبراني (أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي) - ط الثانية - مؤسسة الرسالة بتحقيق حميد السلفي ١٤١٧ هـ ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة .

- ٢٠٥- مسند الشهاب ، (للقاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي) ، بتحقيق حمدي السلفي ، ط الأولى ، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٠٦- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (محمد بن عبدالله) بتحقيق الألباني ، ط الثالثة ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي .
- ٢٠٧- معارج الصعود إلى تفسير سورة هود ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ط دار المجتمع .
- ٢٠٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ أحمد الحكمي ، ط دار ابن القيم .
- ٢٠٩- معالم التنزيل (تفسير البغوي) (أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي) ، بتحقيق محمد النمر وآخرون ، ط الثانية ، دار طيبة ، سنة ١٤١٤ هـ .
- ٢١٠- مع الأنبياء في القرآن ، عفيف عبدالفتاح طيارة ، ط دار العلم للملايين .
- ٢١١- معاني القرآن للفراء (أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء) ، ط دار السرور ، بتحقيق أحمد نجاني ، محمد النجار .
- ٢١٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (أبي إسحاق إبراهيم بن السري) ، ت/عبدالجليل عبده شلي ، ط عالم الكتب .
- ٢١٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ط دار الفكر العربي .
- ٢١٤- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ط دار صادر ، بيروت ، ط أخرى ، دار الكتب العلمية .
- ٢١٥- معجم الصحابة ، لابن قانع ، ط مكتبة الغرباء الأثرية .
- ٢١٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبدالعزيز البكري الأندلسي ، ت/مصطفى السقا ، ط عالم الكتب .
- ٢١٧- معجم مفردات القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ط دار الفكر .
- ٢١٨- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ط دار الفكر .
- ٢١٩- المعجم الوسيط ، د/إبراهيم أنيس وآخرون ، ط المكتبة الإسلامية باستانبول - تركيا .
- ٢٢٠- معونة أولى النهى شرح المنتهى د/عبدالمالك بن دهيش ط دار الفكر ، الناشر المكتبة الإسلامية .
- ٢٢١- المغني ، لابن قدامة ، ط مكتبة الرياض الحديثة .
- ٢٢٢- مغني المحتاج ، للشرييني ، (محمد بن أحمد شمس الدين) ، ط دار الفكر الناشر المكتبة الإسلامية .

- ٢٢٣- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي ، ط دار التراث العربي .
- ٢٢٤- مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، ط دار الكتب العلمية .
- ٢٢٥- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ط دار الفكر .
- ٢٢٦- ملحمة البوسنة والمهرسك ، د/عدنان النحوي ، دار النحوي .
- ٢٢٧- المنتخب في تفسير القرآن والسنة ، لجنة القرآن والسنة ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ٢٢٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، ط دار الكتب العلمية .
- ٢٢٩- منتهى الإيرادات ، ابن النجار ، (محمد تقي الدين ابن أحمد شهاب الدين) . ط دار العروبة .
- ٢٣٠- من صفات الداعية ، محمد لطفي الصباغ ، ط الثالثة - المكتب الإسلامي ١٤٠٠ هـ .
- ٢٣١- من عاش بعد الموت ، لابن أبي الدنيا ، ط مكتبة السنة .
- ٢٣٢- من علم الفلك القرآني ، د/عدنان الشريف ، ط دار العلم للملايين .
- ٢٣٣- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، محمد سرور بن نايف زين العابدين ، ط الأولى ، الكويت - دار الأرقم .
- ٢٣٤- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر) ، بتحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد العرقسوس ، ط الأولى ١٤١٤ هـ ، مؤسسة الرسالة .
- ٢٣٥- الموسوعة العلمية الميسرة ، شاهين و د/يوسف دياب وأحمد الخطيب ، ط مكتبة لبنان .
- ٢٣٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط الثانية ١٤٠٩ هـ .
- ٢٣٧- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التنزيل ، للغرناطي ، ت/سعيد الفلاح ، ط دار الغرب الإسلامي .
- ٢٣٨- ميزان الاعتدال ، للذهبي ، بتحقيق علي البجاوي ، ط الأولى ، دار المعرفة ١٣٨٢ هـ .

## ن

- ٢٣٩- نصب الراية ، للزيلعي (جمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف الحنفي) ، ط الثالثة ١٤٠٧ هـ ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢٤٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي ، ط دار الكتاب الإسلامي .
- ٢٤١- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، ط دار الفكر .
- ٢٤٢- نهر الخير على أيسر التفاسير ، أبوبكر الجزائري ، ط مكتبة دار العلوم والحكمة .



## و

- ٢٤٣- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ، ابن القيم ، ط مكتبة المؤيد .
- ٢٤٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ط الأولى ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية .
- ٢٤٥- وفيات الأعيان وإنباء الزمان ، لابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بتحقيق د/إحسان عباس ، ط دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .
- ٢٤٦- الولاء والبراء ، محمد سعيد القحطاني ، ط دار طيبة .

## ي

- ٢٤٧- يتيمة الدهر ، للثعالبي (أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري) تحقيق محمد عبد الحميد ، ط دار السعادة .
- ٢٤٨- اليهودية والماسونية ، للشيخ عبدالرحمن الدوسري ، ط دار السنة ١٤١٤هـ .

## فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة .....	ب
المبحث الأول : تعريف العقوبة .....	٣
المبحث الثاني : الفرق بين العقوبة والحد .....	٤
<b>الفصل الأول : العقوبات في بدء الخلق</b> .....	٦
المبحث الأول : عقوبة إبليس .....	٧
السور التي أشارت إلى العقوبة دون تفصيل .....	٧
السور التي فصلت عقوبة إبليس .....	٨
سورة البقرة ، ولطائف الآيات .....	٨
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	١٥
سورة الحجرات ، ولطائف الآيات .....	٢٣
سورة الإسراء ، ولطائف الآيات .....	٢٧، ٢٦
سورة طه ، ولطائف الآيات .....	٢٩
سورة ص ، ولطائف الآيات .....	٣٢، ٣١
- سبب عقوبة إبليس .....	٣٤
- سبب امتناع إبليس عن السجود .....	٣٦
- نوع العقوبة .....	٣٨
- الدروس المستفادة من عقوبة إبليس .....	٤١
- المبحث الثاني : عقوبة آدم وحواء عليهما السلام .....	٤٦
- عقوبة آدم صراحة في سورة البقرة والأعراف وطه .....	٤٧، ٤٦
- سبب العقوبة .....	٤٨
- آدم وزوجه في الجنة .....	٤٨
- تحذير الله لآدم وزوجه من طاعة إبليس .....	٤٩
- ضعف آدم وزوجه أمام وسوسة إبليس .....	٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
- نوع العقوبة .....	٥٣
- الدروس المستفادة من عقوبة سيدنا آدم عليه السلام .....	٥٥
المبحث الثالث : عقوبة قابيل ، والآيات التي تحدثت عن ذلك .....	٦٦
- سبب العقوبة .....	٦٩
- نوع العقوبة .....	٧٢
- الدروس المستفادة من قصة قابيل .....	٧٥
- تعريف الحسد ، ومراتبه ، أسبابه علاجه .....	٧٩-٧٦
<b>الفصل الثاني : العقوبات الإلهية من زمن نوح إلى بداية زمن موسى عليهما السلام</b>	
المبحث الأول : عقوبة قوم نوح .....	٨٣
- الآيات التي ذكرت العقوبة .....	٨٤
- السور التي ذكرت العقوبة .....	٨٤
- السور التي ذكرتهم مجملًا .....	٨٤
- السور التي فصلت عقوبتهم .....	٨٦
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	٨٧، ٨٦
سورة يونس ، ولطائف الآيات .....	٨٨
سورة هود ، ولطائف الآيات .....	٩٠، ٨٩
سورة المؤمنون ، ولطائف الآيات .....	٩٦، ٩٥
سورة الشعراء ، ولطائف الآيات .....	٩٨، ٩٧
سورة العنكبوت ، ولطائف الآيات .....	٩٩
سورة الصافات ، ولطائف الآيات .....	١٠٠
سورة القمر ، ولطائف الآيات .....	١٠٢
سورة نوح ، ولطائف الآيات .....	١٠٥، ١٠٤
- سبب العقوبة .....	١٠٨
- وقفة تأمل قبل نزول العذاب .....	١١١
نوع العقوبة .....	١١٥

الموضوع	رقم الصفحة
الأمر الإلهي بصنع السفينة .....	١١٥
محاولة أخيرة لنوح في الدعوة .....	١١٦
عظم هول العقوبة .....	١١٧
نداء ومناجاة .....	١١٨
توبة نوح ونجاته .....	١٢٠
الدروس المستفادة من قصة نوح عليه السلام .....	١٢٢
درس في الدعوة إلى الله تعالى ، وصفات الداعية .....	١٢٢
درس في قوة العزيمة .....	١٣٦
درس في الولاء والبراء حتى مع الأقرباء .....	١٤٣
بعض من مظاهر موالاته الكفار التي نهى الله عنها .....	١٤٩
درس في حقائق القرآن العلمية من قصة نوح عليه السلام .....	١٥٢
المبحث الثاني : عقوبة قوم هود عليه السلام .....	١٥٥
- الآيات التي ذكرت عقوبتهم .....	١٥٦
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	١٥٧
سورة هود ، ولطائف الآيات .....	١٦١، ١٦٠
سورة المؤمنون ، ولطائف الآيات .....	١٦٥، ١٦٤
سورة الشعراء ، ولطائف الآيات .....	١٦٧، ١٦٦
سورة فصلت ، ولطائف الآيات .....	١٦٨
سورة الأحقاف ، ولطائف الآيات .....	١٦٩
سورة الذاريات ، ولطائف الآيات .....	١٧٠
سورة القمر ، ولطائف الآيات .....	١٧١
سورة الحاقة ، ولطائف الآيات .....	١٧٢
سورة الفجر ، ولطائف الآيات .....	١٧٣
- سبب العقوبة .....	١٧٤
- نماذج من دعوة سيدنا هود .....	١٧٤

الموضوع	رقم الصفحة
- وقفة تأمل قبل نزول العذاب.....	١٧٦
- نوع العقوبة.....	١٧٩
- عظم هلاك عاد قوم هود.....	١٧٩
- نجاة هود والمؤمنين.....	١٨٢
- الدروس المستفادة من عقوبة قوم هود عليه السلام.....	١٨٣
المبحث الثالث : عقوبة قوم صالح عليه السلام.....	١٩١
- الآيات التي ذكرت عقوبتهم دون تفصيل.....	١٩٢
- السور التي فصت عقوبتهم.....	١٩٤
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات.....	١٩٥، ١٩٤
سورة هود ، ولطائف الآيات.....	١٩٨
سورة الحجر ، ولطائف الآيات.....	٢٠١
سورة الشعراء ، ولطائف الآيات.....	٢٠٢، ٢٠١
سورة النمل ، ولطائف الآيات.....	٢٠٣
سورة الذاريات ، ولطائف الآيات.....	٢٠٥، ٢٠٤
سورة القمر ، ولطائف الآيات.....	٢٠٥
سورة الشمس ، ولطائف الآيات.....	٢٠٧
- سبب العقوبة.....	٢٠٨
- نماذج من دعوة صالح عليه السلام.....	٢٠٨
- وقفة قبل النهاية.....	٢١١
- نوع العقوبة.....	٢١٣
- طلبهم العذاب.....	٢١٣
- عظم هول العقوبة.....	٢١٥
- نجاة صالح ومن آمن معه.....	٢١٩
- العبر المستفادة من عقوبة قوم صالح.....	٢٢١
المبحث الرابع : عقوبة قوم لوط عليه السلام.....	٢٣٢
- الآيات التي ذكرت عقوبتهم دون تفصيل.....	٢٣٢
- السور التي فصلت عقوبتهم.....	٢٣٤

الموضوع	رقم الصفحة
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	٢٣٤
سورة هود ، ولطائف الآيات .....	٢٣٧، ٢٣٦
سورة الحجر ، ولطائف الآيات .....	٢٣٩، ٢٣٨
سورة الشعراء ، ولطائف الآيات .....	٢٤٢، ٢٤١
سورة النمل ، ولطائف الآيات .....	٢٤٢
سورة العنكبوت ، ولطائف الآيات .....	٢٤٤، ٢٤٣
سورة الصافات ، ولطائف الآيات .....	٢٤٦
سورة القمر ، ولطائف الآيات .....	٢٤٧
- سبب العقوبة .....	٢٤٩
- نماذج من دعوة سيدنا لوط عليه السلام .....	٢٤٩
- وقفة تأمل قبل النهاية .....	٢٥٢
- نوع العقوبة .....	٢٥٧
- نجات لوط عليه السلام ومن آمن معه .....	٢٦٠
- الدروس المستفادة من عقوبة قوم لوط .....	٢٦٢
- خلاف العلماء في عقوبة اللوطي .....	٢٦٩
- وسائل لمنع ظهور فاحشة اللواط .....	٢٧٤
المبحث الخامس : عقوبة قوم شعيب عليه السلام .....	٢٧٦
- الآيات التي أشارت إجمالاً .....	٢٧٧
- الآيات التي فصلت عقوبتهم .....	٢٧٧
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	٢٧٨
سورة هود ، ولطائف الآيات .....	٢٨١، ٢٨٠
سورة الشعراء ، ولطائف الآيات .....	٢٨٤، ٢٨٣
- سبب العقوبة .....	٢٨٩
- نماذج من دعوة شعيب عليه السلام .....	٢٨٩
- وقفة قبل النهاية .....	٣٠٢

الموضوع	رقم الصفحة
- نوع العقوبة ، وعظم هولها .....	٣٠٦
- نجاة شعيب ومن آمن معه .....	٣٠٨
- الدروس المستفادة من عقوبة قوم شعيب عليه السلام .....	٣٠٩
- المبحث السادس : عقوبة قوم الرسل المذكورين في سورة يس .....	٣١٦
- الآيات التي تحدثت عنهم .....	٣١٦
- سبب العقوبة .....	٣٢٢
- وقفة قبل النهاية .....	٣٢٤
- نوع العقوبة .....	٣٢٦
- الدروس المستفادة من عقوبة أصحاب القرية .....	٣٢٩
<b>الفصل الثالث : العقوبات الإلهية في عهد موسى عليه السلام</b> .....	٣٣٧
- المبحث الأول : عقوبة فرعون وقومه .....	٣٣٩
- السور التي أشارت إلى عقوبتهم دون تفصيل .....	٣٣٩
- سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	٣٤٧، ٣٤٦
- سورة يونس ، ولطائف الآيات .....	٣٥١، ٣٥٠
- سورة طه ، ولطائف الآيات .....	٣٥٥، ٣٥٣
- سورة الشعراء ، ولطائف الآيات .....	٣٦٣، ٣٦١
- سورة النمل ، ولطائف الآيات .....	٣٧١، ٣٧٠
- سورة القصص ، ولطائف الآيات .....	٣٧٧، ٣٧٥
- سورة غافر ، ولطائف الآيات .....	٣٨٤، ٣٨٢
- سورة الزخرف ، ولطائف الآيات .....	٣٨٧
- سورة الدخان ، ولطائف الآيات .....	٣٨٩، ٣٨٨
- سورة النازعات ، ولطائف الآيات .....	٣٩٠
- سبب العقوبة : استكبار فرعون وإفساده في الأرض .....	٣٩٢
- ادعائه الألوهية والربوبية .....	٣٩٣
- قتله للأبناء الذكور دون النساء .....	٣٩٤

الموضوع	رقم الصفحة
- ظلم وفساد أعوان فرعون .....	٣٩٤
- عناد فرعون وتجبره وتكذيبه .....	٣٩٥
- اتهام موسى بالسحر ومحاولة قلب نظام الحكم .....	٤٠٢
- جمعه للسحرة استعداداً ليوم المفاصلة .....	٤٠٤
- اتهام السحرة بالخيانة العظمى .....	٤٠٦
- فرعون يريد قتل موسى ويصد عن قبول النصيحة .....	٤١١
- ما حصل له ولقومه قبل العقوبة المفاصلة .....	٤١٨
- إعداد موسى بني إسرائيل للخروج من مصر .....	٤٢٣
- نوع العقوبة .....	٤٢٩
- الدروس المستفادة من عرض قصة موسى وعقوبات فرعون وقومه .....	٤٣٥
المبحث الثاني : عقوبات بني إسرائيل في عهد موسى .....	٤٥٦
- الآيات التي تحدثت عن عقوبات بني إسرائيل .....	٤٥٧
سورة البقرة ، ولطائف الآيات .....	٤٥٧
سورة النساء ، ولطائف الآيات .....	٤٦٠
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	٤٦١
سورة طه ، ولطائف الآيات .....	٤٦٥، ٤٦٤
- الآيات التي تحدثت عن عقوبة من طلب رؤية الله عز وجل .....	٤٦٧
سورة البقرة ، ولطائف الآيات .....	٤٦٧
سورة النساء ، ولطائف الآيات .....	٤٦٨
- الآيات التي ذكرت عقوبة بني إسرائيل في صحراء سيناء .....	٤٦٨
سورة البقرة ، ولطائف الآيات .....	٤٦٩، ٤٦٨
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	٤٦٩
- الآيات التي ذكرت عقوبة الذين بدلوا أمر الله قولاً غير الذي قيل لهم .....	٤٧٠
سورة البقرة ، ولطائف الآيات .....	٤٧١، ٤٧٠
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات .....	٤٧٢



الموضوع	رقم الصفحة
- الآيات التي ذكرت إعراضهم عن قبول التوراة.....	٤٧٤
سورة البقرة ، ولطائف الآيات.....	٤٧٥، ٤٧٤
سورة النساء ، ولطائف الآيات.....	٤٧٥
سورة الأعراف ، ولطائف الآيات.....	٤٧٥
- الآيات التي ذكرت عقوبة عناد بني إسرائيل في ذبح البقرة.....	٤٧٦
سورة البقرة ، ولطائف الآيات.....	٤٧٦
- الآيات التي ذكرت عقوبة أهل التيه.....	٤٧٨
- سبب العقوبة ونوعها.....	٤٨٠
- سبب عقوبة صانع العجل.....	٤٨٤
- نوع عقوبة عبدة العجل.....	٤٨٤
- طلبهم رؤية الله عز وجل وإعراضهم عن قبول التوراة.....	٤٨٧
- نوع عقوبتهم.....	٤٨٨
- تبديلهم أمر الله.....	٤٩٠
- نوع العقوبة.....	٤٩١
- كفرانهم لنعم الله ورغبتهم في الرجوع إلى الذل.....	٤٩٢
- تعداد النعم على بني إسرائيل (قوم موسى).....	٤٩٣
- نوع عقوبتهم.....	٤٩٥
- مراوغاتهم وتلكؤهم في عدم ذبح ما أمروا به.....	٤٩٦
- سبب القصة.....	٤٩٧
- نوع العقوبة.....	٤٩٧
- امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة.....	٤٩٨
- نوع العقوبة.....	٥٠٠
- الدروس المستفادة من عقوبات بني إسرائيل.....	٥٠٢
- شروط التوبة.....	٥٠٤
- رؤية الله تعالى حق في الدار الآخرة للمؤمنين.....	٥٠٥

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثالث : عقوبة قارون .....	٥٢٠
- الآيات التي ذكرت ذلك .....	٥٢٠
- سبب العقوبة .....	٥٢٢
- نوع العقوبة .....	٥٢٥
- الدروس المستفادة من عقوبة قارون .....	٥٢٧
<b>الفصل الرابع : عقوبة بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام .....</b>	<b>٥٣٢</b>
المبحث الأول : عقوبة قوم منهم خرجوا حذراً من الموت .....	٥٣٣
- الآيات التي تناولت تلك العقوبة .....	٥٣٣
- سبب العقوبة .....	٥٣٥
- نوع العقوبة .....	٥٣٦
- الدروس المستفادة من عقوبتهم .....	٥٣٧
المبحث الثاني : عقوبة قوم طالوت .....	٥٣٩
- الآيات التي تناولت عقوبتهم .....	٥٣٩
- سبب العقوبة .....	٥٤٣
- نوع العقوبة .....	٥٤٧
- الدروس المستفادة من عقوبتهم .....	٥٥٠
المبحث الثالث : عقوبة أصحاب السبت ، والآيات التي تناولت ذلك .....	٥٥٣
- سبب العقوبة .....	٥٥٧
- نوع العقوبة .....	٥٥٩
- الدروس المستفادة من عقوبتهم .....	٥٦٢
المبحث الرابع : عقوبة بني إسرائيل في أول سورة الإسراء .....	٥٦٥
- سبب العقوبة .....	٥٦٩
- نوع العقوبة .....	٥٦٩
- الدروس المستفادة من عقوبتهم .....	٥٧١

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الخامس : عقوبات بني إسرائيل في عهد عيسى عليه السلام وبعده	٥٧٣
المبحث الأول : عقوبة من كفر بالمائدة وأراد قتل عيسى عليه السلام	٥٧٥
- الآيات التي تناولت عقوبتهم من سورة المائدة ، ولطائف الآيات	٥٧٥
- الآيات التي تحدثت عن رفع عيسى عليه السلام من سورة آل عمران والنساء مع اللطائف	٧٦
- سبب العقوبة	٥٧٩
- نوع العقوبة	٥٨١
- عيسى عليه السلام ومكائد اليهود ونهايتها	٥٨٢
المبحث الثاني : عقوبة صاحب الجنتين ، والآيات التي تناولت ذلك مع اللطائف	٥٨٨
- سبب العقوبة	٥٩٢
- نوع العقوبة	٥٩٤
- الدروس المستفادة منها	٥٩٥
المبحث الثالث : عقوبة أصحاب الجنة ، والآيات التي تناولت ذلك مع اللطائف	٥٩٩
- سبب العقوبة	٦٠٢
- نوع العقوبة	٦٠٣
- الدروس المستفادة منها	٦٠٤
المبحث الرابع : عقوبة أصحاب الأخدود ، والآيات التي تناولت ذلك مع اللطائف	٦٠٧
- سبب العقوبة	٦٠٩
- نوع العقوبة	٦١٢
- الدروس المستفادة منها	٦١٣
المبحث الخامس : عقوبة أهل سبأ ، والآيات التي تحدثت عن عقوبتهم مع اللطائف	٦١٦
- سبب العقوبة	٦١٩
- نوع العقوبة	٦٢١
- الدروس المستفادة من عقوبتهم	٦٢٢
المبحث السادس : عقوبة أصحاب الرس وزمنهم الذي عاشوا فيه	٦٢٥
- الآيات التي تحدثت عنهم	٦٢٩

الموضوع	رقم الصفحة
- سبب العقوبة .....	٦٣٢
- نوع العقوبة .....	٦٣٣
- الدروس المستفادة من عقوبتهم .....	٦٣٤
المبحث السابع : عقوبة أصحاب القيل والآيات التي تحدثت عن ذلك مع اللطائف ....	٦٣٥
- سبب العقوبة .....	٦٣٨
- نوع العقوبة .....	٦٤٠
- الدروس المستفادة منها .....	٦٤١
الخاتمة .....	٦٤٢
- الأسباب التي أهلك الله بها الأقوام :	٦٤٣
- الكفر بالله تعالى .....	٦٤٣
- المعاصي والذنوب .....	٦٤٦
- استعجال العذاب .....	٦٤٩
- ادعاء الألوهية والربوبية .....	٦٥٠
- الاستكبار .....	٦٥٠
- قتل الأنبياء وإيذاؤهم بشتى أنواع الإيذاء .....	٦٥١
- الإسراف والتزلف والبطر .....	٦٥٤
- المكر .....	٦٥٨
- الصد عن مساجد الله .....	٦٦٠
- التوصيات والمقترحات .....	٦٦٢
- فهرس الآيات .....	٦٦٦-٧١٤
- فهرس الأحاديث .....	٧١٥-٧٢٣
- فهرس الآثار .....	٧٢٤-٧٢٦
- فهرس الأعلام .....	٧٢٧-٧٢٩
- فهرس الشواهد الشعرية .....	٧٣٠-٧٣١
- المصادر والمراجع .....	٧٣٢-٧٤٦
- فهرس الموضوعات .....	٧٤٧-٧٥٧